

موسوعة مصر القديمة

الأدب المصرى القديم

الجزء السابع عشر

فى القصة والحكم والأمثال والتأملات والرسائل الأدبية

سليم حسن



مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٠
مكتبة الأسرة
برعاية السيدة سوزان مبارك

الجهات المشاركة:

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة الإدارة المحلية

وزارة الشباب

التنفيذ : هيئة الكتاب

والمجموعة الثقافية المصرية

موسوعة مصر القديمة

الأدب المصرى القديم

الجزء السابع عشر

الغلاف

والإشراف الفنى:

الفنان : محمود الهندى

المشرف العام :

د . سمير سرحان

على سبيل التقديم

«كتاب لكل مواطن ومكتبة لكل أسرة» تلك الصيحة التي أطلقها المواطن المصرية النبيلة «سوزان مبارك» في مشروعها الرائع «مهرجان القراءة للجميع ومكتبة الأسرة» والذي فجر ينابيع الرغبة الجارفة للثقافة والمعرفة لشعب مصر الذي كانت الثقافة والابداع محور حياته منذ فجر التاريخ.

وفي مناسبة مرور عشر سنوات على انطلاق المشروع الثقافي الكبير وسبع سنوات من بدء مكتبة الأسرة التي أصدرت في سنواتها الست السابقة «١٧٠٠» عنواناً في حوالى «٣٠» مليون نسخة لاقت نجاحاً واقبالاً جماهيرياً منقطع النظير بمعدلات وصلت إلى «٣٠٠» ألف نسخة من بعض إصداراتها.

وتنطلق مكتبة الأسرة هذا العام إلى آفاق الموسوعات الكبرى فتبدأ بإصدار موسوعة «مصر القديمة» للعلامة الاثرى الكبير «سليم حسن» فى «١٦» جزءاً إلى جانب السلاسل الراسخة «الابداعية والفكرية والعلمية والروائع وامهات الكتب والدينية والشباب» لتحاول أن تحقق ذلك الحلم النبيل الذى تقوده السيدة: سوزان مبارك نحو مصر الأعظم والأجمل.

د. سمير سرحان

الاهراء

إلى روح الرجل العظيم الدكتور أحمد ماهر باشا
الذي كتب للوطن صفحة مجيدة بدمه الغالي ، أهدى إليه صفحة أخرى
كانت مطوية من تراث الوطن العلمي الذي ظلله زمناً برعايته .
وإذا كان رجال مصر قد تسابقوا إلى تخليد ذكره بما وعاه وطابهم
من مال ونشب ، فحسبي أن أسام في هذا الواجب المقدس بتقديم ما وعاه
رأسي من عصارة فكرية أرجو أن تكون ناضجة نافعة .
وإلى بني مصر المعتزين بها على غير إحاطة تامة بتقديم مجدها ؛
وإلى من أتاحوا لي فرصة تأليف هذا الكتاب عن غير قصد منهم
ولا رغبة ؛
وإلى كل من يقدر العلم للعلم ، ويخدم الوطن لوجه الوطن ؛
إلى كل أولئك أهدى هذه الحلقة الثانية في بناء مجد مصر العلمي .

تقديم

بقلم : مختار السويضي

◀ المؤلف في سطور ▶

● يعتبر الأستاذ الدكتور سليم حسن من أوائل الرواد المصريين الذين أسسوا «علم الآثار المصرية» في اللغة العربية، والذين جمعوا بين العمل الكشفي بالحفائر الأثرية، إلى جانب ما كتبوه وصنفوه وسجلوه تسجيلاً علمياً عن الآثار التي اكتشفوها، وما الفوه من كتب مرجعية وبحوث علمية عن تاريخ مصر القديمة من كافة النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والأدبية والدينية.

● ولد في ٨ أبريل ١٨٩٣م في قرية «ميت ناجي» التابعة لمركز ميت غمر بمحافظة الدقهلية، وانتقل إلى رحمة الله في ٢٩ سبتمبر ١٩٦١م.

● حصل على شهادة البكالوريا عام ١٩٠٩.. ثم حصل على دبلوم المعلمين، ودبلوم عال في الآثار المصرية واللغة المصرية القديمة.. وعمل مدرساً في مدرسة أسيوط الثانوية، ثم في مدرسة الناصرية بالقاهرة.

● اختارته وزارة المعارف العمومية لوضع كتب التاريخ المقررة على مختلف مراحل التعليم في المدارس المصرية.

● في عام ١٩٢١ عين في وظيفة أمين مساعد بالمتحف المصري بالقاهرة، ثم أوفد إلى بعثة علمية بالنمسا عام ١٩٢٣.

● حصل على درجة الدكتوراه من جامعة فيينا عام ١٩٣٤، وفي أثناء إقامته بالنمسا التحق بكلية الدراسات العليا. بجامعة السوربون بباريس.

في السابع والعشرين من سبتمبر ١٨٢٢م، أرسل «جان فرانسوا شامبليون» خطابه الشهير إلى «الأكاديمية الفرنسية» لدراسة النقوش الأثرية والآداب الرفيعة، مطلقاً فيه أنه توصل إلى فك رموز وحروف «الكتابة الهيروغليفية».. وفي عام ١٨٢٤م أصدر كتاباً بعنوان «الموجز في قواعد الكتابة الهيروغليفية».

وإذا كان الفضل الأكبر في هذا المجال يعود إلى شامبليون، فمما لا شك فيه أنه قد استعان بجهود من سبقوه من العلماء الذين بذلوا جهوداً لا تكرر في فك رموز الهيروغليفية وطلاسمها. ومن هؤلاء العلماء العالم الإنجليزي «بانكس» الذي استطاع تحديد وقراءة اسم «كليوباترا» المتقوش على العملة التي اكتشفت عام ١٨١٥م، وكانت نقوشها مكتوبة بالهيروغليفية واليونانية.. والعالم الإنجليزي «الدكتور توماس يانج» الذي درس الهيروغليفية المكتوبة على حجر رشيد واستطاع أن يحدد اسم «بطلميوس» كما قام بتحديد بعض حروف الأبجدية الهيروغليفية.

وفي خلال القرنين التاسع عشر والعشرين وحتى الآن، استمرت وتتابعت

بحوث علماء الآثار المصرية، من مصريين وأجانب، فى دراسة اللغة المصرية القديمة، ووصلت بحوثهم ودراساتهم لتلك اللغة إلى نتائج مبهرة يمكن تلخيصها فى ثلاثة محاور رئيسية: فهى أولاً لغة ذات قواعد «أجرومية» ثابتة وملزمة .. وهى ثانياً لغة مرنة تقبل الصقل والنمو والتطور، فحفلت بالكنايات والاستعارات والتشبيهات المنطقية الجميلة .. وهى ثالثاً لغة غنية مفقفة تصلح للتعبير الأدبى نثراً وشعراً، كما تصلح للتعبير العلمى خصوصاً فى مجالات الطب والكيمياء والهندسة والفلك.

ومن الثابت تاريخياً أن المصريين القدماء كانوا يتكلمون بلغة واحدة وإن تباينت لهجاتها، تماماً مثلما تتباين لهجات نطق اللغة العربية بين أهالى المدن والقرى المصرية الحديثة فى الوجهين البحرى والقبلى، وأهالى الصحراويين الشرقية والغربية.

وأثبتت بحوث ودراسات العلماء أن القواعد «الأجرومية» لتلك اللغة كانت تشمل على الإسم والفعل، والحرف والظرف، وكانت تفرق بين المذكر والمؤنث، والمفرد والمثنى والجمع، والمبتدأ والخبر، والفاعل والمفعول به، والمضاف والمضاف إليه، فضلاً عن قاعدة تبعية الصفة للموصوف بكافة أحواله اللغوية،

- فى عام ١٩٣٥ عين أستاذاً لكرسى الآثار بجامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة حالياً).
- قام باكتشاف مجموعات كاملة من الجبانات والمعابد والقطع الأثرية التى ألقت الأضواء العلمية على تطور النظم الحكومية والإدارية والاجتماعية والعقائد الدينية فى عصر الدولة القديمة.
- فى عام ١٩٣٦ عين وكيلاً لمصلحة الآثار المصرية فكان أول مصرى يشغل هذا المنصب الذى كان مقصوراً من قبل على العلماء الأجانب الأمر الذى أثار حفيظة بعض هؤلاء العلماء فوقفوا ضده.
- عارض رغبة الملك فاروق فى إستعادة مجموعة من القطع الأثرية التى سلمها والده الملك فؤاد لتعرض فى المتحف المصرى بالقاهرة .. وازدادت بالتالى فرص المؤامرات والتحديات ضد وجوده فى المناصب الرسمية المتعلقة بالآثار إلى أن صدر قرار بإحالة إلى المعاش عام ١٩٣٩، وكان عمره آنذاك حوالى ٤٦ عاماً .
- كان هذا القرار فاتحة خير له وللثقافة المصرية ، حيث تفرغ للبحث العلمى والتاريخى، فأصدر موسوعته الرائعة عن تاريخ مصر القديمة فى ١٦ جزءاً، وكتاباه القيم عن الأدب المصرى القديم فى جزئين ، كما ترجم كتاب بريستيد «فجر الضمير» وأصدر كتابين عن تاريخ أوروبا وتركيا، ومجموعة من البحوث والدراسات الأثرية والتاريخية، وكتاباً بالإنجليزية عن «أبى الهول» قام بترجمته أيضاً إلى اللغة العربية، فبلغت أعماله حوالى ٥٠ عملاً بين مقالات وبحوث ودراسات علمية وكتب .
- فى عام ١٩٦٠ كرمته «أكاديمية نيويورك» التى تضم أكثر من ١٥٠٠ عالم من ٥٧ دولة، فانتخبته عضواً فيها بإجماع الأصوات .

كما كانت تشتمل أيضا على الضمائر وأسماء الإشارة الخاصة بالمشار إليه، والأسماء الموصولة، وأدوات الاستفهام، وحروف الجر، وأسماء الزمان والمكان، وحروف العطف.

وبالإضافة إلى كل هذه القواعد، فقد كانت لغة راسخة، وتطور باستمرار لتناسب مع التطورات الحضارية التي طرأت تباعاً على الشعب المصرى والدولة المصرية فى العصور المتعاقبة والمتتالية من التاريخ المصرى القديم.

ومن المعروف تاريخياً أن اللغة المصرية القديمة [بأنواع وطرق كتابتها بالخطوط الهيروغليفية والهيراطيقية والديموطيقية] قد مالت شمسها إلى المغيب والاختفاء ابتداء من القرن الثانى الميلادى وماتلاه، حيث أصبحت تكتب بالحروف الأبجدية اليونانية، ثم بهذه الحروف مع إضافة بعض الرموز والعلامات المنقولة من الخطوط المصرية القديمة، وهى طريقة كتابة اللغة «القبليّة».. إلى أن حلت فى النهاية اللغة «العربية» بطرق كتابتها المعروفة، وذلك فى أعقاب الفتح العربى لمصر فى القرن السابع الميلادى.

والرأى الراجح الآن بين علماء «فقه اللغة المقارن» أن المصريين القدماء كانوا الرواد الأوائل فى اختراع «فن الكتابة والتدوين»، منذ عصر ما قبل الأسرات.. وعندما استطاع الملك «ميناء» توحيد الوجهين البحرى والقبلى وأسس الأسرة الملكية الأولى لحكم الدولة [حوالى عام ٣٢٠٠ ق.م.] كانت الكتابة قد أصبحت وسيلة المصريين لتدوين تاريخهم وأحوال حياتهم. وبذلك أصبحت «الكتابة» هى الحد الفاصل بين العصور التاريخية وعصور ما قبل التاريخ.

ويقول هؤلاء العلماء إن اختراع المصريين القدماء لفن الكتابة باعتبارها وسيلة لتسجيل اللغة المنطوقة، أدى إلى عبور الحضارة الإنسانية إلى عالم النور والتدوين، كبديل للمشاهدة التى قد تؤدى إلى النسيان بتوالى السنين.

وعلى أية حال فمئذ أن توصل العلماء إلى معرفة كيفية قراءة كلمات ونصوص اللغة المصرية القديمة، تفتحت أمام المؤرخين وعلماء الآثار صفحات التاريخ والحضارة المصرية المدونة على جدران المعابد والمقابر والمسلات والنصب التذكارية وقواعد التماثيل وأوراق البردى، والمكتوبة فى بعض الأحيان على كسرات «شقف» المصنوعة من الفخار أو من قلع الحجر الجيري ذات الأوجه المشطوفة الصالحة للكتابة عليها.



وبصرف النظر عما تمت معرفته من معالم التاريخ المصرى القديم، فقد فوجئ المؤرخون وعلماء الآثار المصرية بظهور حجم هائل من الدلائل والوثائق على وجود أقدم وأرقى الأعمال الأدبية التى ظهرت فى تاريخ الإنسان على كوكب الأرض.

وبالرغم من أن معظم هذه الأعمال الأدبية المصرية القديمة قد ترجمت إلى اللغات الحية وفهمت معانيها ومضامينها، إلا أن نسبة كبيرة من هذه الأعمال لم تترجم حتى الآن، كما أن الأرض المصرية مازالت تحتضن أعمالاً أدبية مازالت دفينه في آثار لم تكتشف بعد... ويشير العديد من المؤرخين إلى أن هناك بالتأكيد أعمالاً أدبية مصرية قديمة قد دمرت وصاعت آثارها عبر عصور الغزوات الهمجية التي احتلت الأرض المصرية، بالإضافة إلى ما تم تدميره من آثار أدبية على أيدي من كانوا يعتبرون مصر القديمة دولة وثنية.

ومع ذلك فإن ماتم اكتشافه حتى الآن يدل دلالة قاطعة على وجود أدب مصرى قديم له خصائص ومناهج وفنون وأساليب ميزته بشخصية متفردة كان لها آثار لاتخفى على معظم آداب العالم القديم التي ظهرت في الحضارات القديمة التي توالى ظهورها مثل الآداب السومرية والبابلية والعبرية والإغريقية والرومانية والعربية والآداب الكلاسيكية في العصور الوسطى الأوربية، بل وفي بعض الأعمال الأدبية العالمية في العصر الحديث.



ويميل معظم المؤرخين والعلماء الذين درسوا الأدب المصرى القديم دراسة علمية أكاديمية إلى تقسيم تاريخ هذا الأدب إلى عصرين هما:

أولاً: العصر القديم:

ويبدأ هذا العصر ببداية التاريخ المصرى منذ عصر الأسرة الأولى [سنة ٣٢٠٠ ق م] .. ويتضمن العصر العتيق، وعصر الدولة القديمة، وعصر الاضمحلال الأول، وينتهى بنهاية عصر الدولة الوسطى [سنة ١٧٩٠ ق م] أى أنه استمر نحو ١٤٠٠ سنة.

ويتميز العصر القديم للأدب المصرى بالتمسك بالقواعد اللغوية، وشيوع المحسنات اللفظية، وزخرفة الجمل والكلمات، وكثرة التشبيهات التي لا تخلو من الجمال والمنطق.. ويشبه الدكتور سليم حسن لغة الأدب المصرى في ذلك العصر القديم بالتطور الذى حدثت للغة العربية في العصر العباسى الثانى، حين انتشرت طريقة «ابن العميد، و «القاضى الفاضل، مع حرص الأدباء المصريين القدماء على جمال ودقة الموضوع، وحرصهم فى الوقت نفسه على جمال وعذوبة الشكل أو الأسلوب».

ومن أشهر الانتاجات الأدبية التي تميز بها هذا العصر القديم للأدب المصرى ما تناوله هذا الأدب من موضوعات عن الحكمة، والتأملات، والتعاليم الأخلاقية، والتعاليم المدرسية،

الأمثال، وأدب الرحلات، والقصص، والقصائد الشعرية من أناشيد ملكية ودينية، إلى جانب الأغاني والقصائد الغزلية، هذا طبعاً بالإضافة إلى العديد من انتاجات الأدب الدينى المتمثل فى متون الأهرام وغيرها من النصوص الدينية.

ثانياً: العصر الحديث :

ومنذ بداية عصر الدولة الحديثة [حوالى عام ١٥٨٠ ق م] قل استعمال الأساليب الرفيعة واللغة الفنية العالية، وبدأ الأدباء المصريون فى الانطلاق بالتعبير اللغوى بطلاقة تقترب كثيراً من اللغة العامية أو اللهجة الشعبية.. بل وبدأوا يكتبون الشعر باللغة العامية أو بلغة سلسة سهلة يفهمها المثقفون كما يفهمها العوام.

وإلى جانب هذه البساطة فى التعبير، ابتكر الأدباء المصريون أساليب مستحدثة تتميز بالصفاء والوضوح، كما أكثروا من استعمال الكلمات والمصطلحات الأجنبية، سواء على سبيل التلطف، أو لإظهار مدى تمكنهم من التعبير عن الموضوع المطروح بخلفية ثقافية واسعة.

وقد تناول الأدباء المصريون القدماء فى هذا العصر نفس الموضوعات الأدبية التى تناولها أدباء العصر القديم السابق، كما أضافوا إليها موضوعات وأساليب مبتكرة جديدة مثل: الحواريات والدراما المسرحية ورسائل المساجلات الأدبية.

وبالنظر إلى انتشار التعليم فى تلك الحقبة من التاريخ المصرى القديم، فقد انتشر نوع من الانتاج الأدبى هو أدب الرسائل... ولحسن الحظ فقد وصلت إلينا مجموعة كبيرة من تلك الرسائل، أتاحت لكثير من المؤرخين وعلماء المصريات أن يقوموا بدراساتها دراسة علمية أكاديمية، وأشهر من قام بهذه الدراسات من المؤرخين والعلماء الأجانب: بريستيد، وجاردنر، وجريفيث، وتشيرنى، وجونسون، ودى مورجان، وإيرمان، وسميثرز وغيرهم.

وتناولت دراسات هؤلاء العلماء: كيفية تحرير وتكوين تلك الرسائل، وكيفية ذكر العنوان والصيغة الافتتاحية، والديباجة فى الصيغ العامة، وكيفية الانتقال من فقرة إلى أخرى، وكيفية ختام الرسائل والإشارة إلى تاريخ تحريرها .. الخ.

أما نماذج الرسائل التى كانت محل تلك الدراسات فتكاد تنحصر فى الرسائل التى تناولت الحث على التعلم والحياة المدرسية، والخطابات الانشائية، ورسائل تتناول وصف المدن

القديمة والحديثة فى مصر وخارجها، خصوصاً المدن التى كانت تقع فى نطاق النفوذ المصرى فى عصر الإمبراطورية [خلال عصر الأسرتين ١٨، ١٩] ورسائل رسمية عن موضوعات تتناول نظام الحكم والأوامر الملكية أو أوامر قادة الدولة والوزراء وحكام الأقاليم، وكذا رسائل الالتماسات والتهانى، بالإضافة إلى دراسات مستفيضة عن رسائل المساجلات الأدبية بما فيها من أساليب المناقشات الحادة والهجاء الشديد الذى يدخل فى تصنيف الأدب الساخر.



وإذا انتقلنا إلى الدراسات العلمية التى أجريت للتراث الهائل من الأعمال الأدبية والفكرية التى تركها المصريون القدماء، فسوف نجد أنفسنا أمام موقف يدعو إلى الفخر والفرح كما يدعو إلى الحزن والشجن فى نفس الوقت.. قمعد النصف الثانى من القرن التاسع عشر وحتى الآن واظلب المؤرخون والدارسون وعلماء المصريات، الأجانب، على إصدار مئات من الكتب والمراجع والمقالات والدراسات الأكاديمية المقدمة للحصول على الدرجات العلمية العالية.. فندوا فيها كل ما تم العثور عليه من الأعمال الأدبية التى أبدعها المصريون القدماء، وقاموا بتصنيف الأنواع التى تتشكل منها هذه الإبداعات، وريطوا هذه الدراسات بما كان يجرى فى المجتمع المصرى القديم من أحداث داخلية كانت تميز حقب التاريخ المصرى سواء فى حالات الرخاء الاقتصادى والاستقرار الاجتماعى، أو فى حالات الفوضى التى كان يسود فيها الظلم والظلام، والتى كانت تؤدى إلى تقويض التوازن الاجتماعى لطبقات الشعب المصرى القديم وانعكاس أثر هذا التقويض على الانتاج الأدبى من حكم وأمثال وقصص.. الخ.

كذلك فقد تناولت دراسات هؤلاء العلماء الأجانب كيفية تأثير الأعمال الأدبية المصرية القديمة بالحضارات الأخرى التى كانت معاصرة للحضارة المصرية من حقب التاريخ المختلفة بسبب احتكاك المصريين القدماء بتلك الحضارات، وبسبب البعثات التجارية التى كانت ترسلها مصر إلى خارج حدودها، أو بسبب الغزوات الفتوحات التى قامت بها الجيوش المصرية للمناطق المجاورة لحدودها والمناطق البعيدة عن هذه الحدود، وبسبب الأنشطة والعلاقات الدبلوماسية التى قامت بين الدولة المصرية والدول الأجنبية الأخرى. أما الموقف المؤسف الذى يثير الحزن والشجن، فهو ندرة الدراسات والمؤلفات التى تناولت الأدب المصرى القديم والتى قام بها عدد من المؤرخين والكتّاب وعلماء الآثار المصريين لا يتجاوز

عدد أصابع اليدين.. فقد أصدر بعضهم كتباً صغيرة قليلة الصفحات، وترجم آخرون كتباً لعلماء أجنبية، كما قام البعض الآخر بنشر مقالات أو دراسات في بعض المجلات والدوريات المتخصصة.. وعلى سبيل حصر أسماء هؤلاء العلماء المصريين نذكر منهم الدكتور ثروت عكاشة، والدكتور عبد المنعم أبوبكر، والدكتور عبد العزيز صالح، والدكتور أحمد فخرى، والدكتور أحمد عبد الحميد يوسف، والدكتور محمد إبراهيم بكر، والدكتورة هدى وصفى، والأستاذ لويس بقطر، وكاتب هذه السطور.

ولا ننفل في هذا العصر ذلك الجهد العظيم الذى بذله الأستاذ الدكتور سليم حسن فى تأليف وإصدار هذين الجزئين من كتابه القيم «الأدب المصرى القديم - أو: أدب الفراعنة».. حيث يعتبر هذا الكتاب أضخم وأدق الكتب التى أبدعها المؤلفون المصريون وأرفعها شأنًا وأعظمها قيمة من الناحية العلمية والأكاديمية، ومن ناحية قدرة المؤلف الهائلة على التصنيف والتحليل بأستاذية غير مسبقة ولا ملهوقة.. وذلك بالرغم من تعقضى الخاص على العنوان الملحق بالعنوان الرئيسى لهذا الكتاب وهو «الأدب المصرى القديم - أو: أدب الفراعنة».. ففى رأى أن المدلول والمعنى الحقيقى لكلمة «فراعنة» هو «الملوك الذين حكموا مصر القديمة».. وبطبيعة الحال فإن هؤلاء الملوك لم يكتبوا أدباً حتى ينسب إليهم، ولكن جميع الأعمال التى تدخل فى نطاق الأدب المصرى القديم كانت من إنتاج أبناء الشعب المصرى من الكتّاب والحكماء والمثقفين.

ومن المعروف أن أصل كلمة «فرعون» فى اللغة المصرية القديمة هو «بر - عو» ومعناها الحرفى هو «البيت العظيم».. والمقصود بالطبع هو القصر الذى يعيش فيه الملك الذى يحكم البلاد.. وقد استعمل هذا المسمى بهذا المعنى فى خلال الدولتين القديمة والوسطى، ثم أطلق هذا التعبير - فيما بعد - كناية على الملك نفسه، تماماً مثلما كان السلطان العثمانى يطلق عليه تعبير «الباب العالى».

وبناء على ذلك فمن الخطأ أن نقول «الأدب الفرعونى» أو نقول «الفن الفرعونى» أو «العمارة الفرعونية».. ويجب أن نقول «الأدب المصرى القديم» أو «الفن المصرى القديم» أو «العمارة المصرية القديمة» وهكذا.



أصدر الأستاذ الدكتور سليم حسن كتابه القيم هذا عام ١٩٤٥ م فى جزئين منفصلين متتابعين، كانا من أوائل الكتب والبحوث المرجعية التى تناولت «الأدب المصرى القديم» بهذا القدر العظيم المتمكن من التحليل والتفصيل، طبقاً لمنهج مبتكر فى البحث يبدأ بملخص

للموضوع الأدبي وتاريخ كتابته، ويثنى بدراسته دراسة علمية، ثم يذكر متن هذا الموضوع بنصه الأصلي مترجماً إلى اللغة العربية، وفي نهاية هذا المنهج يذكر المصادر التاريخية والأثرية التي استقى منها هذا الموضوع.

ويتناول الجزء الأول من هذا الكتاب الانفاج الأدبي المصري القديم في مجالات القصص والحكم والتأملات والرمائل، مع مقدمة موجزة عن التاريخ المصري في عصر الدولة القديمة والعصر الإهناسي وعصور الدولة الوسطى والهنكسوس والدولة الحديثة.. ثم أهدف هذا الموجز في التاريخ بموجز آخر عن الأدب والكتابة في مصر القديمة وكيفية تطور هذا الأدب عبر العصور التاريخية، ودراسة عن الكتاب والمثقفين القدماء وعن المثقفين والقصصين وأوزان الشعر المصري القديم.

وفي الفصل الخاص بالقصص المصرية القديمة عرض لنا الدكتور سليم حسن ١٨ قصة، هي القصص التي اكتشفت وترجمت حتى زمن صدور كتابه عام ١٩٤٥.. علماً بأن هناك قصصاً أخرى قد اكتشفت وترجمت منذ ذلك الحين وحتى الآن، وبطبيعة الحال فلم يرد ذكرها في هذا الكتاب.. وفي رأيي الخاص أرى أن بعض هذه القصص يمكن تصنيفها ضمن «قصص الخيال العلمي» التي عرفت في الآداب الحديثة.. وعلى سبيل المثال قصة «زيارة النعيم والجحيم في العالم الآخر» فمن المؤكد أنها انعكست في «رسالة النفران» التي كتبها «أبو العلاء المعري» (٩٧٣ - ١٠٥٧ م) والتي تأثر بها «دانتي الليجيري» (١٢٦٥ - ١٣٢١ م) عندما كتب «الكوميديا الإلهية».

وكذلك قصة «ذات الحذاء الأحمر» قد انعكست في الأخرى في قصة «سندريلا» المعروفة في الأدب العالمي الحديث.. وكذلك قصة «الملاح الغريق» الذي عاش في جزيرة مهجورة وحصل في النهاية على كنز ثمين قد انعكست في عملين أدبيين عالميين شهيرين هما «قصة جزيرة الكنز» التي كتبها «روبرت لويس ستيفنسون»، وقصة «روبنسون كروزو» التي كتبها «دانييل ديفو».

أما الفصل الخاص بالحكم والتعاليم والتأملات، فقد عرض لنا الدكتور سليم حسن فيه أعظم ما أبدعه الحكماء المصريون القدماء من حكم تتناول السلوكيات الأخلاقية الرفيعة وأسس العدالة وحق الإنسان في الحياة الكريمة في وطنه وواجبات الحاكم نحو المحكومين.

ومن أمتع ماورد في هذا الفصل تلك الدراسة المقارنة الممتعة عن تعاليم الحكيم المصري القديم «أمنموي» التي نقلها الذين كتبوا «سفر الأمثال» كما ورد في التوراة.. فقد نقلوا مضمون تلك التعاليم إلى هذا السفر سطرًا بسطرًا وكلمات متطابقة وأسلوب متشابه.

ومما يجب الإشارة إليه أن تلك التعاليم المصرية قد كتبت شعراً طبقاً للصيغ والأوزان التي كانت شائعة في الشعر المصري القديم.

وينتهى الجزء الأول من كتاب «الأدب المصري القديم» بفصل خاص عن الرسائل والمساجلات الأدبية، وهى رسائل تشير الدهشة لما فيها من الأساليب المبتكرة والدقة الموضوعية في اختيار المضمون الخاص بكل رسالة.



أما الكتاب الثانى الذى يتضمن الجزء الثانى من «الأدب المصري القديم» فقد خصصه الدكتور سليم حسن لدراسة التراث العظيم الذى تركه قدماء المصريين من أعمال أدبية تتناول فنون «الدراما» و «الشعر».

وقد تم اكتشاف الوثائق والأدلة الأثرية التى تؤكد ممارسة المصريين القدماء لهذه الفنون وأبدعوا فيها هذه النماذج الأدبية والفنية التى بلغت مستوى رفيعاً غير مسبوق فى جميع الحضارات القديمة التى صنعها الإنسان على وجه الأرض.

لذلك فلم يكن من الغريب أن يندش المؤرخون وعلماء الآثار ورجال الأدب فى جميع أنحاء العالم الحديث حين علموا بهذه الاكتشافات الأثرية التى تؤكد على وجه اليقين أن «الدراما» المصرية القديمة قد ظهرت فى عالم الوجود قبل الدراما اليونانية بنوعيتها «التراجيديا» والكوميديا، بنحو ثلاثة آلاف سنة، وكذلك حين تبين أن هذه الدراما المصرية التى نشأت وتزعرعت فى التربة المصرية كانت أكثر نضجاً من البدايات الأولى للدراما اليونانية.. ويتضمن هذا الجزء من كتاب الدكتور سليم حسن دراسة تحليلية وموثقة لدلائل هذا الاستنتاج، مما يجعلنا نكتفى بالإشارة إلى تلك الدراسة دون الدخول فى تفاصيلها.

أما بالنسبة لتاريخ الأعمال الدرامية فى مصر القديمة فقد استنتج بعض العلماء الأجانب رجوعه إلى عصر ما قبل التاريخ وما قبل الأسرات، وذلك نتيجة للعثور على وثيقة كتبت فى بداية عصر الأسرة الأولى (عام ٣٢٥٠ ق م) والعثور على نسخة أخرى من تلك الوثيقة منقوشة على حجر أسود معروض الآن فى المتحف البريطانى بلندن.

وقد أجمع العلماء الأجانب ومنهم العالمان «زيت» و «إيرمان» على أن هذه الوثيقة عبارة عن «مسرحية» بمعنى الكلمة، تتضمن حواراً يتبادلُه مجموعة من آلهة المصريين القدماء يدور حول «خلق العالم» وتفسير «أصل الأشياء». ومن الغريب أن نص هذه المسرحية يتضمن مجموعة من «التعليمات» الفنية المسرحية شديدة الشبه بما يكتبه مؤلفو المسرحيات

فى العصر الحديث .. كما يتضمن «مونولوجا» كان من المفترض أن يلقيه الكاهن الذى كان يقوم بدور «الراوى» والمفسر لأحداث المسرحية.

وبالإضافة إلى هذه الوثيقة الدرامية التى يرجع تاريخها إلى القرن الثانى والثلاثين قبل الميلاد، عثر عالم الآثار «كوبيل» أثناء الحفائر الأثرية التى كان يقوم بها فى منطقة معبد «الرمسيوم» بغرب الأقصر فى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى، على صندوق كان يحتوى مجموعة من أوراق البردى دونت عليها نصوص تمثيلية ذات طابع احتفالى دينى خاص بتتويج الملك «سنوسوت الأول» بعد وفاة والده الملك «أمنمحات الأول» (عصر الأسرة الثانية عشرة فى الدولة الوسطى) .. ومعنى ذلك أن هذا النص يرجع تاريخ تدريجه إلى القرن الحادى والعشرين قبل الميلاد، ويقول بعض المؤرخين إن «أصول» هذا النص ترجع إلى عصور سابقة يعود تاريخها إلى الزمن الذى نشأت فيه الملكية فى مصر فى بداية عصر الأسرة الأولى.

وتقع أحداث هذه التمثيلية الدرامية فى ستة وأربعين منظراً ومشهداً .. ويقوم بالأداء التمثيلى مجموعة من الكهنة والموظفين وأفراد من الأسرة المالكة، كما تظهر أثناء الأداء التمثيلى مجموعة من الحيوانات كالثيران والماعز، كما تستخدم الديكورات وبعض «الاكسسوارات» مثل الأعمدة المقدسة والأشجار والنباتات والخيز والحلى والجمعة.

وقد أصطلح المؤرخون وعلماء الآثار المصرية على تسمية هذه الوثيقة باسم «بردية الرمسيوم المسرحية» كما قام هؤلاء العلماء بشرح وتحليل النصوص والجمال الحوارية فى ضوء المفاهيم العامة للأساطير والعقائد الدينية التى كانت سائدة فى مصر القديمة.

وعلى أحد جدران معبد «إدفو» بصعيد مصر، وهو المعبد الذى أقيم لتكريس عبادة الإله «حورس» نقش نص من الأدب التمثيلى، أطلق عليه المؤرخون اسم «دراما انتصار حورس على أعدائه» .. ويعتبر هذا النص من أحسن وأكمل نصوص الأدب التمثيلى فى مصر القديمة، حيث وصل إلينا بحالة سليمة وجيدة.

وتحليل هذا النص نلاحظ على الفور أنه عبارة عن رؤية درامية «مختصرة» للنص درامى أكبر حجماً وأكثر تفصيلاً .. وقد يكون السبب فى هذا الاختصار هو ضيق المساحة الجدارية التى نقش عليها النص بما يحتويه من جمل حوارية ومناظر تصور المشتركين فى الأداء التمثيلى من آلهة وبشر وحيوانات .. ومع ذلك فمن الواضح أن كاتب هذا النص المختصر قد قسمه إلى خمسة أجزاء عبارة عن مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة .. وتطور أحداث هذه الدراما حول الصراع الذى نشب بين «حورس» وأعوانه من جهة، وبين عمه

«ست، وأعوانه من جهة أخرى، إلى أن انتصر حورس، الذى يمثل الخير والحق والعدل، على «ست، الذى يمثل الشر والظلم والاعتصاب.

وبالرغم من أن معبد إدفو قد بنى فى العصر البطلمى الذى يرجع تاريخه إلى القرون الثلاثة الأخيرة قبل الميلاد، إلا أن بعض المؤرخين الذين قاموا بترجمة وشرح وتحليل النص الدرامى المنقوش على جدرانها يؤكدون أن بعض هذا النص مأخوذ عن نص درامى قديم يرجع تاريخه إلى عصر الأسرة الثالثة فى القرن السابع والعشرين قبل الميلاد.

ومن الطريف أن أذكر هنا ماكتبه هيرودوت فى كتابه عن مصر من أنه شاهد مسرحية الصراع بين حورس وست بمشاهدتها السرية والعلنية، وشاهد معارك الصراع الذى احتدم بين أنصار كل من حورس وست، واعتقد أنه كان صراعاً حقيقياً وعنيفاً سقط فيه الكثيرون بين قتلى وجرحى، لولا أن المصريين أكدوا له أن هذا الصراع كان تمثيلاً متقناً.

والى جانب هذه الأعمال الدرامية المصرية القديمة التى كان أبطالها من الآلهة والملوك، فقد أبدع المصريون القدماء أعمالاً درامية أخرى أبطالها من البشر العاديين، كما كانوا أول من كتبوا «المونودراما».



ويتضمن الجزء الثانى من كتاب «الأدب المصرى القديم، دراسة متوسعة وشاملة عن فنون وأساليب الشعر فى مصر القديمة بدءاً من «الشعر الدينى، ونماذجه المتمثلة فى «متون الأهرام، والأناشيد التى كانت ترتل فى معابد الآلهة.. والأناشيد البديعة التى ألفها اخناتون فى عبادة الإله الواحد.

كما تتناول هذه الدراسة أيضاً مجموعة من النماذج الرائعة لأشعار الحب والغزل العفيف.. ومجموعة من قصائد الشعر السياسى فى مدح الملوك وتمجيد إنتصاراتهم وسياساتهم وأعمالهم المبهرة.

ويختتم هذا الجزء بعرض شيق لأشعار الأغاني الشعبية التى كانت تنشد فى الولائم والاحتفالات العامة والخاصة والأغاني التى ينشدها العمال والفلاحون أثناء قيامهم بالأعمال التى يمارسونها كأغاني الرعاة وصيادى الأسماك والخدم الذين يحملون المحفات وأغاني الفلاحين حين يحرقون الأرض وحين يدرسون سنابل القمح فى الأجران... الخ.

● وختاماً نشير إلى أن كتاب «الأدب المصرى القديم، بجزئية اللذين أصدرهما الدكتور سليم حسن منذ أكثر من نصف قرن، يعتبر بكافة المعايير العلمية أفضل ما كتب باللغة

العربية فى تاريخ هذا الأدب العظيم الذى يعتبر بدوره أقدم وأعظم انطلاقة لوعى وعقل
ووجدان الانسان حين بدأ حضاراته الأولى على وجه الأرض.. كما يعتبر هذا الكتاب أيضا
الأدب الشرعى لجميع الكتب والدراسات والبحوث التى كتبها المؤرخون وعلماء الآثار
المصريون فى هذا المجال.

مختار السويضى

عضو اللجنة الدائمة للآثار بالمجلس الأعلى للآثار
وعضو لجنة الآثار بالمجلس الأعلى للثقافة

تمهيد

في عام ١٩٢٥ وجدت في يدي مؤلفاً نفيساً فذاً في بابيه في الأدب المصري القديم ، ألفه الأستاذ « إرمان » شيخ علماء اللغة المصرية القديمة ، وكنت أقرأ الكتاب في لذة وشغف ، وأعطيه مزيداً من وقتي وعنايتي ، فاقتنمت بأنه كتاب مفيد ، منقطع القرين في بابيه ، ووثبت إلى ذهني إذ ذاك فكرة ترجمته حتى أشرك معي أبناء مصر في فهم أدبهم المصري القديم وتدوقه ، بعد أن قدّر له النشر مرة أخرى .

ولقد أخذت هذه الفكرة تخط مجراها في خاطري ، وتتشبع بها روحي ، حتى استقرت واحتلت مكانها ؛ فاصطحبت معي هذا الكتاب سنة ١٩٣١ ، وسافرت إلى أوريه ، واخترت بلدة « لوجانو » الهادئة بـ « سويسرا » مكاناً أستعين فيه بسحر الطبيعة ومفاتها على إتمام ما قصدت إليه . ولقد أتممت ترجمة معظم الكتاب حينئذ ، ولكن كثرة الأعمال حالت دون طبعه وإظهاره ، فبقى هادئاً في مضجعه ، قائماً بركن صغير من مكتبتى ، حتى أتى عام ١٩٤٠ ، فأخذت أوقظه مرة أخرى ، وأشره مرة وأطويه مرة ، فأوحى ذلك إلى بفكرة جديدة ، فلم تمد ترجمة الكتاب وحدها ترضيني ، ولا التعليق عليها يطنى رغبتي ، بعد أن مضى عليها ذلك الزمن الطويل ، وبعد أن صرت أحداث وجدت كشوف غيرت بعض الحقائق القديمة بل قلبت بعضها رأساً على عقب ، وبعد أن ظهرت مؤلفات لعلماء الآثار ذللوا فيها بعض عقبات اللغة المصرية القديمة ، ووصحوا كثيراً من معالمها ؛ فمقدت النية على الكتابة في الأدب

المصرى القديم ، ومعالجة موضوعه على ضوء الأسس العلمية الحديثة ، وتتبع كل لون من ألوانه ، وإظهار خصائصه ومميزاته في المصور القديعة التي حصرت بحنى في دائرتها ؛ وزادنى اقتناعاً أن كتاب الأستاذ « ماكس بير » الذى وضعه عام ١٩٢٧ فى هذا الموضوع كان مقتضياً بسيطاً تنقصه النماذج الكثيرة التى هى مادة تاريخ الأدب وروحه ، وأن كتاب الأستاذ « إرمان » السابق الذكر لم يكن إلا مختارات معروضة خالية من البحث والدرس والموازنة والنتيجة ، هذا فضلاً عما ينقصه من البحوث الجديدة التى غيرت وجه الأدب المصرى ، وحتمت النظر إليه على ضوء جديد .

والباحث فى الأدب المصرى القديم يعانى من التعب وكدّ الذهن والحيرة ما لا يمانيه باحث فى لغة من اللغات الحديثة فى أى عصر من عصورها ؛ فإنك إذا أردت أن تتحدث عن تاريخ الأدب العربى فى العصر العباسى مثلاً جمعت ما وعته الكتب والحفاظة من نماذج الأدب المختلفة ، وأحطت بشئون العرب السياسية والاجتماعية والإقليمية فى هذا العصر ، ثم سلطت على هذه العناصر شعاعات فكرك فاستخلصت منها أصولاً وأحكاماً صادقة تسوقها للناس قاطعاً بها ، أو على الأقل مقتنعاً تمام الاقتناع بصحتها ، وعندك الشواهد والأمثلة التى لا شك فى معانيها أو صرايحها ، تقدمها بين يدي بحثك فتعزز بها رأيك ، وتخرج بالنتيجة التى وصلت إليها عن عقيدة واقتناع . أما إذا تحدثت عن الأدب المصرى القديم وجدت نماذج ناقصة أو مبتورة أو مشوهة ، وكلمات غامضة الدلالة ، وأساليب تدل على معانٍ قد دثرت مع عادات للقوم لا تعرفها (مما جعلنا نضطر إلى الإكثار من الهوامش) ، وجلاً مرصوفة فقدت كثيراً من الروابط والصلات ، وحروفاً ساكنة لا نستطيع بها أن نغيز مواقع

الكلمات الإعرابية إلا من سياق الكلام أو أخذاً بغالب الظن ولا نستطيع بها كذلك أن ننطق بالأعلام نطقاً صحيحاً يطابق الوضع الأصلي لها ، ولذلك اختلف العلماء في ضبطها ، اللهم إلا ما وصلنا منها عن طريق الإغريق مثل « إزيس » و « نفتيس » . كل هذه العوائق تمنع الباحث ، ولكنه يستطيع بشيء من الصبر والأناة أن يصل إلى حقائق محترمة عن هذا الأدب قد تكون نواة صالحة إلى آراء مقطوع بصحتها فيه .

ومما يدل على وعورة الطريق أن كثيراً من علماء الآثار النابهين قد اختلفوا اختلافاً بيناً في تراجمهم لآثار القوم الأدبية ، ولكن الشقة بينهم أخذت تقترب في السنين الأخيرة بعض الشيء .

ولقد اضطررنا في بعض الأحيان ، عندما تصادفنا جل متبيلة مضطربة ، أن نتركها بدون ترجمة ، أو نترجمها ونشفع الترجمة بما يناسب من علامة استفهام أو تعجب . ولو أننا انتظرنا حتى تسمفنا الكشوف والبحوث العلمية بما يرفع الحجاب عما غلق علينا فهمه ، لطال انتظارنا وليجّ في الطول ، لأننا مازلنا على ما وصلنا إليه في منتصف الطريق الموصلة إلى معرفة دقائق هذه اللغة .

ولقد دعانا واجب الأمانة العلمية أن نعرض النماذج الأدبية القديمة كما وجدناها على ما في كثير منها من تفكك وهلهلة وركاكة ، لأننا نريد أن نعطي القارئ صورة صادقة لأدب القوم وعقليتهم ، وليس من الأمانة في شيء أن تعرضها وقد أعملت قلمك فيها بالتبديل أو التحوير أو الحذف أو التنميق ؛ وهذا نفس ما اتبعه علماء الفرنجة عندما ترجوا المتون المصرية ، وعندما ترجوا قبلها التوراة والإنجيل عن العبرية ، اقتناها منهم ومنا بأن هذه الطريقة هي التي تمكن القارئ من أن يتذوق الأدب كما أنتجه أبناؤه ، فيستطيع أن

يقف على حاله ، ويعقد الموازنة بينه وبين غيره ، فيخرج بالنتيجة التي تظهر له بعد هذا العرض الصادق .

أما ما عدا النماذج المصرية التي سقناها شواهد وأمثالا على حال الأدب المصرى ، فقد كتبت بأسلوب أدبى يتفق مع الغرض من الكتاب ، فلا تعقيد يشوه جماله ، ولا إسفاف يهبط به عن مستواه ؛ تلاحظ ذلك فى بحوث الكتاب المختلفة فى ملخصات قصصه ومعالجة موضوعاته .

ولا يفوتنى أن أنبه القارئ إلى أن هذه المحاولة الجريئة التى قصدت منها إظهار تاريخ الأدب المصرى ، وأسسها التى بُنى عليها ، ومناحيه التى تفرع إليها ، بُنيت على ما جاء فى المتون المصرية التى حل طلابها زملاؤى من علماء الآثار ؛ على أنى قد تأثرت بصفة خاصة بطريقة الأستاذ « إرمان » وإن كنت قد خالفته وخالفت تلميذه الأستاذ « ماكس بيبر » فى الطريقة التى اتبعتها ، فاخترت أن أتبع بالبحث كل صورة من صور الحياة الأدبية من أول نشأتها ، وأسیر معها فى حبوتها ودروجها حتى أصل بها إلى نهايتها ؛ واختارنا تقسيم الأدب إلى عصور ، ومعالجة جميع ألوانه فى كل عصر .

فإذا كنت قد أصبت الهدف بما فعلت ، فهذا ما أرجوه وأسعى إليه ، وإن قصرت خطواتى عن الوصول إلى ما أريد ، فقد أرشدت إلى الطريق ليسير فيها من يريد ، ويستعين بما غرسته فى أرجائها من معالم تأخذ بيده ، وتسير به إلى نهايتها .

ولقد قصرت بحثى على المصور المصرية البحتة التى لم يتأثر فيها الفكر أو اللغة بغيرها من لغات الفزاة وأفكارهم ، فلم أتعد فى بحثى سنة ٥٢٥ ق . م . التى فتح فيها الفرس البلاد ، فأخذت الأفكار الأجنبية من وقتها تدب

في العقلية المصرية ، وظهر ذلك التأثير واضحاً جلياً في العصر الإغريقي الروماني الذي سادت فيه الوثائق الديموطيقية ، وهي تكشف لنا عن عالم آخر في الحياة المصرية ، وسنفردها كتاباً خاصاً إن شاء الله ، لأنها تبتعد كثيراً عن الطابع المصري المحض ، كما أننا اكتفينا بالمرور سراعاً على بعض نواحي الأدب التي تحتل منزلة ثانوية بالنسبة لما تعرضنا له ، كالأدب التاريخي مثلاً .

وإني أرجو مخلصاً أن يكون لهذا الكتاب ما قصدت إليه من إظهار المبكرة المصرية التي نهل من حياضها كل العالم القديم ، حتى يتأثر ناشئة البلاد خطوات أجدادهم ، فيبنوا ما بنوا ، ويملاوا البناء كما علوا به ، أو يرفعوه حتى يصلوا بالبناء إلى غايته . والله يرعاهم ، ويسدد بالتوفيق خطاهم ، لمجد مصر وسعادتها . كما أرجو أن يكون ظهوره بدءاً للتفكير الجدي في معالجة موضوع أدب مصر القومي في عهودها المختلفة ، فيكون هذا الكتاب أولى الحلقات وتتبعها رديفاتها إن شاء الله .

وفي الختام أقدم خالص الشكر لحضرة الأستاذ « محمد النجار » المدرس بالمدرسة الإبراهيمية الثانوية ، لما بدله من مجهود في مراجعة النسخة الخطية وقراءة التجارب أثناء الطبع . وكذلك أشكر لرجال مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عنايتهم ، مما سهل على إنجاز الكتاب في وقت وجيز ، مع ما يراه القارئ من الإتقان .

سلمى حسن

مقدمة

لقد ظل كثيرون ممن لم يدرسوا العلوم المصرية القديمة لا يعرفون عن مصر إلا أنها بلد الموميات ، (وأبو الهول) والأهرام و « توت عنخ آمون » . فعندما ظهر كتاب الأستاذ « ماكس^(١) بيبر » عن الأدب المصرى القديم دهشوا عندما قرءوا عنوانه ، وسأله بعضهم بشيء من الدهشة : « أوجد لمصر القديمة أدب قومي كذلك الأدب اليونانى واللاتينى والألمانى ؟ » . وقد كان رده عليهم كتابه المختصر فى الأدب المصرى القديم .

ولا نستغرب من أجنبى عن مصر أن يسأل هذا السؤال إذا علمنا أن السواد الأعظم من المصريين المتعلمين الذين تحدث إليهم فى هذا الموضوع يجهلون أمره ويعتقدون أن أقدم أدب فى العالم هو الأدب الإغريق وعنه أخذت أم العالم آدابها ، وقبله كانت تاريخ الأدب فى الدنيا صفحة بيضاء ، ولكننا نؤكد لهؤلاء المتعلمين وأشباههم أن لمصر أدبا قوميا قديما وأنه أقدم من الأدب الإغريق . وإذا كانت كتابات « هومر » هى أول وأرق ما عرف عن أدب الإغريق ، ولا يعلم شيء عن الأدب الإغريق قبل ذلك فإن الأدب المصرى معلوم تاريخه من يوم أن نشأ وحبا إلى أن درج ونما ووصل إلى نهايته . ويمكننا أن نعطي مثلا منه فى كل أطواره رغم ما نلاقه من بعض الفجوات فى صفحاته ، وسنجد أنه أدب لا يقتصر على النقوش الدينية وتدوين الحقائق والمقالات العلمية ، ولكنه يتعدى ذلك إلى مؤلفات لها قيمتها الأدبية تثبت أن المصرى القديم كان يقدر الأدب ويتذوق حلاوته ويسحر ببيانها فى وقت كان الإغريق وغيرهم من الأمم القديمة يهيمون على وجوههم ويتخبطون فى ظلام الجهل . من أجل ذلك فضلنا أن نأتى هنا بكلمة قصيرة عن منزلة الأدب المصرى بين آداب الأمم التى عاصرتة قبل أن يظهر الأدب الإغريق فى عالم الوجود فنقول ملتزمين السداد من الله :

لا شك أن مصر أول بلد ربى فى نفوس أبنائه روحا أدبية خالصة للأدب ، مجردة عن أى غرض آخر ، فقد وضع المصرى المؤلفات الأدبية البحتة منذ ٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد ،

لا يريد بها شهوة سياسية أو تأييدا دينيا أو نفعاً تجارياً ، وإنما يريد الأدب لذاته ، يريد غذاء الروح وإشباع النفس الصافية بسمو التعبير وعلو المعنى .

وكانت قدم مصر السابقة في هذا المضمار ، فلم يظهر الأدب العبرى إلا وليداً بعد اثني عشر قرناً من ذلك التاريخ ، والأدب البابلي كان يترنح فلم يكن إنتاجه مظهرًا خالصاً للأدب ولا قصد به خدمة الأدب حبا في الأدب كما كان الشأن في مصر ، فإن الأدب أريد به فيها ذلك الذى يحدث في نفس قارئه وسامعه لذة فنية كالتي يحسها إذا استمتع إلى شدة الشادى أو إذا رأى الصورة الجميلة وتمسح التمثال البديع .

والكلام في الأدب المصرى يقتضى التعرض أولاً لأنواعه ، وثانياً لأساليبه ؛ فن الناحية الأولى نرى أن الأدب المصرى من النوع الفنائى أو العاطفى وأن النوع القصصى كان بارزاً فيه ، وبلى ذلك الأدب العلمى والحكم والأمثال (التأملات) . وليس من شك في أن الأدب الفنائى والقصصى قد نبثا في التربة المصرية لأن كلا منهما يضرب بأعراقه إلى ما قبل ظهور الكتابة وهو العهد الذى يشبه العصر الجاهلى في اللغة العربية . ولا غرابة في أن ينمو الفناء والقصص بين قوم تخطوا طور الحمجية وأصبح لهم مشاعر ووجدانات تحتاج إلى تنفيذ ، وهى إن لم تواتهم من طريق القراءة والنظر لا تبعد عنهم من طريق السمع والرواية ، وكلنا يدرك تأثير القصة الآن في العامة وكيف أنها تجذب منهم القلوب والمسامع .

ولم تقصر بابل في هذه النواحي الأدبية ، فقد ظهر فيها الأدب الفنائى والقصصى في الوقت الذى نبثا فيه في وادى النيل ، وإذا كانت إحدى الأمتين المصرية والبابلية أسبق من أختها وأقدم إنتاجاً فإن ذلك لا يبنى أن إحداها قد أخذت عن الأخرى أو تأثرت بأدبها بل إن كلا منهما كانت مستقلة في إنتاجها وكان لأدبها مظهر خاص خاضع للمؤثرات المختلفة في الأدب ومنها البيئة والاستعداد الفطرى والدين والحضارة .

والظواهر التى نحدثنا به الآثار أن «بابل» كانت أكثر خصبا في إنتاج القصص والشعر القصصى من مصر ، لأن الدين قد أظله فتمت القصة في كنفه وصارت لها أوزان ترجع إلى آماذ بعيدة ، هذا إذا لم تكن قد عملت عوادى الزمن على نحو بعض القصص المصرية من عوالم الآثار وأبقها دفينه في بطن الأرض ولم تسمح لها بعد بالظهور . واعتقد أن أحد هذين الفرضين صحيح لأن ما بقى لنا من الشعر القصصى يدلنا على أنه مظهر لأدب راسخ القدم متشعب النواحي خصب الخيال كثير الأبطال يذهب إلى أبعد مدى في تصوير الآلهة ومقدرتهم وخوارق فعالهم في كل أطوار التاريخ المصرى ؛ ولا أدل على ذلك من قصة مخاصمة «حور» و «ست» التى

عنه عليها حديثا وقد أوردناها في هذا الكتاب وأبطالها جميعا من الآلهة ، وقد كان المظنون أن الإغريق وحدهم هم الذين انفردوا بإشراك الآلهة في تمثيلياتهم حتى ظهرت هذه القصة فغيرت هذا الرأي .

ومهما بلغ المدى الذي فاقت به «بابل» مصر في القصة عامة فإن من المقطوع به أن الأسبقية لمصر في اختراع الأقصوصة ، وصياغتها صياغة فنية متممة ، وتحليلها تحليللا نفسيا مناسبا ، وتمهيد الطريق للتحليل النفسي الرائع الذي تراه في الأدب اليوناني وفي الآداب الحديثة في عصرنا عند مختلف الأمم الراقية على مثل ماذهب اليه «مارسل بروست» أو «هنري جيمس» أو «ه. ج. ولز» مما مثل اتجاهها جديدا في الأدب وأكسب التأليف الروائي عمقا في الفكرة ونزعة فلسفية قوية لم تكن تخلو منها الروايات القديمة ولكنها اشتدت جدا في الزمن الحديث .

هذا ما كان من أمر الأدب القصصي ، أما الفئائي فقد كانت مصر و«بابل» فيه كفنصني شجرة واحدة ، فقد أخذت كل منهما من هذا الفن بنصيب كبير وإن كان إنتاج «بابل» حتى الآن أكثر من إنتاج مصر إن لم تكن الأرض تكتمنا ما في بطنها ، على أن القوة والمذوبة كانت متمثلة ظاهرة في مصر على أختها في هذا اللون من الأدب .

ولقد كان الشعر الديني عند الأمتين حلوا ، ولا وجه للمفاضلة بين أحسن ما أنتجته «بابل» وبين ما عثرنا عليه في مصر في عهد الدولة الحديثة .

أما الأدب المبرى فقد تختلف عن الأدب المصري في الظهور عشرة قرون ، وقد وصل إلى درجة جعلته في مرتبة واحدة مع أحسن ما أخرجته مصر و«بابل» ، ولم يستطع أن يتفوق عليهما ، وقد استطاع الإغريق الذين أتوا بعد هذا العهد أن ينهضوا بالشعر الفئائي والماطفي الذي وضعت أسسه في مصر فلان لهم قياده وابتكروا فيه مذاهب جديدة كما فعلوا في كل فروع الأدب الأخرى .

ننتقل بعد ذلك إلى الأدب التعليمي والتأملي وتدل جميع الشواهد على أنه من وحى مصر ، فالصريون هم الذين ابتدعوه وهم الذين برزوا وقطعوا أشواطا بعيدة فيه وتختلف عن السباق معاصروهم ، وكان هذا اللون من الأدب محببا إلى الذوق المصري ، وقد بقي المصري عدة قرون مهتما بالتأليف فيه ساعيا إلى تحسينه باذلا جهدا يتفق ومهارة الكاتب واتساع أفقه الاجتماعي .

ويقيننا أن مؤلف «فتاح حنب» في الحكم والأمثال كان نواة لظهور أمثال سليمان وحكمه ؛

يؤيد ذلك ما اشتهر به المصريون وتحدث به العالم القديم عن براعتهم في الحكمة وضرب المثل . وقد فصلنا ذلك عندما وازنا بين أمثال سليمان وتعاليم « أمنموبي » في باب الحكم والأمثال ووصلنا الى أن الأولى قد أخذت عن الثانية قطعاً بأكملها .

والآن وقد انتهينا من الكلام على موضوع الأدب المصرى ننقل الى الناحية الأخرى منه وهي أسلوبه ، وقد كان الأسلوب الجميل موضع غفر النكاتب ومحل تقدير القارىء . جاء في بردية عن أمثال « فتاح حتب » : « أنها الأقوال التي صيغت في أسلوب جميل ، والتي تحدث بها الوزير عندما كان يتقف بالمعرفة ويعلم مبادئ الحديث الطريف » . وجاء في ورقة « نفر رهو » (وستحدث عنها فيما بعد) على لسان الملك « سنفرو » يخاطب حاشيته « إيتوا لي بإنسان يروح عن نفسه بكلمات جميلة وأقوال مختارة تجدد في سماعها جلالتي تسلية وراحة » . وإذا قرأنا « قصة الفلاح الفصيح » التي كتبت قبل عام ٢٠٠٠ ق.م. وجدناها سلسلة من الأفكار السامية عن العدالة وحقوق الانسان صيغت في أسلوب قوى بليغ بدا منه أن كاتبها أراد أن يظهر قدرته الفنية على جمال الصياغة وروعة الأسلوب . وهذه الظاهرة التي تجعل عذوبة الأسلوب هدفاً يرمى إليه الكاتب كانت بارزة واضحة في مصر مطمورة متقدمة في « بابل » جارتها ومعاصرتها فلا جرم أن كانت مصر أول أمة شغفت بالثقافة الأدبية وعنها أخذ العالم .

والأسلوب الذي يهدف إليه المصرى هو الأسلوب المذهب الذي لا تكلف فيه والذي توجهه السليقة فينسب الى النفوس وترتاح اليه الأسماع ، ولا بد أن يكون مناسباً للموضوع الذي يعالجه ؛ فيقوى ويشدد في الجلى وعظام الأمور ويلين ويرق في التعبير عن المواقف أو الترجمة عن مكنونات الفؤاد . ولكن هذا الأسلوب الجميل قد دخلت عليه الصنعة بمرور الأيام فأفقده روعته وعذوبته وأصابه التكلف والزخرفة اللفظية وأصبح الأديب يضجى بالمعنى السامى في سبيل تزويق الألفاظ كما حدث للغة العربية في العصر العباسى الثانى .

ولقد بدأ هذا الفساد يذب في الأدب المصرى منذ الدولة الوسطى وتظهر بوادر ذلك في قصة « سنوهيت » . ولقد تعلق المصرى بهذا الأسلوب وأثر به قلبه حتى إن التلاميذ في الدولة الحديثة وبخاصة عصر الأسرة التاسعة عشرة والمشرين ملئوا كراساتهم نماذج منه يستظفرونها ويأخذون أنفسهم بحكاياتها حتى يصلوا الى ملكة تقدرهم على الإيالة عما في ضمائرهم بهذا النوع المزخرف المحبب الى نفوسهم .

وفي ورقة « انستاس الأولى » (وستجىء في باب الرسائل) نرى مثالا لهذه الطريقة الأدبية التي سادت عهد الدولة الحديثة في صورة خطاب هجائى يعيب فيه كاتبه زميلا له

جهله فن كتابة الرسائل ، وضعفه في الحساب حتى لا يستطيع أن يقدر وزن مسلة ، وعدم درايته بمعرفة أحسن الطرق للسياحة في سوريا . ولعل السر في شيوع هذه الورقة أنها تحتوي على فكاهات أو نكت لا نستطيعها لاختلاف الذوق بين عصرنا وعصرها ، أو لأن فيها منها ما يجب أن يكون عليه الرجل المثقف في هذا العصر ، وهي في مجلتها تدل على نوع من الصلف في الكتابة . فالأسلوب المصري كالفن المصري قد وصل إلى قمته قبل حلول الدولة الحديثة ، ولا يمنع هذا من أن تلمع فيه من وقت لآخر قطع فنية نذوق فيها حلاوة الأسلوب الفطري وقوته ولكنها قليلة ، كما أن الشعر العاطفي لم يودع قوته وتأثيره في عهد الدولة الحديثة ، بل بقى جيلا رائعا بل ربما غطى جماله فيها على ما سبقه . وربما كان السبب في ذلك موجة الرخاء والترف التي غمرت المصريين عقب حكم الأسرة الثامنة عشرة وفي عهد الأسرة التاسعة عشرة والعشرين فأطلقت أسنتهم بالأغاني العذبة والأناشيد المرحية السعيدة مترجمين بها عما يذوقونه من حلاوة الدنيا ولذة الحياة . هذا إذا لم تكن الأرض قد خبأت في ثناياها بعض الشعر العاطفي من إنتاج الدولة الوسطى ، أو ما يجعلنا نعتقد بأن ما نسب إلى الدولة الحديثة ليس كله من صياغتها .

الأدب المصري والآداب الحديثة :

قال « أندري مورا » الكاتب الفرنسي العظيم في كتابه *Aspects de la Biographie* P. 177 « إن الأدب لا يقاس بالتمو والتقدم فلا يمكننا القول : أن تنسون الشاعر الإنجليزي أعظم من « هومر » الشاعر اليوناني القديم ، أو أن « بروست » أعظم من « مونتاني » لأن الأدب ينساب في نعمة إيقاعية ولا يسير في خط متصل فلكل من الأدباء وقته وظروفه . » . وقيمة الأدب القديم في أنه يربنا بالبنية الأولى في بناء الأدب والجهود التي بذلها الأدباء القدماء في خدمته حتى وصل إلى مظهره الحديث . فلا وجه إذاً للمقاومة بين الآداب القديمة بما فيها المصري والبابلي وبين الآداب الحديثة ، إذ أن الثانية نتيجة نمو الأولى وتطورها وبين الأدبيين في مجلتها فروق من جهات ثلاث :

الأولى : أن الأدب المصري لم ينتج لنا أدبا نفسيا عميقا كالآداب الحديث .

الثانية : أن الأدب المصري قدرته محدودة في تصوير الجو الذي يناسب القصة .

الثالثة : قوة التأثير والأسر .

فأما عن الناحية الأولى فنرى أن المصري لم يهمل التحليل النفسي جملة بل أخذ منه

بطرف كما نرى في قصة « سنوهيت » التي حلت لنا ناحية من نفسيته حين نفى عن بلاده واشتاق إلى وطنه . ولكن ذلك يعتبر يسيرا إذا قرناه بالتحليل العميق الذى يلجأ إليه نحول علم النفس الآن فى قصصهم الرائعة مثل قصة Daisy Miller التى كتبها « هنرى جيمس » أو قصة الاتصال السامى Die Wahlverwandtschaften التى كتبها « جيته » الألمانى الغد فى أدبه . ومع ذلك فإن التحليل النفسى الذى نقرأه فى قصة « سنوهيت » المذكورة خير مما نجده فى قصص الجن والمفاريت الشائعة فى آداب العالم عامة . ولا يضير الأديب المصرى أن تحليله خلا من العمق والروعة ، فيكفيه فخرا أنه وضع الأساس وجاء غيره فشيد على قواعده ثم جاء التطور الحديث فأعلى البناء وزخرفه .

وأما الناحية الثانية ، ناحية الجو الذى يخلقه الأديب لقصته أو لموضوعه فينتقل بالقارىء إلى العالم الذى يريده ، فهذه أيضا للمصرى فيها نصيب المؤسس الأول ؛ فإن أول مأساة (دراما) وضعت على صورة تمثيلية ، كانت من فعل الأدباء المصريين وترجع بتاريخها إلى عهد الأسرة الأولى ، انظر Sethe, Dramatische Texte zu Altaegyptischen Mysterien spielen

وهذه المأساة تشبه رواية تمثيل آلام المسيح وموته كما كانت تمثل فى القرون الوسطى ، ولم تصل المأسى التى ابتكرها المصريون فى قوتها ما وصلته عند الإغريق وفى عصرنا الحاضر ، ولا تقتصر الحاجة إلى الجو المناسب عند تأليف القصة أو الشعر القصصى ، بل قد نحتاج إليه أيضا فى الشعر التناثى كما نجده فى كتابات « هومر » اليونانى (الالياهو) وفى كتابات « فرجيل » (الإنياد) . وقد وجدنا أثرا لتصوير الجو الأدبى فى الكتابات البابلية (جلجاش) ولكنه قليل ، وليست المأساة المصرية السابقة هى كل ما وصلنا عن هذا النوع فإننا نجد ذلك « الجو الأدبى » مصورا فى قصة « سنوهيت » وفى قصة « ونامون » إذ أن قارىء هاتين القصتين لا يلبث أن ينتقل مع بطليهما إلى سوريا ويرى بينهما ويحكم برأيهما ، وقد تكون وسيلة المؤلف ساذجة ولكنها على كل حال تحدث الأثر المطلوب ، وتمتاز عن القصص الأخرى التى فقدت هذه الميزة والتى يقصها مؤلفها ببساطة مثل قصة « الأخوين » وقصة الملك « خوفو والسحرة » وغيرها من القصص (١) . وإذا كانت هذه القصص الأخيرة بمثابة قطع من الحلوى يستحلها الأطفال فى أفواههم فإن قصتى « سنوهيت » و « ونامون » غذاء عظيم للرجال الرشدا . ولا جدال فى أنهما أقدم قصتين قصيرتين جيدتين

(١) هذا الجو نجده كثيرا مصورا فى الشعر الجاهلى حينما يصف الشاعر النجار ويبكى الأطلال

في العالم كانتا ذخيرة للأدب العالمي وإن لم تصلا في موضوعهما إلى نظائرها في المصر الحديث . بقيت الناحية الثالثة وهي قوة التأثير وشدة الأسر ، وهذه ترجع إلى عاملين : الألفاظ ، والصوت . فإن اجتماع اللفظ المذب الرشيق مع الصوت المناسب أخذاً بمجامع القلوب وجذباً الأنظار والأفكار . أما الألفاظ الجميلة فاللغة المصرية غنية بها ونراها في موضوع « شجار بين إنسان ستم الحياة وروحه » وفي حطب « الفلاح الفصيح » التي استهوت الملك نفسه ، وأما سحر اللفظ ووقعه في النفس فقد حرمناه لأن اللغة المصرية تنقصها الحياة والحركة . وجملة القول أن مصر كان لها أدب قومي منذ ٢٠٠٠ سنة ق . م . وأن هذا الأدب هو وليد حيويتها ولم تأخذه عن غيرها أو تتأثر فيه بفنرها وهو وإن لم يبلغ مرتبة الأدب الحديث إلا أن له فضل الخلق والسبق والتأصيل .

وإذا كان الأدب المصري قد أخذ يتدهور في المصور المتأخرة فإنه ترك الزمام للأمة اليونانية حتى تخلق بتفكيرها في أجواء عالية منه على سنة التدرج طبعاً ، فإنه ليس في مقدور الأدب الإغريقي ولا الفن الإغريقي أن يولداً كاملي النمو كما ولدت « فينوس » (الزهراء) ناضجة كاملة النمو من أمواج البحر ، فالأدب المصري غذى الأدب المبرى والأدب الإغريقي فشبا ولعبا دوريهما في الحياة ونشك بحق في مقدرة الأدب اليوناني والأدب المبرى على بلوغ المرتبة التي وصل إليها كل منهما إذا لم يتخذنا من الأدب المصري عوناً على النمو والارتقاء بطريقة لا تزال نجعلها .

لمحة عن التاريخ المصرى القديم .

قبل أن نتحدث عن أدب عصر الفراعنة ، وندرس نواحيه وأهدافه ، يجمل بنا أن نمر مراعا على التاريخ المصرى القديم ، لنقف على العوامل التاريخية التى أثرت فى هذا الأدب فدفعت به إلى الأمام أو أرجعته معها إلى الوراء .

وسنسير مع التاريخ المصرى من بدايته حتى عصر الفتح الفارسمى ، وسنتتبع ما اعتاده المؤرخون من تقسيمه إلى أسرات ودول متأثرين مذهب المؤرخ المصرى «مانيتون» ، آخذين أنفسنا باتباع أقرب الاحتمالات إلى الصحة حسبما توحىه إلينا دراستنا وتجاربنا ، فإن تقدير العلماء لأعمار هذه الأسرات وتلك الدول وتحديد تاريخ لبدائها ونهايتها ، إنما قام على وجه تقريبي لأن المعلومات التى وصلت إليهم عن هذه العهود لا تزال ناقصة مبتورة ولم تصل بعد إلى حد الحقائق الثابتة التى يطمئن إليها المؤرخ ويستخلص منها تاريخا سليما يرتاح إليه ، ولذلك اختلفوا اختلافا كبيرا فى هذه النواحي ، وأملنا أن نكون أقرب إلى السداد فى كل ما نقول وسيكون رائدنا فى ذلك أحدث الآراء العلمية والكشوف الأثرية .

الدولة الفرعونية :

الأسرتان الأوليان (٣٢٠٠ — ٣٠٠٠ ق . م .)

لم تخلف لنا هاتان الأسرتان آثارا أدبية قيمة غير وثيقة فى اللاهوت المصرى والفلسفة الدينية عثر عليها فى عهد الملك « شباكا » من الأسرة الخامسة والعشرين أى فى القرن الثامن ق . م . وهو الذى أمر بنسخها تخليدا لها وينسبها المؤرخون إلى عصر الأسرة الأولى أو كما يسمية بمض المؤرخين عصر اتحاد البلاد الأول .

الأسرة الثالثة (٣٠٠٠ — ٢٩٠٠ ق . م .)

لقد بقى تاريخ هذه الأسرة غامضا زمنا كبيرا ولم تصل إلينا منه إلا نتف يسيرة لا تروى غلة إلى أن كشفت لنا أعمال الحفر فى السنين الأخيرة عن صفحة مجيدة فى عالم الفن والنحت

والهامة ، وعن تفكير محترم في العقائد الدينية وبخاصة في عهد الملك « زوسر » أعظم ملوك هذه الأسرة وباني الهرم المدرج .

الأسرة الرابعة (٢٩٠٠ — ٢٧٥٠ ق . م .)

يتميز عصرها عصر البناءات الضخمة ، وأكبر مظهر لها الأهرام العظيمة . وإذا كان ملوك هذه الأسرة لم يتركوا لنا كتابة داخل أهرامهم فإننا نعتقد أن ذلك كان استثناء بما سطره على معابدهم وإن كان الزمن قد عفا والنقوش التي وجدت بقاياها حديثا في آثار معبد خوفو الجنازي الملاصق لهرمه تؤيد ما ذهبنا إليه^(١) . وأهم ملوكها : « خوفو » و « زدفراع » و « خفرع » و « منكاورع » . ولقد عرفنا كثيرا عن حياة هذه الأسرة وتاريخها وحالتها الاجتماعية والدينية من النقوش التي سجلت على مقابر عظائها وكبار رجالها الذين دفنوا حول الأهرام . غير أن البحث لم يجد علينا بكتابة أدبية خالصة تقيس بها مجهودم الأدبي .

الأسرة الخامسة (٢٧٥٠ — ٢٦٢٥ ق . م .)

لقد كان عهد هذه الأسرة عهداً ذهبياً للفن والأدب والفلسفة الدينية فلتقد أرتنا أهم وثيقة دينية ظهرت في التاريخ . بدت تلك الوثيقة منقوشة على جدران هرم الملك « وناس » فأنقذها رجال الدين منارة يهتدون بما فيها طوال مراحل التاريخ المصري ، وأخذ عظماء القوم كذلك يكتبون صحائف حياتهم وصلواتهم الدينية ومعاملاتهم اليومية على جدران مقابرهم مما سهل علينا حل ما اعتاص من نقوشهم وخفى من رموزهم . وقد برزت الناحية الأدبية لأول مرة في صورة كتابات عن الأخلاق والسير القويم والمواظ على الحسنة إذا صح أن « فتاح حنب » قد دون نصائح في عهد هذه الأسرة ، كما هو الراجح .

الأسرة السادسة (٢٦٢٥ ق . م . وما تلاها)

رسم ملوك هذه الأسرة وعظماؤها في كتاباتهم ونقوشهم ومبانيهم خطى ملوك الأسرة الخامسة وعظماؤها بل ظهرت لهم كتب جديدة في النصائح وتوسموا في الفتح فوصلوا الشلال الثاني وامتدت مغازيهم حتى لبنان ، ولكن الوهن كان يعمل بعزم في جسم الدولة ، وكانت

(١) عثر المؤلف على بعض نقوش دينية في بقايا معبد « خوفو الجنازي » وكان علماء الآثار يظنون أن الهرم الأكبر ومعبده لا توجد فيها كتابة قط بخلاف هذا الكشف غريبا في بابه .

سلطة حكام الأقاليم تزداد في كل يوم طغيانا إلى أن استقلوا بمقاطعاتهم وتمزقت أوصال الدولة وفقدت وحدتها السياسية وسارت في مزالق الفوضى والاضطراب حتى اعتبر عصر الأمرتين السابعة والثامنة من أكثر عهود التاريخ المصرى ظلمة وخفاء وفسادا .

العصر الإهناسي

الأمرتان التاسعة والعاشر (٢٤٤٥ — ٢١٦٠ ق . م .)

وقد ظلت البلاد مفككة إلى أن أسس « خيتي » في « هيرا كليوبوليس » (إهناس المدينة الحالية) مملكة مصرية وقد أخذت البلاد في عهده وعهد من خلفوه تنتمش من غشيتها وتحس حرارة الحياة مرة أخرى ؛ ولكن عقارب الخلاف كانت لا تزال تدب في جسمها حتى وهبها الله ملوك الأسرة الحادية عشرة فشفوا أدواءها وأعادوا إليها شيئا من وحدتها بعد حروب داخلية طاحنة ، واتخذوا مدينة « طيبة » عاصمة للملكهم .

وقد يبدو غريبا أن يظهر نوع من الأدب الراقى في هذا العصر مع ما فيه من تقاطع وتدابير وانحلال وحروب قاسية ، ولكن إذا علمنا أن الأدب الصافي ما كان وليد الباطنة المتأججة ، وأن الرجات السياسية والهزات العنيفة مما يثير النفوس ويطلق اللسان أدركنا كيف قوى الأدب ونبت فيه أنواع جديدة وسط هذا الجو الصاحب المضطرب ، وأن الانفعالات النفسية التي يبعثها البؤس والشقاء أعمق أثرا من تلك التي يبعثها الصفاء والرخاء ؛ لذلك رأينا في هذا العصر أوصافا مؤثرة لما يحدث في النفوس ويمتلج في الصدور من سوء الحال وشكوى الزمان وتأملات فيما صارت إليه الأمور ؛ وكأن الذين كتبوها كانوا يريدون بها إصلاح حال البلاد الاجتماعي في ظل حكومة عادلة مما سنفصله بعد .

الدولة الوسطى

الأسرة الثانية عشرة (١٩٩٥ — ١٧٩٠ ق . م .)

رأس هذه الأسرة ومؤسسها « أمينمحات الأول » (١٩٩٥ — ١٩٦٥ ق . م .) ولقد حكم البلاد بيد من حديد وقضى على أذيال الفوضى التي بقيت تعبت في أنحائها وسار ابنه « سنوسرت الأول » (١٩٧٥ — ١٩٣٤ ق . م) على غرارهِ . ولقد عمل هو والملك « سنوسرت الثالث » (١٨٨٢ — ١٨٤٥ ق . م) على مد رقعة البلاد واتساع سلطانها .

على البلاد المجاورة ، كما يعزى إلى أميناتحات الثالث من ملوك هذه الأسرة تحويل الفيوم إلى أرض زراعية منتجة وتناول مرافق أخرى عظيمة بالإصلاح والتمير .

ويعتبر عصر هذه الأسرة العهد الذهبي للأدب (المهد الكلاسيكي) إذ ظهرت كتابة فنية خالصة عنى فيها بالناحية الفنية لذاتها ، تنظم موضوعات متنوعة قيمة من القصص والتأملات والأناشيد الدينية والدنيوية وكذلك أخذ الفراعنة يمدون فتوحاتهم شمالا وجنوبا مما جعل مصر يومئذ تحتل مكانة ثقافية وسياسية سامية فبدأت تنشئ علاقات وثيقة وتختلط بجزائرها من ناحية آسيا والسودان .

عهد المكسوس (١٧٩٠ - ١٥٨٠ ق. م.)

أخذت البلاد تهوى منذ بدأت الأسرة الثالثة عشرة حكمها فهبض جناحها وغزاها قوم متوحشون يسمون المكسوس « الرعاة » فتملكوا أحرارها وحكموها عهدا طويلا واتخذوا حاضرتهم في « أواريس » (صا الحجر الآن) . ولقد ناز عليهم أمراء طيبة وخرجوا عن طاعتهم واستقلوا بأرضهم ومرافقهم ، وأخيرا تمكن الملك « كاموز » ومن بعده « أحس » (١٥٨٠ ق. م.) من طرد المكسوس من البلاد وبناء دولة جديدة فتيية .

الدولة الحديثة

تطالعتنا هذه الدولة بصفتها جديدة من الأدب المصرى فيها الفناء الرائع والفزل الطريف فى تضاعيف قصائد بديمة الخيال وربما ظهر الفزل قبل ذلك فى عهد الدولة الوسطى ولكننا لم نعتز على شىء منه ، ولقد أخذ اختلاط المصريين بجزائريهم يقوى ويشدد بحكم سلطانهم وسيادتهم ، فأخذ لعاب الألفاظ الاجنبية ينساب إلى مجرى اللغة المصرية ويسير معها بشكل واضح نتيجة لتلك الفتوح العظيمة التى قام بها ملوك هذه الدولة ، ومن ثم ظهر تأثير الآداب المصرية والحضارة المصرية فى الشعوب التى غلبها المصريون على أحرارها مما يخلع على هذا المصر مجدا عظيما فى الثقافة والسياسة ، وقد اتخذ ملوكه « طيبة » عاصمة لهم فأصبح بذلك إلهها الموضعى « آمون » كبير الآلهة المصرية .

الأسرة الثامنة عشرة (١٥٨٠ - ١٣٥٠ ق. م.)

وقد اتسمت رقعة الملكة فى عهد تحتمس الأول (١٥٥٥ - ١٥٠١ ق. م.) وحفيده « تحتمس الثالث » (١٤٧٨ - ١٤٤٧ ق. م.) حتى صارت متسعة الجوانب

مترامية الأطراف تمتد من الشلال الرابع إلى أعلى نهر دجلة والفرات . وقد حكم « أمنحوتب الثالث » (١٤١٥ — ١٣٨٠ ق . م .) مدة طويلة موقفة . غير أنه قد ظهرت في خلال حكمه بوادر تلك الثورة التي اندلح لحيها في عهد ابنه « أمنحوتب الرابع » (اخناتون) من (سنة ١٣٨٠ ق . م .) .

كان « لاختاتون » فلسفة خاصة بالمقيدة ، وقد هداه تفكيره إلى أن الوجدانية صفة لازمة للآله ، فأراد إحداث إصلاح ديني يهدف إلى هذه الغاية أساسه أن يفرد المصريون قرص الشمس بالعبادة (أو بمباراة أخرى أن يعبدوا القوة الكامنة في قرص الشمس وحدها) وألا يتخذوا إلهاً لهم غيرها واتخذ سبيله للقضاء على كل الآلهة الأخرى المبتوثة في البلاد وحطم أصنامها ، ولما وجد تيار المقاومة شديداً على دينه الجديد هاجر به من « طيبة » موئل المقاومة والنفار إلى مدينة جديدة أسسها تسمى « اخناتون » (مكان تل بني عمران الحالي بالقرب من ملوى) وفيها نما دينه وازدهر ودخل فيه الناس أفواجا طوعا لأخناتون لا حبا في دينه الجديد .

ولقد تطور الفن في عهده كاتطور الأدب ، فدبت الحياة في الأول وصار أقرب إلى محاكاة الطبيعة بعد أن كان يسير على سنن واحد جامد موروث ، وكذلك غلبت اللغة العامية وصارت لها الصدارة على أختها الكلاسيكية القديمة الصحيحة .

وبالجملة فإن الكشف الحديث (توت عنخ آمون) رغم أهميته لم يرسل ضوءاً كافياً على حال البلاد في أواخر حكم هذا الملك الزائع عن دين أجداده .

ولكن الناس أعداء ما جهلوا ، أسرى ما ألفوا ، فلم يلبثوا أن حضوا إلى دينهم الذي وجدوا عليه آباءهم ، فرجعوا إلى عبادة الآلهة المختلفة وعلى رأسها « آمون » .

الأسرة التاسعة عشرة (١٣٥٠ — ١٢٠٠ ق . م .)

في عهدها أصبحت الدلتا مركز الجاذبية للدولة المصرية ، وبقيت « طيبة » مسحة القداسة والطهارة تقبع فيها للمابد الضخمة المزينة كعبد « الكرنك » و « الأقصر » و « الدير البحري » . وابتدأ الكاتب يشمر بمركز ممتاز ويدل بمكانته على أصحاب المهن الأخرى ولقد ظهرت له بحوث ممتعة في الأدب والعلم والتعليم .

هذا وقد حارب « سبتي الأول » (١٣٢٠ — ١٣٠٠ ق . م .) بدو فلسطين وقام من بعده ابنه « رمسيس الثاني » (١٢٩٤ — ١٢٠٠ ق . م .) وشن الفارة على دولة « الحيثا » (الحيثيين) في آسيا الصغرى وهدفه الاستيلاء على فلسطين وغيرها ، وقد خلل انتصاراته في

حصيدة نقشها على جدران المعابد واشتهرت خطأ باسم (بنتاور) ، وأسس حاضرة جديدة للملكة تسمى بيت رععميس (صا الحجر) وبعده أخذ نجم الدولة الصاعد يتضاءل وقوتها تنحط . وفي عهد ابنه «مرينتاح» قامت الحرب بينه وبين اللوبيين كما نشبت بينه وبين كثير من الأمم والقبائل ومنها قبيلة إسرائيل معارك كثيرة ، وقد سجل أمرها وما ظفر به من انتصارات فيها على لوحة لاتزال محفوظة بالمتحف المصري وقد جاء فيها عن وقعة إسرائيل «وقد خربت إسرائيل ولم يبق وجود لبذرتها» . ومن هنا نشأ الخطأ الشائع القائل بأن «مرينتاح» هو فرعون موسى . وبعد موته غشيت البلاد سحائب مظلمة من الفوضى والاضطراب .

الأسرة العشرون (١٢٠٠ - ١٠٩٠ ق . م .)

يتميز «رععميس الثالث» رأس هذه الأسرة (١٢٠٠ - ١١٦٩ ق . م .) وقد سجل لها مجدا حريا في البر والبحر وقد اتخذ خلفاؤه من بعده اسم «رععميس» ولكن لم يكن لهم فعل «رععميس» . فتهاونوا فيما خلفه لهم من المجد ولم يحافظوا على التراث الذي تركه لهم فانزلت البلاد إلى مهاوى الضعف وأهانت أنهارا تاما

وقد وجدنا في قبر «رععميس الثالث» أكبر وثيقة جميلة كتبت على البردي ، وقد ذكر فيها ما كانت عليه البلاد من الفوضى قبل أن يتبوأ عرشها وما بذله من إصلاحات في مختلف نواحيها وتناولت موضوعات كثيرة أخصها المعابد ومالها من جليل الشأن ، وقد كتبت في عهد ابنه ووضعت في قبره لتكون أنيسه في وحدته وشفيعه عند الله كما وجدنا صحائف أدبية مختلفة من آثار هذه الأسرة والأسرة التي سبقتها .

الأسرة الحادية والعشرون (١٠٩٠ - ٩٤٥ ق . م .)

أخذت سلطة الكهنة تملأ وتطغى في عهد الرعامسة حتى أطفئوا سراج هذه الأسرة وقام رئيس كهنة آمون المسمى «حرحور» وأسس أسرة جديدة في «طيبة» وقام بنفس الوقت أمراء آخرون وأسسوا ملكا لهم في مدن أخرى مثل (سندس) الذي أقام مملكته في «نأس»

الأسرة الثانية والعشرون (٩٤٥ - ٧٤٥ ق . م .)

قام أحد الأمراء اللوبيين الذين طالت مدة إقامتهم في البلاد واسمه «شيشنق» وتوج نفسه ملكا على البلاد حوالي (٩٤٥ ق . م .) وكذلك حكمت أسرته عدة إمارات مختلفة في مصر .

وتلا هذا العهد الفتح الاثيوبي لمصر سنة ٧١٢ ق . م . وجاء بعده الفتح الآشوري عام ٦٧٠ ق . م . وقد شعر المصريون بمرارة الاستعباد وحز في نفوسهم أن يساموا الحسف والهوان فهبوا يدافعون عن كيانهم ويندودون الأعداء عن بلادهم ، وكان « إسماتيك الأول » (٦٦٣ — ٥٢٥ ق . م .) فارس هذا الميدان ، نخلص البلاد من نير النذل والمار وأضنى عليها نيم الاستقلال وأشمرها بمجدها المؤئل فهبت فسات إصلاحية عمت البلاد طولا وعرضا لإحياء العلوم والفنون القديمة كتلك التي تجاوزت في أوروبا في عصر النهضة الأوربية الحديثة ، ولكن هذه النهضة المصرية لم تثبت على قوائمها وكانت كشهاب أضاء حيناً ثم احترق فأخذت البلاد تهبط وتتحلل من جديد فكان ذلك إيذاناً بفتح الفرس لها عام ٥٢٥ ق . م . وقد تمتعت البلاد بفترات استقلال متفرقة كانت كالدكريات الحلوة تمر سريعة في خاطر الواهمة الشكلي وكان آخر عهدا بنعيم الحرية إلى يومنا هذا (سنة ٣٤١ ق . م .) عندما هزب « نبطان » من عاصمة ملكه « سمنود » إلى بلاد النوبة أمام الفرس الفزاة المظفرين . ولم ينعم هؤلاء بحكم البلاد طويلا إذ فاجأهم « الإسكندر الأكبر » وطردهم من مصر واستولى عليها عام ٣٣٢ ق . م .

نظرة عامة في الأدب والكتابة المصرية

(١) تطور الأدب

اتصل الأوروبيون بالمصريين في عهود ضعفهم بعد أن ضربتهم الحروب ولبد أن خرجوا يلهثون من حياة كفاح طويلة مع أجنب خاصين . وقد ضرب المصريون الأقدمون نطاقا حول عاداتهم وموروث معتقداتهم لا يجتازونه ولا يسمحون لأحد أن يزحزحه ، وكانهم ظنوا بذلك أنهم سيحفظون دائما بمكانتهم التي كانت لهم عند العالم . وليس معنى ذلك أنهم كانوا جامدين ، يسير العالم ولا يسيرون ، بل إنهم مع تحفظهم كانوا سابقين متيقظين في وقت ظل كثير من الأمم فيه ينط في نوم عميق ، وكانت روح المنافسة تحفزهم ، والإقدام يملأ رموسهم ، وتلك سياحاتهم وحروبهم وآثارهم الفنية الخالدة تشهد بتوهمهم ، بل إن أعمال التصوير والنحت عندهم تنطق بأن الحياة لديهم كانت دأمة فرحة ناطقة جريئة كما كانت عند الإغريق الذين أتوا بعدهم بألاف السنين .

ولم يجب اليونانيون ما كان عليه المصريون من تحفظ موروث فنظروا إلى عاداتهم نظرة رهبة واحتقار لأنها لا تتفق مع دنيا الحضارة عندهم ، ووضعهم كما وضعهم الأوروبيون جميعا مع الصينيين الأقدمين في كفة واحدة . والواقع يخالف ما ذهبوا إليه كما قدمنا لأنهم نظروا إلى الحياة نظرة واسعة جريئة دعاهم إليها ذكاؤهم وتوقد عزيمتهم فوجدنا عندهم حياة عقلية محترمة وفلسفة دينية عميقة واقتنانا في الأغاني والقصص وعناية بالكتابة والأدب .

وحكينا على الأدب المصري لا يصل طبعا إلى حد الجزم لأن مقتانه أوراق البردي وبقاؤها سليمة كاملة ثلاثة آلاف من السنين أو أربعة نادر أو مستحيل فكل ما وصلنا منها جذازات من مجاميع عظيمة ، ولقد أمكننا بشيء من الدرس والموازنة أن نصل إلى حكم نعتقد أنه صحيح في مجملته لأننا وجدنا الخواص التي يمتاز بها كل عصر أدبي وصلنا إليه نتفق وما نعرفه عن العصر التاريخي الذي سار به وظهر فيه .

والذي نستطيع أن نقطع به أن المصريين كانوا مهتمين بتنمية لغتهم وصقلها لأنها غنية بالامتعارات والتشبيهات ، فهي من هذه الناحية لغة مترفة مثقفة .

(٢) عصور الأدب المصرى القديم

يمكننا أن نقسم تاريخ الأدب عند المصريين القدماء إلى عصرين كبيرين : قديم ، وحديث .

العصر القديم :

إن الظاهرة التى امتاز بها هذا العصر الأدبى شيوع المحسنات اللفظية فقد عنى الكتاب بزخرفة الألفاظ وتنميقها على نحو يقرب مما ساد اللغة العربية فى العصر العباسى الثانى حينما انتشرت طريقة « ابن العميد » و« القاضى الفاضل » ، غير أن كتاب الفراعنة كانوا يمتنون بناحية المعنى عنايتهم بترصيع الألفاظ ، فكتبوا بهذه الأساليب المزخرفة بحوثاً قيمة عميقة . وليس من شك فى أن كثيراً من أدب هذا العصر قد ضاع فلم نثر فيه إلا على كتب للأمثال أو للتعاليم المدرسية أو التأملات ، وأما غير ذلك من ألوان الأدب فلم نثر على شىء منه أو عثرنا على قدر قليل نافع^(١) ، ولا يمكننا أن نتصور خلو الأدب المصرى القديم من قصائد غزلية مثلاً أو من أناشيد ملكية أو أن عناية المصريين القدامى بالأمثال والتعاليم المدرسية تفوق عنايتهم بالفضل والنشيد وإن كنا قد وجدنا منها شيئاً لا بأس به . وكل ما هنالك أنهم اعتادوا أن يدفنوا مع تلاميذ المدارس كتبهم عند موتهم فحفظتها القبور لنا بجانب جثثها حتى وصل إليها الكاشفون النقبون فعرفناها . أما كتب الأدب الأخرى التى كانت تحفظ مع الأحياء فقد أدرکها الغناء فجهلنا أمرها .

ويبدو غريباً لنا أن نرى المصريين وقد عنوا كثيراً بدينهم وآخرتهم يحملون للدين المرتبة الثانية من أدبهم . وقد يخفف من حدة هذه الغرابة أن العقيدة أمر موروث يأخذه الأبناء عن الآباء من غير بحث ولا اقتناع حتى إذا خلا المرء إلى نفسه وراض فكره سما به إلى تلك القوة الهائلة المجهولة التى لا يدرك كنهها ولا يعرف لها حداً (الله) فيقف فكره عند ذلك موقف الذى أعياه الجهد وأدرکه البهر فانقطعت أنفاسه فلا يستطيع تصوير ما جاشت به نفسه تصويراً أدبياً ممتازاً .

ويظهر أنه فى عهد الأسرة الخامسة (سنة ٢٧٠٠ ق . م .) من العصر القديم قد أنشئ كتاب واحد على الأقل من كتب الأمثال ، وقد بلغ الأدب غايته فى هذه المرحلة على ما نمتقد

(١) وجد بعضه فى العصور الوسطى وما بعدها

في العصر المظلم الذى يفصل بين الدولة القديمة والوسطى وفي عهد الأسرة الثانية عشرة المشهورة (١٩٩٥ — ١٧٩٠ ق. م.).

وقد ظلت كتابات هذا العصر تقرأ في المدارس المصرية القديمة خمسمائة سنة وهي على حالها من الزخرفة والعناية بالمحسنات اللفظية التي أغرم بها المصريون وقتها إغراما شديدا والتي بذل الأدباء في سبيلها كل جهد ليصلوا بها إلى المذوبة والجمال .

العصر الحديث :

غير الأدب وجهته في هذا العصر فسار في طريق أخرى غير الطريق التي اعتادها قديما ، فقد كانت مادة الأدب إلى هذا الوقت اللغة الفنية العالية في كل ألوانه وقد تقترب من لغة المحادثة إذا تناولت وثائق حيوية أو صورت قصصا شعبية .

أما في العصر الحديث فقد احتجبت اللغة الفنية ولم يعد أحد من الشعب يفهمها أو يستسيغها ، حتى إنه في عهد الثورة الدينية العظيمة التي حدثت أيام « أمنحوتب الرابع » من ملوك الأسرة الثامنة عشرة بدأ القوم يكتبون الشعر بلغة العامة ، وقد ألقت بهذه اللغة « أنشودة الشمس الجميلة » وهي تضم في طياتها مناجاة للإصلاح الديني . ولقد استقر نظام الكتابة بلغة العامة وكتب له البقاء . وفي عهد الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين ظهر أدب قوى مكتوب بتلك اللغة الجديدة التي أسميناها (المصرية الجديدة) كما كتب بها جزء كبير مما جملناه في هذا الكتاب .

وقد بقي للدارس خطرها أيضا في عهد (المصرية الجديدة) ولكن أساليبها دبت فيها الحياة بقدر ما ذاق المصريون من حلاوة الحياة في هذا العصر ؛ إذ رأوا الدنيا بعين الرضا فتعشقوها وشففوا بها .

والأدب الحديث خلو من الأفكار العميقة والبحوث الفلسفية . وقد يسوق الله إلينا كشفا جديدا يغير هذا الرأي فإن حال مصر في ذلك الوقت تدعو إلى تقيضه .

ولم تدم سيطرة (المصرية الجديدة) على الأدب طويلا ، فإن الأدباء حنوا إلى العهد الأول . فأخذوا يرسمون عباراتهم ويفتقون لها أصنى الألفاظ والأساليب ، وقد يزنبونها بالألفاظ الأجنبية على سبيل التنظرف أو إظهارا لتمكنهم من مادتهم ، واستمر الأدباء في طريقهم يهذبون اللغة ويفتنون فيها نحو خمسة قرون ، أخذ هذا النوع من الأدب بعدها في الانحطاط حتى كاد

أن يتلاميذ . وكان على تلاميذ المدارس أن يتعلموه كأنه مادة غريبة عنهم حتى آل نجم الأدب إلى الغروب كما آل نجم مصر إلى السقوط .

استمرت الحال كذلك عدة قرون (وقد نستثنى منها عصر الإغريق) إلى أن ظهر أدب جديد هو الأدب الديموطيقى ولا دخل له في موضوع كتابنا .

وبلاحظ أن اللغة الأجنبية التي كان الأدباء يزينون كلامهم بها في العصر الأخير من الدولة الحديثة كانت مستعمارة من لغة فلسطين غالبا لما كان بين البلدين من علاقة متينة قوية ، وهذا يدعونا إلى القول بأن (كنعان) قد تأثرت بمصر من ناحية الأدب كما تأثرت بها من ناحية الفن .

ولو وصل إلينا شيء من الأدب الفينيقي لرأينا الطابع المصري فيه واضحاً أيضاً من غير شك ، وإننا نرى الأدب العبراني — وإن كان زمنه متأخراً عن الزمن الذي نتحدث فيه — يذكرنا بنوع من الكتابات المصرية ، نرى ذلك واضحاً في الزامير وأناشيد الإنشاد في الأدب الحكيم عند العبرانيين ، وقد نرى تأثيراً كذلك غير مباشر للغة المصرية إذا دققنا البحث في أساليب العبرانيين وطرائق تمبيرهم غير ماذكر .

وما دمتنا قد وصلنا إلى هذه النتيجة فليس ببعيد إذن أن يكون الأوريون أنفسهم قد تأثروا بالمقلية المصرية والتفكير المصري فاستفادوا وأفادوا .

(٣) الكتاب المتعلمون

كانت الطبقات المثقفة عماد الأديين القديم والحديث ، وكان للكاتب فضل السبق على غيره من أصحاب المهن الأخرى ، بل إنك لتجد فجوة كبيرة تفصل بين المصري المتعلم وغير المتعلم ، ومن يبرع في الكتابة ينل أسمى المراكز وإن لم تسم مواهبه الأخرى ، بل لم يكن للحاكم نفسه قيمة إلا بكتابه . ومن هنا تدرك السر في رغبة كبار الموظفين القدماء أن يصوروا أنفسهم في هيئة الكتاب ، لأن الكتابة في نظرهم سلم يرق فيه المرء إلى أقوى المراكز وأعلاها ، والرجل الذي يستطيع الإبانة عما في ضميره بأسلوب جميل مهذب يجد الطريق أمامه مفتوحة لأكبر المناصب وأعلى الدرجات . ومن هنا شملت الكتاب موجة من الفطرسه والكبرياء وراحوا يدلون على غيرهم بمركرهم الاجتماعي ، ويظهر هذا واضحاً جداً في أدبهم القديم الذي كونه بحيث كان ذلك التعالي ميزة له .

والكبر وإن كان في ذاته مكروهاً إلا أن المثل العليا التي وضعتها طائفة الكتاب للموظف

الذى يمتد بنفسه ويرتفع بكرامته جعلتنا نتجاوز عن ناحية الصلف ونعترف لهم بأنهم جعلوا من واجب الموظف أن يكون عادلا ينتصر للمظلوم ويأخذ من الظالم ، حاذقا يعرف كيف يتغلب على الصعاب ويفتح الطريق بين أعظم الصخور وأمنع العقاب . وكانت آراء الكاتب تحترم في مجلس الشورى وكل قول له يجب أن يقدر ويميز عن العامة .

بهذه الروح كان الموظفون يعملون كما نشأوا الشباب من طائفتهم على هذه المبادئ نفسها . وفي عهد الدولة الحديثة بقي الميل إلى البيروقراطية ومدارسها كما كان من قبل . وبالرغم من كل ما بدا من خلاف فإن رسائل المعلمين لم تعظ بشيء غير ما وعظت به كتب الحكمة القديمة . وليس هناك فرق إلا أن تعاليمهم كانت مرئية ثوبا أكثر لباقة وحذقا وأن خلق الكبرياء الذى يشع من صرامهم كان أكثر تجسسا وأبين وضوحا . وسنوضح كل ذلك في باب الرسائل .

(٤) المغنون والقصصيون

لا ترتاب في أن الذين حملوا مشاعل الأدب المصرى كانوا من المعلمين الذين يحترفون الكتابة ، وليس معنى ذلك أنهم خلقوه خلقا ، أو أنهم الذين ابتدعوه في أرض الفراعنة ابتداء ، وإنما ارتقوا به من حالته الساذجة التى كان عليها إلى حالة أكثر افتنانا ، فان الطبيعة التى أوحى إلى الحمام بالهديل وإلى المصفور بالشقشقة وإلى الهزار بالتفريد لا بد دافعة بالإنسان إلى محاكاة هذه المخلوقات ، بل إن أساس المحادثة نفسها قائم على هذه المحاكاة ، لذلك لانشك مطلقا في وجود الفناء وهو فرع من الأدب قبل أن ينهض بالأدب الكتاب في مصر القديمة ، غير أنه كان بسيطا لا تكلف فيه ولا تعقيد ولا ازدواج ، واعتبر ذلك بما تراه من الفلاح المصرى الآن وقد رفع داليته أو أدار ساقيته ، ومن البحار وقد أطلق في النيل جاريته أو تسنم ساريتها ، تجد أن الطبيعة قد أوحى لهما بما يقولان فانطلقا يرجعان على تلك الصورة الصغيرة المحبة التى تنير العاطفة وتجلو صورة من صور الحياة . ولاشك أن فى الفناء راحة ولذة أخذها الأبناء عن الآباء بطريق الوراثة . وهى خير معوان على مداومة العمل الشاق وتذليل ما صعب منه ، ولأمر ما تميل الإبل وتنشط فى رحلاتها الطويلة إلى الحذاء فتحت فى السير وتسرع فى طى المفاوز ، والفلاح والصانع فى مصر القديمة كانا يستعينا على عملهما الشاق بفنائهما المتواضع حتى لقد كان الفناء جزءا من العمل الذى يقوم به العامل ، يدلنا على ذلك أن المثال

كان يضيف إلى تمثاله الذى صورہ الأغنية التى تناسبه . وقد أوردنا أمثلة من هذه الأغاني فى المصور المختلفة فى مواضعها المناسبة . وكنا نظن^(١) إلى عهد قريب جدا أن تلك الأغاني التى كان يرددها فانتات الوصيفات فى حضرة سادتهن لم تكن موجودة ، ولكننا عثرنا عليها فى كشف جديد ممثلة ممهن ، رأينا منظر غانيات شاديات ، وأخريات راقصات ، تلح فيه تناسق الحركات مع إيقاع النغمات ، ولا يبعد أن تكون تلك الأغاني ساذجة بريئة كأختها التى كان يرددها العمال .

ولا نشك فى أن الغناء قد تأصلت جذوره فى أرض الفراعنة ونبقت سيقانه حتى صار حرفة معترفا بها يزاوئها الرجال والنساء ، فقد رأينا رجالا حرموا حاسة البصرونساء فانتات قد اتخذوا من الغناء حرفة مربحة ، كما تحدثنا قصة (سياحة ونامون) فى نهاية الدولة الحديثة عن مغنية مصرية عملت على نشر الحضارة المصرية فى سوريا من ناحية الغناء . وإذا كنا قد رأينا المغنين والمغنيات ممثلين فى آثار الفراعنة فإننا لم نجد للقاصصين آثرا ، وذلك لأن الغناء من مظاهر الترف التى تلازم قصور الأغنياء ، والقصاص من السلع التى تعرض فى الطرقات ويتلطف على سماعها العامة وصغار القوم كما نرى فى أيامنا هذه ، وحياة الطرقات وما إليها لم يمثلها المصريون فى مقابرهم ، وإنما سجلوا ما كان من ألوان الحياة المحببة لدى السادة والأمراء .

وعندنا قصص للعامة والخاصة من كل عصور التاريخ المصرى إلا الدولة القديمة فلم يصلنا حتى الآن شيء منها وتدل مادتها ونغماتها على أنها من أصل قديم ، وإذا كانت قصص الروائيين الحديثة تتناول شخصيات تاريخية عظيمة مثل « عنترة العيسى » و « صلاح الدين » فإن القصص القديمة كذلك لم تهمل أبطال التاريخ ، فلدينا قصة « من المصر المسمى فى مصر تدور حول « قبيز » وأخرى من العصر الإغريق تتناول « نبطان » وثالثة ممتعة حفظها لنا « هيرودوت » عن « رمزينيس » وفى الأوراق البردية الديموطيقية نقرأ قصة الملك « يبتوبستس » وحكاية رئيس الكهنة « خاموس » . وفى نهاية الدولة الحديثة نجد قصة الملك « تحتمس الثالث » وقصة ملك الهكسوس « أبوفيس » ومن أواخر عهد الهكسوس نطالع قصة « الملك خوفو والسحرة » .

(١) عثر الأستاذ أحمد غفرى كبير مفتشى الوجه القبلى على مقبرة « خيروف » من عهد الأسرة الثامنة عشرة ومن مناظرها الفريدة ذلك المنظر الذى أشرنا إليه . انظر :

ولا شك في أن هذه القصص قد وضعها وأذاعها قوم عرفوا ميول العامة وأذواقهم فاستهووهم بها ، وإذا كانت هذه القصص قد جاءت في بعض الأحيان على شكل أساطير دينية كأسطورة «إيزيس» و«أوزير» وخرافة «هلاك الإنسانية» (والآلهة التي لم تستطع العودة ثانية إلى مصر) فإن ذلك لا يمنع من كونها عامية خلقت للعامة تغذية لميولهم وإشباعا لمواظفهم وأهوائهم . هذا وقد طالعتنا الكشوف الحديثة بلون جديد من القصص كان يظن أنه من اختراع اليونان وأعنى بذلك القصص الخرافية الذي تدور حوادث أبطاله حول الآلهة دون البشر . إذ عثرنا أخيرا على قصة للمخاصمة بين «حور» و«ست» كان كل أبطالها من الآلهة ، وتعتبر هذه القصة تجديدا في الأدب المصرى القديم ، وسنوردها بعد .

(٥) أوزان الشعر المصرى

من المعلوم أن الشعر يمتاز بما فيه من الصور الخيالية الجميلة وبما يقيده من الأوزان الخاصة به . وإذا نظرنا إلى الشعر المصرى من هاتين الناحيتين وجدنا أن الصور الخيالية كثيرة فيه ، ولكن أى وزن يقيده ؟ وهل له وزن واحد أو أوزان مختلفة كالشعر العربى ؟ وهل له قيود أخرى غير الأوزان كالفافية في الشعر العربى مثلا ؟ الواقع أننا نأثهون في بحار الشعر المصرى ، فكل ما كتب بلغة عالية في أسطر قصيرة ، متقاربة الطول ، يرجح أنه شعر ينحصر لوزن من الأوزان ، فإذا تكررت المقطعات واتحدت في عدد سطورها ، وتناسبت معانيها كان ذلك شعراً مؤكدا لا نثراً وتكون القطعة عادة من ثلاثة أسطر أو أربعة كالأمثلة الآتية :

أنت تنزل في سفينة من خشب الصنوبر
تحرك من المقدم إلى المؤخر
وتصل إلى قصرك الجميل
الذى بنيت له لنفسك

فك مغمم بالنبيذ والجمعة
والخبز واللحم والفطير
وتذبح الثيران وتفتح أباريق النبيذ

وأمامك الشدو الجليل

ورئيس معطريك بضمخك بعطر (كى)
وسايقك يحمل تيجان الأزهار
ورئيس فلاحيك يقدم الدجاج
وصيادك يقدم السمك

وليس تكرار المقطعات واتحاد عدد سطورها هو كل ما يقيد الشعر المصرى بل يلتزم أن تبتدى المقطعات كلها بكلمات مشتركة تكرر فى جميعها ، فمثلا فى (جدال بين إنسان سم الحياة وبين روحه) نجد أن المقطعات الثانية التى تتكون منها الأغنية الأولى تبتدى كل واحدة منها بهذه العبارة :

« انظر إن اسمي ممقوت » كما أن مقطعات الأغنية الثانية تبتدى كل مقطعة بهذه الجملة : « لمن أتكلم اليوم ؟ »

وقد نجد القيد مزدوجا كما فى قصيدة تحتمس الثالث إذ نجد أن الأسطر الأولى قد اتحدت فى استهلالها كما نجد الأسطر الثالثة قد اتحدت أيضا فى صدورها .

فالأبيات الأولى من هذه القصيدة تبتدى بما يأتى :

« إني قد أتيت حتى أجعلك تدوس »

وصدر الأسطر الثالثة منها هذه العبارة :

« إني أريهم جلالتك »

أما السطران الثانى والرابع فليسا مقيدين فى بدايتهما

وقد نجد مقطعات شعرية مختلفة فى الطول ومختلفة فى عدد السطور متشابهة أو غير متشابهة فى بدايتها ، فنسميها شعرا مطلقا من القيود ، ولا نخفى على القارئ حيرتنا وترددنا بين اعتبار مثل هذا الكلام نثرا أو شعرا لجهلنا بالوزن الذى كان يلتزمه المصرى القديم عند تأليفه القصيد . والظاهر أن الشاعر المصرى ما كان يتقيد بوزن خاص بدليل أن مصرى العصر المسيحي (الأقباط) كانوا ينظمون شعرهم حرا خاليا من القيود الوزنية كما ترى :

رجل آخر يذهب إلى الخارج

يمكث سنة ثم يعود إلى بيته
ولكن أرشليت ، قد ذهب إلى المدرسة
وكم يوما حتى أرى وجهه

ولا بد أن المقطوعات الشعرية المصرية المركبة من أسطر كانت تشبه في توقيمها
الرباعيات القبطية .

ولا شك أن تحمل الشاعر المصري من قيود الوزن يجعله أكثر حرية في تفكيره وفي
صيغته . فبدلاً من أن يبدأ مقطوعته بقوله « أوزير يستيقظ بسلام » يستطيع أن يبدأها
بقوله « الباقي المخلد ، رب المأكولات ، الذي يهب الحياة من يحب ، يستيقظ بسلام »
ومن مميزات الشعر المصري التي انفرد بها أن يسوق إليك المعنى الواحد في صورتين
مختلفتين متلاحقتين ، مثال ذلك : « القاضي يستيقظ » ، « تحوت يجلس » ، ومثل :
« ثم تكلم أسدقاء الملك هؤلاء » ، « وأجابوا أمام إلههم » ، ومثل : « وهم الذين يدخلون
في هذا القبر » ، « وهم الذين يشاهدون ما فيه » .

ففي المثالين الأولين نجد أن الجملة الثانية مرادفة للأولى ولا فائدة منها ، وفي المثال الأخير
نجد أن الجملة الثانية تفيد معنى جديدا ولكنه من لوازم معنى الجملة الأولى .

ويرجع إغرام المصريين بهذه الطريقة إلى عنايتهم بالزخارف اللفظية في المهد القديم
كما سبق بيانه وإلى إظهار الكتاب قدرتهم على اللعب بالأساليب والافتتان فيها واعتيادهم
ذلك حتى صار أمراً مقرباً في كل أسلوب فني عال . ويظهر أن كتاب المهد القديم أخذوا
هذا النوع الغريب من الأداء عن المبرانيين والبابليين الذين أقنوه وساد بينهم .

وتستطيع أن تدرك مبلغ غرابة هذه الطريقة إذا حولت قطعة ما من الشعر إلى الأسلوب
المصري . وخذ مثلاً هذه القطعة وهي بداية الكتاب الخامس من « الأوديسا » .

« الآن طلع الفجر من مخدعه من جانب « تيتونس » ليحمل النور إلى الخالدين والناس
وكانت الآلهة تجتمع لجلسة ومن بينهم (زيوس) الذي يرعد من أعلى ، والذي تملو قوته
كل القوى .

فهذه القطعة تقرأ بالأسلوب المصري كما يأتي :

إن الفجر رفع نفسه من سرير (تيتونس)
وشفق الصبح طلع من مكان راحته
حتى يستطيع أن يضيء للخالدين

ويحضر النور لبني الإنسان
والآن كانت الآلهة ذاهبة إلى المجلس
وجلس الخالدون ليتشاوروا
وجلس في وسطهم (زيوس) الراعد
وجلس على عرشه ملك الآلهة رئيسا لهم
ذلك الذي قد عظمت قوته
وفاقت قوته كل شيء

ولا شك أن هذا الترادف أو المزوجة في التعبير مما يذهب بامتاع القطعة ويكد الذهن
ويعنمه متابعة المعاني وتسلسلها ببساطة وسهولة ، ولكن لم يكن ذلك قالبا يجب صب الشعر فيه
أو مقياسا يجب عرضه عليه ، بل كان مجرد حلية لفظية يلزم الشاعر باتباعها ما دام قد اختار
لمعانيه الأساليب العالية .

ولقد جرمهم غرامهم بالترادف والازدواج إلى التردد للممدوح قبل ذكر اسمه بسرد عبارات
مختلفة تشير إليه ، وتدل عليه ، كما جاء في أنشودة الصباح المترجمة بعد ، ويتنوع البيت الواحد
بهذه الطريقة إلى ما لا نهاية له من الصور والأوضاع ، ويبدو هذا مملا وثقيلا على آذاننا ،
ومن يدري ، لو أنا وهبنا آذان الفراعنة الأقدمين ، وعرفنا كما عرفوا أسرار مسمياتهم التي
اختاروها لكان هذا الشعر خفيفا على أسماعنا محببا إلى قلوبنا . وقد فشا هذا الأسلوب في
في قصائد المديح خاصة وهي التي يمتاز بها الأدب المصري فيسبق اسم الممدوح جلل للمعظم
مثل « المديح لك » أو « التمدك » تنبها نعوت وأسماء وأسماء أفعال وجمل موصولة
للتعريف بالممدوح وللتذكيرة بجميل أفعاله ، وتحشد هذه النعوت خشداً كثيرا بلا ترتيب مما
لا يجعل تفاضلا بينهما ، ومما لا يجعل لهذا الشعر معنى . ومن الظواهر المموسة في الشعر المصري
تداعي المعاني وتساقق الأفكار ، وإذا قرأت (تحذيرات نبي) وجدت هذه الظاهرة واضحة ،
فهذا الشاعر الذي تفجر قلبه حزنا وأسى على بلاده ، أخذ يرسل الزفرات الواحدة بعد الأخرى
شاكيا مما يشجيه ويحزنه ، ولكن لا اتصال بين ما يشكونه على كثرتة ، لظاهرة الاستطراد
وتداعي المعاني التي تواضع عليها هؤلاء الشعراء ، فكل فكرة يعبر عنها تسوقه إلى فكرة
جديدة فيتناولها أيضا فتسلمه هذه بدورها إلى غيرها وهكذا ، وإليك مثلا مما قال .

« إن كل شيء مملوء بالحياة حتى الأطفال الصغار » وعند ذكر الأطفال يثب إلى ذهنه
أنهم يقتلون ويلقى بهم على تلال الصحراء فيتناول هذا الموضوع ، ثم تذكره تلال الصحراء

بالموميات التي تنزع هناك من قبورها وبلقي بها عليها فيعالج ذلك أيضا بدون أن يكون لكل ماذكر علاقة أصلية بالموضوع الذي أنشأ فيه القصيدة أولا .

ومن الزخارف اللفظية التي أولعوا بها الجناس ، وكان أسلوبا محببا اليهم ، وقد وجدت في «متون الاهرام» صيغ دينية قديمة جدا لتقديم الفرائين التزم فيها الجناس في كل اسم من أسماء مواد الطعام ، واستعمل الجناس كذلك بنظام في قصيدتين من أدب الدولة الحديثة قد دونتا فيما بعد ، ولا نستطيع أن نبرز هذا الجناس باللغة العربية طبعيا لاختلاف ظروف اللغتين .

ومن الخلق التي كان لها شأن كذلك في ترين اللفظ وقتها بداية الكلمات بحروف واحدة ولكن لا يلتزم هذا الاتحاد الحرفي دائما ، ومثاله بيتان من الشعر يشيران إلى « أمنحوتب الثالث » : « حاربت عصاء بلاد النهرين ، وأخضع قوسه السود » .

ولقد عثرنا على شعر مصري في العصر اليوناني تشابهت فيه الحروف الأولى لكلماته مما يجعلنا نعتقد أن تلك العادة وجدت قبل ذلك التاريخ عند أدباء المصريين وكانوا يعملون إلى اتباعها في نقوش معابدهم بل إن رجال الدين كانوا يجدون لذة في ذكر كلمات تتحد حروفها الأولى في الجملة الواحدة ، وهناك رأى ينسب مثل هذا الأسلوب إلى الدولة الحديثة أيضا .

(٦) الكتابة والكتب

إن ذلك المخترع الذي اهتدى إليه المصريون فضمن للحياة العقلية النمو ونمى به الكتابة جدير بأن نجعل له نصيبا من عنايتنا وأن نتحدث ولو بشيء من الإجمال عن بدئه وتطوره . بدأت الكتابة المصرية على نظام الصور الذي اتبعه غير المصريين ينقشها الإنسان ليذكر بها شيئا في ذهنه ، ولسكنه من الصعب على غيره أن يهتدى إلى ما يريد . لذلك كانت هذه الطريقة ناقصة وغير مضبوطة ولا تؤدي إلى الغرض من اختراع الكتابة وإليك مثلا .

اتفق شخصان على أن يبيع أحدهما الآخر ثورا في مدى ثلاثة أشهر مقابل خمس جرات من المسل فإنه يكفي لتسجيل هذه الصفقة أن يرسم « القمر والثور والنحلة والجرة وبعض شرط أفقية تدل على العدد » وبدهي أن الأجنبي عن هذين المتعاقدين لا يستطيع أن يفهم صيغة ما تعاقدا عليه على وجه الدقة إذا عرضت عليه هذه العلامات . لذلك مست الحاجة إلى تلافى هذا العيب فبدأ كل قوم من ناحيتهم يفكرون في إكمال ما لمسوه من النقص حتى وصلوا

إلى أنواع من الكتابات والكلمات والمقاطع . وقد لازم المصريين وحدهم التوفيق فوصلوا إلى أعلى شكل للكتابة وهو الحروف الأبجدية .

والفكرة الأولى التي وصلت بهم إلى غايتهم في ذاتها سهلة ، فإن هناك من الكلمات ما يصعب رسمه وتصويره كأسماء المعاني مثلا فيجب أن ينقش بدلها كلمات أخرى يمكن رسمها وتتفق معها في النطق وإن كانت تختلف عنها في المدلول ، وعلى القارئ أن يفهم المعنى المقصود من سياق الكلام ، فمثلا أردنا أن نبر عن معنى عظيم (ور) وهذا يصعب علينا رسمه لأنه معنوي فلا علينا إذن إذا استعملنا بدله لفظ عصفور الجنة (ور) لأنه يماثله في النطق وإذا أردنا أن نبر مثلا عن كلمة يصير (خبر) وتصويرها أيضا متعذر فلا بأس من أن نستبدل بها مثلا كلمة جمل (جمل) (خبر) التي تماثلها في النطق والمرجع في فهم المعنى المقصود منها إلى حذق القارئ .

والكلمة التي نستعملها يجب أن تحتوي على حروف الكلمة التي نستعملها لها بصرف النظر عن الحركات التي تحدد موقعها من الإعراب .

وكثير من العلامات التي تستعمل في معنى واحد اتسمت بمعانيها على مر الأيام وأصبحت لا تختص بمدلول واحد بل إنها صارت على مر الأيام أجزاء من كلمات أخرى . فمثلا عصفور الجنة لم يعد يستعمل كما في المثال الأول ليدل على (ور) (عظيم) فحسب ، بل ليدل أيضا على الحرفين الساكنين (و ، ر) إذا دخلا في تركيب الكلمات الأخرى مثل (حور) ، (سور) ، (ورس) ، (وريت) . . . الخ . ومن هنا اكتسبت الكتابة لإشارات من حرفين ساكنين . وتقدم المصريون خطوة أخرى فاستعملوا كلمات قصيرة فيها حرف ساكن واحد ، تدل بجملة على هذا الحرف الساكن فمثلا $\text{⊕} = \text{ر} = \text{رم}$ (رم) كانت تستعمل للدلالة على حرف الراء و $\text{⌒} = \text{ز} = \text{زف}$ (أفي) كانت تستعمل للدلالة على حرف الزاي (والتاء فيها علامة التأنيث) و $\text{⌒} = \text{ش} = \text{شبي}$ (بحيرة) للدلالة على حرف الشين وهكذا ، وكانت نتيجة هذه الخطوة أن تكونت حروف أبجدية من أربعة وعشرين حرفا ساكنا وهي التي انتهت فيما بعد إلى أرض كنعان وأخذت منها الحروف الأبجدية الأوربية .

وبهذه الحروف الأبجدية كتبت كلمات قصيرة مفردة مثال ذلك $\text{⊕} = \text{ر} = \text{رم}$ إلى $\text{⌒} = \text{م} = \text{مف}$ في . $\text{⌒} = \text{أو} = \text{أوف}$ ، كما كتبت نهاية بعض الكلام مثل $\text{⌒} = \text{خبر} = \text{ف}$. هو يصير كما أنها سهلت قراءة الإشارات التي تدل على كلمات . فمثلا في $\text{⌒} = \text{بمعنى الضامة أو } \text{⌒} = \text{بمعنى فأس لو تركت هذه الإشارات كما هي مرسومة}$

لاحتمل تفسيرها بكلمات أخرى لا تدل على الضامة ولا على الفأس ولكن بإضافة (ن)
للأولى و (ر) للثانية وكتابتها هكذا $\overline{\text{ن}} \overline{\text{ر}}$ « من ، مر » يتحدد معناها ويدلان
على الضامة والفأس لا غير ، كما أن كثيرا من الكلمات كتب بالحروف الأبجدية الخالصة
على حسب هجائها .

والخلاصة أن الحرف الواحد كان يدل على كلمة أو يلحق بأخرى ، أو يضاف إلى إشارة
ليحدد معناها أو يلتزم وظيفة أصلية فيكون جزءا من الكلمة .

وقد بقى نظم الكتابة خليطا بضم كلمات يراد بها معناها الأصلي أو معناها الاستعماري
أو علامات أبجدية تدل على كلمات أو تحدد معاني كلمات .

وقد خطت الكتابة خطوة أخرى نحو النمو وأدخل عليها عنصر جديد ينحو بالكلمة
إلى الهدف المراد منها وهو ما يسمى بالخصص . فمثلا (نهت) أى جيز أضيف إليها شجرة
فأصبحت تكتب هكذا $\overline{\text{ن}} \overline{\text{ه}} \overline{\text{ت}}$. « ونفر » أى جميل أضيف إليها إضامة بردية لتدل على
الشيء المعنوى فأصبحت تكتب هكذا $\overline{\text{ن}} \overline{\text{ه}} \overline{\text{ت}}$ وكذلك غير ما تقدم من الكلمات .

والكتابة بعد هذه الخطوة أصبحت سهلة على القارئ المصرى القديم يكتبها ويقرؤها
وفهمها بيسر وسهولة بدليل أنه وقف عندها ولم يحاول أن يطوح بالخصص ويقتصر على الحروف
الأبجدية وحدها بوضع نظام يوصل إلى هذه الغاية .

ولقد اعتدنا أن نقتفى أثر الإغريق في تسمية الكتابة المصرية فنسمى بعضها « الإشارات
المقدسة » (هيروغليفية) ونسمى بعضها آخر خاصا (الميراطيقى) وهو الذى نقلنا عنه معظم ما فى
هذا الكتاب . وفى هذه التسمية بعض التجوز أو التساهل لأن الميراطيقى ليس نوعا خاصا
منفصلا عن قسمه بل هو بمثابة خط الرقعة فى اللغة العربية إن جعلنا الميرغلىفى بمنزلة خط
النسخ ، والفرق بين الاثنين كالفرق بين حروف المطبعة وخط اليد .

ومما ساعد على تقدم الأدب المصرى بوجه عام الأدوات التى كان يستعملها الكتاب
فى كتابتهم فلم يتأثروا البابليين فى طبع إشاراتهم على اللوحات الطينية التى أنتجت الخط
المسارى القبيح الشكل . بل إنهم كانوا يكتبون كما نكتب ، وبعبارة أصح أصبحنا نكتب كما
كانوا يكتبون ، فكان عندهم المداد الأسود الثابت اللون وكانوا يطحنون مادته على ألواح من
الخشب وكانوا يأخذون أفلامهم من القصب يبرون أطرافها ويدبونها وفق رغبتهم ، وكان
عندهم فوق ذلك ورق ناعم جميل صنموه من لب سيقان البردى قهياً لهم بذلك ما لم يتهيأ
لغيرهم من الأمم فنمت كتابتهم وتوطدت أركانها . ويمكننا إذا رأينا الآن النسخ الخطية التى

تركوها أن نلمح بين سطورها مهارة الكاتب وقدرته وأن ندرك من رسمها أن ناقشها كان متمكن اليد منشراح الصدر .

وكان من السهل عمل صحائف طويلة يصل طولها إلى بضعة عشرات من الأمتار بضم صحائف صغيرة منفصلة بعضها إلى بعض وإصاقها ، وهناك صحائف خطية جميلة من هذه النوع يبلغ طول الواحدة منها نحو أربعين مترا .

وكانت الكتابة عادة على وجه واحد من البردى وهو الوجه الذى تكون الألياف فيه أفقية حتى يأخذ القلم سبيله بلا مقاومة . وهذه الطريقة تستدعى الإسراف فى الورق ولم يكن فى مقدور كل كاتب مصرى أن يلجأ إليها ، ولدينا أمثلة كثيرة للكتابة على وجهى الصفحات اقتصادا فى الورق .

والشخص الذى ندين له بأمتهع مثال لدينا من هذا النوع هو صاحب (ورقة هريس) رقم ٥٠٠ إذ حصل على أوراق مكتوبة من البردى وغسل ماعليها من المداد وكتب على أحد وجهيها ثلاث مجاميع من أغاني الحب وأنشودة الشراب القديمة ، وجاء بعده كاتب آخر وكتب على الوجه الثانى من الورقة قصتين .

وقد استعمل كاتب ورقتى (لينيغراد) طريقة مغايرة للسابقة ، إذ كان يشتغل كاتب حسابات فأخذ وثائق من مصلحته وألصق بعضها ببعض ونسخ على الوجه الأبيض هاتين الورقتين محتفظا بملكية ما كتب له ولأخ عزيز مؤثوق به ، وقد حفظت لنا هاتان الورقتان تعاليم للملك « ميركارع » ونبوءة « نفررهو » .

والكاتب الذى يعجزه الحصول على ورق البردى كان يجد ضالته فى قطع الخبز فتحلل مع رخص ثمنها محل البردى ، وقد نطلق اسم الخبز على كسر من آنية الفخار أو على قطع من الحجر الجيرى الناعم ، وكثيرا ما نشاهد هذه الآثار المكتوبة ملقاة على الأرض فى أى مكان فى مصر . وكثير منها مما كان يستعمله تلاميذ المدارس المصرية القديمة لكتابة تمارينهم وقد نقلنا عنها كثيرا مما فى هذا الكتاب .

(٧) فهمنا للتون المصرية

إذا قرأنا ترجمتين لإحداها قديمة والأخرى حديثة لمتن صعب من التون المصرية هالنا ما نجده بين الترجمتين من فرق كبير ، ولا يرجع كل السبب فى ذلك إلى تقدم علم الآثار فى الزمن الحديث ، بل هناك عامل أساسى سبق أن تحدثنا عنه ، وهو نقص نظام الكتابة عند

المصريين القدماء ، فالألفاظ المصرية لم تضبط بحركات تجعل القارئ والمترجم في مأمن من الخطأ فأصبحت الكلمة المصرية يمكن نطقها بأشكال مختلفة تعطىها معانى متباينة . مثال ذلك : (سزم) فأنها تحتمل معنى من المعانى الآتية : سماع ، يسمع ، سمع ، سامع ، مسموع إلى غير ذلك ، وليس لدينا طريقة لتحقيق المعنى المقصود بالضبط إلا سياق الكلام ، وقد يضطر المترجم الأمين من علماء الآثار إلى ترك بعض الجمل من غير ترجمة أو يترجمها ويمترف بأن هناك من التراجم ما يمكن أن يخالفها ويصح اتباعه ، وذلك إذا كان المتن يضم غير المؤلف من الأساليب وغير العادى من الأفكار . أما إذا كان المتن بسيطا فإننا نجد من السياق ومن الاستعمالات الكثيرة التى صرت بنا وعرفت لدينا خير معوان يصل بنا إلى ما يهدف إليه المتن من الأفكار . وليس قصور نظام الكتابة هو كل ما يترضنا من صعاب عند ترجمتها ، بل إن استخفاف الكاتب المصرى وجهه بعمله عقبة كأداء . وأغلاط الكتاب المصريين كثيرة وشائعة وإن لم تصل إلى درجة الخطورة ، ويكفى الكاتب أن يترك أو يضيف (مخصصا) خطأ إلى كلمة فينقلب معناها ويبعد عما يريد الكاتب الإبانة عنه ، على أن للمصريين القدماء كانوا أقل احتفالا منا بأمثال هذه الأغلاط وكانوا يصححون أخطاءها أثناء القراءة على ما نعتقد ، فليس من المقول أن يصطفى إنسان كتابا وينقله لإغرامه به ثم ينقض النظر عن أخطائه الكثيرة إلا إذا كان معتمدا على تداركها عند القراءة .

ويظهر أن تلاميذ المدارس المصرية في عهد الدولة الحديثة كانوا أحيانا يؤدون واجباتهم برمين بها ، فهم ينقلون ما يكلفون نقله من المتون في سرعة وعدم اكتراث على أوراق البردى وقطع الخرف ، ولذلك فشا الخطأ في هذا العهد حتى لم تخل أسلس المتون وأسهلها عبارة منه . ولأنشك في أن جزءا كبيرا من متن موقمة قادش كان مصيره الفموض لو لم يسق الله إلينا كثيرا من النقوش التى ساعدتنا على فهمه وتصحيح أخطائه ، وما كانت نسخة « بنتاور » لتفنيينا عن ذلك فتيلا . على أن بعض التلاميذ كانوا لا يتورعون إذا صدموا بنقل كتاب يصعب عليهم فهمه لالتواء أساليبه اللغوية القديمة عن أن يغيروا فيه ما شاءوا ولو أدى ذلك إلى ضياع المعنى . ومما يؤسف له أن يقع كتاب قيم مثل تعاليم « دواوف » ^(١) فريسة في أيدي تلاميذ مدارس الأسرة التاسعة عشرة فيحرفوا الكلم عن موضعه ، وأن يحجى إخوانهم تلاميذ مدارس الأسرة الثانية والعشرين بعد بضعة قرون فيسيثوا من ناحيتهم نقل كتابات الأدب المصرى الحديث ، ولكننا نفقر لهم بعض ما أساءوا لأنهم حفظوا لنا هذا التراث من الضياع .

(١) عرفت هذه التعاليم بهذا الاسم إلى عهد قريب غير أن الأستاذ « جاردنر » أثبت أن كاتبها اسمه « خيني » كما سنرى ذلك في موضعه .

القصص المصرى

لم تصل إلينا الحياة العقلية فى مصر سلسلة متصلة الحلقات حتى تنبها من أولها إلى آخرها ، ونسلط عليها أشعة البحث والدرس ، ونخرج منها بنتيجة نقطع بها ونؤمن بصحتها . ولكنها وصلت إلينا وبها حلقات مفقودة ، فلانستطيع إلا درس ما وصلنا وبنلأ أحكامنا عليه . والمتتبع لتاريخ القصة فى الأدب المصرى لا يرى أمامه أى مثال للقصة فى الدولة القديمة ولا ما سبقها من المهود ، وإن كانت ظواهر الأحوال وإشارات « متون الأهرام » تدلنا على أنه كانت هناك أساطير وأقاصيص عن الآلهة يرجع عهدا إلى ما قبل التاريخ . ومن يدرى ! فلعل الأرض تبوح بسرها يوما ما وينشق جوفها عما نلتمسه الآن فلا نجد ، إن لم تكن عوادي الزمن قد طفت عليه .

والقصص التى وصلت إلينا من عهد الدولة الوسطى قصص ناضجة تدل على أن هذا الفن بلغ فى عهد هذه الدولة ذروته ، وإن كان قد أخذ فى الهبوط بعد ذلك ، كما أن سائر ألوان الأدب التى تنسب إلى هذه الدولة كاملة النمو أيضا ، وليس من الطبيعى أن يولد الشىء ناميا كاملا ، بل من الطبيعى أن يولد طفلا ثم يصعد فى معارج النمو حتى يستوى خلقه وتكمل بهجته فى زريع شبابه ، فأدب الدولة الوسطى جاءنا كالشعر العربى الجاهلى محكم النسيج وراق المعنى تام النمو ، فلا بد أنه بدأ مثله بمحاولات ناقصة أخذت ترقى وتم على مر الزمان . وإذا حرمنا أن عهد الدولة القديمة بين الأسرة الرابعة والسادسة عهد ازدهار فى العلم والفن من رياضة وطب وعمارة ونحت وتلوين ما ترددنا فى أن نقطع بأنه كان للأدب أيضا فى عهد الدولة القديمة شأن ، لأنه فن ولما بين الفنون من تجاوز وصلة مرجعهما نضج العقل والذوق . ومما يقوى صحة هذه النتيجة أن المصريين أنفسهم فى عهد الدولة الوسطى كانوا ينسبون ما اشتهر من حكمهم وأمثالهم إلى حكماء الأسرة الخامسة .

ولا مرأى فى أن الأدب التعليمى الذى وصل إلى ذروته عقب انقضاء عهد الدولة القديمة قد أثر تأثيراً عظيما فى خلق القصة القصيرة . وترى علامة ذلك فى القصص الثلاث الأولى التى سندرسها فى هذا الفصل ، وهى : قصة « الفريق » وقد حكيت بطريقة سهلة ولغة عذبة ، وقصة « سنو هيت » وقد خلق الكاتب لحواثها جوا وقمت فيه ونقل القارئ إليه ، ولقتها عالية دخلت فيها بعض الصناعة اللفظية ، وقصة « الفلاح الفصيح » وهى فى مجموعها قطعة

من الأدب الراقى المتكلف فى كثير من نواحيه ، وتشبه فى صناعتها مقامات الحريرى ، وقد ابتدأها كاتبها بوصف البيئة التى وقعت فيها .

وبعد عهد الدولة الوسطى نرى ركودا فى فن القصة وربما تنقض هذا رأى فى المستقبل إذا جاد جوف الأرض بما يثبت عكسه ، ولكنه لم يمت جملة ، فإنه ظهر فى عهد الدولة الحديثة سلسلة من القصص بعضها تاريخى وبعضها خرافى محض ، ولكنها بسيطة فى موضوعها ، ويظهر أنها كانت تمد لتلقى فى قصور الملوك للتسرية عنهم فى أوقات الفراغ ، وربما كان الغرض منها مجرد الدعاية كما ترى فى قصة « الملك خوفو والسحرة » ، أو لإظهار الحق فى ثوب المنتصر على الباطل بسرد أعمال عظيمة خارقة للعادة قام بها الآلهة وتنتهى بهذه النتيجة . وقد كتبت كلها باللغة المصرية الحديثة أو لغة العامة وكانت اللغة المستعملة وقتئذ .

ولا يزيد أن نتمجّل الحكم على هذه القصص الآن ، بل سنتناول الكلام على كل واحدة منها ، وطريقتنا فى ذلك هى أن نورد ملخص القصة بلغة سهلة ، ثم ثناؤها بالنقد والتحليل ، وفى النهاية نورد المتن المصرى الأصلى كما هو مترجم ترجمة دقيقة حسب التعابير المصرية الأصلية . وغرضنا من ذلك أن يقف القارئ الحديث على الأساليب المصرية القديمة بدون إدخال أية محسنات لفظية عليها أو تعابير عربية تقابل التعابير المصرية . وهذه الطريقة هى التى سار على نهجها كل علماء الآثار عند نقل أى متن من اللغة المصرية إلى لغة أوربية . ولا غرابة فإن نفس هذه الطريقة هى التى اتبعت فى ترجمة التوراة .

قصة سموهيت

أُلِّفَت هذه القصة الطريفة فى أوائل الأسرة الثانية عشرة حوالى سنة ٢٠٠٠ ق . م ، وقد ذاع صيتها ولقيت رواجا عظيما . وظلت تنسخ وتقرأ نحو ٥٠٠ سنة فى المدارس المصرية .

ملخص القصة :

روى « سنوهيت » هذه القصة بصيغة المتحدث عن نفسه ، وملخصها : أنه كان عائدا من غزو ضد اللوبيين بقيادة ولى المهد « سنوسرت الأول » ، فحدث فى تلك الأثناء أن مات الملك « أمنمحات الأول » ونماه الناعى إلى « سنوسرت » فترك الجيش وخف مسرعا إلى العاصمة ليطمئن إلى عرشه الذى آل إليه ؛ ولكن أمر الوفاة كان قد ذاع بين الأمراء المرافقين للحملة ، وسمع به « سنوهيت » خلسة ، فما كان منه إلا أن فر هاربا إلى سوريا لأسباب غامضة

لم يستطع هو أن يجد لها تعليلاً مقبولاً ، وقد أحسن استقباله هناك أحد رؤساء القبائل وزوجّه فأصبح رب أسرة ، وصارع أحد رؤساء العشائر السورية المعادية فصصره وجدّ له ، وبعد فترة طويلة عاوده الحنين إلى وطنه وتآقت نفسه للرجوع إلى مصر ليكون في خدمة مولاه الملك الذى ظل مخلصاً له طول حياته ، ولىق ربه ويدفن في البلد الذى ولد فيه وترعرع ، ولما سمع الملك بآلامه وأحلامه عفا عنه وأعاده إلى منصبه في الحكومة وسمح له أن يعود إلى وطنه معزّزاً مكرماً ليقضى ما بقي له من أيام تحت سمائه .

دراسة القصة :

يرى الأستاذ « جاردنر » الذى ترجم هذه القصة وعنى بدرسها أنها تعد من روائع القطع التى تدل على المهارة الأدبية ورقة التعبير عن الأحاسيس الانسانية :
ونرى أن هذه القصة قطعة من الأدب الكلاسيكى لأنها تجلّو لنا مرحلة من تاريخ الأدب العالمى ، ولأنها تفصح لنا عن الخلق المصرى القديم وتبديه لنا في مظهر يجمع بين السذاجة والمكر ونفاذ البصيرة والشعور بالمعظمة والبراعة في النكتة . ولا شك أن علماء الآثار المصرية القديمة الذين اتسعت آفاقهم العلمية يجحدون متاعاً ولذة في التقلبات التى صرت « سنوهيت » في مفاسراته ؛ كما أنهم يجحدون بمراحل القصة المختلفة من وصف للملك المسن ، وتصوير لهرب « سنوهيت » ، والتعبير عن مخاوفه من الصحراء ، وإطراء كرم قبائل البدو ، ومديح « سنوسرت » الأول بلغة شعرية جميلة ، وإلباس المبارزة التى تحت يده وبين الرجل السورى القوى ثوباً تلج فيه جو التوراة ، وإظهار حنين « سنوهيت » إلى وطنه المحبوب مصر في صورة صادقة للخلق المصرى الذى يعتز دائماً بوطنه ويملاً الحنين إليه فراغ قلبه ، ويأتى بعد ذلك كتاب العفو من الفرعون يمثل أسلوب الملوك الأرسطراطى ، كما يمثل عطف الملوك على المخلص من رعاياهم ، وعفوهم عن توبته ويسبق صالح عمله ، وإنعامهم عليه بما يعلى قدره ويثلج صدره ، كما يبدو ذلك من التأكيد الوارد بكتاب الفرعون عن موضوع شعائر الدفن التى كانت تشغل كل مصرى أثناء حياته . أمارد « سنوهيت » على هذا الكتاب فكان جامعاً لمظاهر الفرع العظيم من الملك القوى ، ومشاهد اللقى المصطنع المتكلف الذى يضعه بين يدى الملك ليستل بذلك سخيمته ويضمن به رضاه .

ومن الصور الحية الناطقة في القصة تلك التى رسمها « سنوهيت » بألفاظ يصف استقباله في بلاط الملك حتى كأنك حاضر بجسمك في قصر الفرعون منذ أربعة آلاف عام تشاهد

« سنوهيت » وقد قيد الفرع حركاته ، فهو يلقي بنفسه عند قدمي الفرعون طالبا الغفران ، كما تلمس قلب الفرعون وهو يضني عطفه على مولاه الغير الملابس ويقدمه للملكة ، وتكاد تسمع صوت الملكة وهي تصيح صيحة الدهشة والغرابة مما ترى ؛ وكأني بك بعد ذلك تتبع أقدام الأميرات الصغيرات في رقصهن وتؤخذ بروعة شدهن ، وتشاركهن عواطفهن عندما يطلبن المغو عن هذا المحارب الغريب .

أما ختام القصة فوصف مألوف لعهده الشيخوخة الذي قضاه صاحبه في نعيم مقيم ومقام كريم ، وهو يشعرنا بالجانب المأساوي الذي يميل إليه المصري ميلا شديدا ، والذي كان شعار الحضارة المصرية القديمة .

وبعد فإذا كنا ننادي الآن بوجوب تمخير القصة في الأدب العربي فإن المصريين القدماء قد سبقونا إلى تمخيرها بمثل قصة « سنوهيت » الذي كان دافعه الأكبر في الرجوع إلى مصر وترك ما كان فيه من عز وسيطرة ، أن يدفن في بلاده كمادة المصريين ؛ ومما تراه في جانبها أنها درس نفسي عظيم ، ومما نأخذه عليها ظهور الصناعة في الصياغة والأسلوب ؛ وإن كان ذلك يدلنا على أن الأدب المصري قد تخطى دوره الإنشائي الأول ، فإنه من ناحية أخرى نذير بالتكلف الذي يؤدي إلى انحطاط الأسلوب ، وهذا وليست نقطة الجاذبية عند القارئ المصري القديم في وقائع القصة التي يمكننا تلخيصها في بعض جمل ، بل في تعبيراتها الجذابة التي تستهوي لبه وتجعله يكف على قراءتها بلذة وشفق .

المصادر :

(١) أحدث ما كتب عن هذه القصة دراسة الأستاذ « جاردنر »

A. H. Gardiner, Notes on the Story of Sinuhe, Paris 1915

وفي هذا المؤلف يجد القارئ كل المراجع التي يحتاج إليها في درس هذه القصة .

(٢) تكلم الأستاذ « بيت » عن هذه القصة في كتابه :

A Comparative Study of the Literatures of Egypt, Palestine and Mesopotamia P. 33 ff

(٣) كتب عنها وترجمها الأستاذ « أرمن » في كتابه الأدب المصري القديم .

Erman : Die Lilttratur Der Aegypter. (translated) by Blackman. The Liteuature of The Ancient Egyptians P. 14 ff.

(٤) انظر ملاحظات عن الترجمة في مجلة الآثار المصرية :

Journal of Egyptian Archeology Vol XXII P. 35 ff

(٥) انظر ماسبرو : Popular Stories of Ancient Egypt. London 1915 P. 68 ff.

وفي هذا الكتاب يجد القارئ بحثا مستفيضا عن المصادر والنسخ التي عثر عليها مستعملة في عهد الدولة الحديثة .

(٦) انظر كذلك كتاب ماكس بيير عن الأدب المصري القديم :

Die Agyptische Literatur Von Dr Max Pieper P. 38 ff

صنع القصة :

الأمير الوراثي ، والباشا ، ومدير ضياع الملك في بلاد الأسويين ، والسمير الوحيد للملك ، والمحبيب إليه القاب « سنوهيت » ، الخادم « سنوهيت » يقول : كنت خادما يتبع سيده ، وخادم نساء الملك يخدم الأميرة ، صاحبة الثناء العظيم ، زوجة « سنوسرت » الملكية في بلدة الهرم المسماة « خم — أسوت » والابنة الملكية « لأمنمحات » في بلد الأهرام « كانفرو » المسماة « نفرو » المحترمة .

واتفق أنه في السنة الثلاثين ، في اليوم التاسع من الشهر الثالث من فصل الفيضان دخل الإله أفقه^(١) (مات) .

فطار الملك « أمنمحات » إلى السماء واتحد مع قرص الشمس وامتزج جسم الإله بجسم خالقه^(٢) وعندئذ صمت القصر وامتلاّت القلوب حزنا ، وأغلق البابان العظيمان^(٣) ، وجلس رجال القصر ورءوسهم على ركبهم ، وحزن القوم .

وكان قد أرسل جلالته جيشا إلى أرض « التمحو »^(٤) وكان بكر أولاده « سنوسرت » الطبيب ضابطا فيه ، وقد كان في هذه الأثناء عائدا بعد أن استولى على أسرى من « التمحو »^(٥) وكل أنواع الماشية التي يخطئها العد .

(١) ما ترجمته — حسب الاستعمال — « بالأفق » كان في الحالة الأولى مسكن إله الشمس في السماء ، ثم استعمل للأمكنة التي تشرق منها الشمس وتغرب فيها ، ولما كان الملك هو يمثل إله الشمس فإن قصره وقبره كان كل منهما يسمى « الأفق » والمقصود هنا هو القبر .

(٢) يسبح إلى السماء ويصير ثانية جزءا من الشمس التي خرج منها .

(٣) عند مدخل القصر .

(٤) قوم من اللوبيين في غربي الدلتا كانوا يتهبونها بانتظام .

(٥) قوم آخرون من اللوبيين .

وأرسل أمناء القصر إلى حدود غرب (الدلتا) ليخبروا ابن الملك بالحادث الذى وقع فى البلاط . وقد قابله الرسل فى الطريق ولحقوا به عند الغروب ، فلم يتأخر طرفة عين ، إذ طار الصقر ^(١) مع خادمه ، ولم يعلم بذلك الجيش . ورغم ذلك فقد أرسلت رسالة ^(٢) إلى أولاد الملك الذين كانوا معه فى الجيش وطلب واحد منهم . وتأمل ! لقد وقفت وسمعت صوته حينما تكلم ^(٣) إذ كنت عن كشب .

وعندئذ كان قلبى يتحرق ، وخارت ذراعاى ، واستولت الرعدة على جميع أعضائى ^(٤) ، فقفزت باحثا عن مكان أختبئ فيه ، فوضعت نفسى بين أيكيتين لأفسح الطريق للمسافر فيها ^(٥) . ثم سرت نحو الجنوب ، ولم يكن غرضى الوصول إلى مقر الملك ، لأثنى فكرت أن الشجار قد يقوم هناك ، ولم يكن يهمنى أن أعيش بعده . وعبرت ماء « موى » ^(٦) القريب من « الجميزة » ^(٧) ووصلت إلى جزيرة « سنفرو » ^(٨) ، ومكثت هناك فى الحقول المكشوفة ، ثم أخذت فى السير مبكراً ، وعند ما طلع النهار ، وقابلت رجلا اعترضنى فى طريقى ، وقد أظهر الرعب منى وخاف . ولما جاء وقت العشاء كنت قد اقتربت من بلدة « جو » ^(٩) فغيرت فى معبر ^(١٠) بدون سكان وبمساعدة نسيم ريح الغرب ، ومررت إلى الشرق من الحجر الذى فى إقليم « سيدة الجبل الأحمر » ^(١١) . ثم أسلمت الطريق إلى قدمى متجها نحو الشمال ووصلت « جدار الأمير » ^(١٢) الذى كان قد أقيم لصد الآسيويين والقضاء على سكان الصحراء ، وقد أخبأت نفسى فى خيمة خوفا من أن يرانى الحارس الذى كان رابضاً فوق الجدار ليل نهار .

(١) الملك الجديد « سنوسرت الأول » .

(٢) أى من حزب آخر إذ كانت هناك مؤامرة لوضع ملك آخر يناهض « سنوسرت » وقد مر « سنوهيت » على هذه المسألة دون أن يذكرها بوضوح .

(٣) من المحتمل : أنه الأمير الذى « طلب »

(٤) ربما كان الصق . الذى أزعج « سنوهيت » هو الخوف من الحرب الداخلية ، ومع ذلك لا يد أنه كان لديه أسباب أخرى جعلته يخاف ، وقد أخفاها فيما بعد بأعذار .

(٥) أى لأكون بعيدا عن الطريق المطروق .

(٦) أمكنة غير معروفة .

(٧) مكان غير معروف . لعله فى منطقة القاهرة . ومعناه « بلد الثور » .

(٨) يقصد هنا سفينة عريضة كالتى كانت تستخدم فى نقل الحجر ، وقد وجدها راسية على طول الناطق .

(٩) جبل شرق القاهرة يوجد فيه الحجر الرملى الأحمر الذى كان المصريون مغرمين بعمل تماثيلهم منه ، وهو لا يزال يبنى إلى الآن الجبل الأحمر : وهذه الحماجر لا تزال مستعملة والآلهة التى تعبد هناك تسمى سيدة الجبل الأحمر .

(١٠) اسم استحكام يذكر كثيرا والفرض منه صد البدو .

وقد استأنفت البير ليلا ، ولما طلع فجر النهار وصلت إلى « بن » ووقفت عند جزيرة « قور »^(١) . وهنا أغمى على حتى سقطت من الظمأ ، وكنت صاديا وحجرتي تحترق ، وقلت : « هذا هو طعم الموت » . ولكنى رفعت قلبي وجمعت أعضائي لأتني سمعت صوت ثناء الماشية وخوارها ، ورأيت بدوا . وقد عرفني الشيخ^(٢) الذي كان بينهم ، وقد كان فيامضي في مصر ، فقدم إلى ماء ، كما كان يعطيني لبنا ، وذهبت معه إلى قبيلته ، وقد عاملوني بشفقة .

ثم أسلستى أرض إلى أرض^(٣) ثم استأنفت السير إلى « جبيل » وتابعت السير إلى « قدى » وقضيت هناك نصف عام . ثم أخذني « ننشى » بن « آمو أمير رتنو العليا »^(٤) وقال لى : « إن حالك مى سيكون حسنا ، لأنك تسمع هنا كلام مصر » ، وقال لى هذا لأنه عرف صفاتى وسمع بحكمتى ، وقد شهد لى المصريون الذين كانوا معه هناك .

وقال لى : « لماذا أتيت إلى هنا ؟ هل حدث شىء فى مقر الملك ؟ » فقلت له : « إن الملك (سحبت أبرع)^(٥) قد ذهب إلى الأفق ولا يعرف أحد ماذا تم فى هذا الأمر » . وقلت ثانيا متعاميا : « إني أتيت من حملة أرض « التحو » وقد أخبرت الخبر فارتعدت فرائصى ولم يعد قلبى يستقر فى جسمى ، وقد أقصانى على طريق القفار ، مع أنه لم يم على أحد ، ولم يصب فى وجهى إنسان ، ولم أسمع كلمة قذف ، ولم يسمع اسمى فى قم اللنادى^(٦) . ولا أعرف ماذا أتى بى إلى هذه الأرض ، فكأنه القضاء والقدر^(٧) . وعندئذ قال لى : « وكيف يكون حال تلك البلاد من بعده ، ذلك الإله المحسن ، الذى كان مهابا فى كل الأراضى مثل « سخمت »^(٨) فى عام وباء ؟ » ولكنى قلت له مجيبا إياه : « فى الحق أن ابنه قد دخل القصر وأخذ إرث أبيه ، وهو الإله المنقطع القرين الذى لا يفوقه أحد ، وأنه رب الحزم المتفوق فى النصيحة ، والحازم فى إعطاء الأوامر ، والرواح^(٩) والندو تحت إرادته ، وهو الذى أخضع الأراضى

(١) اسم البحيرات التى على برزخ السويس .

(٢) حيثئذ كان سنوهِيت شخصية عالية يعرفها كل واحد فى مصر .

(٣) أى انتقلت من بلد إلى بلد . ونلاحظ أن الشاعر لم يتعب القارىء بذكر البلاد التى مر بها « سنوهِيت » ، والى لم يكن هو نفسه يعرفها طبعاً . وقد ذكر « جبيل » الميناء للمروف عند سفح جبل لبنان والذى كان يجلب المصريون منه الخشب ، كذلك ذكر « قدى » التى يحتمل أن تكون واقعة فى الشرق من « جبيل » .

(٤) هى ما نسميه الآن فلسطين .

(٥) اللقب الرسمى للملك المتوفى أى « امنمجات » الأول .

(٦) يؤكد بذلك أنه لم توجه إليه تهمة .

(٧) أى أن قوة خارقة للعادة تدخلت .

(٨) الإلهة المرعبة التى لها رأس أسد ، وتعتبر إلهة الحرب والقوة .

(٩) من مصر إلى الحرب .

الأجنبية ، في حين كان والده جالسا في القصر ليتلقى أن ما قد أمر به قد نفذ .
« وأنه القوى الذى يحرز (النصر) بساعده القوى ، البطل الذى لا نظير له عندما يشاهد
منقضا على العدو ، أو مقتربا من حومة الوغى ، وهو الذى يثى القرون ^(١) ، ويضعف الأيدي ،
وأعداؤه لا يمكنهم تنظيم صفوفهم .

وإنه لمنتقم ، محطّم للجباء ، ولا أحد يجسر على الوقوف بجواره .
وهو الواسع الخطى المهلك للمهارب ، ولا نهاية لمن يولى ظهره له . (أى أن المهارب
لا يصل إلى غايته سالما) .

شجاع القلب عند ما يرى الجوع ، ولا يسمح لقلبه بأية راحة .
الجسور عند ما ينقض على الشرقيين ، وسروره أن يأسر « الربدتو » (العدو ^(٢)) .
وهو يقبض على درعه ، ويدوس تحت القدم (العدو) ، ولا يميل ضربته ليقتل (أى
لا يضرب إلا ضربة واحدة قاتلة) .

وليس هناك من حوّل سهمه (عن هدفه) ، وليس هناك من حنى قوسه (لصلابته) .
و « شنب الأقواس » يهرب أمانه كما يهرب أمام قوة « الآلهة العظيمة » ^(٣) .
وهو يحارب بدون نهاية ، وهو لا يبق ولا يذر .

وهو رب الرشاقة ، غنى في عذوبة ، وبالحبة قد تغلب (على قلوب الناس)
ومدينته تحبه أكثر من نفسها ، وهى تتنهج به أكثر من لآلهما .
والرجال والنساء يعمرون أمام قصره ^(٤) فرحين به .

وهو ملك قد فتح وهو لا يزال فى البيضة (أى طفلا) ، وقد كانت وجهته أن يكون
ملكاً منذ ولادته .

وهو الذى يكثّر عدد من ولدوا معه ^(٥) ، وهو نسيج وحده ، ومنحة من الله .
وإن تلك الأرض التى يحكمها تتنهج به ، فهو الذى يمد الحدود .
وسيفتح الأراضى الجنوبية ، ولكنه إلى الآن لم يلتفت إلى الأراضى الشمالية .
ومع ذلك فقد خلق ليضرب (على أيدي) البدو ، ويحطم سكان الرمال .

(١) قرن العدو الذى يشبه بالثور فى قوته (كناية عن البطش والغلبة) .

(٢) الصل الذى على جبهة اله الشمس وهو الذى يحرق الأعداء إذا أرادوا الاقتراب من الملك .

(٣) ليؤدوا له الاحترام .

(٤) أى يزداد عدد الناس تحت حكمه .

أرسل إليه ، دعه يعرف اسمك ، ولا تنطقن بلعنة ضد جلالته ، وهو لا يفوته أن يعمل خيراً إلى أرض ستكون مسألة له» ،
ثم قال لى : حقا أن مصر سعيدة لأنها تعرف أنه ^(١) يفلح (فى حكمه) ، ولكن تأمل !
إنك هنا وستسكن معى ، وسأعاملك بشفقة .

وقد جعلنى على رأس أولاده ، وزوجنى من كبرى بناته ، وقد جعلنى أختار لنفسى من بلاده أحسن مافى حيازته على حدوده إلى بلاد أخرى ، وقد كانت أرضا جميلة تسمى «ياد» ، وكان فيها التين والكروم ، ونبذها أكثر من مأها . شهدها غزير ، وزيتونها كثير ، وكل الفاكهة محملة على أشجارها . وكان فيها الشعير والقمح ، وماشية يخطئها العد من كل نوع . وكذلك كان نصيبى عظيما بسبب ما تلت من الحب ^(٢) (حب الناس) ، وقد نصبتى حاكم قبيلة من أحسن قبائل بلاده ، وقد كان يضع لى الخبز لأكلى اليومى ، واختر لشرابى اليومى ، وكذلك اللحم المطبوخ والدجاج المشوى ، هذا فضلا عن صيد الصحراء ، لأن ذلك كان القوم يصطادونه ، ويضعونه أمامى خلافا لصيد كلابى . وكان يضع لى كثيرا من الحلوى ، ويحضر اللبن بكل الأشكال .

وقد قضيت سنين عدة ، وقد نعا أولادى ، وأصبحوا رجالا أشداء كل يحكم قبيلته . والرسول الذى كان يأتى من قبل مقر الملك شمالا أو جنوبا ، كان ينزل عندى . وقد أعطيت ماء للظمان ، وهديت إلى الطريق من كان ضالا ، وخلصت من كان قد نهب . ولما أخذ البدو يخرجون عن الطاعة ويقاومون رؤساء الصحارى كبحت جاجهم ^(٣) . وذلك لأن أمير فلسطين قد جعلنى عدة أعوام رئيس جيشه ، وكل بلاد سرت إليها قد طردتها من مراعيها وآبارها ، ونهبت ماشيتها ، وأسرت أهلها ، وحملت طعامهم ، وذبحت القوم فيها بساعدى القوى وبقومى وهجائى وتدايرى الحسنة . وقد حزت بذلك الخطوة لديه ، وأحببى ، وقد جعلنى على رأس أولاده عندما شاهد كيف تتفوق يداى .

وقد جاء رجل قوى من فلسطين ليبارزنى فى معسكرى ، وقد كان بطلا منقطع النظير أحضع كل فلسطين ، وقد أقسم أن يحاربنى ، وقد دبر سرقتى ، وتآمر على أن يأخذ ماشيتى

(١) أى الملك الجديد ، نلاحظ أن الأمير المتوحش لم يحاول منافسة « سنوهيت » فى نشيده فى المدح والفضيلة بل يمجيه بأسلوب نثرى جاف .

(٢) الهدايا التى قدمت إليه باعتباره رئيس القبيلة .

(٣) قد يعنى أنه قاد حملات الأمير الحربية .

غنيمة بمشورة قبيلته . وقد تكلم مى هذا الأمير فقلت له : أنا لا أعرفه ، وفى الحقيقة لست عاقلًا له ، ولا من الأفراد الذين حاموا حول معسكره . ومع ذلك هل فتحت بابه قط أو اخترقت سياجه ؟ كلا . إن ذلك حقد لأنه يرى أنى أنفذ أوامرك . والحق أنى كشور الماشية فى وسط قطع غريب وثور الأبقار يهاجه ، والثور صاحب القرن الطويل ينطحه ؛ وهل يوجد رجل خامل الذكر يكون محبوبا فى منزله سيدا ؟ وليس هناك بدوى يحالف رجلا من الدلتا ، إذ ما الشيء الذى يمكن أن يربط البردية بالصخرة ؟ هل يحب الثور النزال ويريد من ثور أقوى منه أن يعلن تفهقره خوفا من أنه ربما كان مضارعا له فى القوة ؟ فإذا كان قلبه مصمما على الحرب فدعه ينطق بإرادته . وهل الإله يعلم ما قدر له ، أو هل يعرف هو كيف يكون المصير ؟^(١) . وفى وقت الليل شددت قوسى ، وفوقت سهامى^(٢) ، وأرهفت خنجرى وصقلت أسلحتى ، وعند الفجر كانت فلسطين قد جاءت ، إذ أنها أثارَت قبائلها وحشدت نصف ممالكها وهيأت هذا النزال ، وقد برز إلى السكان الذى كنت أقف فيه وقد وقفت بالقرب منه ، وكان كل قلب يحترق ، من أجلي ، ولنظ النساء والرجال ، وكان كل قلب مكلوما بسببى . وقالوا (هل هناك رجل آخر شديد يستطيع منازلته^(٣)) ؟ .

ثم سقط درعه وفأسه وحزمة حراجه عندما تفاديت سلاحه وجعلت سهمه يمرى طائشا . ولما اقترب كل منا من الآخر هاجنى ، وأرسلت سهمى عليه فلصق بمنقه ، فصاح وسقط على أنفه ، وألقىته أرضا بفأسه ، وصحت صيحة النصر على رقبته ، وصاح كل أسيرى ، وقدمت الثناء « لمتو »^(٤) قربانا . وحزن له أتباعه . أما هذا الأمير « ننشى » ابن « أمو » فضمنى إلى صدره .

وبعد ذلك أخذت متاعه ، وأتلفت ماشيته ، وما قد دبره من النكاية فى جملته يحيق به ، واستوليت على كل ما فى خيمته ، ونهبت معسكره ، وقد أصبحت عظيما بهذا وأسما فى ثروتى ، غزيرا فى قطمانى .

وقد فعل الإله^(٥) (ذلك) رحمة بفرد غضب عليه وجمله يفر إلى أرض أخرى . واليوم أصبح قلبه فرحا ثانية .

(١) يحتمل أن المعنى — النتيجة موكولة إلى القدر .

(٢) على سبيل التجربة .

(٣) يقصد بذلك خصم « سنوهيت » .

(٤) اله الحرب

(٥) ربما يقصد بذلك الملك الذى يعزو إليه « سنوهيت » تفوقه فى هذا النزال

كنت فارًّا هرب في وقته
والآن يكتب التقرير عني في مقر الملك
وكنت ثقيلًا يتضاءل بسبب الجوع
والآن أقدم الخبز إلى جاري
وكنت رجلاً ترك بلاده بسبب العرى
والآن أرتدى الملابس البيضاء والكتان
وكنت رجلاً أسرع الخطى لعدم من أرسل
والآن أملك العبيد بكثرة
يتى جيل ، وعمل إقامة رحب
وإني أذكر في القصر الملكي

وأنت يَاها الإله ، أيا كنت ، الذي أمرت بهذا الحرب ، كن رحيمًا وأعدني ثانية إلى
مقر الملك . وربما تسمح لي أن أرى المكان الذي يسكن فيه قلبي ، والأمر الذي هو أهم من
ذلك أن تدفن جثتي في الأرض التي ولدت فيها . تمال لمساعدتي . ولقد وقع حادث سعيد .
لقد جعلت الإله يرحمني ، وليته يرحمني ثانية حتى تحسن خاتمة من قد عذبه ، وقلبه رحيم
يحن لمن حتم عليه أن يعيش في الخارج . وإذا كان رحيمًا بي اليوم فليته يصني إلى دعوات فرد
ناه ، وليته يعيد من قد نكبه إلى المكان الذي أخذ منه .

آه ليت ملك مصر يرحمني حتى أحيا برحمته ، وليتني أسأل سيدة الأرض التي في قصره
عن إرادتها . وليتني أسمع أوامر أولادها .

آه ليت جسمي يعود إلى الشباب ثانية لأن كبر السن قد نزل بي ، واستولى على
الضعف ، وعيناي ثقيلتان ، وذراعاي ضعيفتان ، وساقاي قد وقفتا عن السير ، وقلبي متعب
والموت يقترب مني ، حينما سأحمل إلى مدن الأبدية^(١) دعني أخدم سيدتي الملكة ، وليتها
تحدث إلي عن جمال أطفالها ، وليتها تخلع علي (قبرا) للأبدية^(٢) .

واتفق أن جلالة الملك (خبر كارع)^(٣) قد حدث عن الحالة التي كنت عليها^(٤) ،

(١) المقابر في مصر

(٢) أي ليت سيدته القديمة الملكة « نفرو » تأخذه ثانية في خدمتها أو تمنحه قبرا بجوار قبرها

(٣) اللقب الرسمي « لسوسرت » الأول

(٤) إن الفرد الذي قام بهذه المفاوضات قد ترك عمدا دون أن يذكر . وقد سبق ذكر مرور

الرسول « بسنوهيت » وإكرام وفادتهم .

وعلى ذلك أرسل إلى جلالتة هدايا من الفيض الملكي لينشرح صدر الخادم هناك^(١) كأنه أمير بلد أجنبي . وكذلك أولاد الملك في القصر جعلوني أسمع أوامرهم^(٢) .

(صورة من القرار الملكي الذى أحضر إلى الخادم المتواضع
خاصا بعودته إلى مصر)

(حور) ، حياة المواليد المثل للآهتين حياة المواليد ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى
« خبر كارع » بن « رع » ، « سنوسرت » ، الحى إلى أبد الآبدين^(٣)

قرار ملكى إلى التابع (سنوهيت)

انظر ، إن قرار الملك هذا قد أحضر إليك ليملك بما هوأت : « لقد اخترقت الأراضى
الأجنبية ، وخرجت من « كدى » إلى فلسطين وقد أسلمت لك أرض إلى أرض ، وذلك بمشورة
قلبك . فما الذى فعلته حتى يبرم شئ . ضدك ؟ إنك لم تلمن حتى تمنف على كلامك . ولم تتكلم فى
محل الحكم حتى يلمن حديثك . وهذا العزم (على القرار) قد ملك عليك قلبك أنت ، ولم يكن
فى قلبى شئ . ضدك (عن هذا الحرب) ولكن سماءك هذه^(٤) التى فى القصر لا تزال
تسكن وتفلح اليوم . ولما نصيبها فى ملك الأرض وأولادها فى البلاط . وليتك نميش
طويلا على الأشياء الطيبة التى سيعطونك إياها^(٥) وليتك تحيا على فيضهم .
تعال ثانية إلى مصر لترى مقر الملك الذى تموت فيه ، وتقبل الأرض عند البابين
المعظمين ، وتنال نصيبك بين رجال القصر .

وذلك لأنك قد أخذت فعلا تتقدم اليوم فى السن ، وقد ضيعت شبابك ، فكفر فى يوم
الدفن والرور إلى دار النعيم^(٦) ! وكيف سيخصص الليل لك بالمطور والأكفان من
يد « تابت »^(٧) . وسيقام لك محفل جنازى يوم الدفن وسيكون غطاء المومية من الذهب ،

(١) التعبير المؤدب عن « أنا »

(٢) أى كتبوا إلى أيضا

(٣) الألقاب الرسمية وقد وضع أول القرار فى صورة رسمية

(٤) الملكة (وتشبه بالإلهة توت التى تمثل بالسماء)

(٥) الأغذية التى سيرسلونها إليك حينما تعيش مرة أخرى فى البلاط

(٦) أى يجيبه بين الموتى المحترمين . وفى الجمل التالية وصف لتحنيط والدفن وهو من
الأوصاف القذة .

(٧) إلهة الغزل .

والرأس من اللازورد ، وسيقام فوقك سماء^(١) ، وستوضع زحافة^(٢) ، وتجرك الثيران ويمشى أمامك المغنون ، ويقام أمامك رقص (مور) عند باب قبرك . وقائمة مائدة القربان ستتلى من أجلك . وتذبح الضحايا بالقرب من لوحتك ، وعمدك^(٣) تصنع من الحجر الأبيض في وسط مقابر أولاد الملك ، وعلى ذلك لن تموت في الخارج ، ولن يدفنك الأسويون ، ولن توضع في جلد غنم عندما يصنع لك قبرك . حقا كل هذه الأشياء ستسقط في الأرض ، ولهذا يجب عليك أن تفكر في جثتك وتعود .

وقد وصلنى هذا القرار الملكى عندما كنت واقفا في وسط قبيلتى . وقد قرىء على فانبطحت على بطنى ، ولمست التراب ، ونثرته على شعرى . ومشيت حول ممسكرى فرحا قائلا : (كيف تفعل أشياء مثل هذه لخادم قد أضله قلبه وقاده إلى أراضٍ متوحشة ؟ نعم إن ذلك الواحد المحسن الذى يخلصنى من الموت طيب حقيقة . وإن^(٤) حضرتك ستسمح لى بأن أختم نهاية حياتى فى مقر الملك .

(صورة من الاعتراف بهذا القرار الملكى)

يقول خادم نساء القصر (سنوهيت) — فى سلام غاية فى الرقة — إنه من المحقق أن هذا الحرب الذى ارتكبه الخادم هناك (أنا) كان بدون تعقل ، بحياتك أنت يا أيها الإله الطيب يارب الأرضين^(٥) ، المحبوب من رع ، المتنى عليه من «منتو» رب «طيبة» . ليت «آمون» رب الكرنك ، و«سبك» ، و«رع» ، و«حور» ، و«حاتحور» ، و«آتوم» ، و«تاسوع الآلهة» ، و«سبدو» — نغريابو — سهر «حور الشرق»^(٦) ، وسيدة «بوتو» الموضوعة فوق رأسك^(٧) ، ولله الماء ، و«مين — حور» ، الذى يوجد فى البلاد الأجنبية ، و«وررت» سيدة «بنت» ، (بلاد الصومال) «وحرور — رع» ، وكل آلهة مصر وجزر البحر^(٨) — ليتهم كلهم يمنحون

(١) غطاء الزحافة التى تجر المتوفى وكان يعمل أحيانا على شكل السماء . وكان غطاء التابوت يعتبر رمزا لإلهة السماء (نوت)

(٢) كان المصريون فى المهود الأولى يستعملون الزحافات لنقل الأثقال والجثث كذلك

(٣) أى لوحة قبرك وعمده

(٤) ترجمة لفظة (كا) التى كانت تشعر وتفظن

(٥) التعبير المادى لمصر العليا والسفلى

(٦) الآلهة الذين فر فى أرضهم «سنوهيت»

(٧) الصل الملكى

(٨) الجزائر اليونانية

أنفك الحياة ، وليتهم يمنحونك هداياهم ، وليتهم يعطونك الأبدية المطلقة ، والخلود الأبدى .
والناس يتحدثون عن الخوف منك في السهل والحزن ، وقد أخضعت كل ما تحيط به
الشمس . وهذه الصلاة من الخادم هناك (أنا) إلى سيده لينجيه من الغرب^(١) ، رب الفطنة الذي
يفهم صفار الناس ، قد أدركها في قصره النيف^(٢) والخادم هناك خاف أن يقولها لأن ذلك
أمر خطير أن يعيدها ، وأنت أيها الإله العظيم الذي يمسئ^(٣) « رع » في إعطاء الفطنة لفرد
يجاهد لنفسه ، وخادمك هذا في يد ناصح طيب في مصلحته ، وفي الحق أنى قد أصبحت تحت
إرشاده لأن جلالتك (حور) المظفر ، وساعداك قويان على كل البلاد .

والآن فلتأمر جلالتك أن يحضر (مكي) من (كدمي) « وختواش » من بلاد « ختكتش »
و « منوس » من أراضى « الفنخو » . وهم أمراء مشهورون قد نموا على حبك غير أنهم
منسيون ، وفلسطين ملكك كأنها كلابك^(٤) .

أما من ناحية هذا الحرب الذي فعلته فلم أدبره ، ولم يكن في قلبي ، ولم أفهمه ، ولم أعرف
الشيء الذي أقصاني عن مكافئ ، وقد كان ذلك حكم كما لو كان رجل من الدلتا يرى نفسه على
غفلة في (الفتتين) أو رجل من المستنقعات في النوبة . ولم يكن هناك أى شيء أخافه ، ولم
يطاردنى إنسان ، ولم أسمع أى كلام معيب ، واسمى لم يسمع في فم النادى . وكل ما حدث أن
جسمى أخذته الرعدة وبدأت قدماى تخوران ، وقادنى قلبي ، والإله الذى أمر بهذا الحرب
جرنى بعيدا . ومع ذلك لم أكن دعيما من قبل^(٥) . على أن الرجل الذى يعرف بلاده يخاف ، لأن
« رع » قد بث خوفك في كل الأرض ، والرعب منك في كل البلاد الأجنبية . وسواء أ كنت
في مقر الملك أم في هذا المكان ، فانك أنت الذى في قدرتك أن تظلم ذلك الأفق^(٦) ، وتطلع
الشمس بإرادتك ، ومياه النهر تشرب حينما تريد ، وهواء السماء يستنشق حينما تأمر .

وسيسلم خادمك مركز الوزارة الذى كنت أشغله في هذا المكان^(٧) . ولكن دع جلالتك
تفعل ما تريد . فالناس يعيشون على النفس الذى تمنحه . ليت (رع) و (حور) و « وحاتحور »

(١) عالم الموتى

(٢) أى أنك خمنت ما أريد من غير أن أنطق به

(٣) يريد أن يظهر للملك أنه يعيش في بلاد موالية ، وأن الأمراء المذكورين يشهدون بذلك .

(٤) أى لم أندفع في وقاحة زائدة

(٥) قد يعنى — أنك الذى في قدرتك أن تحمطنا نفوس في الليل

(٦) فهو يعتبر نفسه ككاتب الملك

يحبون أنفك الرفيع^(١) الذى يريد «منتو» رب طيبة أن يبق إلى الأبد .

وقد حضر إلى هذا الخادم الرسل . وقد سمح لى أن أمضى يوما في «باء» وسلمت فيه متاعى إلى أولادى ، فأصبح ابنى الكبير المشرف على قبيلتى ، وكل ما أملك أصبح فى يده : عبيدى وكل ماشيتى ، وفاكهتى ، وكل شجرة لذينة أملكها .

ثم سار هذا الخادم التواضع نحو الجنوب ، ووقف عند «ممرات — حور»^(٢) وأرسل القائد الذى كان مكلفا بحراسة الحدود هناك رسالة إلى مقر الملك تحمل الأخبار بوصولى . فأرسل جلالاته أحد رؤساء الصيد فى القصر ممن يشق بهم ومعه سفن محملة بالهدايا من الفيض الملكى للبدو الذين أتوا مى ليقودونى إلى «ممرات — حور» ، وقد ناديت كلاً منهم باسمه^(٣) .

وكان صناع الجمعة يعجنونها ويصبونها فى حضرتى . وكان كل خادم منهمكا فى عمله ، ثم أخذت فى سياحتى إلى أن وصلت بلدة «فاتحة الأرضين»^(٤) وعند انفلاق الصبح ، أتوا ليطلبونى مبكرين جدا ، وقد كان عشرة رجال يأتون وعشرة رجال آخريين يذهبون ليقودونى إلى القصر .

واستلمت الأرض بين تمائيل أبى الهول بجبتهى . ووقف أولاد الملك عند الباب ، واستقبلونى ، أما أمناء القصر الذين يقودون إلى القاعة فإنهم ذهبوا بى إلى الطريق المؤدية إلى الحجرة الخاصة ، فوجدت جلالاته على عرشه العظيم فى مدخل من الذهب ، فانبطحت على بطنى وذهب عنى عقلى فى حضرتة ، مع أن هذا الإله حيائى بفرح . وقد كنت كرجل أطبق عليه الظلام ، إذ فرت روحى وتزلزلت أعضائى ، ولم يعد قلبى فى جسمى ، ولم أشعر إذا كنت حيا أو ميتا .

وعندئذ قال جلالاته لأحد هؤلاء الأمناء : «ارفعه ودعه يكلمنى» . وقال جلالاته : «انظرا ! لقد عدت بعد أن قطعت الصحارى واخترقت الفياقى . والكبر قد تغلب عليك ، وقد بلغت الشيخوخة ، وإنه ليس بالأمر الهين أن يدفن جسمك فى الأرض ، دون أن يسير فى مشهدك المتوحشون . ولكن لا تبق هكذا صامتا باستمرار عند ما ينطق باسمك» . ولكن فى الحق خفت العقاب وأجبت عن ذلك جواب الخائف : «ماذا يقول سيدى لى ؟ ليت فى مقدورى أن أجيب عليه ، ولكن لا يمكننى . انظرا ! كأن ذلك بد الله ، إذ أن الفرع الذى فى جسمى كالفرع

(١) الأنف هو مركز الحياة

(٢) على حدود مصر ، على الفرع البلوزى للنيل ، ومنها كانت الجيوش المصرية تتحرك للغزو

(٣) لى يقدمهم إلى الموظفين المصريين

(٤) أسم العاصمة وقتئذ ، وهى تقع فى موضع «الشت» الحالية جنوبى «منف»

الذى سبب هذا الحرب الذى قُضى به على . انظر لى فى حضرتك والحياة ملكك ، وليت جلالتك تتصرف كما تريد .

تم أمر بدخول أولاد الملك ، وقال جلالته للملكة : « انظرى . هذا هو «سنوهيت» الذى عاد كاسيوى من نسل أهل البدو » . فصاحت صيحة عالية جدا ، وكذلك صاح أولاد الملك معا وقالوا لجلالته : « حقا كأنه ليس هو يأبها الملك ، ياسيدى ، فقال جلالته « حقا إنه هو . » وبعد ذلك أحضر من معهن غقودهن ودوفهن وصاجاتهن ورفعنها إلى جلالته^(١) قائلات : « لتكن يدك على الواحدة الجميلة ، أيها الملك الخالد ، على حلى (سيدة السماء) . ليت «الواحدة الذهبية»^(٢) تمنح الحياة أنفك ، و «سيدة النجوم»^(٣) تضم نفسها إليك . دع آلهة الوجه القبلى تنحدر مع النهر ، وآلهة الوجه البحرى تصعد مع النهر^(٤) متحدثين ومنصمتين فى اسم جلالتك^(٥) . ليت الصل يوضع على جبهتك . لقد خلصت رعياك من الأذى . ليت «رع» يكون رحيا بك ياسيد الأراضين . مرحبا بك وكذلك بملككتنا . اخرج قرنك^(٦) وانزع قوسك ، وامنح النفس من قد احتشق ، وامنحنا هدية جميلة للعيد . هذا الشيخ ابن آلهة الشمال^(٧) ، البدوى المولود فى مصر .

« وقد هرب خوفا منك ، وترك الأرض رعبا منك ، ولكن الوجه الذى قد رأى جلالتك لن يصفرا بعد ، وأما العين التى شاهدتك فلن تخاف »^(٨) وعندئذ قال جلالته : « لن يخاف ، ولن يرتاع ، لأنه سيصير أمينا فى القصرين الحكام وسيوضع بين رجال الحاشية . اذهبوا إلى قاعة الزينة^(٩) لتكونوا فى خدمته » . وبعد أن تركت الحجرة الخاصة ، وقد صاغنى أولاد الملك ، ذهبنا إلى البابين العظيمين^(١٠) ،

-
- (١) كانت الدفوف والصاجات التى تعزف بها النساء وكذلك عقودهن الكبيرة من خواص المهتمن « حاتحور » وإذا رفعنها لأى إنسان أثناء الرقص فانهن يمنعه بركة الالهة .
 (وما يلى عبارة عن الأغنية التى كن يتفنين بها مع العزف) .
 (٢) حاتحور . (٣) أى أن تاج كل من الوجهين يملك الآخر .
 (٤) يبنى أن كلا من الوجهين خاضع لك ويصعد لأواسرك .
 (٥) كان الملك يمثل كثور ، وكان ينبجى من يخرقه بقرنه .
 (٦) هنا ينتسب « سنوهيت » إلى لاهة الشمال بصفته متوحشا .
 (٧) المعنى : أنه لا يزال خائفا لأنه لا يعرف طيبة جلالته كما عرفناها .
 (٨) قد يحتمل أن المقصود هو : أن يساعدوا « سنوهيت » فى ملابسه الضرورية
 (٩) أى خارج القصر .

وقد أسكنت في بيت ابن من أولاد الملك ، وكان مزينا بشمين الأثاث ، وكان فيه حمام وأشكال ملونة للأفق ، وكان فيه أشياء ثمينة من الخزانة ، فكان فيه ملابس الكتان الملكي والبخور والزيت الثمين الخاص بالملك ورجال البلاط الذين يحبهم ، وكان كل خادم في عمله . وقد أخذت السنون تذهب عن جسمي ، وأزيلت لحيتي ورجل شعري . وقد ألقى في الصحراء حل أوساخ ، وأعطيت الملابس القذرة رجال الرمال .

وقد زينت بأحسن ملابس الكتان ، ودلكت بأحسن الزيت . وفي الليل نمت على سرير ، وتركت الرمال لمن هم فيها ، وزيت الخشب لمن يدلك نفسه به .
وقد أهدى لي بيت حاكم مقاطعة كما يليق بسمير ملكي . وقد بناه كثير من الصناع ، وكانت كل الصناعة الخشبية فيه جديدة .

وكان يؤتى إلى الطعام من القصر ثلاث مرات وأربع مرات في اليوم ، هذا فضلا عما أعطانيه أولاد الملك بدون انقطاع في أي وقت .

وقد أقيم لي قبر من الحجر في وسط المقابر^(١) ، والبناءون الذين ينحتون المقابر قد وضعوا تصميمه ، وكبير مهندسي العمارة بدأ في بنيته (٢) ، وأخذ النقاشون ينقشونه ، وأخذ مهرة النحاتين ينحتون فيه ، أما رؤساء بنائي الجبانة فوجهوا عنايتهم له^(٣) ، وكل ما يحتاج إليه من لاعم المتاع الذي يوضع في القبر^(٤) قد مدّ به . وقد رتب لي كهنة جنازيون ، وصنعت لي حديقة للقبر كان فيها حقول مقابلة للأوى كما كان يصنع للسمير الأول للقصر ، وقد رصع تمثالي بالذهب^(٥) ومثّره كان من خالص النضار ، وإن جلالتة هو الذي أمر بصنعه . وليس هناك رجل فقير قد عمل له مثل ذلك ، وقد تمت بمطف من الفيض الملكي إلى أن أتى يوم المات .

« كتبت من البداية إلى النهاية كما وجدت مخطوطة »

(١) كان أعضاء حاشية الملك يدفنون حول قبر مليكهم .

(٢) يقصد أن خيرة الصناع الذين في هرم الملك يعملون كذلك في قبر « سنو هيت »

(٣) القرايين الكثيرة التي يجب أن يمتل عليها قبر مجهز بكل شيء .

(٤) الذي نصب في القبر

قصة الغريق

ملخص القصة :

في يوم أرسل الملك أميراً من أمراء الفنتين إلى أرض الإله (بلاد الصومال) ليحضر بعض النفائس ، فلم يوفق في مهمته فرجع خائباً ، ولاقى في طريقه أهوالاً عظيمة وصل بعدها إلى أرض الوطن سالماً . ولكنه كان حزينا يتوقع شراً مستطيراً عند مقابلته لفرعون وإخباره بما منى به من الفشل ، وكان له تابع أمين أحزنه ما رآه على وجه متبوعه من الحزن والألم ، فأراد أن يهديء خاطره ويخفف من آلامه ، فذكر له « أنه كان مسافراً على ظهر سفينة إلى بعض الأصقاع الفنية بمعادنها ليؤدي رسالة ملكية (ويظهر أن الأرض التي كان يقصدها هي سيناء) وحدث أن ثارت عاصفة هوجاء حطمت سفينته وأرسلتها إلى قعر البحر ، ففرق ركبها ولم ينج إلا ذلك التابع البحار حيث حمله الموج على أجنحته إلى جزيرة رملية ، فلما أفاق من غشيته رأى أمامه ثعباناً هائلاً فكاد يطير قلبه شعاعاً ، ولكن ذلك الثعبان الهائل حارس الجزيرة أحسن استقباله وأخذ يطيب خاطره ويسرى عنه بذكر مجازفة حدثت له مثل مجازفة ذلك البحار ، وانتهت بنجائه ، ثم تنبأ له بأن سفينة مصرية ستمر بهذه الجزيرة وستحمله إلى مصر سالماً . ويظهر أن هذه القصة ، التي قصها التابع ليتأسى بها متبوعه ولتهدأ يباعها نفسه إذا ما رأى أن الأمور المحزنة قد تنتهى بخير وسلام ، لم تحدث أثرها المطلوب في نفس سامعها ، إذ أن البحار ما كاد ينتهى من سردها حتى فاجأه ذلك الأمير بقوله : « إن قوئك هذا كمن يسقى طيزاً في الصباح المبكر ليذبحه بالنهار » ، أى أنه مقضى عليه بالموت لا محالة فلا فائدة من هذه المسكّنات .

دراسة القصة :

تعد هذه القصة من القصص النادرة التي وصلت إلينا كاملة غير منقوصة . فقد جاء في نهايتها : « لقد كتب هذا الكتاب من البداية إلى النهاية » على عادة الكتاب المصريين إذا تمتموا من كتابة مقالة شعراً أو نثراً ذيلوها بهذه العبارة ، فلم يفقد إذن من نهايتها شيء ، كما قلنا بدايتها ليست مهشمة أو ممحوة ، فالقصة على ما تمتد كاملة . ولكننا لاحظنا أن استهلاكها كمن نسيج وحده ، وليس له نظائر سابقة في القصص ، فقد جاء فيه : « يقول خادم حاذق كن قرحاً أيها الأمير ، لقد وصلنا إلى مقر الملك ، وقد أخذت المطرقة ، ودقت أوتاد المرسى ،

وألقيت الحبال على البر » ولم تُذكر المقدمة التي تشير إلى تكليفه من الفرعون بمهمة في الأقاليم الجنوبية وفشل فيها مما اضطر معه إلى العودة لمصر متجشما الأهوال ، ولكن تصورها بالصيغة التي أوردناها بها أمر محتمل راجح .

وليس من البعيد أن تكون هذه القصة واحدة من سلسلة قصص متصلة الحلقات لم تصل إلينا ، فكان مع الأمير أتباع كثيرون كل واحد منهم يقص قصة فيها تخفيف من آلام الأمير وتسرية عن قلبه وطمأنته من ناحية النتيجة التي يخشاها ، على مثال قصة الملك خوفو والسحرة في العهد القديم ، وقصة ألف ليلة وليلة وكليلة ودمنة في العصر الحديث .

وإذا قرنتها بقصة « الملك خوفو والسحرة » وجدت تشابها في موقف التابع وسرده حكايته ، واختلافا في أن الملك في قصة خوفو كان يريد تسلية نفسه وطرده المصوم عنها وفي قصتنا كان أتباع الأمير هم الذين يريدون ذلك فيتناوبون سرد القصص لهذه الغاية .

وإذا صح أن قصة الفريق سلسلة من القصص كانت التي ذكرناها هنا آخرتها ، بدليل وجود هذه العبارة التي سبق ذكرها والتي تدل على نهاية المطاف : « لقد أخذت الطرقة ، ودقت أوتاد المرسى وألقيت الحبال على البر ، وكان الثناء والحمد لله ، وقد عانق كل فرد زميله » ونلاحظ أن الكاتب هنا قد خالف ما تواضع عليه القاصون القدماء من بدء قصصهم بجمل فعلية تدل على الاستمرار ، ومن وضع عنوان لها مأخوذ من مقدمتها ، كما نجد في قصة « الفلاح الفصيح » ، وقد يكون عنوانها : « هذه هي قصة أمير الفتيين وتابعه » والكاتب تركه سهواً .

وقصة الفريق بهذا الوضع الذي سبق تصويره لا يمكن أن تكون قصة للعامة ؛ فهي قطعة أدبية ذات أسلوب رشيق ترمى إلى أهداف سامية وتعبر عن عواطف مختلفة ، فترى القاص يتألم لفراق سفينته بركابها وعدم نجاة أحد سواه ، ويتألم لوصوله إلى جزيرة لا إنسان فيها ، ويعبر لنا عن خوفه وهلمه عند ظهور حاكم الجزيرة الروحاني (وهو شعبان عظيم الجسم له رأس إنسان) ، واطمئنانه بعد أن حادثه ووجد منه عطفاً عليه ، فالدمعة الأولى والابتسامة الأخيرة وردتا متتابعتين في عبارة موجزة ، كما نرى القاص والشعبان قد تطارحا ما أصابهما في حياتهما ، وجاءت على لسان الشعبان عظة ليس لها علاقة مباشرة بالموضوع وهي « ما أشد فرح الإنسان الذي يقص ماذاقه بعد زوال الكارثة » ، ثم نبأ الشهاب الذي انقض من السماء فأهلك أهله . وفي القصة إيحاء حول الغرض من هذه المطارحات . وتوضيحها أن الشعبان أراد أن يقول : « لقد حدث لي أنجح مما حدث لك ومع ذلك فقد خرجت سالماً وما زلت

سائراً في حياتي » وكأنه أراد أن يقول له : « يجب أن تنظر إلى الأمور ببسالة وثقة فإنك لم تلاق من المصائب ما لاقيت أنا » فنصحته قائلاً : « إذا كانت لديك شجاعة فعليك أن تكبح جماح قلبك » ثم طمأنه على أنه سيمود إلى وطنه بعد أربعة أشهر وسيرى ثانية زوجته وأولاده . أما الحالة النفسية للفريق فيبدولنا من القصة أنها تحسنت كثيراً ، فهاهو الفريق يشكر الثعبان من أعماق قلبه ، وتدفعه تلك الحالة النفسية الطارئة على أن يقدم إليه فروض العبادة والخضوع وعلى أن يعمده بعظيم الهدايا ؛ ولكن الثعبان يغميه من ذلك في سخرية مستترة فيقول : « ما الذي تريد أن ترسله إلي ؟ إن عندي من ذلك الفيض الغزير » ثم عقب على ذلك بما يحرك النفس الساكنة : « لا يمكنك أن ترسل إلي شيئاً بعد ، فإن الجزيرة سيفنمرها الماء » (أى ستختفي وتزول) وكأنه أراد أن يقول له : وأنا بالتالي سأختفي وأزول معها وينتهي أمرى بالموت .

وهنا يثب إلى أذهاننا ما جاء في قصة « ألف ليلة وليلة » مشابها لما ذكره ؛ إذ نسمع الرسول يقول عند خروج السلطان : « هذا هو سلطان الهند العظيم ، وهذا السلطان العظيم لا بد أن يموت ، لا بد أن يموت »

وإذا كان كل حى إلى زوال فكل شدة إلى فرج ، وهذا ما كان ، فقد عاد القاص إلى وطنه سليماً مآقياً ، ولقى من الملك العطف والرضا . وإذا كان بعض الغافلين يمتدح أن القاص أورد قصته ناقصة هذه النتيجة ، فإن اليقظ منهم لا بد وأصل بثاقب نظره إليها ، وإن مثل الفرعون مع الأمير كمثل الثعبان مع الفريق كلاهما عطف على تابعه وأحسن إليه .

ولانزع في أن هذه القصة شرقية بروحها ، وهى فضلاً عن ذلك تقدم لنا أثنى ما يقدمه الشرق من إيجاز وحسن سبك ومهارة في التعبير وحكمة بالغة . ولقد استطاع القاص بمهارته ألا يجعل قصة البحار تطنى على قصة الأمير ، وهى المقصودة لذاتها بما أورده في نهاية القصة من العبارات التى تلفت الذهن إليها .

ولقد كنا فى شوق لأن نعرف أكثر مما عرفنا عن أول قصة وصلتنا تدور حول بحار مصرى ، ولكنها كتبت كما قلنا للطبقة الراقية من المتأدين القدماء فكان نصيبها الإيجاز . والسؤال الذى يرسم أمام الباحثين الآن : أترى قد غنيت الأساطير المصرية بالثعبان فجعلته بطلا يدور حوله كثير من الأقاصيص كما كان للثعبان (الدراجون) فى عالم الخرافات اليونانية ؟ أم اكتفت الأساطير المصرية بتقديده لنا فى قصة الفريق وحدها ؟ ونحن من جهتنا لانستطيع الجزم بأحد الأمرين ، فقد تكون الأرض محتفظة بقصص من هذا القبيل ، والتى

ذكرناها هنا تثبت ميل المصريين ونزوعهم إلى هذا النوع من الخيال والسحر . وكلنا يعلم أن اليونان قد أخذوا كثيرا عن المصريين في آدابهم وخرافاتهم ، فليس يبعد إذن أن يكون الثعبان قد لعب دورا كبيرا في عالم الأساطير المصرية ، ولم ينفرد اليونان بذلك ، كما أثبتت قصة « حور » و « ست » ، أن القصص المصرية جعل من الآلهة أبطالاً ، ولم يكن اليونان وحدهم أصحاب الفضل في ذلك ، والكلمة الآن لما سوف تجود به علينا الكشوف الحديثة .

المصادر :

عثر الأستاذ « جلونيشف » العالم الأثرى الروسى على الورقة التى كتبت عليها هذه القصة ، وهى محفوظة الآن فى متحف « ليننجراد » . وهو أول من درسها ثم درسها غيره كما يأتى :

- (1) Golenischeff, Le Conte du Naufragé (Cairo 1912)
- (2) Erman. Zeitschrift fur Agyptische Sprache X L III P. 1 ff.
- (3) Gardiner. Notes on the Tale of the Shipwrecked Sailor in Zeitschrift fur Agyptische Sprache XIV P. 60 ff.
- (4) Notes in the Journal of Egyptian Archeology Vol XXII P. 37. by Blackman.
- (5) Peet, A Comparative Study of the Literatures of Egypt, Palestine V Mesopotamia P. 28 ff
- (6) Maspero, Populor Stories of Ancient Egypt. P.98 ff
- (7) Erman. The Literature of the Ancient Egyptians P. 29 ff C translated by Blackman.
- (8) Dr. Max Pieper. Die Agyptische Literatur. P. 43 ff
- (9) The Metrical Scheme of The Shipwrecked Sailor by Vladimir Vikentiev in Bulletin De L'institut. Francais D'Archeologie orientale T. XXXV. P. 1 etc.

متن القصة :

« يقول تابع حاذق : كن فرحا أيها الأمير ، انظر لقد وصلنا إلى مقر الملك ^(١) . وقد أخذت المطرقة ، ودقّت أوتاد المرسى ، وألقيت حبالها على البر . وكان الثناء والشكر لله ،

(١) يوظف الخادم سيده فى الصباح على ظهر السفينة ويملئه بأنهم عادوا إلى مصر كرهة أخرى ، وقد مروا بجزيرة « سنموت » على الحدود (بحجة) الحالية بالقرب من « فيلة » ، وقد دخلت السفينة فعلا فى المرسى . وعلى ذلك لا بد أن يقصد بمقر الملك هنا « الفنتين » التى يحتمل أن تكون مقر الأمير نفسه ، ولكن كان عليه أن يستمر فى سياحته شمالا ليقدم تقريره إلى الملك .

وقد عانق كل فرد زميله ، وقد وصل ملاحونا سالمين أحياء ، ولم نفقد من جنودنا أحداً . وقد وصلنا إلى أقصى « واوات » ومررنا « بسنموت » . تأمل ! لقد عدنا بسلام ووصلنا إلى بلادنا . أصغ إلى أيها الأمير ، إننى فرد خلو من المبالغة . اغسل نفسك ، وصب الماء على أسابك ، وأجب عندما تحيا ، وتكلم إلى الملك وأنت مالك لشمورك ، وأجب في غير تعلم . وإن فم الإنسان هو الذى ينبجيه ، وكلامه هو الذى يجعل الناس يرفقون به ، وستفعل ما يحلو لك ، وعلى ذلك فالكلام ^(١) معك غير مجد .

ومع ذلك سأقص عليك شيئاً مماثلاً لقصتك . فقد حدث لى شخصياً عند ما أقلمت إلى إقليم مناجم الملك ^(٢) ذاهباً إلى البحر فى سفينة ذرعها ١٢٠ طولاً و ٤٠ عرضاً ، وكان فيها ١٢٠ بحاراً من نخبة مصر . وكانوا يتعرفون السماء ، وكانوا يتعرفون الأرض ، وكانت قلوبهم أثبت من قلوب الأسود ، وكانوا يتنبئون بالعاصفة قبل أن تحدث ، والزوبعة قبل أن تمر . وقد هبت عاصفة ونحن مازلنا فى البحر وقبل أن نصل إلى الأرض ، وقد قامت الريح فضاغت من شدتها ، وجاءت موجة ذرعها ثمانية ارتفاعاً ، وقد حملت من على سطح السفينة مع الصارى .

وبعد ذلك غرقت السفينة ولم يبق إلا واحد من بين الذين كانوا فيها . وقد زمت بى موجة إلى جزيرة ، وقد قضيت ثلاثة أيام وحيداً ولم يكن لى رفيق غير قلبى ، ونمت فى خباء من الخشب واحتضنت النى ^(٣) ثم وقفت على قدمى لأجد ما يمكن أن أضمه فى فمى ، فوجدت تيناً وعنباً هناك وكل أنواع الخضر الجميلة ، وكان هناك فاكهة « كاو » و « نكوت » وخيار كأنه مزروع ، وكان هناك سمك وطيور ، ولم يكن هناك شىء لا يوجد فيها ^(٤) وعندئذ أشبعت نفسى ، وتركت بمضها على الأرض لأن حمله كان ثقيلاً على ذراعى . ثم أخذت زناداً وأوقدت ناراً لنفسى وقدمت قرباناً مشويماً للآلهة .

وبعد ذلك سمعت صوت رعد ، وظننت أنها موجة بحر ، فتكسرت الأشجار وزلزلت الأرض . ولما كشفت عن وجهى ^(٥) وجدت أنه ثعبان يقترب منى ؛ وكان ذرعه ثلاثين ذراعاً طولاً ، ولحيته يزيد طولها على خمسة أذرع ، وكان جسمه مرصعاً بالذهب وحاجباً من

(١) وعلى ذلك فقد عملت مجهودات لتشجيعه من قبل ولكن من غير جدوى .

(٢) يقلع من ميناء على البحر الأحمر إلى مناجم شبه جزيرة سيناء .

(٣) يحتمل « بحث عنه » .

(٤) الجزيرة .

(٥) كان قد وضع يديه على وجهه من الخوف .

خالص اللازورد^(١) ، وقد كان غاية في العقل ، ثم ففرقاه لى حينما كنت ملقى على بطنى أمامه وقال لى : « من أحضرك هنا ؟ من أحضرك هنا أيها الصغير ؟ من أحضرك هنا ؟ وإذا تأخرت عن إجابتى غمى أحضرك إلى هذه الجزيرة جملتك لا تجد نفسك إلا ترابا ، وتصير كالذى لم يكن قد رثى »^(٢) . فأجبت : « إنك تتحدث إلى ومع ذلك لم أسمع ما تقول . إني فى حضرتك ولكن حواسى قد ذهبت » .

وبعد ذلك أخذنى فى فمه وأحضرنى إلى جحره ، ووضعنى دون أن يلمنى ، وكنت صحيحا ولم يمزق شىء منى^(٣) . وفرقاه لى عندما كنت ملقى على بطنى أمامه وقال لى : « من أحضرك إلى هنا ؟ من أحضرك إلى هنا أيها الصغير ؟ من أحضرك إلى جزيرة البحر هذه التى يحيط بها الماء من الجانبين ؟ » وقد أجبتة وذراعى مثنيتان^(٤) فى حضرتة وقلت له : « إني فرد ذهبت إلى الناجم فى أسر للملك فى سفينة ذرعها ١٢٠ طولا و ٤٠ عرضا ، وكان فيها ١٢٠ بحارا من نخبة مصر ، وكانوا يتعرفون السماء وكانوا يتعرفون الأرض ، وكانت قلوبهم أثبت من قلوب الأسود ، وكانوا يتنبئون بالعاصفة قبل أن تحدث ، والزوبعة قبل أن تكون ، وكان كل واحد منهم شجاع القلب قوى الساعد أكثر من زميله ، ولم يكن بينهم أحمق . وقد هبت عاصفة ونحن لا نزال فى البحر قبل أن نصل إلى الأرض ، وقد قامت الريح فضاغت من شدتها وجاءت موجة ذرعها ثمانية ارتفاعا . وقد حملت من على سطح السفينة مع الصارى . وبعد ذلك غرقت السفينة بمن كانوا فيها ولم يبق غيرى . وتأمل ! فإني هنا بجانبك وقد أحضرت إلى هذه الجزيرة بموجة البحر . »

وعندئذ قال لى : « لا تخف ، لا تخف ، أيها الصغير ، ولا تدع حياك يصفر ما دمت قد جئت إلى . انظر ! لقد حفظك الإله حيا ليحضرك إلى جزيرة الطعام (الوفير)^(٥) التى لا شىء إلا وينمو فيها ، لأنها مفعمة بكل شىء حسن . وانظر ستمضى الشهر بعد الشهر فى هذه الجزيرة إلى أن تتم أربعة أشهر ، ثم تأتى سفينة من مقر الملك تحمل بحارة تعرفهم ، وستذهب معهم إلى مقر الملك ، وتموت فى نفس بلدك . »

(١) يتصور القاص هذا الثعبان كأنه إله مصرى مصنوع من البرنز المذهب ومرصع بالألوان ، ويقصد بالحية إلهة الإله المجدولة .

(٢) يستطيع الثعبان أن ينفث نارا مثل الثعبان المقدس أى ثعبان اله الشمس « رع » .

(٣) أى أنه أخذه برفق .

(٤) دليل الخضوع .

(٥) يحتمل أن يكون معناها جزيرة فيها طعام .

« ما أشد فرحة الذى يقض ما جرى له بعد أن تمر الكارثة . وهكذا ساقص عليك شيئاً مماثلاً لهذا قد حدث فى هذه الجزيرة ^(١) . وذلك أننى كنت فيها مع إخوتى وأطفالى فى وسطهم ، وكان كل عددنا ٧٥ ثعباناً — أولادى وإخوتى ، هذا غير بنت امرأة مسكينة كانت قد أحضرت إلى . . . ^(٢) ثم انقض شهاب فذهب هؤلاء فى النار بسببه (أى الشهاب) ، وقد حدث ذلك وأنا لست مع المحرقين (٣) ولم أكن بينهم ، وقد كدت أموت من أجلهم عندما وجدتهم كومة من الجثث .

« فإذا كنت شجاعاً فأكبح جناح قلبك ^(٤) . على أنك ستضم أطفالك ، وتقبل زوجتك وترى منزلك ، وهذا أحسن من كل شيء ، وستصل إلى مقر الملك ، وتسكن هناك فى وسط أولادك » .

وعند ذلك ألقى بنفسى على بطنى ، ولست الأرض فى حضرتى ، وقلت له : « سأحدث للملك عن قوتك وأعلمه بعظمتك ، وسأعمل على أن يجلب إليك (أبى) ، و (حكنو) ، و (أدب) ، و (خسلت) ^(٥) ، وكذلك بخور المابد التى يسرها كل إله ، وسأقض ما حدث لى وما قد شاهدت . . . وستشكرنى المدينة أمام ضباط الأرض كلها ، وسأذبح لك ثيراناً قرباناً مشوياً ، وأضحى لك الأوز ، وسأرسل لك سفناً محملة بكل بضائع مصر الثمينة ، كما يجب أن يفعل لإله يحب الناس فى أرض نائية لا يعرفها الناس » . عند ذلك ضحك منى ومما قلت ، كأن ذلك سخافة لقلبه ^(٦) وقال لى : « ليس عندكم « عنتيو » ^(٧) بكثرة ، ولا تملكون إلا البخور . ولكنى أمير (بنت) والمرماتى الخاص . أما من حيث (حكنو) الذى تقول عنه إنك ستجلبه إلى فهو أم حاصلات هذه الجزيرة . ولكن الواقع أنك لن ترى قط هذه الجزيرة بعد سفرك لأنها ستصير ماء . »

وبعد ذلك أنت هذه السفينة كما تنبأ ، وذهبت وتسلفت شجرة طويلة ، ورأيت أولئك

(١) التشابه بين قصته وبين ما حدث للفريق أن كلا منهما فقد كل رفيقائه .

(٢) طفلة آدمية ألقى إلى الجزيرة .

(٣) كما فعلت وقتئذ .

(٤) عطور نقية كان المصريون يهيمون بها كثيراً .

(٥) ضحك الثعبان من بساطة الرجل الذى ذكر له أشياء ثمينة يملك منها ما لا مزيد عليه .

(٦) يمد « عنتيو » الذى نترجه عادة بالمر من أم العطور وهو يستورد من بلاد « بنت » التى يحتمل أنها لقب عام لمناطق لإنتاج البخور جنوبى البحر الأحمر . وكانت تقع فى المنطقة التى تفصل بلاد الأريتريّة « و الصومال » من جهة وشواطئ « بلاد العرب السعيدة » من جهة أخرى (انظر كتاب مصر القديمة من الجزء الثانى صفحة ٢٦١)

الذين كانوا فيها ، وذهبت لأخبره فعلمت أنه قد عرف ذلك من قبل . وقال لى : « بسلام ، بسلام للوطن ، أيها الصغير ، وشاهد أطفالك واجعل لى اسما حسنا فى مدينتك . اسمع فإن هذا هو كل ما أبنى . »

وعندئذ ألقيت بنفسى على بطنى وثنيت ذراعى فى حضرتة وأعطانى حولة « مر » و « حكنو » و « ايدنب » و « خسلت » و « تشبس » و « شاس » وكل ، وذبول زراقات ، وكية عظيمة من البخور ، وسن فيل ، وكلاب صيد ، وقردة ونسانيس وكل الذخائر الجميلة^(١) وأزلتها فى هذه السفينة .

ولما ألقيت بنفسى على بطنى لأشكره قال لى : « انظر . ستصل الحاضرة بعد شهرين ، وستضم أولادك فى حضنك ، وتصير شابا ثانية فى مقر الملك ثم تدفن^(٢) . »

وذهبت إلى الساحل حيث كانت هذه السفينة ، وحييت الفرقة التى كانت فى هذه السفينة ، وأثنيت على رب هذه الجزيرة على الساحل ، وكل من كان فى السفينة فعل كذلك .

ثم سحنا شمالا إلى حاضرة الملك ووصلنا إلى العاصمة فى شهرين كما قال ، ومثلت أمام الملك ، وقدمت له هذه الذخائر التى أحضرتها من هذه الجزيرة وقد شكرنى أمام كل ضباط الأرض قاطبة ، وعينت حاجبا وكافأنى ببعض حشمه (؟)

انظر إلى بعد أن وصلت الأرض وبعد أن شاهدت ما لاقيته^(٣) . اسمع لما أقول . انظر إنه من الخير للناس أن يصنفوا

فقال لى : « لا تعلمين دور الحكيم^(٤) يا صديقى ! فإن ذلك كالذى يعطى عند الفجر ماء لطائر سيدبحه مبكرا فى الصباح . » (أى أنى مقضى على بالموت عندما أقابل الفرعون ، وعلى ذلك فإن كلامك الطمئن لا فائدة منه لى) .

قصة الفلاح الفصيح

ملخص القصة :

ترجع حوادث هذه القصة إلى عهد الملك « خيتى » أحد ملوك هيراكليوبوليس (أهناس المدينة) فى نهاية الألف الثالثة قبل الميلاد ، والاسم الذى أطلق عليه العلماء تجوزا « الفلاح »

(١) كان المصريون يستوردون كل هذه الأشياء من مناطق لإنتاج البخور .

(٢) أى تدفن دفنا طيبا وهذا ضرورى للشخص الذى يرغب فى أن يكون سميدا فى موته .

(٣) قد يعنى : انظر إلى ما وصلت إليه على الرغم من نفس رحلتى .

(٤) لا تجهد أن تكون حكما أكثر من اللازم .

حقيقته في اللغة المصرية « ساكن الحقل » ؛ أى بطل هذه القصة أحد سكان « حقل الملح » وهو « وادى النطرون » الآن ، وقد أطلق عليه في المهد المسيحي « صحراء النطرون » . وكان هذا الفلاح يسكن في مجاهل هذه البقعة ، وكان يسافر من حين لآخر إلى مصر ليبيع محصول أرضه محملا على حمير له ، ولما وصل في مرة إلى مصر اعترضه أحد الموظفين المسمى « تحوت نخت » واعتصب منه حميره وما عليها بحيلة ذنيئة ، فذهب الفلاح على إثر ذلك إلى عاصمة المقاطعة ليشكو أمره إلى « رزى » رئيس « تحوت نخت » المفتصب ، فجمع « رزى » مجلس الأشراف ليفصل في هذه القضية ، غير أن أعضائه لم يملنوا حكمهم لأسباب لم تذكر في القصة ، فصاغ الفلاح شكايته لرزى في أسلوب فصيح بهر وأعجب به ، فرأى أن الأمر جدير بأن يعرض على جلالة مولاه الملك ، نظرا لذلك الأسلوب الأخاذ ، وتلك البلاغة النادرة التي لم يعهد لها مثيلا من قبل . ولقد أمر جلالة الملك ألا يأت في أمر ذلك الفلاح الفصيح حتى يكرر الشكوى فيكون ذلك مصدر خطب بليغة أخرى يفتنى بها الأدب ، ويكتسب مادة وإمتاعا . وهذا ما كان ، إذ أتى الفلاح تسع خطب رائعة في موضوع هذه الشكوى .

وراسة القصة :

ترجع هذه القصة إلى المهد الأهناسى وهو عهد سادت فيه الفوضى وعم الاضطهاد . فالقصة مظهر لما يحدث في نفوس الناس ولما يشكون منه في ذلك العهد ، وهى من أبلغ وأروع ما كتب في الأدب المصرى القديم ، حتى إنها كانت تعد نموذجا يحتذى ويقتبس منه عهد الدولة الحديثة .

والقصة تتكون من مرحلتين أساسيتين : الأولى مقدمة قصصية ، والثانية خطب تسع . فأما المقدمة القصصية فإن طريقة عرضها أبدع ما رأيناه في الأدب المصرى ، وهى جديرة من حيث تعبيرها عن العواطف الإنسانية بأن توضع جنبا لجنب مع أية قطعة من هذا النوع وردت في التوراة . وقد قال الأستاذ برستد عن هذه المرحلة من القصة في كتابه « فجر الضمير » ما يأتى : « وهذا المشهد يعد من أقدم الأمثلة التى تدل على المهارة الشرقية في تصوير المبادئ المعنوية في شكل مواقف ملموسة ، وهى التى صورت بشكل مدهش بعد ذلك في أقوال عيسى عليه السلام . »

وأما المرحلة الثانية فتلك الخطب التسع التى أشهر بها ذلك الفلاح الحرب على ما كان يرتكبه الموظفون من الفوضى والظلم والعبث بصغار الفلاحين ، فكان بخطبه من حملة الأقلام الذين

طلبوا العدالة الاجتماعية . وكانت خطبه تلقى رواجاً لإمتاعها ، ولأنها موجهة إلى أغنياء هذا العصر الذين اختصوا أنفسهم دون الفقراء بالثروة والمتاع . وبالرغم من بعض النموض الذى يبدو فى أسلوبها لجهلنا باللغة المصرية ونواحى بلاغتها ، ولما احتوته من استعارات قوية وتشبيهات غريبة فإنها تعتبر أدبا من الطراز الأول فى عصرها وفى العصور التى تلتها . ومما أكسبها ذيوغا وانتشارا ما تضمنته فى طياتها من تهكم لاذع يعيل إليه المصريون القدماء بسليقتهم ، ولأنه كان يهدف إلى غرض خلقى سام . ولا ريب فى أن القصة ترمز بصورة حية ناطقة ليل الموظفين عن جادة العدل والحق ، إذ لم يكن عليهم ملك رشيد عادل يخافون سطوته . ومن الظواهر الغريبة فيها أنها لأول مرة فى تاريخ أدب العالم تشبه العدالة بالميزان ، وتتخذ من أجزاء الميزان استعارات وأوصافاً لنواحى العدالة ، ونجد هذا التشبيه الآن سائداً كل لغات العالم . وقد ظهر بصورة واضحة فى القرآن الكريم .

المصادر :

وصلت إلينا هذه القصة فى أربع نسخ يرجع عهدها إلى عصر الدولة الوسطى ، وقد عني بترجمتها والتعليق عليها فوجزأنيج الألمانى فى كتابه :

(1) Vogelsang. Kommentar Zu Den Klagen des Bauern. Leipzig 1913

وترجمها حديثا جاردنر فى مجلة :

(2) Gardiner Journal of Egyptian Archeology. Vol IX P. 1 ff

وترجمها كذلك ارمان فى :

(3) Erman. The Literature of the Ancient Egyptians (Translated by Blackman) P. 116 ff.

وهناك مصادر أخرى بحثت فيها هذه القصة أهمها ما يأتى :

(4) The Dawn of Conscience 183 ff. (By Bneasted)

(5) Die Agyptische Literatur P. 38 ff. (Dr, Max. Pieper.)

من القصة :

كان رجل اسمه «خنوم أنوب» وهو فلاح من حقل الملح^(١) وكان له زوجة اسمها «مارى» . فقال هذا الفلاح لزوجته : « انظرى . إني ذاهب إلى مصر لأحضر منها طعاما لأطفالى .

فأذهبى الآن وكبلى لى القمح الذى فى الجرين ، وهو ما بقى من الحصاد الماضى « ، ثم كالمها ستة (١) مكابيل من القمح .

ثم قال هذا الفلاح لزوجته : « انظرى . لقد بقى عشرون مكبىالا من القمح لتكون طعاما لك ولأطفالك ، وعليك أن تصنى لى ستة مكابيل القمح هذه خبزا وجمعة للأيام التى سأكون فيها على سفر . » (٢)

وعلى ذلك ذهب هذا الفلاح إلى مصر بعد أن حمل حميره بالسمار ونبات « رمت » والنطرون والملح وعصى من . . . « تيو » و « قضبان » « نحو » (٣) وجلود الفهد ، وفرو القذئب ، والخيزران والحصى (٤) ونبات « تم » ونبات « خبرور » و « ساهوت » و « ساسكوت » ونباتات « ميسوت » وأحجار « سنوت » وأحجار « عباو » ونباتات « ابسا » ونباتات « أنبى » و« عمام وطيور » و« نمرور » و« وفس » ونباتات « وبن » ونباتات « تبسو » و « جنجنت » وشمر الأرض و « أنست » ومكبال واف من كل محصولات « حقل الملح » . وسافر هذا الفلاح نحو الجنوب تجاه « نفسو » (٥) ووصل إلى جوار « برفيوى » فى شمالى « مدينت » (٦) ، وهناك رأى رجلا واقفا على شاطئ النهر يدعى « تحوت نخت » وهو ابن رجل يدعى « أسرى » وهو من مستخدمى المدير العظيم للبيت للمسى « رزى » بن « مرو » .

وقال « تحوت نخت » هذا حينما رأى حمير هذا الفلاح ، وقد مال قلبه إليها : « ليت لى وثنا قويا (٧) حتى أتمكن من سرقة متاع هذا الفلاح ! » واتفق أن يذت « تحوت نخت » هذا كان على ممر بجانب النهر وقد كان ضيقا وليس بالمريض ، إذ كان عرضه يعادل قطعة النسيج التى تستر الجسم ، وكان أحد جوانب هذا المر مغمورا بالماء ، والثانى مغطى بالقمح . وقال « تحوت نخت » هذا لخادمه : « اذهب واحضر لى قطعة نسيج من دارى . » فأحضرت إليه فى الحال ، فدها على المر بطريقة جعلت هدبها على الماء وطرفها على سيقان القمح . ثم سار هذا الفلاح على الطريق العام . فقال « تحوت نخت » هذا : « احترس أيها الفلاح ، أتريد أن تطأ ملابسى ؟ »

(١) واحة الفرافرة .

(٢) أهناس المدينة الحالية وقد كانت عاصمة الأسرة التاسعة التى ينسب إليها الملك نبكاورع هى نحن صده .

(٣) قد تكون مدينة اطفيج .

(٤) أى لبت لى وسائل سحرية .

فقال هذا الفلاح : « سأفعل ما تريد ، إن طريقى طريق جيد » وعندئذ سار إلى الأمام .
فقال « تحوت نخت » هذا : « أريد أن تجعل قحى عمرا ؟ » .

فقال هذا الفلاح : « إن طريقى جيد . إن الجسر عال وطريقنا الوحيد » تحت القمح ،
ومع ذلك فإنك تجعل ملابسك عقبة فى طريقنا . أفلا تريد أن تجعلنا نمر على الطريق ؟ »
عندئذ ملأ أحد الحير فه بحزمة من القمح . فقال « تحوت نخت » هذا : « انظر
سأخذ حمارك أيها الفلاح لأنه يأكل قحى . انظر إنه سيشتغل بسبب جرمه » .

فقال هذا الفلاح : « إن طريق حسن . ولم تؤخذ إلا قبضة واحدة من القمح . لقد
أحضرت حمارى لأنه حمل (؟) وأنت تفتصبه لأنه ملأه بحزمة من القمح . بلى ، ولكنى
أعرف رب هذه الضيعة ؟ فهى ملك المدير العام للبيت « رزى » بن « مرو » وهو الذى
يكبح جراح كل لص فى كل البلاد قاطبة ، وهل أسرق فى (نفس) ضيعته ؟ »

وقال « تحوت نخت » هذا : « هل هذا هو المثل الذى على ألسنة الناس . إن اسم الرجل
الفقير لا ينطق به إلا إكراما لسيده ؟ إننى أنا الذى أتكلم إليك وليس المدير العظيم للبيت
الذى أتى على ذا كرتك ! »

ثم أخذ غصنا من الأثل الأخضر وأوجعه به ضربا فى كل جسمه ، وقبض على حميره
وساقها إلى ضيعته .

وعندئذ أخذ هذا الفلاح يبكى بكاء صرا من الألم الذى لحقه . وقال « تحوت نخت »
هذا : « لا ترفع صوتك أيها الفلاح . انظر إن مصيرك سيكون مسكن « رب الصمت » ^(١) .

فقال هذا الفلاح : « إنك تضربنى وتسرق متاعى ، وبمد ذلك تفتصب الشكاية من فى
أفت يا « رب الصمت » أعد إلى ما شيتى حتى أسكت عن الصياح الذى يزججك ! »

وقد مكث هذا الفلاح عشرة أيام يتضرع إلى « تحوت نخت » هذا ، غير أنه لم يلتفت
لشكايته . وعلى ذلك سافر هذا الفلاح إلى « نفسو » ليرفع ظلامته إلى المدير العظيم للبيت
« رزى » بن « مرو » ، وقد وجده وهو خارج من بيته لينزل فى قاربه الخاص بقاعة العدل
(أى القارب الرسمى الخاص بالمحكمة) .

فقال هذا الفلاح : « هل تسمح لى بأن أسر قلبك بهذه القصة ؟ هل من الممكن أن
يحضر معى خادم حسب اختيارك حتى يحمل إليك أخبارا منى خاصة بها » ^(٢)

(١) رب الصمت هو (أوزير) ويظهر أن « تحوت نخت » هذا هدد الفلاح بالموت .

(٢) حرفيا حتى أرسله إليك بخصوصها .

وعلى هذا أسس المدير العظيم للبيت « رزى » بن « مرو » خادماً قد اختاره ليذهب أمامه ليحمل إليه أخباراً من هذا الفلاح خاصة بهذا الموضوع من كل وجوهه .
وعندئذ عمل « رزى » بن « مرو » المدير العظيم للبيت تحقيقاً ضد « تحوت نخت »
أمام الحكام الذين كانوا معه .

فقالوا له : « يجوز أنه أحد فلاحيه قد أتى إلى واحد آخر خلافاً . انظر تلك هي الطريقة التي كانوا يتبعونها مع فلاحهم عند ما يذهبون إلى آخرين خلافهم . وهل هذه قضية حتى يعاقب الإنسان « تحوت نخت » هذا بسبب مقدار تافه من النطرون ومقدار ضئيل من اللح ؟ مره أن يُعطى بدلاً منها ، وعلى ذلك يمكنه أن يعطى بدلاً منها » .

غير أن المدير العظيم للبيت « رزى » بن « مرو » لزم السكينة ولم يجب هؤلاء الحكام ولا هذا الفلاح أيضاً .

الشكوى الأولى

عندئذ أتى هذا الفلاح ليقدم ظلامته إلى المدير العظيم للبيت « رزى » بن « مرو » فقال : « يا مدير البيت العظيم ، يا سيدي ، يا أعظم المظلاء ، يا حاكماً على ما قد فنى وما لم يفن ! ^(١) وإذا ذهبت إلى بحر العدل ^(٢) وسحت عليه في نسيم رخاء ، فإن الهواء لن يمزق قلمك ، وقاربك لن يتباطأ ، ولن يحدث لصاريك أى ضرر ، ومرساك لن تكسر ، ولن ينفوس قاربك ؟ ^(٣) حيناً ترسو على الأرض . ولن يملك التيار بعيداً ، وإن تذوق أضرار النهر ، ولن ترى وجهاً مُرتاعاً . والسماك القفاز سيأتي إليك ، وستصل (يدك) إلى أسمن طائر ، وذلك لأنك أب لليتيم ، وزوج للأرملة ، وأخ لتلك التي قد نبذت ، ومثّر لتلك الذي لا أم له ^(٤) . دعني أجعل اسمك في هذه الأرض يتفق مع كل قانون عادل ، فتكون حاكماً خلوا من الشره ، وشريفاً بعيداً عن الدنيا ، ومهلكاً للكذب ومشجعاً للعدل ، ورجلاً يلبي نداء المستغيث . إني أتكلم ، فهل لك أن تسمع ؟ أقم العدل أنت يا أيها المدوح الذي يمدح بهؤلاء الذين يُمدحون . اقض على فقري ، انظر إني مثقل بالحل . جربني ، انظر إني في حيرة .

(١) أى حاكماً على كل شيء .

(٢) يقصد بالسطور التالية التمدح بعدل رزى .

(٣) أى أنك لباس لاطفل الفقير الذي ليس له أم تصنع له لباساً .

مقدمة للشكوى الثانية

وقد اتفق أن الفلاح قد ألقى هذه الخطبة في عهد الملك المرحوم « نيكورع » .

وقد ذهب المدير العظيم للبيت « رزى » بن « مرو » أمام جلالته وقال : « سيدى لقد عثرت على أحد هؤلاء الفلاحين ، وفي الحق أنه فصيح ، وهو رجل قد سرق متاعه . وانظر ! إنه قد حضر ليتظلم لى من أجل ذلك . »

عندئذ قال جلالته : « بقدر ما تحب أن ترانى فى صحة دعه يمكث هنا دون أن تجيب عن أى شىء قد يقوله . ولأجل أن تجعله يستمر فى الكلام الزم الصمت . ثم مر بأن يؤتى لنا بذلك مكتوبا حتى نسمعه . ولكن مدّ زوجته وأطفاله بالثبوت ، ثم انظر ، لا بد أن يأتى أحد الفلاحين إلى مصر وذلك بسبب فقر بيته^(١) . وزيادة على ذلك مدّ هذا الفلاح نفسه ، فلا بد أن تأمر بإعطائه الطعام دون أن يعلم أنك أنت الذى أعطيته إياه . »

وعلى ذلك أعطى عشرة أرغفة وإبريقين من الجمعة كل يوم ، وقد تمود رب البيت العظيم « رزى » بن « مرو » أن يعطى ذلك أحد أصدقائه ، وكان هذا يعطيها إياه (إلى الفلاح) : ثم إن المدير العظيم للبيت « رزى » بن « مرو » أرسل إلى شيخ بلدة « سخت حموت » ليصنع الطعام لزوج ذلك الفلاح ومقداره ثلاثة مكابيل من القمح (؟) كل يوم .

الشكوى الثانية

ثم إن هذا الفلاح أتى ليتظلم له مرة ثانية وقال : « يأيها المدير العظيم للبيت ، يا سيدى ، يا أعظم العظماء ، يا أغنى الأغنياء ، يا من عظماءهم واحد أعظم منهم ، يا من أغنياءهم واحد أغنى منهم ، أنت يا سكان السماء ، ومثقال ميزان الأرض ، ويا خيط الميزان الذى يحمل الثقل . يأيها السكان لا تنصرف ، ويا مثقال الميزان لا تملى ، ويا خيط الميزان لا تتذبذب ملتويا : إن السيد العظيم يأخذ (فقط) مما ليس له سيد ، وينهب واحدا فقط (أى نفسه) . إن ما يحفظ أودك فى بيتك : قذح من الجمعة وثلاثة رغفان^(٢) . وما الذى يمكن أن تصرفه لإطعام عملائك ؟ على أن الإنسان سيموت مع خدمه ، وهل ستكون رجلا مخلدا ؟

(١) أى ليأخذ لهم الطعام .

(٢) يقصد أنه لا يمكنه أن ينفق كل ما كثر لأن ما يحتاجه الإنسان فى الحياة قليل ، وأنه لديه الكفاية وما يزيد على الكفاية مما يجعله قادرا على إطعام كل من حوله . وهل يجمع كل ذلك لأنه يظن أنه مخلد فى هذه الحياة ؟

أليس من الخطأ — ميزان يميل وتقالة تنحرف ورجل مستقيم يصير مموجا؟ تأمل . إن العدل يفلت (١) من تحتك ، وذلك لأنه أقصى من مكانه ، فالحكام يشاغبون ، وقاعدة الكلام تنحاز إلى جانب ، والقضاة يتخاطفون ما اغتصبه (أى « رزى ») . ومعنى ذلك أن من يقلب الكلام من موضع الصواب يحرقه عن معناه (؟) : وبذلك يخور مانع النفس على الأرض ، وذلك الذى يأخذ راحته يجعل الناس يلهثون ، والمحكم يصير مُتَلِفًا (٢) ، ومبيد الحاجات يأمر بصنمها ، والبلدة تكون فيضان نفسها ، والمنصف يخلق المشاغبة .

ثم قال المدير العظيم للبيت « رزى » بن « سرو » : هل تعتقد فى قلبك أن ممتلكاتك أمر أهم من أن يقصيك خادمي ؟ (٣)

وقال هذا الفلاح : « إن كيال أكوام اللال يعمل لمصلحة نفسه ، وذلك الذى يجب عليه أن يقدم حسابه تاما لآخر يسرق متاعه ، وذلك الذى يجب عليه أن يحكم بمقتضى القانون يأمر بالسرقة . فن ذا الذى يكبح الباطل إذن ؟ وذلك الذى يجب عليه أن يقضى على الفقر (؟) يعمل على العكس ؛ ويسير الإنسان إلى الأمام فى الطريق المستقيم فى منحنيات . وآخر ينال الشهرة بالضرر . فهل تجد لنفسك هنا أى شيء (؟) ؟ (٤) »

« إن الإنصاف قصير ، ولكن الضرر يمكث طويلا (٥) » والعمل الطيب يعود ثانية إلى مكانه بالأمس . والواقع أن الحكمة تقول : « عامل الناس بما تحب أن تعامل به » (٦) ، وذلك كشكر إنسان على ما عمله ، وكمنع شيء قبل تشكيله مع أن الأمر بصنمه قد أعطى للصانع . (يتمنى الشر للأمير) : ليت لحظة تخرب ، فتجعل كرمك رأسا على عقب ، وتفتك بطيورك ، وتودى بدواجنك المائية (٧) . فالبصر قد غشى بصره ، والمستمع قد صم ، والحاكم أصبح متمردا . . .

« تأمل . إنك قوى وشديد البأس ، وإنك نشيط الساعد وقلبك مفترس . وقد تخطتلك .

(١) حرفيا : مقسم الارث متلف .

(٢) قاطع « رزى » الفلاح بسؤال خفن : أيها أهم لديك : المتاع الذى تدعيه أو الضرب بالعصا إذا استمرت فى شكايك . غير أن الفلاح لم يعره اهتماما واستمر فى كلامه .

(٣) قد يقصد بها : هل تجد لنفسك هنا أى شيء ينطبق عليك من هذه الأوصاف .

(٤) إن الضرر يستمر مدة طويلة فى حين أن إصلاحه لا يحتاج إلا إلى فترة قصيرة ، فإنصاف الفلاح يتوقف على إصغاء « رزى » إلى شكايته لمدة قصيرة .

(٥) حرفيا « افضل للفاعل حتى تجعله يفعل (أى لك مثله) »

(٦) يقصد ليت « رزى » يمنع لحظة واحدة عن ملاهيه بالصيد .

الرحمة ، ما أعظم حزن الرجل الفقير الذى قد قضيت عليه . ومثلك كرسول من عند الإله التمساح ، بل إنك تفوق « ربة الوباء »^(١) . فإذا كنت لاتملك شيئا فهى لاتملك شيئا أيضا ، وإذا كانت لاتدين بشيء فكذاك أنت لاتدين بشيء ، وإذا كنت لاتفعلها فهى لاتفعلها أيضا^(٢) . وذلك الذى يملك خبزا (؟) يجب أن يكون رحيا ولكن المجرم قد يكون (؟) قاسيا فظا . على أن السرقات أمر طبيعى لمن لامتاع له ، وكذلك خطف المجرمين لأمتعة الثير .

« حقا أنه عمل مشين ، إلا أنه لامتدوحة عنه (؟) . ويجب على الإنسان ألا يصبوب اللوم إليه لأنه يبحث لنفسه^(٣) ، على أنك قد امتلأت بخبزك وسكرت بجمعتك ، وإنك غنى إن وجه مدير السكان متجه إلى الأمام ، ومع ذلك (؟) فإن القارب يتجه كما يشاء . فالملك فى داخل قصره ، والدفعة فى يدك ، ومع ذلك فإن المشاغبات منتشرة بجوارك . إن (عمل) الشاكي طويل والفصل فيه يسير ببطء ، وسيتساءل الناس عن هذا^(٤) الرجل الذى هناك ، كن حاميا حتى يصير شاطئك وانحما ، تأمل . إن مسكنك قد أصبح موبوءا (؟) اجعل لسانك يتجه إلى الحق ، ولا تضل . وإن لسان (؟) الرجل قد يكون سبب تلفه .

« لاتنطق كذبا . واحترس من الأحكام .. . إن قول الكذب عشيهم ، وعلى ذلك (؟) من المحتمل أن يكون خفيفا على قلوبهم . وأنت يا أكثر الناس تعلقا ، هلا تريد أن تعرف شيئا عن أحوالى ؟ وأنت يا من تقضى على كل حاجة (؟) للماء ، تأمل ، فإني أملك مجرى ماء من غير سفينة . وأنت يامرشد كل غارق إلى البر ، نج من غرقت سفينته . نجنى »

الشكوى الثالثة

ثم حضر هذا الفلاح مرة ثالثة ليشكو فقال : « يأبها المدير العظيم للبيت ، ياسيدى ، إنك « رع » رب السماء ، فى صحبة حاشيتك . إن قوام بنى الإنسان منك لأنك كالفيضان . وأنت « جمعى » (إله النيل) الذى يجعل الراعى خضراء ويمد الأراضى القاحلة . اكبح جماح السارق . دافع عن الفقير ، ولا تكون فيضانا ضد الشاكي ؛ واحذر من قرب الآخرة . ارجب فى أن تعيش طويلا على حسب الثمل : « إن إقامة المدل هو نفس الأنف » . ومع

(١) هى الإلهة « سخت » .

(٢) أى الرحمة .

(٣) إن الإنسان يعذر المحتاج إذا سرق ، ولكنه لا يعذر رجلا غنيا كالمدبر العظيم للبيت .

(٤) حرفيا : يتساءل الناس : من هو ذلك الرجل الذى قد تباطأ مع المدبر العظيم للبيت .

العقاب على من يستحق العقاب ، ولن يكون هناك شيء مماثل استقامتك . هل الميزان يتحول ؟ وهل يميل لسانه إلى جهة ؟ هل يظهر « تحوت » تساهلا ؟

« فإذا كان الأمر كذلك فيمكنك أن تعمل ضررا . واجمل نفسك معادلا لهذه الثلاثة (يشير إلى الميزان واللسان و« تحوت ») ، فإذا أظهرت الثلاثة لينا فكن لينا . ولا تجب على الخير بالشر ، ولا تضمن شيئا مكان آخر^(١) ما أكثر نمو الكلام من عشب خبيث^(٢) وأكثر مما يتفق مع من يشمه ! أفلا تنجيبين عليه ، وعلى ذلك يروى الشقاق حتى يسبب نمو (؟) غطاء . « وقد كان (؟) لديه ثلاث فرص (؟) . تحمله على أن يعمل (؟) . قد الدفة على حسب القلع^(٣) . وصد (؟) الفضيان بعيدا على حسب (؟) ما يقتضيه العدل . واخترس من أن تصطدم على الشاطئ (؟) مع جبل السكان (؟) وإن أصدق وزن للبلاد هو إقامة العدل . ولا تكذبين وأنت عظيم . ولا تكوني خفيفا وأنت رزين . ولا تقولين كذبا فإنك الميزان . ولا تنكش ، فإنك الاستقامة ، انظر . إنك على مستوى واحد مع الميزان ، فإذا انحرف انحرفت أيضا . ولا تحمدين . بل أدر السكان ، واقبض على جبل الدفة . لا تقتصين ، بل اعلمي ضد المفتصب . وذلك العظيم ليس عظيما مادام جشعا . إن لسانك هو ثقالة الميزان ، وقلبك هو ما يوزن به ، وشفتاك هما ذراعا . فإذا سترت وجهك أمام الشرس فن ذا الذي يكبح الشر ؟ « تأمل إنك غسال يشقى ، وشخص جشع لإتلاف صاحبه ، وهاجر شريك من أجل عميله ، وأنه لأخ له الذي قد أتى ونفذ (حيلته) .

« تأمل . إنك نوتي تعبر بمن معه الأجر ورجل مستقيم في معاملته . ولكن تلك الاستقامة مذنبذة .

« تأمل إنك رئيس مخايز لا يسمح لأحد خلو (؟) (مفلس) أن يمر وهو مدين . « تأمل إنك صقر لعامة القوم يعيش على أحقر الطيور . « تأمل إنك مُورِد سروره الذبح ، إذ لا (يوقع) عليه تشويه . « تأمل إنك راع ، لا وليس عليك أن تدفع . ولذلك يجب عليك أن تظهر الشراهة أقل من تسمح جشع ، إذ أن الأمان قد انتزع من كل مساكن البلاد قاطبة . أنت أيها السامع ، إنك لا تصنى ولماذا لا تصنى ؟ . واليوم قد كبحت جراح المتوحش ،

(١) ورد ذكر هذه الحكمة في تعليم فتاح حطب .
(٢) يظهر أن الفلاح يفكر هنا في أن كلامه هو الذي يزداد بنسبة عدم الاكترات به .
(٣) هل معنى ذلك : أرشد السفينة كما تتطلب الريح أى اعترف بشكائتي وإلا فإنى سأستمر في الكلام كالفيضان .

والتساح يتفهقر . وما الفائدة التي تمود عليك ، إذا وجد سر الصدق وظهر الكذب قد وضع على الأرض (١) ولكن لا تتجهز^(١) للعد قبل أن يأتي ، لأنه لا إنسان يعلم المتاعب التي ستكون فيه .

وقد تكلم هذا الفلاح هذا الكلام إلى المدير العظيم للبيت (رنزي) بن (مرو) عند مدخل قاعة المحاكمة ثم أمر حاجبين أن يتمدها بسياط وقد أسخناه ضربا بها في كل أجزاء جسمه .

عندئذ قال هذا الفلاح : « إن ابن (مرو) لا يزال متنكبا في غيه وإن حواسه قد عميت عما ينظر ، وصمت عما يسمع ، وانحرفت عما يتلى عليه . انظر . إن مثلك كمثل بلد لا عميد له^(٢) ، أو جماعة لا رئيس لها ، أو كسفينة لا ريان لها ، أو كمصيبة أشقياء لا مرشد لها . » انظر . إنك حاكم^(٣) يسرق وعميد قرية يقبل (الرشوة) ومفتش صقع كان يجب عليه أن يقطع دابر التخريب ، ولكنه أصبح مثالا للمجرم .

الشكوى الرابعة

وبعد ذلك أتى هذا الفلاح ليشكو له للمرة الرابعة ووجده خارجا من معبد « أرسافيس » ، فقال له : « أنت أيها الممدوح ليت « أرسافيس » الذي تخرج من معبده يمدحك . لقد قضى على الخير وليس له الثنام ، وحقا قد ألقى الكذب على الأرض ظهريا . هل أحضر قارب التمدية إلى البر ؟ فبماذا إذن يمكن الإنسان أن يعبر ؟ على أن هذا العمل لا بد أن ينفذ كرها على أية حال (أي التمدية) (؟) وهل عبور النهر بالنعال طريقة حسنة للعبور ؟ لا ! وقل لي من ذا الذي ينام (الآن) حتى مطلع الفجر ؟ لقد قضى على السير ليلا ، والسياحة نهارا ، والسباح للإنسان أن يتمده قضيته الحقبة . انظر . إنه لا فائدة لمن يقول لك : « إن الرحمة قد تخططك فما أعظم حزن الرجل الفقير الذي قد خربته ! »

« انظر . إنك صياد يشقى غليله ، وإنسان منعس في إرضاء ملاذه . فيصيد جاموس البحر ، ويحترق (نبله) الثيران الوحشية ، ويصيد السمك ، ويرمى شباكها للطيور . على أنه لا يوجد إنسان متسرع في كلامه يخلو من العثار^(٥) ، ولا إنسان خفيف القلب يقدر أن يكون

(١) يظهر أن الفلاح يحذر « رنزي » من الثقة التامة بالمستقبل (من يعرف ما سيحدث نتيجة ظلمه)

(٢) المعبد هنا شيخ البلد .

(٣) موظف يفصل في المنازعات .

(٤) معبد للاله « حرشاف » في اهناس المدينة .

(٥) أي أن تسرع « رنزي » بحمله ظلالا .

حازما في كبح هواه ، كن صبورا حتى يمكنك أن تصل إلى المدل . اكبح جماح اختيارك حتى إن الشخص الذي تعود أن يدخل بسكون يمكنه أن يكون سعيدا . على أنه لا يوجد إنسان طائش يتفوق في عمل ، ولا متسرع تطلب مساعدته . اجعل عينيك تتأملان ، وعلم قلبك . ولا تكون قاسياً بنسبة قوتك خوف أن يحقق بك الأذى . تغاض عن قضية وإذن ستتضاعف (في صعوبتها) وإن الذي يأكل هو الذي يتذوق ، والذي يخاطب يجاب ، والنائم يرى الحلم^(١) . أما القاضي الذي تجب معاقبته فإنه نموذج للمجرم . تأمل أيها الأحمق فإنك قد ضربت ، وتأمل أيها المغفل فإنك استجوبت . وأنت يا مائح الماء تأمل فإنك قد أدخلت^(٢) ، وأنت يا مدير السكان لا تجعل قاربك يرتطم . وأنت يا معطي الحياة لا تودين بأحد ، ويا غريبا لا تسبب خراب أحد . ويا أيها النقي لا تقوم مقام المجير . ويا أيها الستر لا تجعل التمساح يفترس . والآن هل سأقضى طول اليوم في الشكوى الرابعة ؟

الشكوى الخامسة

ثم أتى هذا الفلاح يشكو للمرة الخامسة وقال : « يا أيها المدير العظيم للبيت ، يا سيدي ! (وهنا المتن غامض جدا ، غير أننا نفهم أنه يتكلم عن كل أنواع صيد السمك وكلها استعارات وتشبيهات غامضة إلى أن يقول) : تأمل . إنك في حالة كهذه (في كل ما سبق من الكلام الغامض قد شبه فيه « رنزي » بصيادي السمك) ، لا تحرم من رجلا رقيق الحال أملاكه ، وهو رجل ضعيف أنت تعرفه ، فإن أملاك الرجل الفقير بمثابة النفس له ، ومن يفتصبها يكتم أنفه^(٣) . ولقد نصبت لتسمع الشكاوى وتفصل بين المتخاصمين ، وتكبح جماح اللص . ولكن تأمل . فإنه ما تفعله هو أنك تعاضد اللص . والإنسان يضع ثقته فيك ولكنك أصبحت ممتديا . لقد نصبت سدا للفقير فاحترس خوف أن يفرق . ولكن تأمل . إنك تيار سريع له .

الشكوى السادسة

وبعد ذلك أتى هذا الفلاح للمرة السادسة ليشتكو فقال : « يا أيها المدير العظيم للبيت ،

(١) ثلاثة أحوال لليلة والملول ؛ فكما أن المللول يتبع العلة في هذه الأحوال الثلاثة كذلك يكون القاضي التهم نمودجا للمجرم .

(٢) يظهر أن ذلك يعني أنك كلما اجتهدت لتقف سبل كلامي فإنك تقهر به

(٣) الأنف هو مركز الحياة

يا سيدي ! . . . إن كل محاكمة حقّة تدحض الباطل ، وتملو بالصدق ، وتشجع الحسنة ، وتقضى على السيئة ، كالشبع عندما يأتي يقضى على الجوع ، والكساء يقضى على العرى ، وكالسماء تصفو بعد العاصفة الشديدة وتدقّ كل من شعر بالبرد ، كالنار التي تسوى النيران ، وكاللاء الذي يطفىء الظلم . انظر بعينيك : إن الحكم متلاف ، والمصلح موجد للحزن ، ومهدىء (الخلافات) خالق للألم ، والمفتصب يحط من قدر العدالة ، ولكن الشخص إذا قضى بالقسط المستقيم فإن العدالة إذن لن يحاد عنها ولن يبالغ (؟) في إجراءاتها (ولكن) إذا أخذت فأعط زميلك أيها المشدق (؟) الخلو من الصراحة .

« إن حزنى يقضى إلى نزاع ، وأتاهى يؤدي إلى تحول ، والإنسان لا يعرف ما فى القلب^(١) . لا تكن خاملا بل اهتم بالهمة . فإذا قطعت فن الذى يصل ؟ إن مجذاف القلوب (؟) فى يدك كالعمود السهل (؟) المتناول عندما يوجد الماء العميق^(٢) (؟) . فإذا ارتطم القارب فإنه يدفع ولكن (؟) حويلته تتلف (؟) وتضيع (؟) على كل شاطئ رملى (؟) . (كل العبارة غامضة)

« إنك متعلم وإنك ماهر وإنك عادل ، ولكن ليس فى النهب . (والآن ؟) فإن مثلك مثل كل بنى الإنسان كل أعمالك ملتوية ، ومفسد الأرض كلها يعيش مستقيما إلى الأمام (لا يرى أمامه اعوجاجا) . وزارع الشكر (البستاني) يروى حقله بالأعمال الخاطئة حتى يجعل مزرعته تنمو بالكذب ، وبذلك يرى المتعجب إلى الأبد (؟) .

الشكوى السابعة

وبعد ذلك أتى الفلاح ليشتكوه للمرة السابعة فقال : « يأبها المدير العظيم للبيت ، يا سيدي ! إنك سكان البلاد قاطبة ، والأرض تسبح على حسب أمرك . إنك معادل « لتحتوت » تقضى دون أن تنحاز إلى جانب . يا سيدي كن صبورا حتى يمكن الإنسان أن يستغيت بك لقضيته المادلة . ولا تجعل قلبك جوحا ، فذلك لا يليق بك . وإن الرجل البعيد النظر يكون حليما . لا تفكرن فيما لم يأت بعد ، ولا تفرحن بما لم يحدث بعد .

(١) يتنبأ الفلاح أن شدة حزنه وقوة توبيخه لا بد أن تؤدي إلى نزاع ، وأنه يحذر « رزى » أن ساعة العقاب ربما كانت أقرب مما يتصور
(٢) العبارة غامضة . ولكن يظهر أن التشبيه هنا يرسم لنا صورة « رزى » فى صورة من فقد زمام إدارة البلاد لأنه ليس فى استطاعته أن يصل إلى عمقها

والتحمل يطيل أمد الصحبة . اقض على الأمر الذي مضى ^(١) . والإنسان لا يعلم ما في القلب
 « إن منتهك حرمة القانون ، وخارق المتبع من الأمور لا يستطيع رجل فقير أن يقاوم
 شبهه إذا لم تواجهه المدالة ^(٢) . حقا إن جوفى للآن وقلبي لفعم وقد طفح من جوفى تقرير
 عن تلك الحالة . لقد كان صدع في السد ، فتدفق منه الماء ، وقد انفتح في الكلام . وعندئذ
 قد أعملت مجدافى لسبر الغور ، وزحت مائى ، وروحت عما فى جوفى ، وغسلت كثنائى
 (ملايسى) القذر . والآن قد انتهى خطاى وانتهى بؤسى فى حضرتك فإ الذى تطلبه الآن ^(٣) ؟
 « إن خمولك سيضللك ، وشراحتك ستغشك ، وإن عدم اكترائك سيولد لك
 أعداء . ولكن هل يمكنك أن نجد فلاحا آخر مثلى ؟ وهل الشاكى يقف على باب بيت الخامل ؟
 على أنه لا يوجد إنسان صامت قد أنطقته ، ولا تأم قد أبقضته ، ولا مكتب قد نشطته ،
 ولا إنسان فيه مغلق قد فتحته ، ولا جاهل قد جعلته يعرف ، ولا غبي قد علمته ،
 (ومع ذلك) فإن الحكماء هم الذين يقصون السوء ، وأرباب الخير هم أصحاب فن ليصنعوا
 لى شىء كأن ويصلوا الرؤوس التى قد فصلت (عن أجسامها) .

الشكوى الثامنة

وبعد ذلك أتى هذا الفلاح ليشكو مرة ثامنة فقال : « يا أيها المدير العظيم للبيت ،
 يا سيدى ! إن الناس يتحملون السقوط البعيد بسبب الطمع ، والرجل الجشع يعوزة النجاح ،
 ولكنه ينجح فى الخيبة . إنك جشع وذلك لا ينسجم معك ، إنك تسرق وذلك لا يفيدك ،
 أنت يا من يجب عليه أن يسمح للإنسان أن يشرف على قضيته الحقبة . ذلك لأن ما يقيم أودك
 فى بيتك ، ولأن جوفك قد ملئ ، ولأن مكيال القمح قد طفح ، وإذا اهتز فإن الفائض
 منه يبعثر على الأرض

« آه أنت يا من يجب عليه أن يقبض على اللص ، ويا من يبعد الحكماء وقد نصبوا
 ليعرءوا السوء ، وهم همى الساخط ، والحكماء قد نصبوا ليكبجوا الكذب . وليس الخوف
 منك هو الذى يجعلنى أشكو إليك . إنك لا تبصر (ما فى) قلبي . وإنه لإنسان صامت من
 يحمله يرتد دأعا عن توبيخك . ولا يخاف ممن يطالبه بحقوقه . وإن أخاه لا يؤتى به لك
 من قارة الطريق . ^(٤)

(١) المعنى غامض وقد يكون : دعنا نبدأ من جديد .

(٢) يقصد بهذا التلويح « تحوت نخت » وأمثاله الذين ينهبون دون أن يقدموا إلى المحاكمة .

(٣) ما الذى تحتاجه أكثر من ذلك .

(٤) هنا يفاخر الفلاح بأن مثيله لا يوجد فى أى ركن من أركان الطريق .

« إنك تملك حقلك في الريف ، ومكافأتك (أرضك) في ضياع الملك . وخبزك في الخبز ، والحكام يعطونك . ومع ذلك تقتصب ! هل أنت لص ، هل يحضر إليك بجنود لتصاحبك عند تقسيم الحقول (معك) ^(١) .

« أقم العدل لرب العدل ، والذي عدلُ عدالته موجود ^(٢) . وأنت يأبها القلم ، وأنت يأبها البردية ، ويأبها الدواة ، ويا « تحوت » ابتعدوا عن عمل السوء . وعندما يكون الحسن حسنا فالأمر إذن حسن . غير أن العدل سيكون إلى الأبد ويذهب مع من يعمله إلى الجبلنة ، وسيدفن وتطويه الأرض . أما اسمه فلن يمحي من الأرض ، بل سيذكر للخير . وهكذا القانون في كلمة الله ^(٣) . فهل هو ميزان ؟ إذن لا يميل . هل هو لسان الميزان ؟ إذن لا يحميد إلى جانب (لا يزن غشا) . وإذا حضرت أو حضر غيري نفاطبه ، ولا تجبين كإنسان يخاطب رجلا صامتا ، أو كإنسان يهاجم من لا يمكنه أن يهاجم . إنك لا تظهر الرحمة . إنك لا تضعف ، إنك لا تسيء ^(٤) . إنك لا تعطيني مكافأة على تلك الخطب التي تخرج من فم « رع » نفسه . انطق بالعدل وأقم العدل لأنه خطير ، وعظيم ، ويعيش طويلا ، والثقة به قد عرفت ، فهو يؤدي إلى العمر الطويل المحترم . هل الميزان يحميد ؟ فإذا كان الأمر كذلك فإن ذلك يكون بسبب كفتيه اللتين تحملان الأشياء ^(٥) . ولا يجوز وجود الظلم مع القانون . وإن العمل الحقير لا يصل إلى المدينة ، على أن أصغر الأشياء ^(٦) سيصل إلى الريف . »

الشكوى التاسعة

وبعد ذلك أتى هذا الفلاح إليه للمرة التاسعة ليشتكو فقال : « يأبها المدير العظيم للبيت ياسيدي ! إن لسان الناس ليس إلا لسان ميزانهم ، وهو الميزان الذي يبحث عن نقائصهم ^(١) . وقع العقاب على من يستحق العقاب . على أنه لا شيء مماثل استقامتك والكذب قد انتهى عمله ^(٢) والصدق يرجع معارضا له (الكذب) ^(٣) . إن الصدق هو ثروة ^(٤) الكذب . إنه ينمى ^(٥) وإنه وإذا مشى الكذب في (الخارج) فإنه يضل ، ولن يعبر في قارب التمدية ، ولن يقوم بأى تقدم ^(٦) . أما من تنمو ثروته به فلن يكون له

(١) هل تأخذ معك جنودا لتساعدك على السرقة عندما تقسم قطع الأرض .

(٢) ربما يقصد برب العدل إله الشمس « رع » الذي يعيش بالعدل .

(٣) هذا هو القانون الذي رسمته كلمة الله العليا .

(٤) الثقل والأشياء التي توزن .

(٥) أى أن كلام الناس يدل على طبيعتهم الحقة .

أطفال ، ولن يكون له وارث على الأرض . ومن يسبح به (بضاعة) لن يصل إلى بر ، وسفينته لن ترسو على مدينته .

« لا تكونن ثقيلا يا من لست خفيفا . ولا تتوانين يا من لا يسرع . لا تكونن متحزبا ولا تصنين قلبك . ولا تسترن وجهك من إنسان تعرفه ، ولا تتعامن عن إنسان قد وأيته ، ولا تردن إنسانا يشكو إليك . وارك هذا الخول حتى إن حكمتك (القائلة) : « افعل الخير لمن يفعله لك » يمكن أن تروى إلى مسامع كل الناس ، وحتى يرجع إليك . فاس فيا يمتلق بمطالهم الحق . وانحامل لا أمس له ،^(١) والأصم عن العدل لا رفيق له ، والرجل الجشع لا فراغ لديه (إجازة) . وذلك الذى يوجه إليك التهمة يصير رجلا فقيرا ، والفقير سيصير شاكيا . والعدو يصبح ذابحا (للفلاح) . تأمل . إني أشكو إليك وأنت لا تسمع شكواى فسأذهب وأشكو منك إلى « أنوبيس » .^(٢) »

الخاتمة

وبعد ذلك أمر « رنزي » بن « مرو » المدير العظيم للبيت اثنين من الحجاب ليذهبا ويحضرا كمية . وقد خاف هذا الفلاح ظنا منه أن ذلك قد عمل لمعاقبته على الخطبة التى فاه بها . فقال هذا الفلاح : « مثل اقتراب الظمان من الماء ووصول الشفة التى تتحرق إلى من كثر الموت الذى يتاق إلى رؤيته فى مجيئه عندما يأتى متباطئا . »

ولكن المدير العظيم للبيت « رنزي » بن « مرو » قال : « أيها الفلاح . انظر . جهز نفسك على أن تسكن معي . »

فقال هذا الفلاح (٩) : « هل سأعيش قائلا : دعنى آكل من خبزك وأشرب من (جسك) إلى الأبد ؟ » .

فقال المدير العظيم للبيت « رنزي » بن « مرو » : « لا بأس انتظر هنا حتى يمكنك أن تسكن معي . ثم أمر بقراءتها من ملف بردى جديد كل شكوى على حسب محتوياتها . ثم المدير العظيم للبيت « رنزي » بن « مرو » أمر بإرسالها إلى جلالة الملك المرحوم « حكور » . وقد سر منها جلالتة أكثر من أى شىء فى الأرض قاطبة . وقال جلالتة : « أنت بنفسك يا بن « مرو » (فى هذا الأمر) . »

(١) قد يحتمل : ليس له ذكرى سارة .

(٢) يظهر أن الفلاح يشير إلى اقتراب أجله عندما يكون أنوبيس إلهه ، فستدعى إليه من « رنزي » إما ليصلحه أو لينجيه من مصير الفلاح نفسه (أى الموت) .

فأمر (الدير العظيم) للبيت « رثى » بن « مرو » اثنين من الحجاب ليذهبا ويحضرا
 « تحوت نخت » فأحضر وأحصيت (كل أملاكه) ستة أشخاص
 خلافا قحه من الوجه القبلى وشعيه وحيره وخنازيره
 وماشيته الصغيرة وقد أعطى بيت « تحوت نخت » لهذا الفلاح ، وكذلك
 كل قال إلى « تحوت نخت »
 لقد انتهت [بسلام كما وجدت مدونة]

قصة الراعى

مقدمة :

أراد أحد كتاب الدولة الوسطى أن يحو كتابة من ورقة بردية^(١) ليستعملها مرة
 أخرى ، فحأ بعضها ، وبقى منها خمسة وعشرون سطرا من وسطها ، ولكن هذا الجزء
 اليسير الذى بقى لنا لا يكفى لتعرف منه وقائع القصة أو مغزاها . لذلك اقتصرنا على
 تسجيل ما قرأناه منها هنا ، وقد يجوز أن يكون موضوع القصة دائراً حول الهمة نصبت
 شباكها لراع بعيش مع ماشيته فى إحدى مناطق الدلتا »

سعى القصة :

. تأمل ، فإنى عندما ذهبت إلى المستنقع الذى يحف بهذه الأرض المنخفضة ،
 رأيت امرأة هناك ، منظرها ليس كنظر الآدميين ؛ فقف شعرى حيناً نظرت إلى ضفائرها ،
 لأن لون (جسمها) كان لامعاً جداً . على أنى لن أفعل قط ما قالت ، والخوف منها فى جسنى
 وإنى أقول لك : أنت أيتها الثيران ، دعينا نذهب إلى البيت (٢) . دع المعجول تعبر ،
 والماعر تبق فى مكان . . . مع الرعاة خلفها ، أما قاربنا الخاص بالسياحة إلى مأوانا فيوضع فى
 مؤخرته الثيران والأبقار ، وفى هذا الحين يقوم أعقل الرعاة بتلاوة تمويذة مائية^(٣) ويقول

See Gardiner Hierat. Papyrus aus den Königl. Museen zu Berlin, II. P. (١)
 15; & Erman, The Literature of the Ancient Egyptians P. 35

(٢) لينع التماسيح عن القطمان . والمقصود من ذلك معروف لدينا من مناظر الدولة القديمة وهو
 أن الرعاة — الذين كانوا يحضرون الماشية إلى البيت وكان عليهم أن يعبروا ماء — كانوا يذهبون أولاً
 فى قارب وكانت الثيران والأبقار تتبعهم عوماً ، على حين أن المعجول كان يجبر بالقدود . وفى نفس الوقت
 يقوم الرعاة بعمل إشارة خاصة بأصابعهم كان المفروض فيها أنها تبعد التماسيح عن القطمان .

هكذا : « إن أرواحي ^(١) (كاوو) مبهجة » وأنتم أيها الرعاة ، وأنتم أيها الناس ، لن يقدر أحد أن يطردني من هذا الحقل حتى في عام نيله مرتفع ، يشرف فيه على هضاب الأرض ، ولا يمكن أن تميز فيه البركة من النهر ^(٢) .

اعمد إلى بيتك ^(٣) . أما الماشية التي كانت قد بقيت فقد عادت ؛ والخوف منك قد زال ، والرهبة منك قد تلاشت ، وحتى يحجى الرعب من « الواحدة القوية » والخوف من « سيدة الأرضين » ^(٤)

ولما ظهر النور على الأرض في الفجر الأول نفذ ما قال . وهذه الإلهة قابلته بينما كان يخرج في طريقه إلى البركة ، وقد خلعت ملابسها ونفشت شعرها . . .

قصة هلاك الإنسانية

ملخصها :

شعر الإله « رع » إله الشمس أنه صار مسنأ ، وأن رعيته من بني الإنسان يتآمرون على قتله ، فاستنجد بالإلهة « حتحور » التي تسمى في هذه القصة « عين رع » لتقضى على بني الإنسان جملة ، ولكنها بعد أن بدأت عملها عز على الإله « رع » ذلك ، فدبر طريقة يتخذ بها من بقى من البشر ، ويخلصهم من بطش هذه الإلهة ، وتم له ذلك بمعونة شراب الخمر الذي حجب إلى قلبها ، فاحتست منه حتى ثملت ولم تع ما كانت تريد .

وراسة الفصل :

تمثل لنا هذه القصة أو بعبارة أدق هذه الخرافة نوعا من الشعر القصصي الذي يدور حول « الإلهة حتحور » إلهة السماء ، والإله « رع » إله الشمس ، وقد حفظت لنا بتوفيق غريب ، إذ أنها كانت قد نقلت في كتاب تعويذات سحرية . وقد نقش هذا الكتاب على جدران مقبرة الملك سيتي الأول من الأسرة التاسعة عشرة ، ثم على جدران مقبرة رعمسيس الثالث من الأسرة العشرين . ووردت هذه القصة فيما نُقش باعتبارها جزءا من هذا الكتاب

(١) كان للكائنات الالهية أرواح (كاوو) عدة

(٢) أى أن البركة والنهر يكونان كتلة واحدة من الماء بسبب ارتفاع النيل

(٣) قد يكون هذا جواب الرعاة الآخرين

(٤) لا بد أن المقصود بذلك إلهة عظيمة نظراً لهذه الألقاب

كما وجدت مكتوبة على « ناووس » « توت عنخ آمون » الخشبى (ولم تلتشر بعد) . غير أنه من النقشين الأولين وإن وجدا مهشمين استطعنا أن نحصل على نص كامل تقريبا لهذه الخرافة . ويرجع تاريخ هذه الوثيقة إلى الدولة الوسطى ، والمرجح أنها كتبت فى بدايتها . على أن أول ما يسترعى النظر فى أسلوب هذه القصة هو سداجة التعبير والتكرار الممل كالذى نسمعه فى بيوتنا عندما نقص علينا خرافة من الخرافات ، يضاف إلى ذلك أن القصة تحتوى على اشتقاقات لغوية خاصة بأسماء الآلهة تلفت نظر المشتغلين باللغة المصرية . وكذلك نجد فيها صورة طريفة للاحتفالات والمراسيم المحلية التى كان لا بد منها فى الطقوس المصرية . أما أهم ما يلفت النظر فيها من حيث القصص فهو وجه الشبه بين قصة الطوفان الذى جاء ذكره فى الكتب المقدسة ، والذى كان من جرائه فناء الإنسانية تقريبا ، وبين فيضان الشراب الذى غمر البلاد المصرية فى قصتنا مع الفارق ، أن الخيال للمصرى فى قصتنا قد قلب الطوفان الذى أرسل هناك لهلاك البشر ليكون حافظا ورحمة لهم هنا . ولكننا نذكر هذه المقابلة بشئ كبير من التحفظ المقرون بالشك . وسيبقى هذا الشك موجودا إلى أن تصل إلينا وثائق أخرى تثبت حدوث هذا الطوفان فى مصر ، وبخاصة إذا علمنا أن « أفلاطون » قد أنكر ذلك (Timaeus P 22 ff) .

والواقع أنه لا يوجد فى الوثائق المصرية خرافة خاصة بالطوفان . والمصدر الوحيد الذى تلمح فيه عن بعد إشارة عن الطوفان هى الخرافة الخاصة « بأوزير » أو « حور » « جَدَ » بنى الإنسان ، إذ ترى فيها الإله يطفو على سطح الماء فى صندوق عند ولادته أو عند موته حسب الإله المذكور إن كان « أوزير » أو « حور » (انظر Max Müller Egyptian Mythology P. 76 ff.

المصادر :

أول من بحث هذه القصة هو الأستاذ « ناغيل » ثم ترجمها بعده « ماكس مولر »
فالأستاذ « ارمان » :

- (1) Naville. Transactions of the Soc. of Bib. Arch IV P. 1—9
- (2) Max Müller Egybtian Mythology. P. 73 ff
- (3) Erman. The Literature of The Ancient Egyptians P. 47 etc.
- (4) Roeder Urkunden. zur Religion des Alten Agypten P. 141.

من الفضة :

..... الإله الذى أوجد نفسه عندما كان ملكا على الآلهة والناس جميعا . وقد دبر له بنو البشر مؤامرة . وقد كان جلالته وقتئذ متقدما فى السن ، وكانت عظامه من فضة ولحمه من ذهب وشعره من اللازورد الحقيقى (الظاهر أن هذه كانت أمارات على كبر السن فى الآلهة) .

ولكن جلالته قد فطن لما يدبره ضده بنو البشر ، وعند ذلك قال جلالته لمن كانوا فى حاشيته : تمالوا ونادوا إلى عيني ، وكذلك « شو » و « تفنوت » و « جب » و « نوت » ومعهم الآباء والأمهات الذين كانوا فى صحبتى عندما كنت لا أزال فى نون (المحيط الأبدى) وكذلك نادوا إلى « نوت » نفسه ودعوه يحضر معه حاشيته ، ويجب عليكم أن تحضروهم سرا حتى لا يراهم بنو الإنسان ، فياخذ قلوبهم الفزع ، ويجب عليكم أن تحضروا معهم إلى قصر العظيم حتى يمدونى بنصيحتهم .

من أجل ذلك حضر هؤلاء الآلهة . وهؤلاء حضروا أمامه ولسوا الأرض بجباهم فى حضرة جلالته ، لأجل أن يقول كلماته فى حضرة والد أكبرهم سنا « نون » ، ذلك الذى سوى بنى البشر وملك الناس .

قالوا لجلالته : تحدث إلينا حتى نسمع حديثك . فقال « رع » للاله « نون » يا أسن **ق** به جئت للوجود ، وأنتم أيها الآلهة الأقدمون ، انظروا إلى بنى البشر الذين أتوا للوجود **ب**نى ، فقد دبروا مؤامرة ضدى ، فأخبرونى بما عسأى أفعل فى ذلك . تأملوا ، فإنى لا زلت **ق**يت ، ولن أذبحهم حتى أسمع رأيكم فى ذلك . عندئذ قال جلالته « نون » يا بنى رع أنت **ق**يا الإله الذى هو أعظم من الذى خلقه وأسن من الذين سموه ، ابق حيث أنت ، فإن **ق**طرف منك سيكون عظيما ، إذا التقت عينك بمن تخيل لك سوءا . فقال جلالته « رع » : **ق**هم . إنهم قد هربوا إلى الصحراء لأن قلوبهم فى وجل مما قالوا . وعندئذ قالوا لجلالته : **ق**ل عيشك لتذبحهم لك . . لتذبحهم لك عندما تنزل بصورة « حتحور »

وهكذا جادت هذه الإلهة بعد أن قتلت بنى الإنسان فى الصحراء ، وقال جلالته هذا

قنه : مرحبا مرحبا يا حتحور . لقد فعلت ما أرسلتك من أجله . فقالت له هذه الإلهة :

بجياتك لقد تغلبت على بنى البشر وقتبى فرح لذلك^(١) . .

وقال « رع » : تعالوا نادوا رسلى المسرعين فى العدو حتى يمدوا مثل ظل الجسم . وقد أحضر هؤلاء الرسل ، فقال لهم جلالة هذا الإله : أسرعوا إلى انفتن (أسوان) وأحضروا نى كمية عظيمة من الطّفّل الأحمر . فأحضر له هذا الطفل الأحمر . ثم إن جلالة هذا الإله العظيم أمر الإله « ذو الذؤابة » الذى فى عين الشمس أن يطحن هذا الطفل الأحمر . ثم أتت الخدامات شعيراً للجمعة ، وأضيف له هذا الطفل المطحون ، فصار يشبه الدم البشرى ، ثم جهز ٧٠٠٠ إبريق (هنت) من الجمعة . ثم حضر جلالة الملك « رع » ملك الوجهين القبلى والبحرى وبصحبته هؤلاء الآلهة ليروا هذا الشراب ، وانفلق صبح اليوم الذى كانت ستذبح فيه الإلهة بنى الإنسان فى وقت ذهابهم إلى النهر . وقال جلالة هذا الإله : إنها حسنة جدا سأحمى بها بنى الإنسان (؟) وقال « رع » : احملوها الآن إلى المكان الذى قالت عنه إنها ستقتل فيه بنى الإنسان . وبكر جلالة « رع » ملك الوجه القبلى والوجه البحرى فى أعماق الليل ليصب هذا الشراب المنوم (؟) والحقول التى . . قد ملئت بالشراب بقوة جلالة هذا الإله .

وفى الصباح ذهبت الإلهة ووجدتها غطيت بالفيضان ، وكان وجهها جميلا فيه (أى فى الفيضان) فشربت ، وكان الشراب لذيذا إلى قلبها فسكرت ، ولم تع بنى الإنسان .

قصة الملك خوفو والسحرة

عندما تقرأ هذه القصة تلمس فى أسلوبها والفرض منها روح قصص « ألف ليلة وليلة » ، فهى سلسلة من القصص تعتبر الأولى من نوعها ، قد صيغت باللغة المصرية الحديثة التى سادت استعملها فى عهد الدولة الحديثة ، وبقيت اللغة الرسمية للبلاد إلى أمد بعيد من ألف السنة الأولى قبل الميلاد ، وأظهر مميزات هذه اللغة الجديدة : اختفاء الضمير المتصل الذى كنا نجد فى اللغة القديمة يحتل آخر لكلمة . فمثلا كلمة « بيتى » كانت تكتب فى اللغة القديمة كلمة واحدة ، ولكنها فى اللغة الحديثة أصبحت تكتب كلمتين : الضمير ويوضع فى أول الكلمة ، والكلمة نفسها وتأتى بعد ذلك ، كما فى اللغات الأوروبية . يضاف إلى ذلك اختفاء

(١) يأتى بعد ذلك قطعة غامضة يمكننا أن نحكم من سياق ما سيأتى أنها كانت تحتوي على ندم

« رع » على ما فرط منه وعزمه على إنفاذ البقية الباقية من بنى الإنسان .

بعض صيغ قديمة واستحداث عدد عظيم من الأدوات لم تكن موجودة من قبل . ولا يفوتنا أن هذه اللغة الحديثة لم تصر اللغة الرسمية للبلاد إلا بعد مائتي سنة على ظهور قصتنا ، وذلك في عهد الفرعون « اخناتون » حيث أخذت اللغة القديمة تتولّى وتختفى .

ملخص القصة :

« خوفو » باني الهرم الأكبر جمع أولاده يوما وطلب أن يقص عليه كل منهم قصة غريبة تتناول السحر ومجزاته فيما مضى من الدهور ، فأخذوا يتناولون الحديث ، إلى أن قام أحدهم وذكر قصة عن ساحر لم يزل على قيد الحياة يأتي بخوارق الأمور ، وأحضره فعلا أمام الملك . فبمث الحياة مرة ثانية إلى حيوانات فصلت رءوسها عن أجسادها ، فلما رأى الملك قدرته على إحياء الموتي طلب أن يعرف منه عدد أقفال معبد الآله « تحوت » ، فاعتذر بأنه لا يعرف عددها وإن كان يعرف مكانها ، وأن رجلا واحدا هو الذي يستطيع الإتيان بها للملك ، وهذا الرجل لم يولد بعد ، ولا يزال مع أخويه في بطن أمه وهي كاهنة « رع » وقد قدر لأولادها الثلاثة أن يحكموا ثلاثة أجيال .

فهلح قلب الملك « خوفو » لما سمع من كلام الساحر خشية على ملكه أن يتوارثه غير أبنائه . فسأل الساحر مرة أخرى عن موعد ولادة هؤلاء الإخوة الثلاثة فأجابه الساحر . ومن ثم شغل بأمر الكاهنة وأخذ يترقب ولادتها . وظهر أثناء ذلك بعض المعجزات السحرية سيرها القاريء في متن القصة .

دراسة القصة :

تتميز في هذه القصة مرحلتان متباينتان :

الأولى : ما سرده أولاد الملك من قصص السحرة .

والثانية : ما حكّت أم الأطفال الثلاثة الذين سيتقل إليهم زمام الأمر في البلاد .

ووصل المؤلف بين المرحلتين بإقحام البحث عن مفاتيح الآله « تحوت » رب العلم والسحر ليخلق بذلك مناسبة لذكر الأطفال الثلاثة الذين أسسوا — بعد أن شبوا واصلت قساتهم — الأسرة الخامسة .

وهذه القصص تكون وحدة متماسكة الأجزاء كان الغرض منها أولاً تسليّة الملك وإدخال السرور على قلبه ، وانهت في مرحلتها الأخيرة بالدعاية للولك الأسرة الجديدة وأنهم من

نسل « رع » ، ولذلك أسس كل منهم معبدا للشمس فأما بذاته . وهي في جملتها تمجيد لنفـ
السحر ، وحرب على الرذائل الخلقية . فالزانية فيها قد أحرقت ، والزاني ألقى طعاما للتمساح
ويمكننا أن نلقى ضوءا على نهاية القصة النامضة ، فنقول بأغلب الظن إن مساعي الملك
لقتل هؤلاء الأطفال لم تنجح ، فشبوا وترعرعوا ونصبوا ملوكا متتابعين . والقصص التي من
هذا النوع كثيرة مثل قصة الحكماء الثلاثة الذين أتوا من المشرق (أنجيل متى الإصحاح الثاني) .
فلنا إن هذه القصص تكون وحدة متماسكة الأجزاء ، وبعبارة أوضح نستطيع أن نقول
إنها قصة واحدة ، فإن اقتطع جزء منها أو الاقتصار على قصة واحدة من قصصها يظهرها
لنا ناقصة شوهاء لا تؤدي إلى الفرض الذي سبقت من أجله .
وإذا نظرنا إلى هذه القصة باعتبارها أدبا قصصيا حكمنا بأنها ليست من النوع الراقى .
وإذا نظرنا إليها باعتبارها قصصا قوميا رأينا أنها في بابها قطعة فنية تستحق الذكر .

ولا نظن أن القصص القوي الذي يميل إليه جبهة الشعب ويتفهمونه في سهولة ويسر
لا صنعة فيه ولا يستلزم حذقا ومهارة ، فإنه استعداد وقدرة وصراف على ما تواضع عليه
القصاص وزواد مجالسهم . فتتربى عند الواحد ملكة يستطيع بها إذا سمع قصة أن يلحظها
بشبهة لها وردت على أذنه من قبل ، فهي بهذا حرفة وفن وتقاليد موروثة . ومن هنا
أنت شهرة القصاص الأذكاء الذين يدركون ذوق جمهور المستمعين فيغذونهم بما
يناسبهم ، ويكافئهم هؤلاء بالتهافت على مجالسهم والتحدث بمواهبهم .

ومع ذلك فإنه إذا صيغ هذا النوع من القصص في ثوب جميل من الأساليب كانت له
قيمتها العظيمة ، كما تشاهد ذلك في قصص الدولة الوسطى . وسيرى القارئ عند الكلام على
شكاوى « خع — خبر — رع — نب » أن المؤلف كان يندب حظ الأسلوب الأدبي في
الكتابة ويقول عنه : إنه أصبح خاليا من كل تنميق .

وهذا النقد راه ظاهرة في كل آداب العالم . فإذا ساد لون منه عصرا من المصور قام
من ينادون بتغييره ، لأن الجدة والتغيير تروح إليهما النفوس كثيرا ، كما نرى الآن بين أنصار
الأدب القديم وأنصار الأدب الجديد ، وبين أنصار الأدب المحترق والأدب المكشوف ،
وبين أنصار العربية والعامية .

المصادر :

أول من عنى بترجمة هذه القصة هو الأستاذ « أدلف ارمان » . والبردية التي وجدت مكتوبة عليها تعرف باسم ورقة « وستكار » . وأحدث ترجمة لها هي التي أجدها في كتاب « إرمان » في الأدب المصرى القديم ، وقد بحث موضوعها وعلق عليها غيره من علماء المصرية . وهاك المصادر التي يمكن الرجوع إليها والاعتماد على ما جاء فيها :

(1) Erman : The Literature of the Ancient Egyptians P. 86 ff

(2) Peet : A comparative Study of the Literatures of Egypt Palestine and Mesopotamia. P. 41 ff.

(3) Max Pieper : Die Agyptische Literatur. P. 55 ff.

(4) Maspero: Popular stories of Ancient Egypt P. 21 ff.

(5) A. Wiedeman : Altaegyptische Sagen und Märchen. Leipzig. 1906.

متن القصة :

(أول هذه القصص خاص بحوادث في عهد الملك « زوسر » ، غير أنه لم يحفظ منها إلا الخاتمة ، وفيها يأمر الملك « خوفو » اعترافاً منه بأعمال هذا الملك « زوسر » وساحره (رئيس المرتلين^(١)) بتقديم ما كولات لهما توضع في قبورهما)
ثم قام الأمير « خفرع »^(٢) يتكلم وقال :

« أنا أقص على جلالتك أمجوبة حدثت في عهد والدك « نيبكا »^(٣) حينما ذهب إلى معبد « بتاح » في « منف » وذلك أنه حينما ذهب جلالته إلى منف ، زار رئيس المرتلين « وباوز » أيضا . . .

وكان لـ « وباوز » هذا زوجة قد أغرمت بحب أحد سكان المدن ، وقد كانت على اتصال معه بوساطة خادمة ، وقد أرسلت له صندوقاً مفعماً بالملابس هدية له وحضر مع الخادمة .

وبعد أن مضت عدة أيام^(٤) — كان يوجد منزله على بحيرة^(٥) « وباوز » — فقال ذلك للواطن لزوج « وباوز » :

(١) المرتل هو الكاهن المتعلم الذى يعرف الكتب المقدسة وهو لذلك ساحر متفوق .

(٢) باني هرم الجيزة الثانى .

(٣) نيبكا وزوسر من ملوك الأسرة الثالثة .

(٤) اصطلاح ثابت فى القصص المصرية ولا يؤخذ به حرفياً وسنراه كثيراً فيما يلى .

(٥) يقصد بذلك حديقة كبيرة فيها بركة وخيمة على حسب العادة المصرية

(cf. A. M. Blackman Luxor and its Temples PP. 10 f.)

لماذا ؟ . إنه يوجد منزله في بحيرة « وباوز » . انظري سنمكت فيه معا . فأرسلت زوجة « وباوز » إلى مدير البيت المشرف على البحيرة قائلة : « جهز^(١) بيت الزهرة الذي في البحيرة » . وبعد ذلك ذهبت هناك وقضت اليوم تشرب مع ذلك المواطن حتى مغرب الشمس . ولما حان وقت الغروب ذهب إلى البحيرة ووقفت الخادمة لقضاء حاجته كأنها خادم حمام ، وقد لمحها رئيس البيت .

ولما أضاءت الأرض وحل اليوم التالي^(٢) ذهب مدير البيت وأخبر سيده بالأمر فقال « وباوز » : « اذهب وأحضري . . . من العاج والذهب » . وبهذه الآلة صنع تمساحا من الشمع طوله سبعة أشبار ، وتلا عليه تعويذة وقال : « إن من يأتي ليستحم في بحيرتي أقبض عليه » . وأعطاه مدير البيت وقال له : « حينما ينزل المدنى إلى بحيرتي على حسب عادته اليومية ألق التمساح وراءه في الماء » . وعلى ذلك ذهب مدير البيت في سبيله وأخذ تمساح الشمع معه .

وأرسلت زوجة « وباوز » إلى مدير البيت الذى كان مشرفا على البحيرة قائلة : « جهز بيت الزهرة الذى على البحيرة . انظر ، إنى سأسكن فيه » .

فأث بيت الزهرة بكل شيء جميل ، ثم ذهبت^(٣) وقضتا يوما يهيجا مع المدنى .

وعندما حان الغروب جاء المدنى على حسب عادته اليومية ، وألقى مدير البيت تمساح الشمع وراءه في الماء فانقلب إلى تمساح طوله سبع أذرع وقبض على المدنى ولكن « وباوز » مكث مع جلالة الملك « نيك » سبعة أيام ، وفي هذه الأثناء كان المدنى في الماء من غير تنفس . ولما انقضت سبعة الأيام أتى الملك « نيك » وحضر أمامه رئيس المرتلين « وباوز » . ثم قال « وباوز » : « . . ليت جلالتك تأتى وتشاهد الأعمى التى حدثت في عهد جلالتك » فذهب الملك معه ، ثم نادى « وباوز » التمساح وقال : « أحضري إلى هنا المدنى » . وعلى ذلك خرج التمساح وأحضره . . . فقال جلالة الملك « نيك » : « أستميحك عفوا ، ولكن هذا التمساح غييف (?) » . وعند ذلك انحى « وباوز » وأخذته فصار تمساحاً من شمع في يده .

وبعد ذلك قص رئيس المرتلين « وباوز » على جلالة الملك « نيك » هذا الأمر الذى فعله المدنى في بيته مع زوجته . فقال جلالتة للتمساح :

(١) بالمؤن وغيرها .

(٢) اصطلاح ثابت أيضا .

(٣) الزوجة وخادمتها .

« خذه فهو ملكك » .

وعندئذ غاص التمساح فى أعماق البحيرة ، ولم يعرف أحد المكان الذى ذهب إليه معه .
وأمر جلالة الملك « نيكأ » أن تؤخذ زوج « وبأور » إلى الحقل الذى فى شمال مقر
الملك ، وأشعلت النار فيها وأتى برمادها فى النهر .

« انظر . إن هذه أعجوبة حدثت فى عهد والدك « نيكأ » وهى من أعمال رئيس المرتلين
« وبأور » العظيمة » .

فقال جلالة الملك « خوفو » : « فليقدم للملك « نيكأ » ألف رغيف من الخبز ومائة إناء
من الجمعة وثور ، وكيلا من البخور ، وليعط رئيس المرتلين « وبأور » فطيرة وإبريقا من
الجمعة وقطعة كبيرة من اللحم وكيلا من البخور ، لأنى رأيت مثلا من علمه ، وقد نفذ كل
ما أمر به جلالته .

ثم وقف الأمير « بوفرع » ليتكلم وقال :

« أقص عليك أعجوبة حدثت فى عهد والدك « سنفرو »^(١) ، وهى من الأعمال العظيمة
التي قام بها رئيس المرتلين « زازا ممنخ » . وذلك أنه ذات يوم كان الملك « سنفرو » حزينا ،
ومن أجل ذلك جمع رجال القصر ليجد لنفسه تسليية ، ولكنه لم يجد شيئا » وعند ذلك قال :
اذهب وأحضرنى رئيس المرتلين « زازا ممنخ » . « فأحضر إليه فى الحال ، فقال له جلالته :
« لقد جمعت رجال القصر جميعا ليجدوا لى تسليية ، ولكن لم أجد » .

فقال له « زازا ممنخ » :

« إذا ذهبت جلالتك إلى بحيرة البيت العظيم^(٢) ، اركب قارباً كل ما فيه عذارى من إماء
قصرك ، عندئذ قلب جلالتك ينشرح حيناً ترى كيف يمدفن جيئة وروحة . وعندما ترى
الأمأكن اللطيفة التى على البحيرة ، وتنظر إلى حقولها وشاطئها الجميلين ، فإن قلبك
ينشرح بذلك . » .

فقال له جلالته :

« سأفعل هذا . عد إلى منزلك (؟) وسأذهب لأجدف . فليؤت إلى بعشرين مجدافا
من الأبنوس مرصعة بالذهب ومقابضها من خشب (سكب) مطعمة بخالص النضار .
فليؤت إلى بعشرين امرأة ممن لهن أجل الأعضاء ، وصدورهن رشيقة ، وشعورهن

(١) الملك الذى حكم قبل خوفو مباشرة .

(٢) أى القصر

مجدولة ممن لم يلدن بعد ، وفوق ذلك أحضرها إلى عشرين شبكة ، وأعطوها النساء بدلا من ملابسهن ، وقد نفذ كل ما أمر به جلالته ، وجدفن جيئة وروحة ، وكان قلب جلالته فرحا حينما رأى كيف يجدفن .

ثم تعثرت قائدة^(١) منهن في جدائل شعرها ، وسقطت سمكة حل^(٢) من (الملخيت) الجديد في الماء . فسكت^(٣) ولم تعد تجدف وسكت الصف الذي كانت تقوده وانقطع عن التجديف . عندئذ قال جلالته : « لماذا لا تجدفن ؟ » فقلن : « إن قائدتنا صامته ولا تجدف » فقال لها جلالته : « لماذا لا تجدفين ؟ » .

فقلت : « إن السمكة — من الملخيت الجديد — قد سقطت في الماء » . فأحضر إليها أخرى وقال : « إنى أعطيك هذه بدلا » . فقلت : « إنى أريد قمبي حتى قاعه^(٤) » . عندئذ قال جلالته : « اذهب وأحضر إلى رئيس المرتلين « زازا معنخ » » . فأحضر فوراً وقال جلالته : « يا زازا معنخ ، يا أخى ، لقد فعلت كما قلت ، وقد سر قلب جلالتي حينما نظرت كيف يجدفن ، ولكن سمكة حل من الملخيت الجديد لقائدة قد سقطت في الماء ، فسكتت ولم تجدف ، وبذلك أضرب صفها عن التجديف ، وقد قلت لها : لماذا لا تجدفين ؟ فقلت لى : إن سمكة حل من الملخيت الجديد قد سقطت في الماء . فقلت لها : جدى وأنا أعطيك بدلها . فقلت لى : إنى أريد قمبي حتى قاعه »

« وعندئذ تلا « زازا معنخ » رئيس المرتلين عزيمة سحرية ، وجمل ماء أحد جانبي البعيرة على الجانب الآخر^(٥) . ووجد سمكة الحل موضوعة على قطعة خرف ، فأحضرها وأعطائها صاحبها . أما الماء فكان عمقه اثني عشر ذراعا في الوسط ، وقد بلغ أربعة وعشرين ذراعا حينما رفع . وعند ذلك تلا تعويذة سحرية فرد ماء البحيرة ثانية إلى مكانه . » وقضى جلالته كل اليوم في سرور مع كل القصر ، وكافأ رئيس المرتلين « زازا معنخ » بكل الأشياء الطيبة » .

(١) يحتمل أن البنات كن يجلسن في صيفن لكل منهما قائدة تقود التجديف

(٢) يظهر أن النساء عند التجديف كن يلبسن حلية للشعر على شكل سمكة .

(See Blackman, Journ. of Egypt. Archaeology. XI PP. 212 f.)

(٣) كان البنات يمين أئماء التجديف للفلية كما يفعل البحارة الآن على المراكب النيلية .

(٤) إنى أريد حتى كاملا [إنى أفضل سمكتى على شبيهتها (المترجم)]

(٥) أى أنه طوى الماء في البحيرة . كما تطوى الملابس . وهذه معجزة تشبه التي ذكرت في القرآن

عن فرعون موسى عندما كان يطارد بنى اسرائيل . « فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانقلب فكان كل فرق كالطود العظيم »

« انظر !! إنها أعجوبة حدثت في عهد والدك » سنفرو « وهي من أعمال رئيس المرتلين ناسخ الكتاب « زازا ممنخ »

فقال جلالة الملك « خوفو »^(١) : « فليقدم إلى جلالة الملك « سنفرو » مائة رغيف من الخبز ومائة إناء من الجعة ، وثور ، وكيلان من البخور ، وليعط رئيس المرتلين ناسخ الكتاب « زازا ممنخ » فطيرة ، وإبريقا من الجعة ، وكيلا من البخور ، لأنى رأيت مثلا من علمه . » وقد نفذ كل ما أمر به جلالتة .

ثم نهض الأمير « حردادف » ليتكلم فقال :
« إنك لم تسمع إلى الآن غير أمثلة لسحرة سبقونا ، والإنسان لا يستطيع أن يتبين فيها الصدق من الكذب . غير أنه في زمنك هذا يوجد ساحر » .

فقال جلالتة : « من هو يا « حردادف » ، يا بنى ؟ » فأجاب الأمير « حردادف » :^(٢)
« يوجد مدنى اسمه « ددى » يقطن في « دد — سنفرو »^(٣) بلغ من العمر مائة وعشرة أعوام ويأكل خمسمائة وخمسين رغيفا من الخبز ، وتغذ ثور من صنف اللحم ، ويشرب مائة إبريق من الجعة ، إلى يومنا هذا^(٤) . وهو يعرف إلى الآن كيف يركب ثانية رأسا قد قطع ، ويعرف كيف يجعل الأسد يتبعه وحبله^(٥) يجر على الأرض ، وهو يعرف عدد الأقفال التى يحتوى عليها معبد « تحوت » — واتفق أن جلالة الملك « خوفو » كان دائما يبحث عن أقفال معبد « تحوت » ليعمل لأفقه^(٥) مثلها » .

وعندئذ قال جلالتة : « أنت بنفسك يا بنى « حردادف » ستحضره لى . »
وأعدت سفن للأمير « حردادف » وسافر مصعدا إلى « دد — سنفرو » ، وعندما رست السفن على الشاطئ سافر برّا جالسا في محفة من الأبنوس قواعها مصنوعة من خشب (سسمن) ومطعمة بالذهب .
ولما وصل إلى « ددى » وضمت المحفة على الأرض ووقف يسلم عليه فوجده جالسا على

(١) For this reading see Sethe Aegyptische Lesestücke. P. 28. (١)

(٢) مدينة بالقرب من ميدوم الحالية شال مدخل اليوم .

(٣) أى أنه لا يزال فويا صحيح الجسم ، وقد كان المصريون يعتبرون أن مائة وعشرة أعوام آخر حد للعمر .

(٤) الحبل الذى يقود به الأسد ، غير أن الأسد يتبعه على الرغم من أن الحبل يجر على الأرض (أى حبله على غاربه) .

(٥) الأذى هو هرم الملك الذى يظن أنه يضرب فيه مثل الشمس .

حصير على عتبة بيته ، وكان رأسه قد أمسك به خادم مملسا عليه ، وكان آخر يدلك قدميه وقال الأمير « حردادف » : إن حالتك الآن كحالتك قبل التقدم في السن وقبل الكبر وهو بيت الداء ، ومكان الكفن ، وعمل الدفن ؛ (وأنت لا تزال رجلا) بنام إلى مطلع النهار معاً في من المرض ، وبدون أن تتقدم في السن المشينة^(١) (أى التي يجزع الإنسان منها) . تحياتي أيها المحترم ! لقد أتيت إلى هنا في طلبك برسالة من والدي « خوفو » حتى تأكل أطيب الأشياء التي يعطيها الملك وهي مأكولات من في خدمته ، وحتى يوصلك بعد عمر طويل إلى آبائك الذين في عالم الأموات .

فقال « ددى هذا » : « في سلام في سلام يا « حردادف » ، أنت يا ابن الملك الذي يعزم والده ! ليت والدك « خوفو » يكافئك وليته يرفع مكانتك بين الكبار ! وليت روحك^(٢) تحارب قرنك ! وليت روحك تعرف ال . . . طريق إلى باب « من يخفي الضعف »^(٣) مرحبا يا ابن الملك ! . »

ومد الأمير « حردادف » إليه يده وساعده على القيام وبعد ذلك ذهب معه إلى شاطئ النهر أخذاً بيده طوال الوقت .

وقال « ددى » : « مر بسفينة لي لتحضر إلى الأطفال^(٤) وكتبي معاً . » فوضعت تحت تصرفه سفينتان ونواتيهما ؛ أما « ددى » فإنه انحدر في النهر في سفينة الأمير « حردادف » ولما وصل الأمير « حردادف » إلى مقر الملك دخل ليقدم تقريره للملك « خوفو » . فقال الأمير « حردادف » : « أيها الملك ، سيدي : لقد أحضرت « ددى » . فقال جلالتة : « اذهب وأحضره لي » .

ثم ذهب الملك إلى القاعة ذات العمدة في القصر وأحضر « ددى » إليه . وقال جلالتة : « كيف كان ذلك يا « ددى » ؟ ! إني لم أرك قط من قبل ؟ »

فقال « ددى » : « إن من يُطلب عليه أن يحضر . إن الملك طلبني ، وها أنا قد أتيت^(٥) » . فقال جلالتة : « أضحج ما يقال من أنك يمكنك أن تركب ثانية رأساً قد قطع ؟ » فقال « ددى » : نعم . أعرف ذلك يأبها الملك ، يا مولاي . » فقال جلالتة : « أحضروا لي سجيناً من

(١) يرى القاص في تحيات الأمير والحكيم إلى أسلوب أعلى ، ولذا كان من الصعب فهمها .

(٢) الروح هنا ترجمة « كا » .

(٣) بواب في العالم السفلي .

(٤) تلاميذه ؟

(٥) المعنى : يقع الوزر عليك إذا لم تكن قد رأيتني حتى الآن وذلك لأنك لم تكن لتسأل عنى

لنسجن حتى يوقع عليه عقابه . « فقال «ددى» : « ولكن ليس على رجل ^(١) أيها الملك ،
يا مولاي ! انظر ، أليس من الخير أن يجرب شيء مثل هذا على الماشية السامية ^(٢) ؟ »
فأحضرت إليه إوزة ثم فصل رأسها ، ووضعت الإوزة في الجانب الغربي من القاعة ،
ورأسها في الجانب الشرق منها ، وتلا «ددى» تعويذة سحرية ، فوقفت الإوزة ومشيت ،
وكذلك فعل رأسها . ولما وصل أحد الجزأين إلى الآخر وقفت الإوزة وصاحت . وأحضرت
إليه بطة وعمل فيها بالمثل .

وأحضر له جلالته ثوراً وجعل رأسه يسقط على الأرض ، وتلا «ددى» تعويذته السحرية
فوقف الثور وراءه على حين أن حبله سقط على الأرض ^(٣) ، فقال الملك «خوفو» :
« يقال إنك تعرف عدد أقفال معبد تحوت . » فقال «ددى» : « معذرة فإنني لا أعرف
عددها أيها الملك يا مولاي ، ولكنني أعرف أين هي . » فقال جلالته : « أين هي ؟ » فقال
«ددى» : « يوجد صندوق من الظران في حجرة تسمى «فهرس هليوبوليس» [انظر إليها]
في الصندوق ^(٤) » فقال «ددى» : « أيها الملك يا مولاي ، انظر ، لست أنا الذي آتى بها
بذلك . » فقال جلالته : « من الذي يحضرها إذن ؟ » فقال «ددى» : « إنه أكبر ثلاثة
الأطفال الذين في بطن «رد — ددت» الذي سيحضرها لك . » فقال جلالته : « ولكنني
أرغب في أن تقول من هي «رد — ددت» هذه . » فقال «ددى» : « إنها زوجة كاهن
«رع» في بلدة «سخبو» ^(٥) وهي التي حملت في ثلاثة أطفال «لرع» رب «سخبو» وقد
أخبرها أنهم سيتولون هذه الوظيفة الكبرى ^(٦) في كل هذه البلاد ، وإن أكبرهم سيكون
لكم من الأعظم في عين شمس »

وعندئذ استولى الحزن على قلب الملك من أجل ذلك . فقال «ددى» : « أستمححك
خوا ، ما هذه الحالة أيها الملك يا مولاي ؟ أمن أجل ثلاثة الأطفال ؟ وعلى ذلك أقول لك :
ابنك ، فابن ابنتك وبعد ذلك واحد منهم ^(٧) .

(١) بصور الحكيم رجلاً إنسانياً .

(٢) (سامية) لأنها متاع الملك . ونجد في هذه النقطة عاطفة الشفقة التي أظهرها الساحر والتي
تجدها إلا بعد مرور فرون عدة ، وأعني أنها عاطفة ظهرت فقط في العصور الحالية .

(٣) هكذا في الأصل .

(٤) يظهر أن كلاما الملك سقط هنا .

(٥) بلدة صغيرة في منطقة منف وعين شمس .

(٦) أي يصبحون ملوكا بعد إقصاء أسرة «خوفو» عن تولى العرش .

(٧) تؤكد النبوءة : أن ابنك خفرع سيحكم ثم ابنه متكورع ثم تأخذ الأسرة الجديدة التي تنسب =

فقال جلالتة : « ولكن أخبرني في أى وقت ستضع « رد — ددت » هذه ؟ »
 [فقال «ددى» :] « ستضع في اليوم الخامس عشر من الشهر الأول من فصل الشتاء » .
 فقال جلالتة : « هـى ... إقليم (٩) » قناة السمكتين ؛ وأنا بنفسى سأضع قدى (٩) هناك
 وسأرى معبد « رع » رب « سخبو » . فقال «ددى» : « إذا سأجمل الماء يقف
 على عمق أربعة أذرع في إقليم « قناة السمكتين » (١٠) »
 وبعد ذلك عاد جلالتة إلى قصره وقال جلالتة :

« رع يخبر بأن يقيم «ددى» في بيت الأمير «حردادف» ليسكن معه . واجمل
 جرابته ألف رغيف من الخبز ومائة إناء من الحمة ، وثورا واحدا ومائة حزمة من الكراث .
 وقد نفذ ذلك على حسب ما أمر به جلالتة .

والآن اتفق أن « رد — ددت » كانت في ألم المخاض ، فقال جلالة « رع » رب
 « سخبو » عندئذ إلى « إزيس » و « نفتيس » و « مسخت » و « حكت » و « خنوم » (٢) :
 « قفن واذهبن أنتن وخلصن « رد — ددت » من ثلاثة الأطفال الذين في فرجها ، وهم
 الذين سيتولون هذه الوظيفة الممتازة في هذه الأرض قاطبة . إنهم سينون معايدكن ،
 وسيمدون موائدكن بالطعام وسيمثلون موائد شرابكن ، وسيجملون قرايينكن عظيمة (٣) »
 وعندئذ ذهبت هؤلاء الإلهات وقد تزين بزى الراقصات وكان « خنوم » معهن يحمل
 محفثهن (٤) . وأتين إلى بيت « رع وسر » (٥) ووجدنه واقفا وقيصه متدل (٦) . وبعدئذ
 قدمن له عقودهن ودفوفهن (٧) فقال لهن : « يا سيداتى (٨) . انظرن إن هنا سيدة في المخاض »

= (لرع) مقاليد الحكم ، غير أنه — في الواقع — حكم ملكان في الفترة بين انتقال الحكم من أسرة
 (خوفو) إلى أسرة (رع) ؛ ولكن لم يبق من بين ملوك الأسرة الرابعة في ذاكرة القوم غير بناء الأهرام الثلاثة
 (١) وبذلك يمكن للملك أن يسمح مرتاحا إلى (سخبو) . وهذا يشبه ما جاء في القرآن عن
 قوم موسى وفرعون .

(٢) « مسخت » إلهة الولادة ، و « حكت » إلهة قديمة أزلية . أما « خنوم » فهو صانع في الإنسان .
 (٣) وبذلك كان ملوك الأسرة الخامسة أتقياء في نظر الرأى العام على عكس ملوك الأسرة الرابعة .
 ولا نعرف إن كانوا قد نسلوا من كامن لاله الشمس « رع » . ولكن من المؤكد أنهم أظهروا احتراما
 خاصا لهذا الإله ، إذ أن كل واحد منهم قد بنى في مرقه معبدا جديدا له على نموذج معبد عين شمس . (انظر
 كتاب مصر القديمة للمؤلف عند الكلام على الملكة خنتكاوس)

(٤) جئن في هيئة نساء مسافرات في صحبة رجل يقوم على خدمتهن

(٥) زوج « رد — ددت » .

(٦) كانت ملابسه متهدلة بسبب اضطرابه .

(٧) أى أنهم غنين ورقصن أمامه .

(٨) يتكلم إليهن بأدب جم حتى ينصرفن .

قلن له : « دعنا نرها ، حقا إنا نعرف في الولادة » فقال لهن : « احضرن » .
وعندئذ سبقن « رد — ددت » وأغلقت باب الحجرة عليهن وعليها . وجلست « إيزيس »
أمامها ، و « نفتيس » خلفها ، وأسرت « حكمت » في عملية الوضع . وقالت « إيزيس » مخاطبة
الجنين : لا تكونن شديدا في فرجها كاسمك « وسر — كاف »^(١) . فانزلت هذا الطفل إلى
الخارج على يديها وطوله ذراع ، قوى العظم ، وكان لقبه الملكى مكتوبا على جسمه بالذهب ،
ولباس رأسه من خالص اللوزرد^(٢) . ففسلنه وقطعن جبل سبرته ووضعنه على رقعة من
نسيج فوق قلب من اللبن ، واقتربت منه « مسخت » وقالت : « ملك سيتولى الملك
في البلاد قاطبة » .

ومنحه « خنوم » الصحة في جسمه .

[وقد قصت ولادة الطفلين الآخرين بنفس الألفاظ والتفاصيل ، غير أن المزامم السحرية
مختلفة طبعا]

« لا تقتربن من فرجها كما ستسمى حقيقة » ساحو — رع »^(٣) ، « ولا تكونن مظلما
في فرجها كما ستسمى حقيقة » ككو . »

ثم خرجت هؤلاء الإلهات بعد أن خلصن « رد — ددت » من الأطفال الثلاثة ثم قلن :
« ليكن قلبك فرحا يا « رع وسر » ! انظر . لقد ولد لك ثلاثة أطفال . » فقال لهن :
« ياسيداتى ماذا يمكننى أن أفعل لكن ؟ أرجو منكن أن تعطين هذا الكيل من الشعير لحامل
محقتكن ، وخذنه لأنفسكن معكن في أوانيكن أجرا^(٤) . » فحمل « خنوم » الشعير .

ولما ذهبن في طريقهن من حيث أتبن قالت « إيزيس » لهؤلاء الإلهات : « ما معنى أننا
أتبنا إليها ولم نأت بأية أمحوبة لهؤلاء الأطفال حتى نخبر بها والدم الذى أرسلنا إلى هنا ؟ »
وعلى ذلك صنعن ثلاثة تيجان ملكية ووضعنها في الشعير وجعلن العاصفة والمطر

(١) تدل الأوامر التى نطقت بها « إيزيس » على أن أسماء الأطفال هى « وسر — كاف » ،
« ساحو — رع » ، « ككو » . وهم الثلاثة الملوك الأولون للأسرة الخامسة الذين يسمون هكذا :
وسركاف ، ساحورع ، كاكاي . وفي هذه الأوامر جناس خاص بأسماء الأطفال الذين صاروا
ملوكا فيما بعد .

(٢) يسمى الأطفال إلى العالم مردين لباس الرأس الملكى ذا اللونين الأزرق والأصفر ، على حين
فى الألقاب التى يسمى بها الملوك عند اعتلائهم العرش تكون مكتوبة باللحم على أعضائهم . والقاص
يصور الأطفال كتمثيل مرسمة بالبرونز .

(٣) See Blackman Journ. of Egypt. Archaeology X. P. 196.

(٤) يحتمل أنه يقصد بذلك الأواني الفخارية التى تشبه البرميل والتى يخزن فيها الحبوب وغيرها .

يحدثان في السماء وعدن إلى البيت^(١)، وقلن: « نرجو منكم أن تدعونا نضع الشعير في حجرة مغلقة إلى أن نعود ثانية . . . »

ووضعن الشعير في حجرة مغلقة .

وطهرت «رد - ددت» نفسها طهور الأربعة عشر يوماً^(٢) وقالت لخادمتها: « هل أعد البيت ؟ » فأجبت: « لقد أعد كل شيء جميل اللهم إلا الأواني فلم يمكن إحضارها » فقالت «رد - ددت»: « لماذا لا يمكن إحضار الأواني ؟ » فقالت الخادمة: « لا يمكن عمل شيء ما هنا^(٣)، إذ أن شعير الراقصات قد وضع في حجرة عليها خاتمن . » فقالت «رد - ددت»: « اذهبي وأحضري بمضا منه وسيكافئن «رع - وسر» بعد عودته . » وعلى ذلك ذهبت الخادمة وفتحت الحجرة وسمعت في الحجرة غناء وموسيقا ورقصاً وفرحاً وكل ما يفعل احتفالاً بالملك، فعادت وأخبرت «رد - ددت» بكل ما سمعت . فذهبت «رد - ددت» إلى الحجرة، ولكنها لم تر المكان الذي كان يحدث فيه ذلك، ثم وضعت جبهتها على صومعة اللال ووجدت أنه فيها، فوضعتها في صندوق، ثم وضعت هذا في خزانة أخرى وربطها ببجلد ووضعتها في حجرة صغيرة تحتوي على أوانها وأغلقت الباب عليها ولما عاد «رع - وسر» من الحقل قصت عليه «رد - ددت» هذا الأمر ففرح كثيراً، وجلسا وأخذا في أشباب السرور .

وبعد أن مضت أيام معدودات غضبت «رد - ددت» على خادمتها لسبب ما وطقتها بالضرب، فقالت الخادمة للقوم الذين في البيت: « هل ستفعلون . . . ؟ لقد ولدت ثلاثة ملوك . وسأذهب وأخبر جلالة الملك «خوفو» بذلك . » وعلى ذلك ذهبت ووجدت أخاها من أمها^(٤) يربط خيوط الكتان في الجرين فقال لها: « إلى أين تذهبين أيتها المذراء الصغيرة ؟ » وعندئذ قصت عليه هذا الأمر فقال لها أخوها: « وعلى هذا قد أتيت إلى لأشترك معك في الحياة^(٥) ! » وأخذ . . . من الكتان وضربها ضربة مؤلمة .

(١) لقد أحدثن العاصفة والمطر لتكون عذراً لهن في إعادة الشعير إلى البيت .

(٢) وعلى ذلك فإن المرأة كانت تعتبر نجسة لمدة من الوقت بعد ولادة الطفل

(٣) See Gardiner, Recueil de Travaux, XI. PP 79 ff. (٤)

(٤) هذا يدلنا على أن الأرقاء كانوا ينتسبون إلى أمهم ولم يكن للأب أهمية لأنه كان لا يدعى

الطفل لنفسه .

(٥) المعنى على أي حال : إنى لا أرغب في مشاركتك في حياتك .

وبعدئذ ذهبت الخادمة لتحضر لها شيئا من الماء فقبض عليها تمساح . وعندئذ ذهب أخوها ليخبر « رد — ددت » بذلك ، فوجد « رد — ددت » جالسة ورأسها على ركبتيها ، وقلبها مكتئب جدا . فقال لها : « لماذا أنت مضطربة كذلك ؟ » فقالت له : « إن هذه البنت التي قد نمت في هذا البيت . خرجت الآن قائلة : — سأذهب لأفشي سرا ! »
فحنا رأسه وقال : « يا سيدتي ، لقد أنت وقالت لي . . بجانبي ، وضربتني ضربة مؤلمة وقد ذهبت لتجلب لنفسها شيئا من الماء فقبض عليها تمساح . »

[وهنا كسرت الورقة البردية]

قصص الدولة الحديثة

قصة الأخوين

مقدمة :

قصة الأخوين أول قصة من نوعها في الأدب المصري القديم ، ولقد جذبت أنظار العالم لقراءة وقائمه ومشابهتها قصصا أخرى حكيت في الزمن الحديث ، وهي بلا شك أكثر دلالة على أصلها المصري من زميلاتها التي رويت لنا من عهد الفراعنة . وهي قطعة من الشعر القصصي العام ترجع إلى عهد الأسرة التاسعة عشرة وتحلق بوقائمه الخيالية في عالم الخرافات . وقد نقلها الكاتب « أناثا » تلميذ كاتب الخزانة الملكية « كاجيو » .

ملخص القصة :

يضم بيت واحد أخوين مخلصين ، كبيرهما متزوج ويسمى « أنويس » وصغيرهما غير متزوج ويسمى « بانا » وكان ساعد أخيه الأكبر في فلاح الأرض وزراعتها وتربية أنعامها ، وفي يوم كانا يزرعان في الحقل فاحتاجا إلى بعض البذر ، وذهب الأخ الصغير إلى البيت ليحضره ، وكانت زوجة أخيه الكبير تمشط شعرها ، فإذ رآته يحمل قدرا كبيرا من البذور على سواعده حتى راقها جماله ، وأعجبت بقوته ، فراودته عن نفسه ، وغلقت الأبواب ، وقالت : هيت لك .

قال : معاذ الله ، إن أخى الكبير رب نعمتى ، وقد أحسن مشاى فلا أخونه فى زوجته . فأضمرت المرأة فى نفسها الكيد لهذا الفتى الذى فوت عليها ما كانت تريد من اللذة والمتاع ، وقابلت زوجها فى الساء متارضة متباكية متظاهرة بالألم ، وادعت أن أخاه الصغير راودها عن نفسها ، وما جزاء من يفعل ذلك إلا أن يقتل أو عذاب أليم ، فصمم الأخ الكبير على قتله عندما يعود بالماشية ، واختبأ وراء الباب لهذه الغاية ، وما إن قرب الصغير من البيت حتى أخبرته بقرة من التى كان يسوقها بما دبر له ، ففر « باتا » وتبعه « أنويس » بسلاحه . ولكن إله الشمس حجز بينهما بخلق بحيرة مملوءة بالمسايح ، فمجز « أنويس » عن اللحاق به ، وجرت بينهما معادثة برأ فيها « باتا » نفسه وجب عضو التناسل منه ، وأبان عزمه على الرحيل إلى وادى الأرز ، وأنه سيضع قلبه على زهرة فى أعلى إحدى أشجاره ، وعين له علامة إذا حدثت كانت دليلا على وفاته ، وعلى الأخ الكبير حينئذ أن يذهب إلى وادى الأرز ويبحث عن قلبه ويضعه فى الماء فتعود الحياة إلى « باتا » ثانية وينتقم لنفسه من القاتل .

وبعد هذه المحاورة رجع « أنويس » إلى قريبته فقتل زوجته انتقاماً لأخيه . أما « باتا » فقد سعى إلى وادى الأرز ، ولما رآه الآلهة وحيدا فى هذا الوادى أشفقت عليه وجعلت الإله « خنوم » يسوى له زوجة ، وقد خالفته هذه الزوجة فخرجت إلى البحر رغم تحذيره لها من هذا العمل ، فأراد البحر أن يحتطفها ولكن « باتا » أنقذها منه ، وكل ما استطاع البحر أن يأخذه خصلة من شعرها طفت على وجهه حتى وصلت إلى مصر ، وهناك فاح شذاها وانتشرت رياها ، فشغف الفرعون بصاحبها ، وأرسل إلى وادى الأرز فى طلبها ، فحضرت زوجة باتا مع الرسل ، وصارت حظية عند الفرعون . ولما كانت تخاف بأس زوجها أغرت الفرعون بقطع شجرة الأرز التى تحمل قلبه ، فسقط قلبه بسقوطها ومات ، وعندئذ حدثت العلامة التى كان قد ذكرها لأخيه ليعلم بها أمر موته — وهى فوران إبريق من الجمعة — فسمى فى الحال « أنويس » إلى وادى الأرز لينقذ قلب أخيه ، وبعد سنين وجدته فى صورة فاكهة فأعاده إلى الحياة بوضعه فى الماء . ثم صير « باتا » نفسه ثورا وحمل أخاه إلى مصر ، وأفصح لوجهه عن شخصيته ، فأغرت الفرعون بذبحه ، فتطايرت منه نقطتان من الدم نبتتا بعد شجرتين من الأثل سكن فيهما « باتا » ، وأسر إلى زوجته بأمره ، فأغرت الفرعون بقطع الشجرتين وصنع أناث لها منهما ففعل . وأثناء صنع الأنث تطايرت شطيتان من الخشب دخلتا فم الزوجة فحملت وأنجبت صبيا صار وليا للعرش ، وعند وفاة الملك نصب هذا الصبي خلفا له ملكا على

البلاد ، ولم يكن ذلك الصبي إلا « باتا » نفسه فانتقم لنفسه من زوجته الخائنة بقتلها .
وراسة الفصل :

أسلوب هذه القصة ركيك ، وليس فيه تلك الروعة التي نلسمها في قصة « سنو هيت » أو في قصة « الغريق » . ولقد اتبع في قصتها أسلوب الدولة الحديثة المؤلف ، وأقحم فيها بعض المبارات التي لا حاجة إليها ولا مناسبة لها ، كما نراه من عامة المصريين الآن إذا قصوا قصة ، أو دخلوا إليك خبراً ، فجاءت خالية من طلاوة العبارة ورشاقة الأسلوب . ولكن نرى من جهة أخرى أن مؤلفها قد أظهر في صناعتها مهارة وحذقاً من حيث هي قصة . وإذا أمعنا في النظر إلى هذه القصة وجدناها ذات مرحلتين كأخيتها « قصة الملك خوفو والسحرة » . فالرحلة الأولى قصة الأخوين وإغراء زوجة الكبير أخاه الصغير بارتكاب التفاحشة ، وتمغفه ، وقلب الزوجة الحقائق للتكيد به . وقد حاول بعض رجال الأدب إثبات أن قصتي « يوسف وزليخا » و « قر الزمان في ألف ليلة وليلة » مأخوذتان من هذه القصة القديمة لما بينهما وبينها من شبه كبير . ولكننا نرى أن في ذلك بعض التكلف ، فإن هذه المحاولة التي رغبت فيها الزوجة وتمغف عنها الصغير وما تلاها من كيد وتدير ، تحصل كل يوم بين ظهراييننا ، وهي تكاد تكون أمراً طبيعياً يحدث في كل أمة مع اختلاف يسير في التفاصيل . وليس في هذه المرحلة الأولى من القصة ما يمتاز به من نظائرها إلا ما خالف الأمر المؤلف كتحدث الحيوان وخلق إله الشمس بحيرة مملوءة بالتماسيح للحيولة بين الأخ وأخيه . وأما المرحلة الثانية فكلها من خوارق العادة والمعجزات . وخلصتها : إثبات خيانة الزوجة زوجها — وإن كان الإله قد صاغها — بعدما عرفت أن عضو التذكير مبتور فيه . وتعرض علينا أثناء ذلك كثيراً من الأمور الخارقة للطبيعة التي لا تأتي في العادة على يد الإنسان ؛ فنرى البحر يمتد لابتلاع زوجة « باتا » ، ونرى العبير يتأرجح من خصلة الشعر حتى يصل إلى الفروع في مصر ، ونرى « باتا » يعود للحياة ثانية ويتحول إلى ثور ، ويسافر إلى مصر ويخاطب زوجته ، ونرى نقطتين من دمه تتحولان بعد ذبحه شجرتين هما « باتا » نفسه فيسر بالأمر إلى زوجته ، ونرى أخيراً قطعتين صغيرتين من الخشب بصيران . فتلا في بطن زوجته يشول إليه عرش مصر .

وقد ربط الكاتب بين المرحلتين بوصية « باتا » لأخيه « أنويس » بأن يعيد إليه قلبه بعدما يعلم أنه قد مات تكفيراً « لأنويس » على اتهامه أخاه زورا وبهتاناً .

ولما كانت هذه القصة المصرية الضميمة قديمة المهد ومملوءة بالخرافات فإن الباحثين في الأدب العالمي يعتقدون أن ما شابهها عند الأمم الأخرى مأخوذ عنها . وقد عني بعض العلماء بهذا الموضوع وقرنوا بين هذه القصة وما يقابلها من قصص العالم Hyacinthe, Husson (Le Chaine Traditionelle Contes et Legendes au point de vue Mythique. Paris 1874 P. 91)

والواقع أننا نجد صدى لهذه القصة في الأدب الفرنسى والايطالى وفي مختلف أجزاء ألمانيا وفي النمسا والمجر وفي روسيا وفي البلاد السلافية وفي رومانيا وفي بلاد اليونان وفي آسيا الصغرى وفي بلاد الحبشة والهند . ولنأخذ القصة الروسية^(١) على سبيل المثال لنرى إلى أى حد تشابهت مع قصة الأخوين .

نجد في القصة الروسية أن « باتا » اسمه « إيفان » بن « جرمان » خادم الكنيسة ، وقد وجد سيفاً سحرى في بعض الأدغال وذهب ليحارب به الأتراك الذين غزوا « أرنيار » (Arinar) وذبح منهم ثمانين ألفاً ، وقد كوفئ على عمله هذا بأن زوجه الملك ابنته « كليوباترا » ولما مات حموه تولى الملك من بعده ، ولكن زوجته خائته وأعطت الأتراك السيف ، فلما أصبح « إيفان » أعزل مات في حومة الوغى ، وسلمت زوجته نفسها لسلطان الترك (كما فعلت بنت الآلهة عندما ذهبت إلى فرعون) . ولقد استطاع أبوه « جرمان » خادم الكنيسة أن يخلص جسم ابنه عن طريق مجرى من الدم كان يتدفق من وسط الاصطبل ، وعندئذ قال له الحصان : « إذا كنت تريد إعادة الحياة إليه فافتح بطي ، وخذ أحشائي ، وادلك الميت بدمي ، وعندما تأتى الفران لتلهم جسعي بعد ذلك خذ واحداً منها وكلفه أن يحضر لك إكسير الحياة العجيب . ففعل « جرمان » ذلك وعاد « إيفان » إلى الحياة . قام « إيفان » وقال لوالده : « ارجع إلى حصانك وسأخذ على عاتق الانتقام من عدوى . » وتركه وانصرف فرأى فلاحاً في طريقه فقال له : « سأصير نفسى حصاناً جميلاً ذا معرفة من الذهب ، وغليك أن تقوده وتقفه أمام قصر السلطان » . وكان ، فلما رأى السلطان الحصان وضعه في اصطبل ممجبا به ، كلفا برؤيته ، فسألته كليوباترا يوماً عن سبب ملازمته للاصطبل فأجاب : « لقد أحضرت حصاناً جميلاً له معرفة من الذهب » فقالت له : « ليس هذا بحصان ، إنه إيفان ابن خادم الكنيسة ! » ثم بأن يذبح ، ولكن ولد من دم الحصان نور مكسو بالذهب ، فأمرت « كليوباترا » بذبحه أيضاً فنبت من رأسه شجرة تفاح ثمرها من

الذهب فأمرت « كليوبترا » بقطعها ، فطاررت شظية عند ذلك من جذع الشجرة وتحولت ذكراً عظيماً من البط ، فأمر السلطان بصيده ، وقفز هو بنفسه في الماء ليمسكه ، ولكنه أفلت إلى الناحية الأخرى ، ثم ظهرت صورة « إيثان » مرة ثانية في زى السلطان وألقى بكليوبترا وعشيقها في أنون النار واستولى على الملك بعدهما .

فهذه القصة الروسية نرى من روحها أنها مأخوذة من الأصل النصرى القديم بعد انقضاء ٣٠٠٠ سنة . على أننا نستطيع أن نجد في آداب العالم عناصر مختلفة تشبه عناصر هذه القصة مما يحملنا على القول بأن مصر كانت مصدراً ثابتاً يستمد منه مثل هذا القصص ولا شك أن في هذه القصة المصرية قصوراً لا يرتفع بها إلى مستوى القصص في العصر الحديث ، ولكن يجب علينا أن نذكر وقتها الذى صيغت فيه أولاً ، وأن نذكر أنها كتبت للعامة وبلغتهم ثانياً . وإذا جادت علينا التربة المصرية بقصة من أدب الخاصة وجدنا وجهاً للموازنة والقياس والحكم . ومع كل ذلك فإنه يكفى أن يقال عن هذه القصة إنها ترسم لنا صورة صادقة عن حياة الفلاح في ذلك العصر السحيق مما نراه مصوراً على مقابر العظماء في كل عصور التاريخ المصرى القديم .

المصادر :

لقد تناول معظم علماء اللغة المصرية هذه القصة بالبحث والتحليل وترجمها الكثيرون منهم ، وأحدث التراجم لها ترجمة الأستاذ أرمن .
والمصادر الهامة هي :

(1) Erman : The Literature of the Ancient Egyptians (translated by Blackman) P. 15 ff.

(2) Griffith in The World's Best Literature P. 5253.

(3) Maspero : Popular Stories of Ancient Egypt P. 1—20).

ويجد القارئ في المصدر الأخير فهرساً لكل من ترجم هذه القصة قبل مسبرو ، وآخر من حلل هذه القصة هو « ماكس بيير » في كتابه :

(4) Die Agyptische Literatur. P. 78. ff (Max Pieper)

نص القصة :

« يحكى أن أخوين كانا يسكنان في بيت واحد ، وكان أبوهما واحداً ، وأمهما واحدة ، واسم أكبرهما « أنويس » والآخر « يانا » وقد تزوج « أنويس » أكبر الأخوين وأسكن معه

أخاه « باتا » وجعله كاتبه ، وكان « باتا » يصنع ملابس أخيه ، ويرعى ماشيته في الحقل ، ويحرق له الأرض ، ويحصد الزرع ، ويقوم بكل أعمال الحقل . وفي الحق كان أخوه الصغير فلاحا ماهرا لا مثيل له في كل الأرض بقوة . وبعد^(١) مرور عدة أيام على ذلك كان أخوه الأصغر يرعى ماشية أخيه في الحقل كل يوم ويروح إلى بيت أخيه كل مساء محملا باللبن والعشب والكلأ والخشب الجاف ، ويقدمه راضيا إلى أخيه الأكبر وهو جالس إلى زوجته . . . فإذا ما انتهى من ذلك تناول طعامه وشرابه وأخذ سبيله إلى مرقده في حظيرته ليحرس أبقاره .

فإذا خلع الليل سواده وأنبثق فجر اليوم الجديد كان يهيم لأخيه الأكبر طعاما ويضعه أمامه ، ثم يأخذ طريقه إلى الحقل ويحمل معه طعامه ، ويسوق أبقاره ليرعاه في الحقل . وكان يمشي خلف ماشيته ، وكانت تقول له : إن العشب والكلأ في مكان كذا جميل جدا ، وكان يستمع إلى قولها ، ويتبهما إلى حيث المرعى الخصب والسمكان الرغيب . . . وعلى ذلك أصبحت ماشيته التي يرعاها سمينة بدينة وأصبح نتاجها كثيرا صالحا .

ولما جاء فصل الحرث قال له أخوه الأكبر : « جهز زوجا من الثيران للحرث ، فإن الأرض قد جفت من الماء ، وأصبحت صالحة لأن تحرث ، وهيء البذر للأرض . فإننا سنحرث بعزم عند البكور ، وهكذا كان يقول له ، وكان أخوه الأصغر ينفذ كل ما يأمر به أخوه الأكبر . وعندما انبثق الفجر وطلع يوم جديد ذهب إلى الحقل ومعهما . . . وابتدأ يحرقان بعزم ، وكانت القبطة تملأ قلبيهما لأنهما بدأ يعملان في عام جديد . وبعد مضي عدة أيام على هذا اليوم كانا في الحقل ونفدت منهما البذور ، فأرسل أخاه الأصغر إلى القرية قائلا : « اذهب وأحضر لنا من القرية بذرا . » فذهب إلى القرية [ودخل البيت على حين غفلة من أهله] فوجد امرأة أخيه جالسة تمشط شعرها ، فقال : أسرعي وهيئي لنا البذر ، لأذهب إلى الحقل فإن أخي هناك ينتظري . لا تتأخري . فقالت له : اذهب وافتح الخزن بنفسك ، وخذ منه ما تريد واركني أكل تمشيط شعري . فذهب الغلام إلى حظيرته وأخذ وعاء كبيرا ليأخذ فيه بذورا كثيرة ، وحمل نفسه القمح والشعير وخرج بهما ، فابتدرته قائلة : ما مقدار ما تحمله على كتفك ؟ فأجابها : أحمل ثلاث حقائب من القمح واثنين من الشعير ، فتلكت خمس^٢ كاملة . وهكذا كان حديثه إليها وهي . . . فقالت له :

« إنك إذن لذو بأس عظيم . حقا إنى أرى كل يوم عظم قوتك . وكان شغفها أن تعرفه

(١) هذه جملة لا معنى لها كانت تكرر كثيرا في القصص المصرية .

كما تعرف المرأة الشاب القوى ، ثم همت به ، وقالت : تعال ، سنتمتع سويا ، وننام ، وسيكون ذلك من حظك أيضاً ، لأنى سأصنع لك ملابس جميلة . وإلها لقولة نكراء ثار لها الغلام كالغهد ، فخافت زوجة أخيه فأخذ يخاطبها قائلاً : « اسمى . إنك بمثابة أم لى وزوجك بمثابة والد ، وقد ربانى لأنه أكبر منى ، فما هذا الإثم العظيم الذى تتحدثين به إلى ؟ لا تميدى الحديث على سمى ، ولن أخبر به إنسانا ولن أدعه يخرج من فى ، ولن أفضى به إلى أى مخلوق » . ثم حمل البذر وأخذ سبيله إلى الحقل ، وهناك لقي أخاه الأكبر ، فأخذ كل منهما يعمل بجد . وفى المساء عاد أخوه الأكبر إلى بيته ، أما الأصغر فظل يرعى قطيعه ويحمل نفسه بكل أنواع حاصلات الحقل ، وعاد يسوق قطيعه إلى حيث ينام فى حظيرة بالقرية .

وكانت زوجة أخيه الأكبر تحشى عاقبة ما قالت ، فأخذت دهنا و « سوت » ؟ وتظاهرت كذبا بأنها قد ضربت ، وتريد بذلك أن تقول لزوجها : « إن أخاك هو الذى ضربنى » وعاد زوجها إلى البيت عند الغروب كعادته ودخل بيته ووجد زوجته راقدة وممارضة بشدة ، فلم تصب الماء على يديه كما عودته ، ولم تشمل لأجله نوراً عند عودته ، فبدا البيت فى ظلام دامس وهى راقدة تقى ، فقال لها زوجها : « هل تكلم معك أحد ؟ » فقالت له : « لم يتكلم معى إلا أخوك الأصغر وكان ذلك حينما أتى ليأخذ البذر من هنا ووجدنى جالسة وحدى ، وقال لى : تعالى تتمتع ونم ، تحلى بشمرك (الستعار ؟) وهكذا قال لى ، ولكننى عصيته وقلت له : انظر . قتلت لك أمًا ، أو ليس أخوك الأكبر لك أباً ؟ » فمشى الخوف فى نفسه ، وضربنى حتى لا أخبرك بشيء مما حدث ، فإذا كنت إذن تتركه حياً فإنى سأقتل نفسى ، لأنه عندما يعود إلى البيت عند الغروب ، وأقص هذه القصة الدنيئة فإنه سيكون قد جعلها تظهر بيضاء (لى لا غبار عليه) .

وعندئذ ثار أخوه الأكبر ثورة الفهد الغضوب وخذ نصل حربته ، وأمسكها فى يده ، واحتل مكانا خلف باب الحظيرة ليقتل أخاه حينما يعود فى المساء مع أبقاره إلى حظيرته . ولما مالت الشمس إلى الغروب حمل « باتا » نفسه بما اعتاد أن يحمله من أعشاب الحقل وعاد ، وما كادت تدخل طليعة الأبقار حظيرتها حتى قالت لراعيها : خذ حذرك ! إن أخاك الأكبر واقف أمامك بجربته ليذبحك ، فر من أمامه . ففهم « باتا » ماقلته طليعة أبقاره . ثم دخلت البقرة الثانية وقالت له بالمثل ، فنظر تحت باب حظيرته فرأى قدى أخيه الأكبر وهو واقف خلف الباب وفى يده حربته ، فألقى حمله إلى الأرض ولاذ بالفرار مسرعا وأخوه الأكبر يمدو خلفه بجربته ، ونادى أخوه الأصغر ربه « رع حوراختى » قائلاً : « يا إلهسى

الطيب . إنك أنت الذى تفصل بين البطل والحق . فسمع « رع » ظلامته وجمل بينهما متسا من الماء مملوءا بالتماسيح ، فاصلاً بينه وبين أخيه الأكبر ، وصار كل منهما على جانب لا يجد إلى صاحبه سيلاً ، وضرب أخوه الأكبر على يده ^(١) مرتين (أسفاً) لأنه لم يذبحه . ثم نادى الأخ الأصغر أخاه من الجانب الآخر قائلاً : « امكث هنا حتى ينبليج الصبح . وسنحتكم إلى الشمس معا عند شروقها ، وسيسلم البطل للحق ^(٢) لأنى لن أكون معك بعد ، ولن أعيش فى مكان أنت فيه ، وسأخذنى فى وادى الأرض مقاما ^(٣) . »

ولما انبثق الفجر عن يوم جديد أشرق « رع حوراختى » فرأى كل منهما صاحبه . وهنا ابتدر الصبي أخاه الأكبر قائلاً : « ماذا تعنى بتتبعك إياى لتذبحنى غدراً دون أن تسمع منى ما أقول ؟ لأنى — فى الحق — أخوك الأصغر ، وإنك لى كوالد . وإن زوجتك لى كوالدة . أليس كذلك ؟ (وسأقص عليك القصص) عند ما كلفتنى الذهاب (إلى القرية) لأحضر البذر (راودتنى زوجك عن نفسى) وقالت : « دعنا نتمتع ونم » . ولكن تأمل . لقد شوه ذلك لديك ، وحرّف إلى شيء آخر » . وأعلمه بكل ما وقع له مع زوجته وحلف « رع حوراختى » قائلاً : واأسفاه . إنك يا أخى أردت أن تقتلنى لوقيعة دستها على امرأة بنى قذرة ^(٤) .

ثم أخذ سكيناً من القاب وقطع بها (قُبْلَه) وألقى به فى الماء ، فابتلعت سمكة كبيرة فأغمر عليه وأصبح تمسا . وإذ ذاك حزن عليه أخوه الأكبر حزناً عظيماً ووقف وأجهش بالبكاء عليه بصوت عالٍ ، إلا أنه كان عاجزاً عن أن يعبر حيث يوجد أخوه الأصغر بسبب التماسيح . وبعد ذلك صاح عليه أخوه الأصغر قائلاً : « إذا كنت قد فكرت فى شيء خبيث فهل لك أن تقكر فى شيء طيب أو فى شيء يمكننى أن أفعله لك ^(٥) أيضا ؟ اذهب الآن إلى بيتك واراع بنفسك ماشيتك فقد نويت ألا أسكن فى مكان أنت فيه . وسأذهب إلى وادى الأرض ، ولن يكون بينى وبينك ، إلا أنك ستعودنى إذا علمت أن شيئاً نزل بى ، وسيحدث أنى سأخذ قلبى وأضعه فى أعلى زهرة شجرة أرز ، فإذا نشرت شجرة الأرض وسقطت على الأرض وأتيت تبحث عنه ثم قضيت فى بحثك سبع سنين فلا تمل من ذلك ، وإذا ما وجدته ووضعت

(١) من النبط

(٢) أى سينتصر الحق .

(٣) قد تكون لبنان الحالية حيث كان المصريون يأتون بالحطب منه .

(٤) التعبير أحسن من ذلك

(٥) يذكره فى وقت الحاجة إليه .

في إثناء فيه ماء بارد فإني حينئذ سأحيا ثانية^(١)، وسأجيب عن التهمة التي أسندت إلي ، وإذا أعطاك إنسان قدحاً من الجمعة فاختمر أدركت حينئذ ماخاق بي من الأذى ، ولا تتوان فإن ذلك في مصلحتك .

ذهب « باتا » إلى وادي الأرز ، وعاد أخوه الأكبر إلى بيته ويده على رأسه وهو ملطخ بالطين^(٢) . ولما أتى منزله تذكر أخاه الصغير (فثارت بنفسه ثورة) وذبح زوجته ورمى بها للكلاب . وقعد حزينا على أخيه الأصغر .

وبعد ذلك بأيام عدة كان أخوه الأصغر في وادي الأرز وحيدا ، وكان يقضى يومه في صيد وحوش الصحراء ويقضى ليله في النوم تحت شجرة الأرز التي وضع قلبه في أعلى إحدى زهراتها . وبعد أيام عدة على تلك الحياة الهادئة بنى لنفسه قصرا في وادي الأرز وكان مملوءا بكل شيء حسن لأنه كان يريد أن يتزوج .

وخرج « باتا » ذات يوم من قصره فقابل تاسوع الآلهة في طريقهم إلى نواحي الأرض يشرفون عليها . ولقد نطق التاسوع بلسان واحد قائلين له : « إيه يا « باتا » أنت يا ثور التاسوع^(٣) ، أنت هنا وحدك ! أتركت مدينتك أمام زوجة أخيك الأكبر « أنويس » ؟ اسمع . إن زوجته قد ذبحت لأنك كشفت له عن الجناية التي ارتكبت ضدك » وأظهروا عطفهم الشديد عليه . ثم قال « رع حوراختي » « لنخوم »^(٤) : « سوف زوجة « لباتا » حتى لا يكون في بيته وحيدا . فوهبه « نخوم » رفيقة تزر كل امرأة في الأرض جالا ، ونفخ فيها كل إله من روحه ، ثم أنت سبع البقرات « حاتور »^(٥) ليرينها وقلن جميعا بلسان واحد : « إنها ستموت ميتة شماء »

وكان قد أغرم « باتا » بها (وقد شففته جبا) . وأسكنها في بيته ، وكان يقضى يومه في صيد وحوش الصحراء ، فإذا جاء المساء عاد إليها محملا بصيده ، فيضعه أمامها وقال لها : « لا تخرجي كي لا يملكك البحر بميدا لأنني أنقى مثلك لا أستطيع إلى تخليصك سييلا ، وإن قلبي في أعلى زهرة إحدى شجر الأرز ، فإذا عثر عليه إنسان آخر كنت تحت سلطانه » وقد فتح لها كل قلبه (أى باح لها بكل سره) .

(١) فإن القلب سيفرب الماء ويمحيا

(٢) دليل الحزن .

(٣) وكان يطلق هذا اللقب على الآلهة في غير هذا المكان .

(٤) إله الخلق .

(٥) إلهة الحب .

وبعد أيام عدة على ذلك ذهب بعدها « باتا » ليصطاد كماداته اليومية ، فخرجت العذراء لتتفرغ تحت شجرة الأرز التي كانت يجوار بيتها . ونظر البحر إليها وامتد خلفها ، فأخذت الحسناء تعدو أمامه حتى دخلت بيتها ، ولكن البحر نادى شجرة الأرز قائلاً : « اقضى لى عليها » . فأخذت شجرة الأرز خصلة من شعرها وقدمتها إلى البحر ، فأخذها البحر إلى مصر ووضعها في المكان الذى كان فيه سقاة الملك ^(١) ، فتأرجت ملابس فرعون بأريج هذه الخصلة من الشعر ، وقد شجر بين « الواحد » ^(٢) وبين سقاة فرعون خلاف من أجل هذا المطر المتأرجح ، وقال الواحد للسقاة : « إن رائحة المطر فى ملابس فرعون » . وكان الواحد يتنازع معهم يومياً (ولم يجد السقاة إلى الخلاص من هذا الخلاف سبيلاً) .

وذهب كبير السقاة يوماً إلى شاطئ النهر ، وكان قد ضاق صدره بهذا الخلاف الذى يشجر كل يوم ، ووقف على كثيب من الرمل ^(٣) ساكناً ، وكانت وقفته أمام خصلة الشعر التى كانت فى الماء .

فكلف أحد أتباعه أن ينزل إلى الماء ويحضّر الخصلة ، فأحضرت إليه ، فوجدها تفوح عن أريج طيب . فأخذها إلى فرعون .

وأتى بكتاب فرعون وحكائه إلى حضرته ثم قالوا له : « إن هذه الخصلة لبنت « رع حوراختي » ، وفيها من كل إله نفحة . حقاً إنها هدية سيقى إليك من أرض أخرى . ابعث فى كل أرض رسولا ليحضروها لك . فإذا بعثت إلى وادى الأرز رسولا فاشدد أزره بمدة رجال ليحضروها إلى هنا » .

فقال جلالتة : « إن ما قلتموه حسن جداً » . وأرسلت الرسل .

مضت على ذلك أيام عاد بعدها الرسل الذين بعثهم الملك فى كل أرض ليقدموا إليه تقريراً ، إلا أن الذين ذهبوا إلى وادى الأرز لم يعودوا ، لأن « باتا » ذبحهم إلا واحداً منهم ليقدم تقريره إلى جلالتة . فأرسل جلالتة ثمانية جنوداً عدة وجهازها بمجالات تجرها الخيل ليحضروها ، وكان معهم امرأة قد أعطيت كل أنواع الخلى الذى تتحلّى به امرأة . وعادت المرأة معها إلى مصر وقد عم الفرح البلاد بها (أى الحسناء) . وكانت موضع الحب من

(١) بجوار النيل قريباً من سراى فرعون ، ولا غرابة فى أن الخصلة عادت إلى النهر من البحر لأن كل ذلك فى عالم الخرافة .

(٢) يقصد الملك نفسه .

(٣) والمعنى حرفياً : الصحراء ، والمقصود هنا الشاطئ الرملى الباتج من رواسب النيل

جلالته فجعلها أميرة عظيمة^(١) . وتحدث الواحد (الملك) إليها في شئونها . فسألها أن تخبره عن حال زوجها . فقالت لجلالته : « مر بقطع شجرة الأرز وإبادتها » فبعث « الواحد » إلى وادى الأرز جنودا ومعهم أسلحتهم ليقطعوا شجرة الأرز فأتوا إلى شجرة الأرز وقطعوا الزهرة التي كان عليها قلب « باتا » فخر لوقته صريحا .

وانبثق الفجر عن يوم جديد وكانت شجرة الأرز مقطوعة . وذهب « أنويس » الأخ الأكبر إلى بيته وقعد وغسل يديه (قبل الأكل) وقد أعطى قدحا من الحمة فاختمرت . وقدم إليه آخر من التبيذ فصار رديئا (حامضا) .

عندئذ أخذ عصاه وانتمل ، واشتمل بملابسه ، وحمل سلاحه وجدّ في السير إلى وادى الأرز . ولما دخل قصر أخيه « باتا » وجده راقدًا على السرير وقد فارقت الحياة ، فبكى عندما رأى أخاه على الفراش ميتا . وأخذ يبحث عن قلبه تحت شجرة الأرز التي كان ينام تحتها كل مساء .

قضى « أنويس » . . . ثلاثة أعوام يبحث عنه (القلب) فلم يهتد إليه . ولما بدأ العام الرابع تاق قلبه إلى مصر فقال : « سأسافر غدا » وكان هذا حديثه لقلبه . انبثق صباح يوم جديد فأخذ يعيش تحت شجرة الأرز وقضى يومه في البحث عنه ، ولما جاء المساء كف عن بحثه ، ثم أتى نظره مرة أخرى ليجث عنه فوجد فاكهة ، فعاد بها إلى البيت وكانت هي قلب أخيه الأصغر .

فأعد قدحا من الماء البارد ورمى فيه قلب أخيه وجلس كمادة كل يوم . ولما جن الليل وامتنص القلب ماء القدح ، ارتعد « باتا » في كل أعضائه وأخذ ينظر إلى أخيه الأكبر ، على حين كان قلبه لا يزال في القدح . ثم أخذ « أنويس » أخوه الأكبر قدح الماء البارد الذي كان فيه قلب أخيه الصغير وقدمه إلى « باتا » ليشربه . ولما أخذ قلبه مكانه عاد « باتا » إلى شكله الأول فتماثقا ، وتحدث كل منهما إلى أخيه فقال « باتا » لأخيه الأكبر :

« اسمع سأصير ثورا عظيما فيه كل لون جميل جدا^(٢) ، لا يعرف طبيعته أحد ، وستركب أنت على ظهري . فإذا أشرقت الشمس فستكون في المكان الذي فيه زوجتي وهناك سأجيبها على ما فعلت . وستأخذني إلى الملك . وسيقدم إليك كل شيء طيب وستكافأ بالفضة والذهب

(١) هذه مرتبة في الحرم وسيتمتعون عنها فيما بعد بأنها زوجة فرعون « الواحد » .

(٢) يقصد العلامات التي كان يعرف بها الثور المقدس مثل العجل « أيس »

على أخذى إلى فرعون ، لأنى سأكون أمجوبة ، وسيفرح الناس بى فى كل الأرض . وبعد ذلك تسافر أنت إلى قريتك » .

ولما كان يوم جديد أخذ « باتا » الشكل الذى تحدث به إلى أخيه وركب « أنويس » على ظهره . وعند الفجر وصل إلى حيث كان الملك . وقد علم جلالتة به ففحص عن حقيقته بنفسه وفرح به فرحاً شديداً ، وقدم إليه قربانين عظيمين قائلاً : « عجيبة عظمى تلك التى حدثت » وكان لها فى الأرض كلها رنة فرح ، وكافئوا أخاه الأكبر على هذه العجيبة وزنها ذهباً وفضة . ثم استقر فى قريته وأهداه الواحد (أى الملك) ملابس كثيرة وعدة عظيمة ، وغمره الفرعون بحبه أكثر من كل الناس الذين كانوا فى البلاد جميعاً

وبعد أيام من ذلك الحادث دخل الثور مطبخ « الواحد » ووقف حيث كانت الأميرة ، فأخذ يتحدث معها قائلاً : « اسمى لى لا أزال حياً » فقالت له : « أرجو أن تخبرنى من أنت ؟ » فقال لها : « أنا (باتا) — حقاً أتذكرين حيناً أوعزت لى فرعون أن يبني شجرة الأرز حتى لا أعيش بعدها ؟ ولكن انظرى فأنا الآن حى وإنى ثور » . وهنا وجلت الأميرة أشد الوجل للقصة التى قصها عليها زوجها .

ثم خرج من المطبخ . وجلس جلالتة وتفكه مع الأميرة وصبت الماء لجلالتة وكان ملاطفاً لها كل الملاطفة ، وعندئذ قالت لجلالتة : « أقسم لى بالإله قائلاً : إن أى شيء ستقولينه سأستمع منك » . ثم أصرنى إلى كل ما قالت وهو : « إن هذا الثور لن يفيدنا شيئاً ^(١) » فدعنى آكل كبده » . وهكذا كان قولها فخرن « الواحد » لما قالتة حزناً عظيماً وصار قلبه من أجله مكلوماً .

وانبثق الفجر عن يوم جديد ، وأعلن إقامة عيد ضخمة عظيم ، وسيكون الثور ضحية ذلك العيد . وجيء برئيس قصاصى جلالتة ليذبح الثور ، وبعد ذبحه كانت موضوعاً على أكتاف الناس ، فبرز رأسه فسالت نقطتان من الدم بجانب منكبي باب جلالتة : سقطت واحدة على جانب من جانبي الباب الأعظم لفرعون ، وسقطت الثانية على الجانب الآخر ، وتحولت النقطتان إلى شجرتين ناميتين من السنط وكانت كل منهما جميلة . فحمل رجل ذلك النبا إلى جلالتة قائلاً : « إن شجرتين من السنط عظيمتين قد نمتا فى الليل !! عجيبة عظيمة لجلالتة !! وهما بجانب باب جلالتة الكبير » .

(١) لأن الثور سيضحي على كل حال فى أحد الأعياد .

وفرح الناس بهاتين الشجرتين في كل البلاد وقدم « الواحد » لها قربانا . وبعد ذلك بأيام ظهر جلالتة من نافذة « اللازورد » وحول رقيقته لإكليل من كل أنواع الزهر ، وركب عجلة من الذهب . وخرج من القصر ليرى شجرتى السنط . وامتنطت الأميرة ظهر جواد^(١) خف فرعون .

ثم قعد جلالتة تحت إحدى شجرتى السنط . وعندئذ تكلم « باتا » مع زوجته : « إيه يا خاتنة ، أنا « باتا » وسأعيش بالرغم منك . حقا إنك تذكركين كيف أغريت فرعون بقطع شجرة الأرز وكيف ذبحت بإغرائك بعدما صرت ثورا . »
وبعد أيام من هذا صبت الأميرة الماء لجلالتة وكان « الواحد » متلظفا معها ، ثم قالت لجلالتة :

« أقسم لى بالإله قائلا : إن كل ما تقوله الأميرة لى سأصنى إليه . » فاستمع لكل ما تقول . فقالت : « مر بقطع شجرتى السنط لنصنع منهما أثانا جميلا . » فأصنى الواحد لكل ما قالت . وبعد عدة أيام من هذا أرسل جلالتة عمالا مهرة وقطع شجرتى السنط .
ووقف الفرعون يشاهد مع زوجه (عملية القطع) فطارت شظية ودخلت فم الأميرة قاتلمتها ، وفى اللحظة عينها حملت (أى صارت حبل) . وعمل منهما (أى الشجرتين) كل ما رغبت فيه (من الأثاث) .

وبعد عدة أيام من هذا وضعت الأميرة ولدا ، فذهب رجل وبلغ جلالتة قائلا : « لقد ولد لك ولد » فأحضر وعين له مرضعا وجعل له خدما . وعم الفرح به البلاد ، وأقام جلالتة له الأفراح . وقد ربي وأحبه فى الحال جلالتة حبا شديدا ، وعينه حاكما لأثيوبيا « (ابن الملك) ، وبعد عدة أيام من هذا جعله ولى عهد للبلاد جيمما .

وبعد مضى عدة أيام على ذلك بعد أن قضى عدة سنين وهو ولى عهد للبلاد جميعها طار « الواحد »^(٢) إلى السماء . وقال الواحد^(٣) : « ليحضر إلى كل المستشارين المسكينين لأخبرهم كل ما حدث لى » . ثم أحضرت إليه زوجه ونحاحا أمام المستشارين الذين انتصفوا له منها ، وأحضر إليه أخوه الأكبر فمينه وليا للمهد فى كل أملاكه .

وقضى ثلاثين عاما ملكا على مصر ثم رحل عن هذا العالم واستولى أخوه على عرشه يوم مماته »

(١) يحتمل أنه يقصد بهذا أنها كانت تركب عربة لأن المؤلف عند المصريين أنهم كانوا لا يمتطون

ظهور الحيل .

(٢) مات .

الملك الجديد .

(٣)

الأمير المسحور

ملخص القصة :

اشتاق ملك أن ينجب ذكرا بعد أن حرم ذلك ذهرا طويلا ، فأعطاه الإله ما يتمناه ، ولكن قدر على هذا الولود أن يلقي حتفه على يد تمساح أو حية أو كلب ، وعرف والده ذلك فأفرده في بيت بناء له في الصحراء ، حتى شب فرأى في الطريق كلبا يتبع صاحبه ، ولم يكن له عهد بسحنة الكلاب ، فسأل عنه ، ثم طلب واحدا من جنسه ، فأمر له والده بيجرو صغير حتى يأمن عليه من ناحية ، ولا يفضبه من ناحية أخرى .

كبر الطفل ، فاشتاق إلى الحرية ، وطلب الخروج إلى أرض الله الواسعة فأجيب إلى طلبه . سافر الطفل وأبعد في سفره حتى وصل إلى رئيس النهرين ، وكانت له بنت جميلة جعل صداقها استطاعة المرء أن يقفز إلى شرفة بيتها التي ترتفع عن الأرض ستة وخمسين ذراعا ، فلم يستطع أحد من أولاد رؤساء «سوريا» ذلك واستطاعه ذلك الشاب الوافد إليهم من مصر ، فتزوج البنت بعد لأى وامتناع ، وأحبته وأخلصت له ، وسهرت على راحته وحفظ حياته ، وأتقذته مرأت من الموت ، حتى انتهى أجله بإحدى الطرق التي كانت مقدرة له من قبل .

دراسة القصة :

إن العنوان الذي اختاره « جورج إبرس » الأثرى الألماني المعروف لهذه القصة لا ينطبق على موضوعها ، فليس الأمير فيها مسحورا ، وليس في القصة شيء عن السحر . والعنوان الصحيح الذي أصبحت تعرف به القصة الآن هو « الأمير المحتوم عليه الموت » . ومن الصعب علينا أن نرجع هذه القصة إلى عهدها بالدقة ، والمرجح أنها كتبت في عهد الأسرة التاسعة عشرة . وما يؤسف له أن نهاية البردية التي كتبت عليها قد حطمت ، ويقال إنه عثر عليها سليمة ولكن حدث انفجار في البيت الذي كانت مودعة فيه في الإسكندرية ، فأصابها التحطيم . ومن الممكن أن تبين خاتمتها من سياقها ، فنعرف أن الأمير لا بد ملاق حتفه وفق ما قدر له .

والقصة بادية في ثوب خرافي ، وإذا حذفنا منها التمساح وغيرها الأسماء كانت أشبه بقصصنا الخرافية الحديثة . والقصة تدور حول وحيد الأبناء المدلل المني به ، ووحيدة البنات التي يبذل كل نفيس في سبيل سعادتها . ويحدث أن يخرج الشاب في مغامرة من مخاطر

الحياة فيلتقى عن غير قصد بالفتاة ، فيتحابان ويتزوجان بمد تدليل الصعوبات بإتيان المعجزات ، وبعد التغلب على الفوارق الاجتماعية التى تكون دائماً عقبة كبيرة بين الحبيبين المدهين . ونقرأ الآن كثيراً من شبيهات هذه القصص فى الأمم المختلفة ، ولا يبعد أن يكون مصدرها الأول مصر .

وإذا نظرنا إليها من ناحية الأسلوب وأينها تشبه قصة الأخوين ، والتكرار فى عباراتها واضح ، شأن قصص عصر الدولة الحديثة ، وهى ترينا من الناحية التاريخية أن السفر من مصر إلى بلاد النهرين كان ميسوراً ، وما على المسافر إلا أن يمتطى عربته . ويأكل مما يصادفه من صيد الصحراء ، ويتخذ وجهته إلى هدفه فيصل إليه ، وبخاصة لأن اللغة المصرية كانت معروفة هناك ، كما كانت معروفة فى سوريا ، فإن الأمير حين قابل أولاد أمرائها تحدث معهم من غير حاجة إلى وسيط يترجم قوله إلى لفهمهم أو يترجم قولهم إلى لفته ، مما يشعرون بأن أميرنا كان يعرف لغة هذه البلاد ، وليس هذا بغريب ، فإن مما يعاب عند الكتاب المصريين أن يجهل أحدهم طرق السفر أو لغة التخاطب التى لجيرانه . وسنجد فى ورقة أنستاسى الأولى أن الكاتب يلوم زميله ويميره بأنه لا يعرف الطريق الحسنة التى يخطرقها إلى سوريا . . .

هذا فى عصر الدولة الحديثة الذى اختلط فيه المصريون بالأقوام المجاورة لهم عن طريق تفتح أو التجارة . أما فى عصر الدولة الوسطى فلم تكن العلاقة قد توثقت بين مصر وجيرانها ، ولذلك نجد « سنو هيت » (وقد سبقت قصته) عندما فر هارباً إلى « سوريا » قال : إنه وجد أميراً هناك يعرف المصرية وتحدث معه ، مما خفف عنه بعض عنائه ، ثم تعلم لغة القوم وصار منهم . وسيجد القارئ كذلك عندما نعرض عليه قصة « ونأمون » أنه لما وصل إلى جزيرة « قبرص » سأل جماعة من الحاشية التى كانت تحيط بملكيتها عن يعرف منهم اللغة المصرية ، وقد أخبره واحد منهم أنه يعرفها .

فاللغة المصرية كانت منتشرة لدى جيران مصر انتشاراً يسيراً كثرة وقلة ما كان بين مصر وجاراتها من صلات ، وهو أشبه بذيوع اللغة الإنجليزية فى كثير من بقاع العالم التى تتجاملت أو تتصل بها . جاء فى تعاليم « آنى » : إن اللغة المصرية كانت منتشرة فى كل البلاد الأجنبية (انظر نصائح آنى) .

وبعد فقصتنا ليست بسيطة فى تركيبها ، بل إنها تحتوى على جزأين منفصلين وصل بينهما الكاتب كما فعل فى قصة الأخوين مع اختلاف فى مغزى كل من القصتين .

والقسم الأول من قصتنا يعرض القضاء المقدر على الوليد بأنه سيلاقى حتفه حتماً بإحدى وسائل ثلاث : الكلب أو التمساح أو الثعبان .

والقسم الثانى ما شاع فى عالم القصص من أن ملكاً وملكه حرماً لإنتاج الأبناء فدعوا ربهما أو سألوا منجها عن حظيهما فبشرهما بإجابتهما إلى ما يبينان . وقد مزج الكاتب القسمين وصقلهما فكان منهما هذه القصة التى نتحدث عنها . وأهم ما يلفت النظر إليها أخلاق الأمير وزوجه ؛ فالأمير يعرف نوع الميته التى تنتظره على يدى التمساح أو الثعبان أو الكلب ، ومع ذلك تأبى أخلاقه ويأبى وفاؤه أن يقتل الكلب لما غرض عليه ذلك ، حرصاً على حياته ، حتى بعد أن أعدم التمساح والثعبان ، لأن الكلب قد تربى فى ظله ، فلم ير من الشهامة أن يزهق روحه وقد أظلهما سقف واحد . والزوجة تمثل الإخلاص النقي الصافي ؛ فها هى تسهر على حماية زوجها ، وتحرس على حياته وتنتظر رحمة ربه ، فى الوقت الذى أسلم فيه نفسه لمصيره المحتوم ، وهى التى يبقظتها قتلت الثعبان الذى كان يتربص به ريب المنون ، وهى التى أشارت عليه بقتل الكلب فأبى ، وهى التى كانت تبت فى الأمل فتقول : « إن ربك قد خلصك من أحد أعدائك وسينجيك من الآخرين » .

وإن من يرى ذلك الموقف الطاهر النبيل الذى وقفته هذه الزوجة من زوجها ، ويقرنه بموقف الخسة الذى وقفته الزوجة مع زوجها « باتا » فى قصة الأخوين ليأخذه العجب من الاختلاف الكبير بين الموقفين تبعاً لاختلاف الممدين . ولا يبعد أن يكون كاتب هذه القصة هو نفسه كاتب تلك ، وقد صور لنا النقيضين ليرينا أن المرأة لا تكون دائماً شراً ، ولا تكون دائماً خيراً ، بل إنه إذا صفا جوهرها كانت مخلصه شديدة الإخلاص ، وإذا خبت معدنها كانت خائفة فاجرة فى الخيانة ، وأب الطوائع البشرية تختلف باختلاف نفس الإنسان وجرمومه .

صنع القصة :

يحكى أن ملكاً لم يولد له ولد ذكر . وقد دعا آلهة زمانه أن يهبوه ولداً ، فقضوا أن يولد له ولد . وفى تلك الليلة حملت منه زوجته ، ولما أنمت أشهر الحمل وضعت ذكراً ثم أتت البقرات « حثحور » ليقررن مصيره ، فقلن إنه سيلاقى حتفه على يد تمساح أو حية أو كلب ، وقد سمع الناس الذين كانوا حول الطفل ذلك ونقلوه إلى جلالته ، وعندئذ صار الملك حزين القلب جداً . وأمر الملك أن يبنى له بيت من الحجر فى الصحراء مجهز بالخدم وبكل شيء

جميل يليق ببنت ملكي ، على ألا يفادره الصبي إلى خارجه . ولما ترعرع الطفل صعد إلى سطح البيت ولح كلبا سلوقيا يتبع رجلا يمشي في الطريق . فقال لخادمه الذي كان واقفا بجانبه : « ما هذا الذي يتبع الرجل في سيره ؟ » فقال له : « إنه كلب » . عندئذ قال له الطفل : « مر بإحضار واحد مثله لي » . فذهب الخادم وأخبر جلالته بذلك فقال جلالته : « دعوا جروا صغيرا يجلب إليه لئلا يحزن قلبه » ، وعلى ذلك أخذوا له جروا .

وبعد أن مضت عدة أيام نما الطفل جسما وعقلا . وأرسل إلى والده قائلا : « ما فائدة مكثي هنا ؟ انظر ! إنني قد صرت في يد القدر . دعني أكن طليقا حتى أعمل حسب رغبتني ، وإن الله سيفعل ما في قلبه » . فأصغوا إليه ، وأصروا أن يُعطى عربة مجهزة بكل نوع من العدة ، وتبعه بخادمه بمثابة رفيق (حامل الدرع) ، ثم عبروا به إلى الشاطئ الشرقي وقالوا له : « اذهب حيث شئت » .

وقد كان كلبه معه ثم اتجه شمالا متبعا في ذلك ما يميل له قلبه في الصحراء ، وعاشا على أحسن لحوم صيد الصحراء ، حتى وصل إلى رئيس النهرين ، ولم يكن قد ولد لرئيس النهرين إلا بنت ، وقد أقام لها بيتا ، شرفته على ارتفاع ٥٦ ذراعا من الأرض . وقد أحضر كل أولاد رؤساء بلاد سوريا وقال لهم : « إن من يصل إلى شرفة بنتي سيأخذها زوجة له . »

والآن بعد انقضاء عدة أيام مر بهم الشاب وهم يقومون بمعلمهم اليومى ، فأخذوا الشاب إلى بيتهم فاغتسل ، وأعطوا جياده علفا ، وقد قاموا بكل خدمة لهذا الأمير ، إذ ذلكوه ولفوا قدميه ، وأعطوا تابعه طعاما ، ثم قالوا له من طريق المحادثة : « من أين أتيت أيها الشاب الجليل ؟ » فقال لهم : « إنني ابن ضابط من أرض مصر ، وقد ماتت والدتي واتخذ والدتي له زوجة أخرى . وقد بدأت تمقتني وقد وليت الفرار منها » ، وعندئذ ضموه إلى صدورهم وقبلوه حارا وبعد انقضاء عدة أيام قال للشبان : « ما هذا الذي تفعلونه . . . ؟ »

فقالوا له : « لقد كنا هنا منذ شهور مضت ننفق وقتنا في الطيران ، لأن من يصل منا إلى شرفة بنت رئيس النهرين فإنه سيهبها له زوجة » فقال لهم : « ليتها تكون لي . فإذا أمكنني أن أسحر ساقى فإني أذهب للطيران معكم » . ولقد ذهبوا جميعا للطيران حسب عادتهم اليومية ، ولكن الشاب وقف بعيدا يرقب ، وكانت نظرة بنت رئيس النهرين متجهة نحوه .

وبعد انقضاء عدة أيام أتى الشاب ليطير مع أولاد الرؤساء فطار ووصل إلى شرفة بنت رئيس النهرين ، فقبلته وضمته حارارا ، فذهبوا ليخبروا والدها ، وقالوا له : « إن رجلا قد وصل إلى شرفة بنتك » . فسألهم الرئيس : « ابن من في الرؤساء هو ؟ » فقالوا له : « إنه ابن

ضابط قد أتى طريدا من أرض مصر فارًّا من وجه زوج والد . « ولكن رئيس الهرين استشاط غضبا وقال : « هل أعطى ابنتى طريد مصر ؟ دعه يبتعد من هنا ثانية » . فأتوا ليخبروه قائلين : « ارجع إلى المكان الذى أتيت منه » . ولكن الابنة أمسكت به وحلفت يمينا قائلة : « بحياة « رع حور أختى » إذا أخذتموه بعيدا عنى فلن آكل ولن أشرب وسأموت فى الحال » . وعندئذ ذهب الرسل وأخبروا والدها بكل ما قالت . فأرسل الرئيس أناسا ليقتلوه فى الحال ، ولكن البنات قالت : « بحياة « رع » إذا قتلتموه فإنى عند مغيب الشمس سأكون ميتة ، ولن أعيش بعده ساعة واحدة . » فذهبوا ليخبروا والدها بذلك الابنة وعندئذ الخوف منه دخل على الرئيس . فضمه وقبله مرات ، وقال له : « أخبرنى عن حالك ، انظر . إنك لى بمثابة ابن » ، فقال له : « إبنى ابن ضابط من أرض مصر ، قد ماتت والدتى ، واتخذ والدى له زوجة أخرى ، وقد أخذت تمقتنى ، وقد لذت بالفرار أمام وجهها » . وعندئذ وهبه ابنته زوجة له وقدم له جوادا ، وكذلك ضيعة وكل أنواع الماشية الطيبة .

وبعد انقضاء عدة أيام على ذلك قال الشاب لزوجته : « لقد قدر لى أن أموت بواحد من ثلاثة : التماسح أو الحية أو الكلب . » فقالت له : « إذن فليقتل الكلب الذى يتبعك » . ولكنه قال لها : « . . . لن أقتل كلبى الذى ربيته ، منذ أن كان جروا » . وعلى ذلك أخذت تراقب زوجها بدقة ، فلم تدعه يذهب إلى الخارج وحده . والآن تأمل . . . إلى أرض مصر . . . ليتقهقر (؟) انظر ، تمساح البحيرة . . .

وأتى إليه فى المدينة التى كان فيها الشاب بحيرة وكان فيها عفريت ماء . ولم يسمح عفريت الماء للتمساح أن يخرج ، ولكن عندما نام التمساح (؟) خرج ملاك الماء للنزهة ، فعندما أشرقت الشمس وقفا يتحاربان كل يوم لمدة شهرين كاملين .

والآن بعد انقضاء عدة أيام على ذلك جلس الشاب يتمتع نفسه فى بيته . وعند حلول الليل نام الشاب على سريره وأخذ النعاس تهما ، ولكن زوجته ملأت [كأسا بـ] . . . وكأسا أخرى بالجمعة ، وعندئذ خرجت [حية] من جحرها لتلدغ الشاب ، ولكن تأمل ! لقد كانت زوجه جالسة بجانبه يقظة الحية فشربت حتى ثملت وذهبت لتستلقى على ظهرها . وعندئذ تسببت زوجه فى أن تقضى عليها بفأسها ثم أيقظت زوجها

وقالت له : « انظر ! لقد وضع الله أحدا ما قدر حتفك به فى يدك ، [وسيسلم لك الآخرون أيضا] . وعلى ذلك قدم قربانا إلى « رع » مادحا إياه ومعظما قوته كل يوم .

وبعد انقضاء عدة أيام على ذلك خرج الشاب للتزهد على الشواطئ في ضيعته دون أن يذهب خارجها . . . وقد كان كلبه يتبعه وقد أعطى الكلب قوة الكلام . . . وهرب منه فوصل إلى البحيرة ونزل فيها [ليهرب من] كلبه فقبض عليه التماسح (؟) وذهب به إلى المكان الذي كان يسكن فيه عفريت الماء . . .

وعندئذ قال التماسح للشاب : « إني أنا قابضك الذي كان يتبعك و لعدة أيام مضت ، إني على وشك محاربة عفريت الماء ، وانظر سأطلق سراحك ولكن إذا لتحارب . . . وإنك ستصق إجابا بي عندما يقتل عفريت الماء (؟) . . . وإذا نظرت . . . ننظر . . . والآن عندما اثبتق الفجر وحل اليوم الثاني . . . إني . . . (وهنا نجد الورقة محطمة بكل أسف ولا شك أن الكلب هو الذي سيقضى على حياة الشاب) .

المصادر :

يجد القارئ أحدث ترجمة لهذه القصة في :

(1) The Journal of Egyptian Archeology Vol XI P. 227. etc.

(2) Erman, The Literature of the Ancient Egyptians. P. 191. etc.

أما الأصل المصرى القديم فمحفوظ بالمتحف البريطانى وقد طبع فى مجموعة الأوراق البردية المعروفة باسم :

Facsimiles of Egyptian Hieratic Papyri in the British Museum
Second Series. Pls XLVIII — LII). Pap Harris 500, verso 4—8.

وقد كان أول من لفت النظر إليها جدون Goodwin وقد ترجمها كذلك « جرفث »

(3) Griffith in The World's Best Literature PP. 5250 ff.

(4) Maspero Popular Stories of Ancient Egypt P. 185.

ويجد القارئ فهرسا كاملا لهذه القصة فى المؤلف الأخير ص ١٨٥ — ١٨٦

قصة الملك « أبوفيس » و « سقنرع »

ملخص القصة :

أرسل ملك المكسوس « أبوفيس » رسلا إلى ملك طيبة « سقنرع » مدعيا أن جاموس البحر الذى يعيش فى بحيرة طيبة يقض مضجعه بسبب أصواته المزعجة التى تصل

لقوتها إلى مقر جلالتها (بصا الحجر) وأنه لذلك يأمر ملك طيبة بإبادة جاموس البحر الذي يسكن في تلك البحيرة جميعه إن أراد أن يبقى حائراً لرضاه . . .

دراسة القصة :

يظهر لنا أن هذه القصة ، والقصة التي تليها المسماة « الاستيلاء على يافا » أشبه بقصص التاريخ وإن بدأت في ثوب خرافي ؛ فنحن نعرف أن البلاد قد غزاها الهكسوس ، وأن ملوك « طيبة » كانوا يناهضون الغزاة ، ومن المحتمل جداً أن تكون هذه المقاومة قد بدأت في عهد « سقنرع تاعا » المعاصر لملك الهكسوس المسمى « أبوفيس » « عاقنرع » والذي اتخذ « أواريس » (صا الحجر الحالية) عاصمة له . وإذا صح ذلك كان طلب ملك الهكسوس الغريب مجرد ذريعة اتخذها تلع لإعلان الحرب على ملك طيبة الذي يكيد له ، وتكون قصة الذئب والحمل التي تتناولها ويتمثل بها في التاريخ الحديث صدى لأختها قصة إبادة جاموس البحر في العصر القديم . ويمرر هذا الرأي برؤية من عهد الدولة الحديثة تؤيد ما سبق إن لم يكن ما جاء فيها تردداً لتلك الحوادث الدامية التي أدت إلى طرد الهكسوس من البلاد .

كما أنه ليس من البعيد أن تكون هذه القصة خرافية ، وأنها من وحي الخيال جملة ، وأن دس هذه الأسماء الحقيقية التي وردت في ثناياها كانت لتكسبها أهمية ، ولتذكر القارىء القديم بصفحة منسية من تاريخ بلاده ؛ وحينئذ تكون مسألة طلب ملك الهكسوس إبادة جاموس البحر من قبيل الأحاجي التي كان يتهاذاها الملوك في ذلك العصر على ما قاله « مسبرو » ، ويسلطون عليها أشعة عقولهم حتى يجدوا حلاً لما فيها من المأزق ، وحينئذ يفوزون بمدح إن وفقوا ، أو يمودون بقدر إن أخفقوا ، أو أن هذا الطلب الشاذ كان لغرض ديني يتبعه ، فإذا رفض ملك طيبة مثلاً تنفيذ إرادة ملك الهكسوس أجبر على ترك عبادة إلهه « رع » إلى عبادة معبود الهكسوس الإله « سوتخ » .

ولقد ظهر في الخرافات الشرقية مثل لخرافتنا هذه مبنى على أساس فكرتها . وقد دونت قصتنا هذه في عهد الملك « مرنبتاح » في الأسرة التاسعة عشرة ، ونجد شبيهاً لها في قصة « إعماء الصدق » من نفس عصرها ، وكذلك نجد مثيلاً لها في عهد الملك « نقتانب » من الأسرة الثلاثين ، حكيت فيما بعد على لسان « أيسوب » ومضمونها : أن الفرعون « نقتانب » أرسل سفيراً إلى « ليسيرس » Lycerus ملك « بابل » وإلى وزيره « أيسوب » قائلاً : إن لدى أنثى من الأفراس لقاحها صهيل الجياد التي في « بابل » ، فتحمل من هذا الصهيل

فا جوابك على ذلك ؟ فأعد «الفريجي» جوابه بأن أغرى بعض الأطفال بضرب قطعة في الشارع أمام الناس . ولما كان المصريون يقدسون القطعة غضبوا لذلك أشد الغضب ، وخلصوا القطعة من أيدي الأطفال ، وشكوا أمرهم إلى ملكهم ، فأحضر «الفريجي» أمامه لاستجوابه وسأله : « ألا تعرف أن القطعة من آلهتنا ؟ فلم تعاملها بهذه الطريقة ؟ » فأجاب : « لقد فعلت ذلك لأنها ارتكبت جريمة بالأمس ضد «ليسيرس» (Lycerus) فقد خنقت ديبكا له مجتهداً كان يضيح في كل ساعة » . فقال له الملك : « كذبت ، فكيف تستطيع قطعة أن تقوم بسياحة طويلة كهذه في وقت قصير كهذا الوقت ؟ فأجاب «أيسوب» : « وكيف تستطيع إناث خيلك أن تسمع أصوات جيراننا مع طول الشقة وبعد المسافة فتحمل من صهيلها بمجرد سماعه ؟ » فهذه القصة التي ذكرنا لبابها صدى لقصتنا المصرية ، ظهر في خرافات «أيسوب» . وقد يحتمل أن يكون بين مستشاري «سقنرع» من أجاب بمثل ما أجاب به «أيسوب» أو بمثل الجواب الذي رأيناه في قصة «إعماء الصدق» .

هذا ولا يختلف أسلوب قصتنا هذه عن أسلوب قصص عصرها ، اللهم إلا بكثرة ما رأينا فيها من الأخطاء . ولعل ذلك لجهل التلميذ المصري القديم الذي نقلها . وفيها تكرار لبعض جملها ، وغموض في بعض نواحيها نشأ من تهشم بعض أجزائها .

من القصة :

حدث أن أرض مصر كانت في جائحة شنعاء (؟) ولم يكن للبلاذ حاكم بمثابة ملك في هذا الوقت . وقد حدث أن الفرعون «سقنرع» كان حاكماً على المدينة الجنوبية (يعنى طيبة) ولكن كانت الجائحة الشنعاء في بلد العامو (المكسوس) ، وكان الأمير «أوفيس» في «أواريس» ، وكانت كل البلاد خاضعة له ، وكذلك كل حاصلاتها بأكملها ، وكذلك كل طبيبات تيمرا (أى مصر وقد بقى هذا اللفظ في كلمة دميرة) .

وقد اتخذ الملك «أوفيس» الإله «سوتخ» رباً له ، ولم يعبد أى إله آخر في البلاد غير «سوتخ» ، وقد بنى معبداً ليكون عملاً حسناً خالداً بجانب قصر «أوفيس» . وقد كان يستيقظ كل يوم ليقرب الذبائح اليومية للإله «سوتخ» ، وكان موظفو جلالته يحملون الأكاليل من الزهر كما كان يفعل تماماً في معبد «رع حور أختي» .

أما فيما يتعلق بالملك «أوفيس» فإن رغبته كانت في إيجاد موضوع للنفار بينه وبين الملك «سقنرع» أمير المدينة الجنوبية .

والآن بعد انقضاء عدة أيام على ذلك أمر الملك «أبوفيس» بإحضار رئيسه
(عند هذه النقطة نجد المتن غير متصل لكثرة الفجوات ، وقد حاول «مسبرو» ملأها
على وجه التقريب) .

[. وقال لهم (أى للمستشارين) : إن رغبة جلالتي في أن أرسل رسولا إلى المدينة
الجنوبية لآتي بتهمة] ضد الملك سقنرع لم يعرفوا كيف يجيبونه ، وعندئذ أمر
بإحضار كتابه والحكام من أجل ذلك ، فأجابوه قائلين : أيها الحاكم يا سيدنا توجد
بحيرة جاموس بحر [في المدينة الجنوبية] النهر [.] وهى (جاموس البحر)
لا تسمح للنوم أن يأتى لنا نهائياً ولا ليلاً ، لأن الضجيج فى أذننا ، وعلى ذلك أرسل جلالتك
إلى أمير المدينة الجنوبية الملك « سقنرع » ودع الرسول يقل له : الملك أبوفيس [.]
بأمرك أن تجعل جاموس البحر يترك البحيرة وبذلك سترى جلالتك من يكون معه
معيناً ، لأنه لا يعمل لأى إله فى كل الأرض قاطبة إلا « آمون رع » ملك الآلهة .

وبعد مرور عدة أيام على ذلك أرسل الملك « أبوفيس » إلى أمير المدينة الجنوبية بشأن
التهمة التى قالها له كتابه والحكام ؟ ووصل رسول الملك « أبوفيس » إلى أمير المدينة الجنوبية
فأخذه إلى خضرة أمير المدينة الجنوبية ، فقال الواحد (الفرعون) لرسول الملك « أبوفيس » :
ما رسالتك إلى المدينة الجنوبية ؟ وكيف قطعت هذه الرحلة ؟ فقال له الرسول : « لقد أرسل
لك الملك « أبوفيس » . يقول : « بأن يهجر جاموس البحر بحيرته التى فى ينبوع المدينة
الجارية (المدينة هنا طيبة) لأنه (أى جاموس البحر) لا يسمح للنوم أن يفشأنى ليلاً
أو نهائياً ، إذ أن أصواته المزججة فى أذنى .

وعندئذ بقى أمير المدينة الجنوبية صامتاً وبكى مدة طويلة ، ولم يكن يعرف كيف يصوغ
جواباً لرسول الملك « أبوفيس » ، فقال له أمير المدينة الجنوبية : كيف سمع سيدك عن البحيرة
التي فى ينبوع المدينة الجارية ؟ فقال له الرسول : الموضوع الذى من أجله قد
أرسلك (؟) . وأمر أمير المدينة الجنوبية أن يقدم لرسول الملك « أبوفيس » كل الأشياء الطيبة
من لحم وخبز وقال له أمير المدينة الجنوبية : ارجع إلى الملك « أبوفيس » سيدك ! . . .
أى شئ تقوله له سأفعله عندما تأتى (؟) [.] وعاد رسول الملك « أبوفيس » مسافراً
إلى المكان الذى فيه سيده .

وعندئذ أمر أمير المدينة الجنوبية بإحضار ضباطه العظام وكذلك كل كبار الجند الذين
كانوا عنده ، وأعاد عليهم التهمة التى بعث بها إليه الملك « أبوفيس » . وقد ظلوا صامتين

جميعاً لمدة طويلة ، ولم يعرفوا أن يجابوا بأى شيء قط حسناً كان أو سيئاً . وأرسل الملك « أبو فيس » إلى

(وهنا تنقطع القصة فى الورقة التى استعملت بقيتها فى خطابات نموذجية ، وهى أسلوب إنشائى كان بلا شك فى ذلك الوقت أكثر فائدة ، ولكنها ليست بذات أهمية لنا الآن ، لأننا كنا نود أن نعرف نهاية القصة) .

المصادر :

كان أول من فهم مضمون هذه القصة هو « دى روجيه » ، ثم قام بترجمتها بعده عدة علماء ، وأهم التراجم ما يأتى حسب جدتها :

(1) Gunn & Gardiner in The Journal of Egyptian Archeology Vol V. P. 40 ff.

(2) Erman The Literature of the Ancient Egyptians Translated by Blackman P. 165 ff.

(3) Maspero Popular stories of Ancient Egypt P. 298 ff.

أما الأصل المصرى القديم فيوجد فى ورقة ساليه

Pap. Sallier 1—3 In the British Museum.

قصة الاستيلاء على يافا

ملخص القصة :

الملك تحتمس قاهر الأعداء يرسل قائده ليستولى على يافا ، ذلك الشجر العظيم الواقع جنوب فلسطين ، فيحاصر القائد المدينة ، وتمتع عليه ، فيعجز عن اقتحامها فيلجأ إلى الحيلة ، ويفرى أمير المدينة بالخروج إليه لمحدثته ، ولما تقابلا أكرمه واحتفى به ، وأدخل فى روعه أنه سينضم بجنوده إليه ، وأنه سيسلمه زوجه وأطفاله . وباشترأكه مع عصا تحتمس التى كانت تشبه عصا موسى تغلب على العدو ، وفتح بلاده بعد خدعة حربية رائعة .

دراسة القصة :

لقد دون تحتمس الثالث كل حروبه على جدران معبد الكرنك وعلى صحائف أثرية أخرى ، ولم يرد فيها دُونَ من ذلك إشارة إلى حوادث هذه القصة .

والذى رواه لنا التاريخ أن تحتتمس الأول قد فتح يافا ، وزى اسم حاكمها فى قاعة غزوات هذا الملك باسم « مقهور يافا » - (وكان لقب « مقهور » يطلق على كل أمير مغلوب فى هذا العصر ، فكان يقال « مقهور » قادش ، مثلاً) .

غير أننا نرى من جهة أخرى أن « تحوتى » الذى جاء فى القصة أنه استولى على تلك البلدة كان شخصية معروفة فى عهد تحتتمس الثالث ، ومن عطاء رجاله البارزين ، ولا بد أنه كان من أعظم قواده وأمرهم فى السياسة ، ومقبرته قد كشف عنها فى مقابر طيبة . ولقد تكلم عن نفسه ، فأرانا أنه كان موضع ثقة الملك فى كل الأصقاع الأجنبية وفى جزر البحر الأبيض المتوسط ، وأنه كان المشرف على الممالك الشمالية ، وأنه كان أول قائد صاحب الملك فى كل الأراضى الأجنبية . والظاهر من كل هذا أنه كان ذا شخصية عظيمة ، ولهذا كان اسمه يتردد على الشفاه أمداً طويلاً بعد انقضاء عصره . ويوجد الآن فى متحف « دارمستاد » خنجر « تحوتى » وفى متحف « اللوفر » طبق من الذهب أهدها إليه الملك تحتتمس أيضاً . ويبدو أن الشخصيات التى مثلت أدواراً فى هذه القصة لها أصل تاريخى . أما ما نسب إليها من الأعمال فغالب الظن أنه من نسج الخيال . هذا وأرجو ألا تفوتنا الإشارة بذكر ما لتحتتمس الثالث الذى وقعت فى عهده هذه القصة من مجد حربى فاق كل أنداده من ذوى التيجان الفرعونية ؛ وقد ظل اسمه يقذف الرعب فى قلوب الأمم المقهورة التى ضرتها غزواته حتى بعد موته بعدة أجيال . وقد كانت التعوينات تحصن باسمه ، ولم يقطع أمرها بعد أن لحق بخالقه ، بل ظل الناس على ذلك قروناً عديدة ، وكان اسمه تيممة سحرية يهزم عند ذكرها الأعداء ؛ وما ذلك إلا من آثار ما خلفه فى النفوس من الذعر والهلل اللذين غرسهما بطشه وجبروته . فلا غرابة إذن فى أن يؤلف المصريون القصص عن عهده ، وأن ينسبوا إليه القدرة على هزيمة الأعداء وإن لم يبرح بلاده ، وأن يجعلوا لمصاه ما لمصا موسى من السحر والعلبة ، فتقتل عدوه ، وتيسر له السبيل إلى فتح يافا .

صنع القصة :

والآن بعد ساعة سكرهم قال « تحوتى » ل [ساحضر] ومى زوجتى وأطفالى إلى مدينتك . فر المحاربين ليحضروا [الجياد] ويعطوها العلف ، أو مر أحد « العبر » يمر فأمسكوا بالجياد وأعطوها علفاً و الفرعون « منخبر رع » فأتوا ليقصصوا ذلك على « تحوتى » . وبمدئذ قال أمير يافا « لتحتوتى » : إن رغبتى هي فى أن أرى عصا الملك

تحتمس المسماة « الجميلة » . وإني أستحلفك بحياة الملك « منخبر رع » أن تكون في يدك هذا اليوم « الجميلة » وأحضرها . ففعل ذلك وأحضر عصا الملك « منخبر رع » وأخفاها تحت عباءته ، ثم وقف من فوقه (؟) قائلا : انظر إلى يا أمير يافا ! هذه هي عصا الملك « منخبر رع » الأسد المحصور ابن « سخمت » وقد أعطاه « آمون » والده الطيب القوة ليستعملها ؛ وعندئذ ضرب جبهة أمير يافا فسقط مطروحا أمامه فوضعه في جلد هو قطعة النحاس التي ضرب أمير يافا ووضعوا قطعة النحاس التي تزن أربعة أرطال على قدميه ، وبعد ذلك أمر بإحضار خمسمائة سلة كان قد أعدها لهذا الغرض ووضع فيها مائتي جندي وقد كبلوا أذرعهم بالأغلال والسلاسل عليها أقفالها (؟) . وأعطوهم نعالهم وعصيهم (آرر) وجعلوا كل خيرة الجند يحملونها ، وكان عددهم خمسمائة رجل وقالوا لهم : عند ما تدخلون المدينة يجب عليكم أن تطلقوا سراح رفاقكم (الذين في السلال) وتقبضوا على كل رجل في المدينة وتضعوهم في الأغلال . وعندئذ خرجوا وقالوا لئاس أمير « يافا » : إن سيدك يقول : اذهب وأخبر سيدتك : افرحي لأن الإله « سوتخ » قد أسلم إلينا « تحوتي » وزوجه وأطفاله ، انظري ! لقد أسرته يدي . وتشير إلى هذه السلال المائتين المملوءة بالرجال المكبلين بالسلاسل والأغلال . وذهب أمامهم ليخبر سيده قائلا : لقد أسرنا « تحوتي » وعندئذ فتحت حصون « يافا » أمام الجند ودخلوا المدينة فخلصوا رفاقهم وقبضوا على كل رجل كان في المدينة صغيراً كان أو كبيراً ووضعوهم في السلاسل والأغلال في الحال . وهكذا استولت قوة فرعون الظافرة على المدينة ، وأرسل « تحوتي » ليلا إلى مصر لسيدة « منخبر رع » قائلا : انظر إن « آمون » والدك الطيب قد أسلم إليك أمير يافا مع كل رجاله ومدينته أيضاً ؛ فأرسل لنا رجالا ليأخذوهم أسرى حتى نعلم ما معبد والدك « آمون » ملك الآلهة بالعبيد من الرجال والنساء الذين سقطوا تحت قدميك إلى الأبد . لقد انتهت القصة بسرور بيد السكاتب الماهر بأنامله كاتب الجيش . . .

ولسنا في حاجة إلى أن نلفت نظر القارئ هنا إلى أن هذه القصة تشبه في بعض النقط ما جاء في « ألف ليلة وليلة » عن (علي بابا والأربعين حرامي) . أما الحيل الأخرى فنجدها في قصص أخرى عند الإغريق والرومان . وأما لغة القصة فهي لا تختلف عن لغة هذا المصري وأسلوبه ، بل نجد فيها التكرار الممل للأعلام والجلل المألوف تكررهما .

المصادر :

لقد وجدت هذه القصة مكتوبة بالهيراطيقية في نفس الورقة التي كتبت عليها قصة الأمير المسحور ، فهما من عصر واحد ولغة واحدة ، وقد ترجمت القصة مرارا وأهم التراجم ما يأتي :

- (1) Peet : Journal of Egyptian Archeology Vol XI P. 225 ff
- (2) Maspero Popular Stories of Ancient Egypt P. 108
- /3/ Erman. The Literature of the Ancient Egyptians P. 197 ff.
- (4) Griffith. The World's Best Literature P. 5256 ff

قصة « إزيس » وإله الشمس « رع »

دراسة القصة :

هذه القصة تعتبر من الأمثلة الطريفة في الشعر القصصى عند المصريين ، وبخاصة إذا علمنا أنه لم يصلنا إلى الآن مجموعة عظيمة من هذا النوع من الشعر كما نجد ذلك في « بابل » و« فلسطين » ، ولا شك أنه كان موجودا ، وربما تجود تربة مصر بشيء منه في القريب العاجل. ولدينا في الكتابات المصرية إشارات صريحة تدل على وجوده ، فنعلم مثلا أنه كان يوجد مجموعة من الخرافات خاصة بإله الشمس وقد بقي منها نطف في « متون الأهرام » ، وكذلك قصة « هلاك الإنسانية » التي أوردناها في هذا الكتاب ، يضاف إلى ذلك قصة المحاصمة بين « حور » و« ست » التي سنفصل الكلام عنها . ولا نشك في أن « بلوتارخ » عندما بدأ الكتابة عن « إزيس وأوزير » كانت أمامه معلومات طريفة عن هذا الموضوع .

وعلى أية حال فإن الحظ لم يواننا في موضوع الخرافات المصرية ، إذ لم يبق لنا منها إلا النزر اليسير ، ولا بد أن مقدارها كان عظيما جدا . غير أننا لسنا في مركز يسمح لنا بأن نقول إنها كانت تشتمل على تلك الصفات العالية التي يمتاز بها الشعر القصصى في « بابل » و« فلسطين » .

والقصة التي نحن بصددنا الآن مثال من هذا الشعر ، وهي ترينا كيف أن « إزيس » خدعت الإله « رع » حتى أخبرها باسمه الخفي . ولا بد أن نفسر ذلك هنا بأن معرفة اسم الشخص تعطى من يعرفه قوة يسيطر بها عليه حسب اعتقادهم في الأمور السحرية ؛ ومن ذلك نفهم السر في أن « رع » كان يحرص على إخفاء اسمه ، وسبب خداع « إزيس » له حتى وصلت إلى معرفته .

مع الفصح :

كانت « إزيس » امرأة حكيمة الكلام وكان عقلها أكثر مكرًا من ملايين الرجال ، وكانت أعقل من ملايين الآلهة ، وكانت تعادل (؟) ملايين الأرواح ، وكانت تعرف كل ما في السموات وما في الأرض مثل « رع » الذي يعمل كل ما تحتاج إليه الأرض .

وقد كان « رع » يدخل السماء كل يوم على رأس نواتيه ويجلس على عرش الأفقيين . غير أن الشيخوخة المقدسة جعلت لعاب فمه يسيل (؟) ، وعلى ذلك يصب على الأرض وسقط لعابه عليها ، فجمعته (كشطته) إزيس في يدها بالتراب الذي كان عليه . وسوته في صورة ثعبان نغم وصورته في شكل غير أنه لم يتحرك كأنه حي أمامها ، ولكنه امتد على الطريق الذي كان من عادة الإله العظيم أن يمر به حسب رغبته في طريقه . وخرج الإله المتعالي في بهاء ، وفي معيته الآلهة الذين في القصر ليمشي في الخارج كما كان يفعل كل يوم . وعندئذ لدغه الثعبان الفخم حتى نفث فيه النار المتقدة التي خرجت منه فصاح الإله المقدس بصوته ، فوصل صوت جلالته إلى السماء حتى إن تاسوعه صاحوا : « ما هذا ؟ ما هذا ؟ » وآلهته : « ماذا ؟ ماذا ؟ » على أنه لم يجد صوتًا ليجيب . وارتعدت شفتاه وزلزلت كل أعضائه لأن السم كان قد أمسك بجسمه كما يست النيل بـ

وعندما استرد الإله قلبه ثانية نادى أتباعه : « تعالوا إلى أنتم يامن أتيتم إلى الوجود من جسمي ، أنتم أيها الآلهة الذين خرجوا مني . وذلك لأخبركم بما حدث لي . لقد لدغني شيء ردي ، وقلبي لا يعرفه وعيني لم تره ، وبدي لم تسوه ، ولا أعرفه من بين كل الذين خلقتهم ، ولم أشعر بألم مثله ، ولا شيء أكثر ألمًا منه . وإني أمير وابن أمير ، وإني بذرة إله اتخذت وجودها من إله . وإني عظيم وابن عظيم . اخترع والدي اسمي ، وإني واحد له عدة أسماء وعدة أشكال ، وصورتني في كل إله . « أتوم » ، و « حور — حكنو » يلتسمسان في . وقد أعطاني والدي ووالدتي اسمي ، وقد بقي مخفيا في جسمي منذ ولدت حتى لا يكون لساحر أو ساحرة سلطان علي . والآن عند ما خرجت لأشاهد ما صنعت ، ولأسير في الأرضين اللتين خلقتهما لدغني شيء لا أعرفه ، فلم يكن نارا ولم يكن ماء ، ومع ذلك كان قلبي يحترق وجسمي يرتعد ، وتجمدت كل أعضائي . أرسلوا إلي الأولاد المقدسين الذين لهم كلام ناجح ، حكاء اللسان والذين يصل مكرهم إلى السماء .

عندئذ أتى إليه الأولاد المقدسون كل منهم بعويله (؟) وكذلك أنت « إزيس » بخدماتها ،

ونصيحتها نَفَس الحياة ، وأقوالها تطرد المرض ، وكلتها تعطى الحياة من أخطأه النفس .
 فقالت : « ما الذى حدث ؟ ما الذى حدث ؟ أيها الوالد المقدس ، ماذا ؟ إذا كان قد
 ألحق بك ثعبان ضررا (؟) أو أى مخلوق من مخلوقاتك قد رفع رأسه ضدك فأنى سألقى به
 أرضا بالسحر الفعال وأمنمه مشاهدة أشعتك » .

وعندئذ فتح الإله الجليل فاه ، وقال : « لقد كنت ذاهبا على الطريق سائرا فى الأرضين
 وفى الصحراء ؛ لأن نفسى كانت تنوق إلى رؤية ماخلقته . ولكن تأملى لقد لدغت من ثعبان
 لم أَره . وإنما ليست نارا وليست ماء ، ومع ذلك فأنى كنت أبرد من الماء وأحر من النار ،
 وقد تصبب كل جسمى عرقا ، وإنى أرتعد ، وعيناي ليستا قويتين ، ولذلك لا يمكننى أن أرى ،
 لأن الماء يتصبب على وجهى كما يحدث فى قيع الصيف » .

وبعد ذلك قالت « إزيس » « رع » : « أخبرنى عن اسمك أيها الوالد المقدس ، لأن الرجل الذى
 تتلى باسمه تعويذة سيبقى حيا » . فأجابها « رع » : « إنى أنا الذى خلقت السماء والأرض وأرسيت
 الجبال معا وسويت ما عليها . أنا الذى خلق الماء ومن ثم وجدت « محورت » ، وأنا الذى
 خلقت الثور للبقرة ، وعلى ذلك جاء الأب إلى عالم الوجود . وأنا الذى كونت السماء وأسرار
 الأفق ، ووضعت أرواح الآلهة فيها . وأنا الذى فتح عينيه ومن ثم جاء النور إلى الوجود .
 والذى أغمض عينيه فجاء الظلام إلى الوجود . والذى بأمره يجرى النيل . والآلهة لا يعرفون
 اسمه . وأنا الذى خلقت الساعات ومن ثم جاءت الأيام إلى الوجود . وأنا الذى افتتح الأعياد
 السنوية وأنشأ النهر . وأنا الذى خلقت نار الحياة لأجل أن توجد أعمال . . . وأنا الإله
 « خبرى » فى الصباح ، و « رع » فى الظهيرة و « آتوم » فى المساء » .

ومع كل فإن السم لم يكف عن مجواه ، ولا خفف ألم الإله العظيم . وعندئذ قالت « إزيس »
 للآله « رع » : « إن اسمك لا يوجد بين الأسماء التى تولتها على ، فأخبرنى به لأجل أن يخرج
 السم ، وذلك لأن الرجل الذى ينطق باسمه سيعيش . ثم أخذ السم يحرقه بفضاعة ، وأصبح
 أقوى من اللهب أو النار ، فقال جلالة « رع » : « أعيربنى أذنك أيها البنت « إزيس »
 وسينتقل اسمى من جسمى إلى جسمك » .

وعندئذ خبا نفسه (أو الاسم) من الآلهة ، وذلك لأن المسافة كانت شاسعة فى قارب
 ملايين السنين^(١) . وعندما حانت ساعة الكشف عما فى القلب قالت لابنها « حور » : اجعله

(١) مركب الشمس الذى يسبح فيه الإله « رع » ومعه أتباعه فى السماء كل يوم من للمرق ثم إلى
 الغرب ، ومن ثم يذهب إلى العالم السفلى ويسبح فى سمائه ثم يظهر فى المرق ثانية فى اليوم التالى وهكذا .

عاجزا أمامي ، وذلك بأن يحلف الإله يمينا أنه يفقد عينيه (إذا أصابها بضرر) . وعلى ذلك كشف الإله العظيم عن اسمه للآلهة « إزيس » . ثم قالت « إزيس » الساحرة العظيمة : أيها السائل السام اخرج من « رع » وأنت يا عين حور اخرجي من الإله ربق الفم - إني أنا الذي ينفذ ، وأنا الذي أرسل ، تمال إلى الأرض أيها السم القوي ، انظر . إن الإله العظيم قد باح باسمه . إن « رع » يمشي والسم قد مات . وفلان^(١) بن فلان يمشي والسم مات . وهكذا تكلمت « إزيس » العظيمة ، أميرة الآلهة التي تعرف « رع » باسمه الحقيقي .

ويرى القارئ أن هذه القصة لم تكتب بطريقة شائقة ، وذلك لكثرة ما فيها من التفاصيل الجغرافية ، حتى إن النقطة التي تدور حولها القصة قد صارت غامضة لكثرة ما في القصة من الصفات التي يتحلى بها « رع » . وقد كان في مقدور الكاتب أن يكتبها في سطور قليلة ، ولكنه أراد أن يظهر كل صفات رع ، أو بمباراة أخرى يكتب حسب الطريقة المصرية ويرخي لنفسه العنان في المترادفات .

وإذا أراد القارئ أن يرى الفرق في الاقتصاد في التعبير بين المصرية والمبرية مثلا ، فإليه إلا أن يقرن قصتنا هذه بقصة تشبهها سطوحيا في التوراة ، وأعني بذلك قصة موسى والتمعان (كتاب العدد — الإصحاح الحادى والعشرون — الآيات ٤ — ٩) . فالأولى قد كتبت في صفحات والثانية في سطور ، والأولى على الطريقة المصرية والثانية على الطريقة المبرية وكلتاها طريفة في يثتها .

المصادر

أحدث التراجم

(1) Eric Peet. A comparative study of the Literatures of Egypt, Palestine and Mesopotamia P. 19 ff.

(2) Müller Egyptian Mythology P. 80 ff.

(١) في التواويد السحرية يترك اسم الشخص الذي يراد رفيته خاليا ويستعاض عنه بكلمة فلان . وعندما يعرف اسم الشخص يكتب بدلا من كلمة فلان ابن فلان .

عن ملك وإلهة

مقدمة :

في متحف « برلين وفيينا » قطع من ورقة بردى في حالة سيئة تتحدث عن ملك وإلهة وموظف يدعى « حورمين » . ولما سنورد هنا القطع التي يمكن ترجمتها . وعلى خيال القارىء أن يستكمل الباقي^(١) . غير أنه يمكننا أن نقول إن وجود موظف في منف يحمل اسم « حورمين » النادر ويمضى الملك معه عشرة أيام وتظهر في بيته البنت الجميلة يحملنا نفكر قهرا في شخص حقيقي :

القصة :

المشرف على خدر النساء الملكي في « منف » « حورمين » الشهير . وهذا الرجل العظيم قد كافأه الملك « سبتى » الأول بالذهب حينما باع حياة طويلة وعمرا مديدا مباركا ، دون أن يرجع إلى الطفولة ، ومن غير أن يرتكب خطأ ما في البيت الملكي^(٢) . ونجد في كل المتاحف آثارا من قبره في سقارة^(٣) ، فن الجائر إذن أن تكون خرافة قد علقت بهذا الرجل كما هو الحال مع القائد « تحوتى » (انظر قصة الاستيلاء على « يافا ») .

وكل أنواع الهدايا قد أحضرت إلى الملك وعند الغروب أتت (؟) على رأس القوم الذين كانوا يحملين بالهدايا . . . بيتها ، وقالت لجلالته . . . احضر له القدح . . . هو . . . على السطح ونادى . . . ضابط الجنود الاحتياطي للجيش . . . احضر لى سلات فيها فضة وذهب ، وفعل . . . وبعد أيام مضت على ذلك . . . نظرتها . . . وأخذت له . . . هذه ثلاث السنوات فيها ، وقد انبطحوا أمام (الملك) ؟ . . .

. . . « سأفعل ما » يمليه قلبي . . . خمسون إناء من الشهد . . . قح وجعل لجلالته . . . وأمر أن يحضر الحبل أمامه . . . تعال (؟) إلى « منف » وحينئذ سيعمل لك . . . وبعد أيام عدة مضت على ذلك جاء لجلالته « منف » إلى « حورمين » المشرف على خدر النساء وأمضوا عشرة أيام . وبعد انقضاء عدة أيام على ذلك . . . وحولت نفسها إلى عذراء جميلة . . . وبعد

(١) حيث لا يمكننى ترتيب القطع الباقية .

(٢) اللوفر C 213 .

(٣) شواهد قبره في برلين .

أيام عدة مضت على ذلك . . . لا تخف ؟ اصعد انت . . . وبعد أيام عدة مضت على ذلك ركب جلالته (عربة) ؟ ووصلوا إلى المملكة الشمالية . . . وقال القوم لفرعون ما أنت فاعل (؟) . . . لا يرجع أحد ثانية فإن الإلهة (تذبح) الناس . . . وبعد عدة أيام مضت على ذلك . . .

المصادر :

Erman. The Literature of Ancient Egyptians P. 172 — 173.

قصة عن عشتارت

كانت الآلهة «عشتارت» الفينيقية معروفة عند المصريين في خلال الأسرة التاسعة عشرة . وفي حكم «رعمسيس» الثاني كان لها معابد خاصة في عاصمته . ولا بد أنه كان لها معابد غيرها في المدن الأخرى . على أن حشر إلهة أجنبية يمكن أن يكون السبب في تأليف هذه القصة التي لسوء الحظ لم يبق منها إلا قطع صغيرة محفوظة . والظاهر أن هذه القصة تخبرنا كيف أحضرت «عشتارت» إلى مصر من بلادها^(١) ، ويظهر من القطعة الأولى من البردية أن إلهة يطلب الجزية بوصفه ملكا ، ويظهر أنه كان هناك قضية خاصة بذلك في المحكمة . و«رننوت»^(٢) «تخاطب» «عشتارت» (؟) . انظري . إذا أحضرت له جزية فإنه سيكون رحيمًا بك (؟) وإذا لم تحصرى الجزية فإنه سيأخذنا أمرى ، وعلى ذلك أعطيه جزيته من الفضة والذهب واللازورد . . . خشب وقالت «لتاسوع الآلهة» . . . جزية البحر . ليتنه يصنى إلينا . . . وفي قطعة ثانية حيث لا يزال الموضوع خاصا بجزية البحر يمكن الإنسان أن يستخلص . ثم أخذت «رننوت» . . . وقالت : اسمع ما أقول . لانذهب لآخر واعل إلى «عشتارت» في بيتها ، وتكلم تحت حجرة نومها وقل لها . إذا استيقظت (؟) . . . ولكن إذا نمت فساعمل . . . ليتك تأتي إليهم . . . انظر ، إن «عشتارت» تسكن في إقليم على البحر . . . بنت «بتاح» الإلهة الفضلى المربعة . هل النملان اللتان في قدميك . . . هل ملابسك التي تلبسها قد مزقت من ذهابك وإيابك الذى تقوم به في السماء وعلى الأرض ؟

(١) وإذا كان هذا التفسير صحيحا فإن القصة لا بد قد ألفت على نمط خرافة اللبوة التي هربت إلى بلاد النوبة ثم أحضرها «تموت» .
(٢) إلهة الحصاد .

وقال

..... ماذا أصنع ضده ؟ وسمعت « عشتارت » ال البحر فذهبت
ودخلت في حضرة « تاسوع الآلهة » حيث كانوا فرآها (الآلهة) العظام ووقفوا
أمامها ونظرها (الآلهة) الصغار وانبطحوا على بطونهم ، وهناك قدم لها عرشها وجلست عليه ،
ثم أحضر إليها

..... وذهب رسول « بتاح » قائلا : « قدموا الخضوع « لبتاح » و « لنوت » .
و « نوت » ال التي كانت حول عنقها ووضعها في الميزان
ويجب أن نوافق كاشف هذه القطع قائلين إن ما حفظ كاف ليجعلنا نأسف على فقد
ما ذهب .

المصادر :

أول من كتب عن هذه القطعة هو الأستاذ « برش »

(1) Birch, Zeitschrift für Agyptische sprache 1871 P. 119.

ثم طبعها الأستاذ « نيورى »

(2) The Amherst Papyri Pls. XIX — XXI.

وترجمها الأستاذ « ارمن »

(3) Erman, The Literature of the Ancient Egyptians P. 169 — 170.

قصة عفريت

قد وصلت إلينا ثلاث قطع من نسخ محشوة بالأغلاط ، مسطرة على أربع قطع من
الخزف لقصة ، ولكن هذه القطع لا تمكننا تماما من فهم مغزاها . وموضوعها أن شخصا
مات منذ زمن طويل ، ثم ظهر ثانية لرئيس كهنة « آمون » وأمره مهيدا إياه بترميم قبره
الذى قد خرب ونسى . وبعد بحث متواصل وجد رئيس الكهنة القبر . والملك « رع حتب »
الذى عاش في زمنه المتوفى هو من ملوك العهد الإقطاعى في نهاية الدولة الوسطى . أما رئيس
الكهنة فلا بد أنه عاش في عهد الأسرة التاسعة عشرة أو العشرين ، ويعرف ذلك من مدلول
اسمه [ورئيس الكهنة الذى نتكلم عنه بوصفه شابا يحتمل أنه هو الذى يتكلم في الأول

ويشتكي كما يأتي] : أنا لأرى نور الشمس ولا أتنفس الهواء ، والظلام فوق يوميا ولا يأتون^(١)

وقال العفريت له : حينما كنت حيًّا على الأرض كنت رئيس خزائن الملك « رع حتب » وكنت ممثلا للجيش^(٢) ، وكنت على رأس الرجال وقريبا من الآلهة^(٣) .

وفي ثاني شهور الصيف من السنة الرابعة عشرة ذهبت إلى راحتي ، وتوفيت في عهد الملك « منتحوب » (٤) فقدم إلى أربع أوان مائية^(٤) وتابوتا من المرمر ، وأمر ببناء أهرام لي تليق برجل في مركزى وجعلني أذهب إلى راحتي (الأبدية) انظر . إن الأرض من تحتي (٤) صارت بالية (٤) وتتساقط^(٥) (٤)

أما ما يخص بقولك لي : سأجده المدين ، فإنني قد سمعت ذلك من قبل أربع مرات ، ولكن ما الذي يفعلونه له (٤) هذا لا يتم بكل الألفاظ^(٦)

فقال لي رئيس كهنة « آمون » ملك الآلهة « خنس اعحب » : أرجو أن تنطق لي بأمر حسن يقضى بأنه يعمل ذلك لي أو يجعله يعمل لي (٤) وكذلك يعطيني خمسة من الأرقاء الذكور وخمسا من الإماء ، فيكون مجموع ما أعطاهُ عشرة ليصبوا الماء لي ، وكذلك يخصص لي حقيرة من القمح يوميا لتقدم إلى رئيس يصب الماء لي^(٧)

وكان العفريت مغضبا وقال له : لأى غرض ذلك الذى تفعله (٤) أليس الخشب معرضا (٤) للشمس والحجر الذى أصبح باليا لا يمكنك زمننا أطول (٤) إنه يتداعى

وبعد ذكر إرسال أناس للقبر نقرأ : ثم قال له العفريت : « وعليه كذلك أن يخلد اسم والد والدى واسم والدتي » فقال رئيس الكهنة ! « سأجعله يفعل ذلك لك وسأجعله يبنى مدفنا لك وسأجعله يعمل لك ما يعمل لرجل في مركزك » . ومن المحتمل أنه يعده أيضا أنه لن يبرد في الشتاء . ثم بعد جملة غير مفهومة يقول : ثم إن رئيس الكهنة « خنس

(١) يحتمل أن يكون المرض الذى أُنزله به العفريت .

(٢) لقب معروف يجعله ضابط من أكبر الضباط

(٤) الأواني التى تحفظ فيها الأحشاء عند التحنيط

(٥) كان القبر يفوس في الأرض ويتداعى .

(٦) إذا كنا قد فهمنا معنى الجملة فإن العفريت لابد كان قد جاء للكاهن الأكبر ثلاث مرات وفي كل مرة كان يعده بالعود الجميلة .

(٧) لابد أنه كان قد عمل معه وثيقة واضحة يمكنه تنفيذها .

المحب « قعد وبكى ولم يأكل ولم يشرب » لعل ذلك بسبب أنه لم يجد القبر الذى يجب أن يرمه .

ولما كان من المحتمل أن المتوفى كان موظفا للملك « رع حتب » جاز أنه قد دفن بجواره وقد أرسل هناك الـ . . « لأمون رع » ملك الآلهة ثلاثة رجال . . . فعبر النيل وتسلق إلى قبر بجانب قبر الملك « رع حتب » ، السامى هذا هو القبر الذى كان يبحث عنه ثم نزلوا إلى شاطئ النهر وعبروا إلى رئيس كهنة « آمون رع » رب الآلهة ووجدوه بينما كان يقوم بتأدية وظيفته فى المعبد .

وقابلهم بكلام يحتمل أن يعبر عن بعض الشك فيما إذا كانوا قد وجدوا المكان المقصود . وعندئذ تكلم ثلاثة الرجال بفم واحد : « لقد وجدنا المكان الطيب » ، ثم قعدوا أمامه وفرحوا وكذلك استولى السرور على قلبه حينما قالوا له : « الشمس طلعت من الأفق » ، ونادى هو بممثل بيت « آمون » المسمى « منتوكا » (وكلفه) القيام بعمله وفى المساء عاد لينام فى المدينة وهو

المصادر :

هذه القطعة يرجع عهدها للأسرة العشرين ، وقد وجدت مكتوبة على أربع قطع من الخزف : واحدة منها فى متحف اللوفر بباريس ، والثانية فى فينا . أما الاثنتان الأخريان فى متحف « فلرنسا » بإيطاليا . وكتب عنها الأستاذ « جولنيشف » فى مجلة

(1) Recueil De Travaux Vol. III 3 ff. & ibid XVI P. 31.

ثم كتب عنها ثانية « برجان »

(2) Bergmann Hierat. dem Texte, Vienna 1886 Pl. IV.

وقد ترجمها الأستاذ « مسبرو » مع بعض التصرف فى كتابه .

(3) Maspero. Papular Stories of Ancient Egypt P. 275 ff.

الشجار بين الجسم والرأس

مقدمة :

هذه قصة قد يرجع تاريخها إلى الأسرة الثانية والعشرين ، وفيها مناظرة بين أجزاء الجسم ، تدور حول من يفضل منها بقية الأعضاء ، وقد كتبها تلميذ قديم ، ووقع في أغلاط كثيرة في كتابتها . وقد لاحظ « مسبرو » أنها شبيهة بخرافة « شجار البطن والأمعاء » . ولا نستطيع معرفة مدى وجه الشبه بينهما لأن القصة لم ترد كاملة .

القصة :

تشاجر البطن والرأس لحلّ متكلمين بصوت مرتفع أمام الثلاثين . وكان لابد لهؤلاء من أن يكشفوا عن حقيقة الإهانة التي بكت من أجلها عين الرأس ، وأن يقرر الصديق أمام الإله الذي عمت الظلم . ولما نطق البطن باتهامه صاح الرأس عاليا قائلاً بقمه : أنا ، أنا ذلك الشعاع الذي في كل البيت ، والذي يحتمل الأشعة ويخضع الأشعة معا . وكل عضو يرتكن على سميذ ، فقلبي سميذ . وأعضائي تنمو (؟) ورقبتي مثبتة تحت الرأس ، وعيناي تنظران بعيدا ، وأنفى يتنفس وينشق الهواء ، وأذناي مفتوحتان وتسمعان ، وفي مفتوح ويعرف كيف يجيب ، وذراعا^(١) تنموان وتعملان . (ويظهر بعد ذلك أن الموضوع خاص برجل متكبر ، يرى أن الأشراف منحطون ، ولا نعرف بالضبط من يقصد بكلامه) ثم يعود الرأس إلى الكلام . إلى سيدك ، أنا الرأس الذي يريد لإخوته أن يهتموه (؟) وهذا ما قاله الفم له : « أليس هذا خطأ ؟ دع الرأس يكلمني . أنى ذلك الذي يحفظ حياً »

المصادر :

أول من كتب عنها الأستاذ « مسبرو »

(1) Maspero Etudes Egyptiennes I, P. 260 ff.

ثم ترجمها الأستاذ « لورمان »

(2) Erman. The Literature of the Ancient Egyptians P. 173 ff.

قصة إعماء الصدق ثم الانتقام له

ملخصها :

اتهم الكذب الصدق بتهمة كانت تبيحها أن حكم على الصدق بالعمى ، ووافق « تاسوع الآلهة » على ذلك الحكم ، ويظهر أن هذه التهمة كانت تنحصر في أن الكذب أودع عند أخيه الصدق مدية يحتفظ بها أمانة عنده ، ولكنها لسبب ما فقدت أو تلفت ، وأراد الصدق أن يموض أخاه عنها بأخرى مثلها ، ولكن أخاه الكذب كان يتعلل بعلم مختلفة ، وكان يخلع على مديته أوصافاً تضخم من شأنها ، وتمجز الصدق عن الإتيان بمثلها ، فقال عنها : إن جبال « إيل » سلاحها ، وأشجار « فقط » مقبضها ، وقبر « الإله » قرابها وماشية « كار » رباطها . فمجز الصدق طبعاً عن رد مثل هذه المدية ، فحكم عليه « تاسوع الآلهة » بالعمى كما أراد الكذب . وبعد ذلك رغب الكذب في أن يقضى على حياة أخيه ، ولكنه نجا من حباله وأخذ الصدق مكانه تحت سفح جبل ، فرأته خادم وأعجبت بجاله وأشفقت عليه فأخبرت سيدتها بأمره ، وأحضرتة إليها فأعجبت به ، واتصل بها اتصال الرجل بأمراته ، فأنجبت طفلاً جميلاً اقتص لأبيه بعد أن نما وأيفع وأوقع به بمثل المكيدة التي دبرها الكذب لأبيه ، وانتهى الأمر بإعماء الكذب وانتصار الصدق عليه .

دراسة القصة :

لا شك أن القارىء يلمح شبهاً بين هذه القصة وقصة الأخوين في الهدف الذى ترمى إليه كل منهما ، وترجع كليهما إلى عهد الرعامسة . وأسلوب القصة بسيط ، وتعبيراتها متشابهة ممتدة ، وهى فقيرة فى ثروتها اللغوية ؛ وتلك سمعة عرفت عن هذا العصر المتأخر . كما تمتاز بأن أسماء أبطالها ليست من أسماء البشر ، بل من الآلهة أو غيرهم ، وفيها شيء من خوارق العادات فيما يتصل بالسكين والثور . ولقد أبانت لنا بعض عادات للمصريين القدماء فى عهد الرعامسة ، كاستخدام عمى الرجال فى حراسة الأبواب وإيداع الثور عند راع مقابل أجر ضئيل ، كما وضعت لنا صورة حياة تمثل حياة الفلاح المصرى فى ذلك العصر والحياة المدرسية التى تشبه حياة المدارس فى عصرنا الحالى . ومما استرعى اهتمامنا أسماء أبطال القصة « الصدق » و « الكذب » اللذين خلعا على الأخوين المتخاصمين ، ولم يكن ذلك منتظراً ،

لأن كلمة « صدق » أو « عدالة » في اللغة المصرية القديمة من الأسماء^(١) المؤنثة . على أن إطلاق الأسماء المنوية على الصور الحسية من الأمور الشائعة من قديم الزمان ، فعندك الإلهة « ماعت » التي تدل على « الصدق » ، « العدالة » ، « الحق »— وهذا أقدم مثال للكنية ، وقد استعمله « جون^(٢) بنيان » في كتابه المشهور Pilgrim's Progress

ومغزى القصة في إظهار الفوارق الأخلاقية بين الصدق والكذب .

وإذا دققنا البحث في موضوعها لمنا في ثناياه صورة أخرى لخرافة « حور » و« ست » : فالأخ الأكبر هو الذى يتحلّى بالفضيلة ، وهو الذى يتآمر على قتله أخوه الصغير الشرير . (كما نرى في « أوزير وست » . والابن الذى جاء ينتقم لأبيه في قصتنا يبادل « حور » بن « أوزير »^(٣) في تلك ، والخلاف في مسلك الأم فيهما .

ومما يثبت لنا أن هذه الخرافة صدى مشوه لأسطورة « أوزير » تلك الحكمة التى انعدت من « التاسوع الإلهى »^(٤) ونظرت في شكاية كل من الصدق والكذب حينما رفع كلاهما الأمر إليها .

ومن التفاصيل الساذجة فيها استعمال القسم التقليدى الذى كان يستعمل دائماً من بداية الأسرة الثامنة عشرة حتى نهاية الأسرة العشرين ، وهو القسم « بحياة أمون وبحياة الأمير » . وهذا مما يقفنا على تاريخ هذه الورقة على وجه التقريب .

المصادر :

(1) A. H. Gardiner, Late Egyptian Stories, Brussels 1932 P. 30 — 6.

(2) Erman. Forschungen und Forschnitte eighth year no. 4 (Feb., 1932) P. 43 — 4.

(3) Gardiner, Hieratic Papyri in the British Museum Vol. I Text P. 2 ff.

(١) ظن بعض علماء اللغة أن الاسم هنا منسوب إلى الصدق (صدق) وبذلك خرج عن كونه مؤنثاً ، ولكن الصورة التى ورد بها في نسختنا ليست صورة الاسم للنسب .

(٢) في كتاب « بنيان » سميت أشخاص روايته بأسماء رمزية مثل الحقد ، والأمين ، واليأس ، والجبار ، والعنيد . . . الخ

(٣) لاحظ الأستاذ دى بك العالم الهولندى في الخطاب الهجائى (ورقة أنستاس الأولى) أن « حور » قد سمي نفسه « حور بن ونفريس » ، وفي فقرة أخرى قال : « إني أنا ابن الصدق » مما يتفق مع تسمية أوزير بالصدق هنا .

(٤) أى مجموعة الآلهة التسعة .

من القصة :

[ومن ثم يقول النص]

وعندئذ قال « الكذب » للتاسوع : دعوا « الصدق » [يحضر] ثم تعمي عيناه الاثنان ، ثم اجعلوه حارس باب منزلى . ولقد فعل التاسوع وفق كل ماقاله .

وبعد أن انقضت عدة أيام على ذلك رفع « الكذب » عينه ليشاهد فرأى فضيلة « الصدق » ، أخاه الأكبر .

وعندئذ قال « الكذب » لعبدين من عبيد « الصدق » : خذا سيدكما واقذفاه إلى أسد شرير معه عدة لبؤات رفيقات له ، ودعاها [تلتهمه] .

[وعندئذ أخذه العبدان] . وبينما هما يصعدان معه إذ قال « الصدق » لخادمية : لا تأخذانى لأجل أن تضعا آخر . . .

هنا نجد أن الجزء الأكبر من الصفحة الثانية قد ضاع ، وقد تركت لنا بعض جل ، غير أنه من الصعب أن يفهم الإنسان منها معنى متصلا . ومن المحتمل أن ثلاثة الأسطر والنصف الأولى تقص كيف أن الخادمين قبلوا رجاء « الصدق » وكيف أنهما تفاديا الأسئلة التي وجهها إليهما « الكذب » عند عودتهما . والفقرة التالية كذلك تضع أمامنا مسائل معقدة ، غير أنه يظهر أنها تخبرنا كيف أن خادمة للسيدة التي أصبحت فيما بعد والددة ابن « الصدق » (وقد فقد اسمها في كل مكان من الفقرة) — قد وجدت « الصدق » ، راقدا تحت سفح تل ، وقد تعجبت من جماله فذهبت لتخبر سيدتها بالأمر ، وها هي ذى المبارة بنصها :

وبعد مضي عدة أيام على هذه الأشياء خرجت السيدة . . . من بيتها . . . وشاهدته نائما تحت سفح التل ، وقد رأت جماله ولم يكن له مثيل في الأرض قاطبة . وقد ذهبوا (؟) إلى المكان الذى فيه ال . . . وكانت السيدة [تقول] . تعال معنا وانظر . . . نائما تحت سفح التل ودعهم يأخذوه ويجعلوه حارس باب بيتنا .

[وعندئذ] قالت السيدة لها (أى للخادمة) : اذهبي وأحضريه حتى أراه . فذهبت وأحضرتة ، ولما رآته السيدة رغبت فيه كثيرا ، لأنها رأت جمال جسمه (؟) ، ونام معها في الليل وعرفها معرفة الذكر لأنثاه ، فحملت منه على أثر ذلك في هذه الليلة في طفل صغير .

وبعد مضي عدة أيام على هذه الأشياء وضعت غلاما ، ولم يكن له مثيل في الأرض قاطبة ، وقد كان أكبر من وقد كان يشبه الإله الفتى ، وقد وضعوه في المدرسة وتعلم الكتابة بتفوق كما تعلم كل فنون الحرب ، وتفوق على أقرانه ممن هم أكبر منه سنا في المدرسة .

وعندئذ قال له زملاؤه : ابن من أنت ؟ إنك بدون أب . ثم سبوه وضايقوه قائلين : حقاً إنك بدون أب .

وعندئذ قال الولد لأمه : ما اسم والدي حتى يمكنني أن أقوله لزملائي لأنهم يضايقونني كثيراً بقولهم : أين والدك ، وهكذا يقولون لي ويؤلموني .

عندئذ قالت والدته له : هل ترى ذلك الأعمى الذي يجلس بجوار الباب ؟ هذا هو والدك . وهكذا قالت له .

عندئذ قال لها : كان خيراً لك أن تجمعي أقاربك حتى يطلبوا تمساحاً ليحاسبك (ليتهمك) . ثم أخذ الولد والده وأجلسه على كرسي ووضع مسنداً تحت قدميه ووضع أمامه خبزاً ، وجعله يأكل ويشرب .

وعندئذ قال الولد لأبيه : من أعماك حتى أنتقم لك ؟ فقال له : إن أخي الصغير أعماني . ثم أخبره بكل ما حدث له .

فذهب الولد لينتقم لأبيه ثم أخذ عشرة أرغفة وعصا ، وحذاء ، وقربة ماء ، وسيفاً ، ثم أحضر ثوراً جميل المنظر وذهب إلى المكان الذي فيه راعي « الكذب » وقال له : خذ هذه الأرغفة العشرة وهذه العصا وتلك القربة وهذا السيف وهذا الحذاء وارع هذا الثور لي حتى أعود من المدينة .

وبعد مضي عدة أيام على هذه الأشياء كانت ثورته قد أمضى عدة شهور مع قطع ثيران « الكذب » .

وعندئذ ذهب « الكذب » إلى الريف ليرى ماشيته فرأى ثور الولد هذا ، وقد كان جميلاً جداً فاتقأ .

وعندئذ قال لراعيه : أعطني هذا الثور لآكله . فقال له الراعي : إنه ليس ملكي وليس في مقدوري أن أعطيك إياه .

وعندئذ قال له « الكذب » : انظر . إن ماشيتي كلها معك . أعط واحدة منها صاحبه .

وعندئذ سمع الولد أن « الكذب » قد أخذ ثوره ، فحضر إلى المكان الذي فيه راعي « الكذب » وقال له : أين ثوري ؟ إنى لا أراه بين الماشية .

عندئذ قال له الراعي : إن الماشية كلها هنا أمامك . خذ منها ما يحلو لك .

عندئذ قال الولد له : هل هناك ثور كبير مثل ثوري ؟ فإنه إذا وقف في « بالامون » ^(١) ، فإن شعر ذيله يرتكز على سيقان ^(٢) البردى (في نهاية الدلتا) ، وقرنه على جبل الغرب ، وقرنه الآخر على جبل الشرق ، والنهر العظيم يكون موضع راحته ؛ ويولده ستون مجلا كل يوم .

عندئذ قال له الراعي : هل هناك ثور بالحجم الذي قلته ؟ فأمسك به الولد وذهب به إلى المكان الذي فيه « الكذب » ثم أخذ « الكذب » إلى الحكمة في حضرة للتاسوع .

عندئذ قالوا للولد : إنك على خطأ . إننا لم نر قط ثورا بالحجم الذي ذكرته .

عندئذ قال الولد للتاسوع : وهل هناك سكينه بالحجم الذي ذكرته ، سلاحها جبل « إيل » ، ومقبضها أشجار « قفط » ، وقرابها قبر « الإله » ، ورباطها ماشية « كار » ؟

وعندئذ قال للتاسوع : احكموا بين « الصدق » و « الكذب » لأنى أنا ابن « الصدق » وسأنتقم له .

وعندئذ حلف « الكذب » يمينا بالملك قائلا : بحياة « آمون » وبحياة الأمير إنه إذا وجد الصدق حيا فلتعم عيناي الاثنين ولأصبح حارس بيت « الصدق » .

عندئذ حلف الولد يمينا بالملك قائلا : بحياة « آمون » وبحياة الأمير إنه إذا وجد حيا فانهم سيعاقبون الكذب وسيضربونه مائة جلدة ، وسيجرحونه خمسة جروح بالغة ^(٣) ، وسيموتون عيني الاثنين ، وسيجعلونه حارس باب « الصدق » .

ثم إنه وبذلك انتقم الولد لأبيه ليحسم النزاع القائم بين « الصدق » و « الكذب » لقد أتت النهاية [طيبة]

(١) بلدة تسمى اليمون وتقع في أقصى وسط شمال الدلتا .

(٢) اسم عام لمستقعات شمال الدلتا .

(٣) هذا العقاب بنفسه هو ما نراه يوقع في محاكم عصر الرعاسة كما تخبرنا بذلك الوثائق

قصة المحاصمة بين حور وست

ملخص القصة (١):

اشتد النزاع بين الأخوين « أوزير » و « ست » على عرش مصر ، فاغتال « ست » « أوزير » ، ولكن الحياة دبت ثانية في جسمه ، بفضل أخته « إزيس » فترك دنيا العندر وما فيها ، وهبط يحكم في العالم السفلى بعد أن نزل عن عرش مصر لابنه « حور » . ولقد كان من الطبيعي أن يبدأ النزاع من جديد بين « ست » و « حور » على العرش مرة ثانية ، فقتلنا وتخاصما إلى محكمة الآلهة التي كان يرأسها الإله « رع » ، وكان « حور » يمتاز في عراكه بمدالة قضيته ، وبإرثه الشرعي ، وبمساعدة « إزيس » . وكان « ست » يعتمد بقوته وجبروته ، وبمساعدة الإله « رع » له . ومن ثم كانت الأحكام الأولية في هذه القضية في جانبه خشية بأسه ، وفواراً من أذاه ؛ حتى إذا ضاقت الحلقة ، وتضافرت الأدلة كلها ضده ، بعد تهديد « أوزير » « لرع » ومجلسه ، ولم يجد القضاة من الآلهة فرجة ينفذون منها إلى مناصرته ، أصدروا حكمهم في جانب الحق ، فأل ملك مصر إلى واريته الشرعي « حور » .

وراسة القصة :

١ - مقدمة :

في عام ١٩٢٨ اشترى المستر « شستر نيبي » مجموعة من الأوراق البردية ، عثر عليها في « ديز المدينة » الواقع في الجهة الغربية من النيل بالأقصر ، ويرجع تاريخها إلى الأسرة العشرين والحادية والعشرين ، أي في عهد الرعامسة . وتمتد من أكبر ذخائر الأدب المصري القديم التي عثر عليها حتى الآن . والرجح أن بعضاً من هذه الأوراق لا يزال مخبأً عند بعض تجار الماديات بالأقصر . ولقد أهدى المستر « شستر نيبي » ما اشتراه من هذه الأوراق إلى المتحف البريطاني ، وقام بترجمتها ونشرها في كتاب خاص الأستاذ « جاردنر » ، فأرأينا من بينها وثيقة لها أهميتها الأدبية لما بدا لنا فيها من تجديد في عالم الأدب المصري القديم ؛ ولذلك رأينا أن نعطيها مزيداً من عنايتنا ، وأن نتناول عناصرها بشيء من الإطناب والتفسير .

٢ - فقر الأدب المصري في الأساطير الدينية :

إن كل مشتغل باللغة المصرية القديمة يدرك أن القصص الخرافية التي ينحصر أبطالها

(١) الجزء الأول من الملخص مفهوم من القصة وإن لم يذكر فيها .

في محيط الآلهة وحدهم قليلة أو نادرة ؛ فهذه متون الدولة القديمة والوسطى خالية من هذا النوع خلواً بشير دهشتنا ، على حين أن كل إله مهما كان مغموراً نرى لاسمه ذكراً في متون الأهرام ، أو في متون الدولة الوسطى التي كتبت على توابيت عليه القوم بالمداد . وقد كان معروفاً ما علق بكل إله من الخرافات ، وما أذيع عنه من المعجزات فكان في تسطير اسمه ما يكفي لتذكير القوم بقصصه ووقائعه من غير حاجة إلى تطويل ، أو مزيد تفصيل وإيضاح . ولم يكن يخلو الأمر بين آونة وأخرى من ظهور ومضة تجلو بمض ما غمض من هذه الدنيا المليئة بالإبهام والإلغاز .

وكان أول ما وصل إلينا من قصص الآلهة ما وجدناه في كتب السحر وكتب الطب التي تحمل في تضاعيفها تمويذات سحرية ، ومن تلك : قصة شفاء « رع » على يد « إزيس » ، وقصة إطفاء « إزيس » النار التي انغمس فيها ابنها « حور » (وقد وجدناها على لوحة « ماترنخ » الشهيرة) ، وقصة هلاك الإنسانية ، التي يحتمل أنها مقال غن أصل نشوء العالم والطوفان (وقد أوردناها في هذا الكتاب) ، وقصة غزوات « حور » (وقد وجدناها منقوشة على جدران معبد « إدفو ») ، وقصة أعمال « شو » بن « رع » الحربية العظيمة (وقد عثر على بعضها منقوشاً على مقصورة في وادي العريش) .

والقصتان الأخيرتان وصلتا إلينا من نقوش عهد البطالسة أيام كانت الخرافات أحاديث السمار في المجالس ، ينسبونها إلى عهدها القديم ، ويتفكهون بها ، ويتندرون بوقائعها . أما قصة مأساة « أوزير » - ولها علاقة وثيقة بقصتنا - فقد كان مصدرها الذي يشق الغلة ماورد عنها في كتابة « ديدور » الصقلي و « بلوتارخ » من مشهورى كتاب اليونان ، لولا ما دس فيها من العناصر الدخيلة التي شوهتها ، وإذا فليس لنا مرجع لهذه القصة إلا نتف يسيرة مبثرة في المتون المصرية ، وبخاصة الدينية منها والسحرية ، تبدو كالشعرات البيضاء في الفرس الأشهب ، وهي مع ذلك لا تخلو من تناقض واضطراب .

وقد عزا بعضهم لإحجام « هيرودوت » عن وصف مأساة « أوزير » إلى أنه شمله رداء من الرهبة التي ألبسها المصريون أمام آلهتهم ، وأنه انساق في موجة الورع الديني التي جرفت المصريين ، فلم يشأ أن يخرج عن هذه الحال بذكر وقائع عن الآلهة قد تمس النعرة الدينية عند المصريين . وهذه الحجة مردودة بما قاله « إيمبليخوس » Iamblichus ^(١) : « إن

De Mysteriis, 6, 7; see Hopfner, Fontes historiae religionis Aegyptiacae, P. (١) 501; and Porphyry, 1 oc. cit., P. 472.

المصريين وحدهم من بين أمم العالم كانوا معتادين تهديد آلهتهم^(١) . ولدينا في « متون الأهرام » وغيرها من النقوش المصرية ما يبرز هذا الرأي ، وما يثبت أن المصريين لم يكن عندهم من سمو الشعور وعلو الوجدان نحو آلهتهم ما يخلق مثل هذا الجو الذي ينجشاه « هردوت » فيمتنع عن ذكر قصة أبطالها من الآلهة .

والذي نميل إليه أن العامل الحقيقي في فقر الأدب المصرى من الأساطير الخرافية الدينية أو الإلهيات يرجع إلى سببين :

أولاً : أن هذا النوع من القصص الأدبية كان مألوفاً منتشرأً بدرجة عظيمة بين طبقات الأمة في كل مراحل النمو الإنساني من الطفولة والصبا والفتوة والرجولة والكهولة والشيخوخة ، بحيث أصبحت لا تحتاج إلى تدوين لأنها على كل لسان وفي كل قلب .

ثانياً : أنه كان في نفوس القوم ميل غريزي إلى حب الكتمان ، فيحسون أن الألفاظ تكون أدل على الهيبة ، وأكسب للإحترام إذا كانت رمزاً أو إشارة أو كان مدلولها غامضاً . ومهما يكن من الأسباب التي دعت إلى هذا الفقر في هذا النوع من الأدب ، فإن الشعور على هذه القصة بهذا التفصيل كان كسباً للأدب المصرى ، ولوناً جديداً منه بدا لعلماء الآثار . وقد تكون هناك أساطير إلهية أخرى خاصة كهذه بالآلهة وحدهم ، وليس للإنسان دور ولو صغير في مسرحيتهم ، غمأة في جوف الأرض ولم يرفع عنها الغطاء بعد .

ومما يضاف على قصتنا أهمية خاصة غير التي كسبتها من موضوعها وأبطالها وممثلها أنها صورت لنا حياة البلاط الفرعوني وسياسته في عصر خاص من عصور التاريخ المصرى كما سنورده بعد .

قصتنا ملحمة أوبئة :

يقسم الفرنج الآن الشعر عادة إلى شعر غنائى وهو الذى يعبر به الشاعر عما يضطرب في قلبه من عواطف ، وشعر تمثيلى وهو الذى يصور حادثة ويتصور لها أشخاصاً ينطق كلامهم بما يتفق وشخصيته وموقفه ، وشعر الملاحم أو الشعر القصصى وهو الذى يقال في الوقائع الحربية والناقب القومية في شكل قصة طويلة « كإلياذة هوميروس » و « شاهنامه الفردوسى » . ولكن الشعر عند قدماء المصريين في بادئ الأمر غير ذلك ، فهناك التون السحرية

H. Grapow, Bedrohungen der Götter in Zeitschrift für Agypt. Sprache, 49, (١) 48; Also A. H. Gardiner, art. Magic (Egyptian) in Hastings, Encycl. of Religion and Ethics, Vol. VIII, p. 265.

التي تتضمن تمويزات لها أثرها النافذ في نفوس القوم ، وتأثيرها القوي على عقولهم ، لما يظن من قدرتها على الإتيان بالمعجزات وخوارق الأمور ؛ وأحسن مثال لها ما جاء في « متون الأهرام » والنقوش المكتوبة بالمداد على توابيت الدولة الوسطى وغيرها من المتون التي ظهرت بعد هذا العهد . وهناك الأناشيد الدينية التي تصف الإله وأحواله وحياته ومنامراته ومعجزاته ، ومثال هذا النوع « أنشودة الإله أوزير » التي كتبت على لوحة تراها الآن في متحف باريس^(١) ، وجاء فيها كيف حكم « أوزير » على الأرض ، وما أحاطته به « إزيس » من العناية ، وكيف ردت إليه الحياة بعد أن اغتاله أخوه « ست » ، ومن هذا النوع أيضا أنشودة الإله « آمون » العظيم ، وهناك المتون السحرية المختلطة بالخرافات ، ومثالها ما جاء في لوحة « ماترينيخ »^(٢) التي نرى فيها الخرافة والتمويذات السحرية مختلطين ، ومن هذا النوع أيضا قصة شفاء « رع » على يد « إزيس » وقصة هلاك الإنسانية ؛ وهناك الدراما ، وتختلف عما سبق بأنها وحدة متصلة ترمى إلى هدف معين وتدخل فيها الخرافة ، غير أنها تتميز معها وتنفى فيها فتبدوان شيئا واحدا ، وهي إما أن تمثل موضوعا حقيقيا له أصل تاريخي وإما أن تمثل موضوعا خرافيا يتصل بالآلهة ، وكلا النوعين يظهر للرأي في ثوب الحقيقة الواقعة . وبدأ هذا النوع أول ما بدأ بسيطا فكان الإنسان يمثل حادثة خرافية في صورة حقيقية واقعة يتخيلها هو ويحملها ملبوسة أمام النظارة ، ويكون هذا عادة في المآسي الدينية وغيرها كتمثيل مأساة المسيح عليه السلام أو مأساة أوزير ، وقد تدل الدراما على حادثة سياسية إلى جانب ناحيتها الدينية وتمثل أمام القوم في ثوب خرافة . ومثال ذلك « الدراما المنفية » التي يقال إنها ألقت في فجر اتحاد مصر ، فهي تمثل من جهة الاحتفال بتأسيس مدينته « منف » التي شيدها « مينا » ، ومن جهة أخرى لها مغزى ديني خاص بها^(٣) ، ولدينا نوع آخر من الدراما يمثل حوادث واقعة استعير لتمثيلها خرافة دينية رمزية ، ومثاله الدراما التي عثر عليها في « الرمسيوم » ، وهي تمثل موت ملك في أوائل الأسرة الثانية عشرة (أمنمحات الأول) ، وتتويج ملك آخر (سنوسرت الأول) ، فقد استعير لتمثيلها مأساة موت « أوزير » ثم تتويج ابنه على عرش البلاد من بعده والانتقام لوالده ، وقد مثلت كلها برموز

«Hymne d'Osiris», stèle Bib. Nat. 20, Roeder, Urkunden zur Religion, P. 22-26 (١)

Müller, "Egyptian Mythology", P.P. 210, 211. (٢)

(٣) وهو تمثيل قتل « أوزير » على يد « ست » ثم إحيائه على يد « إزيس » . ثم جعل « حور » يحكم البلاد جملة بعد أن كان الإله « جب » أعطى « ست » الوجه القبيح و « حور » الوجه البحري وبذلك توحدت البلاد ، وهذا مغزى العيد الذي أقيم في « منف » التي أصبحت عاصمة البلاد وقد أسسها « مينا » لهذا الغرض

كانت تذكر أولاً ثم تتبع بتفسيرها . ومما تقدم نرى أن الخرافة قد ارتبطت بالحقيقة والحقيقة قد ارتبطت بالخرافة في قصص المآسي ، فقد تجد أن الخرافة تمثل الحقيقة ، كما تجد أن الحقيقة قد تصور الخرافة وتعبّر عنها ، فإذا ما انتهى هذا الارتباط إلى اتحاد تام واندماج كلي لا انفصام لمرآه فتبدو الحوادث الخرافية مثلاً مصورة في حوادث زمنية حقيقية ، كان ذلك نوعاً ممتازاً من القصص نسمح لأنفسنا أن نطلق عليه اسم « الملاحم » أو « الإيبليك » ، فالملاحم كما عرفها الكتّاب العظيم « جوليس » Jolles هي أن يأخذ الإنسان حادثة من الماضي (١) ثم يلبسها صورة تجعلها تعيش في الحاضر ، وينطبق هذا التعريف أيضاً على « إلياذة هومر » لأنها قصص شعري عن عصور ما قبل التاريخ وضعه « هومر » في صورة حية ناطقة تعيش في زمننا وستبقى حية ما بقي الشعر القصصي . وليس من الضروري أن تقتصر حوادث القصة على عصور ما قبل التاريخ ، بل قد تضم معها حوادث عصر تاريخي معين وتتألف من مجموعهما قصة واحدة متسقة .

على أن المصريين من ناحيتهم كانوا ينظرون إلى الحوادث الخرافية كأنها حقائق ثابتة واقعة ، لا اعتقادهم بأن الوقت الذي سبق ظهور الإنسان كان عضواً حكمت فيه الآلهة وطاشت فيه بمفردها في دنياها ، فلا فرق عندهم من هذه الناحية بين الحقائق التاريخية والخرافات الإلهية ؛ فتعد من الملاحم أمثال هذه القصص التي امتزجت فيها الخرافة والحقيقة وانصهرتا معاً وصبتا في قالب واحد فنيت فيه شخصية كل من المزيجين فظهرتا في صورة واحدة لا يتميز فيها أحدهما . ومن هذا النوع قصة المخاصمة بين « حور » و « ست » ، إذ بينما نجد الحوادث فيها تجري على يد الآلهة وحدهم نرى ظل هذه الحوادث نفسها ينطبق على حادث تاريخي معين وقع في مصر في وقت معين ، فإذا أبدلنا بالآله « رع » ومن مثل معه من الآلهة في هذه القصة ملكاً جاء في بداية الأسرة الثانية عشرة ومعه حكام الإقطاع ، رأينا أن هذه الرواية التي مثل الملك وحكام الإقطاع فصولها تنطبق تمام الانطباق على أختها التي كان « رع » وأتباعه من الآلهة أبطالها ونجومها .

ومن الجائز أن تأخذ للملحمة صورة جديدة بما يضاف إليها ويلحق بها من حوادث تنشأ بعد عصرها وتتكون من الجميع وحدة متماسكة الأجزاء في صورة ملحمة ، وإن كانت في الواقع تتكون من عناصر مختلفة ، أولها حادث معين من عصور ما قبل التاريخ أضيف إليه

ثانياً حادث تاريخي يصف واقعة بذاتها ، ولحقت به ثالثاً حوادث أخرى تناسبه جاءت في عصر غير عصره ؛ ومثال ذلك خرافة «حور» التي وجدت على جدران معبد «إدفو»^(١) ، فترى فيها أولاً حوادث ترجع إلى عصر ما قبل التاريخ ، ونرى فيها ثانياً حادثة طرد المكسوس من مصر ، فيمثل «حور» المصريين ويمثل «ست» المكسوس ويطارد «حور» «ست» حتى يقذف به إلى الحدود الشرقية للدلتا ويطرده من بلاده . ثم نرى فيها ثالثاً إشارة إلى غزو «الآشوريين» لمصر ، و «الأمثوبيين» و «الفرس» ، وإلى روح المداة التي ظهرت ضد الفرس في البلاد . كل ذلك تجمع في ملحمة «حور» التي كانت في أول أمرها كما قال الأستاذ «يونكر»^(٢) عنها : إنها نضال بين الشمس والظلام .

موقف «أوزير» في القصة :

كنا ننتظر من هذه القصة أن تمرض علينا في إسهاب أمر المداوة والنزاع بين «أوزير» و «ست» ، واغتتيال ثانيهما لأولهما ، وعودة الحياة إلى «أوزير» بفضل أخته «إزيس» التي جمت أشلاء من مظانها ، ونزول «أوزير» إلى العالم السفلي حاكماً فيه بعد أن نزل لابنه عن عرش مصر . ولكن القصة أغفلت كل ذلك وجاء استهلاكها مطالبة «حور» بعرش والده الذي كان ينازعه فيه «ست» عمه . ومما يسترعى النظر أننا نجد في صلب القصة «ست» يدعى مرة أنه الأخ الأكبر للإله «حور» وأخرى يظهر في ثوب المم . وقد اختفى «أوزير» في طول مراحل القصة وتناوب أهم الأدوار فيها «رع» و «إزيس» ولم يظهر «أوزير» إلا في نهاية الطاف عندما كتب إليه «رع» سائلاً أن يعده برأيه القاطع في هذا النزاع المحتدم بين ابنه وأخيه ، فيجيب «أوزير» بصفته حاكماً للعالم السفلي بأن يعطى ابنه العرش ، معددا للإله «رع» التي كان ظهيرا «لست» في كل أدوار النزاع فضله على العالم الذي خلق له القمح غذاء . ولكن «رع» لكونه هواة في جانب «ست» يستخسر منه في الرد عليه ، وعندئذ يبدى له «أوزير» ناجذيه مهددا «رع» وحاشيته بأشد أنواع العقاب ، وأنه سيصلهم نار جهنم خالدين فيها أبداً لأنه حاكم العالم السفلي ، والمسيطر على كل قواه ، وسيحشر الناس إليه أجمعون . وإذا تكلمت الأسياف أنصت المقول والقلوب ، فهذا

(١) راجع Kees. Kultlegende und Urgeschichte, Nachr. d. ges. d. Wiss d. z. Göttingen, phil hist. Klasse 1930. s. 345 — 362.

(٢) Jnker : Onurislegende P. 20, 38, 118. راجع

« رع » وأتباعه يصدعون لرأى « أوزير » ويحكمون بما قال .
وفي اعتقادي أن هذه الخاتمة دعابة للآله « أوزير » وديانته ضد الإله « رع » وديانته
التي بلغت أوجها في عهد الرعامسة .

موقف الاله « رع » :

لقد كان موضوع النزاع أمراً مفهوماً ، لا يختلف اثنان في أن الحق والعدل يقضى
« لهور » على « ست » ، فيمتنع بميراثه الشرعى ، ويجلس على عرش أبيه . ولكن « رع »
ذلك الإله العظيم كان في جانب « ست » دائماً ولم يكن يحد من غربه أحياناً إلا ذلك المجلس
الذى كان يعاونه على نصرة العدالة وهو مجلس الآلهة ، فكان هوى هؤلاء المستشارين في
جانب الحق غالباً مما غاظ « رع » ، وكان أقوامهم وأصلبهم في نصرة الحق ومعارضة
« رع » في موقفه الإله « تحوت » مع أنه معتبر في الأساطير الدينية وزيره . ولا يمكننا أن
نفسر موقف « رع » في هذا النزاع إلا أنه موقف سياسى أملت عليه الضرورة . وإذا
تدخلت السياسة في أمر أفسدته ، أو في قضية حثت الحق والعدالة والقانون ، وحكمت
بقوة والسلطان ، وليس من علاج لثل هذه الحال إلا المكر والخداع ، وهذا ما كان في هذه
القصة ، إذ أن « إزيس » والدة « حور » عندما رأت العرش يوشك أن يفلت من يد
ابنها أخذت تستعمل حيلة المرأة ودهاءها وخداعها باذلة ما تستطيع براً بابنها وحداً عليه .
وإن « رع » الذى كان يحكم العالم ويحمل كل الألقاب الملكية الفرعونية كان بين أمرين
أحلاهما مرّاً ، فإما أن يجعل « ست » يفوز بالملك لأنه أثير عنده أو اتقاءً لشره ، وهذا ظلم
سيلتصق باسمه ، فهو يخافه كما يخاف معارضة مجلس الآلهة الذى كان ينظر معه في أمر هذا
النظام ، وإما أن يجعل الأمر « لهور » وهذا لا يطاوعه عليه هواء ، وقد يتعرض بسببه
لغضب « ست » البطاش الجبار ، فكان لذلك دائماً التردد لا يحسم النزاع ولا يتخذ فيه رأياً
طامعاً ، فيعقد مجلس الآلهة ثم يفرضه بعد مناقشة قصيرة لا تصل إلى حد الحكم الفاصل . وإذا
قضى المجلس « لهور » رفض « ست » ما قرره وبدأ المناقشة من جديد كما حدث في أول جلسة ،
ومع كل هذه التيارات النفسية فإنه كان يضطر في بعض الأحيان إلى تجاهلها إذا كانت الحجج
قائمة تأخذ بتلابيبه ، ولا يستطيع أن يجد فيها منفذاً لتحقيق رغبته ، كما حدث عندما احتالت
« إزيس » على « ست » وجعلته يحكم على نفسه من غير أن يدرك حقيقة مراميها ، فلم يجد
« رع » « حينئذ بداً من أن يقول له : « لقد حكمت على نفسك بنفسك ، ولا مفر من أن

يسلم التاج لصاحبه . ولكن «ست» لم يقتنع ، وطلب مبارزة « حور » لهرب من حكم « رع » واضطرت السياسة « رع » أن يخضع لطلب « ست » مرة أخرى ؛ ومع موقف « رع » هذا الذى وقفه فى هذه المخاصمة كانت مكانته محفوظة ، وكان احترامه مفروضاً ، حتى إن الإله « بابى » عندما تناول عليه أمام التاسوع وقال له : « إن محرابك خلو من المتعبدين » ، ويكنى بذلك عن ضعف شوكته ، وأنه لا أنصار له ولا أتباع . لم يطق التاسوع أن يسمع هذا القذف وطرده الإله « بابى » من المجلس عقاباً له وترضية للإله « رع » . وتصف المتون المصرية « رع » بأنه الإله الأعلى لا ينازعه فى سلطانه منازع ، وأن قوله القول الفصل ، وأنه المنتصر على كل عدو ، ولا تقف أمامه أى عقبة . ومن أجل ذلك نعتقد أن الدور الذى لعبه فى قصة المخاصمة بين « حور » و « ست » إن هو إلا دور رمزى ، أو بعبارة أوضح أن « رع » هنا فى هذه القصة كان يمثل شخصية تاريخية ، وأن القصة نفسها صدى لحادثة تاريخية بعينها ، ولا غرابة فى هذا فإن الدور الذى مثله « رع » وأعانه عليه من حوله من الآلهة يحكى قصة رمزية لبلالط ملكى على رأسه ملك توجهه ناشيته ومجلس إدارة بلاده حسبما يريدون .

موقف إزيس :

قلنا فيما سبق إن هذه القصة اختلطت فيها الحقيقة بالخرافة ، وكان من هذا المزيج وحدة متماسكة الأطراف ، وإنها تعتمد على أصل تاريخى . ومن هنا نستعرض فيها حوادث خرافية ممتعة تعطى حلاوة وقوة ، فتبرز فيها النواحي الإنسانية سائرة فى إخاء تام مع خوارق الأعمال التى تأتىها الآلهة فتساعد على الوصول إلى الهدف المقصود . وقد قام بتمثيل الدور الخرافى فى معظم نواحي القصة الإلهة « إزيس » ، وبذلك لم تحرم قصتنا أن تقوم المرأة بدور ممتع فيها ، يمثل القدرة والمهارة والسكر والخداع وإحكام الأحاييل ، حتى وصلت بهذه العدة إلى ما لم يصل إليه مجلس الآلهة والقانون والشرع . ومبدأ ظهورها فى هذا الدور العظيم حينما خاف بأسها « ست » وأحجم عن الاشتراك فى مجلس الآلهة لأنها عضو فيه وتحضر اجتماعاته ، وقد انصاع المجلس لأمره ، وانتقل إلى « جزيرة الوسط » ليستأنف النظر فى موضوع (وظيفة الملك) وحظر على النوتى « عنتى » أن يعبر بها إلى تلك الجزيرة التى اختاروها مكاناً لاجتماعهم . وعندئذ بدأت قدرة « إزيس » على تمثيل دورها تظهر ، وقد آلت على نفسها ألا تترك « ست » حتى يقر على نفسه ويشهد لابنها بمدالة مطلبه ، فترأت أولاً فى صورة عجوز شواء قوست ظهرها السنون ، وأغرمت « عنتى » النوتى حتى عبر بها إلى جزيرة الوسط حيث كان الآلهة مجتمعين ، وقدمت له

في بادئ الأمر رغيماً أجراً له على مخالفة ما أصدره إليه الآلهة من الأوامر فأبى ، فلما رفعت المطاء إلى خاتم من الذهب لم يقو « عنتى » على مقاومة هذا الشفيق الغالى وأخذ يريقه فاندفع يعبر « بإزيس » إلى الشاطئ الآخر ، وهناك خلعت رداء الشيخوخة المزرى ولبست ثوب الكاعب الحسناء ترفل في أثوابها المبهفافة ، فجدبت نظر « ست » إليها وهو جالس في مكانه بين الآلهة ، فتدله في حبها وبدأ قلبه يحدثه في أمرها ، فسمى إليها يبنى نفسه بقنيصة يتمتع بها ، وهنا مدت شراكمها إليه فوق وقع فيها راضياً سعيداً ، قالت له : « إن زوجي قد مات ، وترك لى ابناً وحيداً يرعى ماشية والده ، وجاء أجنبي فأكرمته ، ولكنه ضرب ابني وأراد أن يقتصب ما نملك من الماشية) واستعملت في تعبيرها عن الماشية كلمة « يات » ، وهذه الكلمة معنى آخر هو « الوظيفة » ، وبذلك استفادت من هذه التورية في تسجيل ما فاه به « ست » بعد) . فقال « ست » : « وكيف يمكن ذلك وابن الرجل لا يزال على قيد الحياة ؟ فلا بد أن تعطى الماشية (الوظيفة على المعنى الآخر للكلمة) لابنك » . وما كادت تسمع هذا الاعتراف الذى أرادته وقصدت إليه من أول الأمر حتى فرحت وانتفضت فصارت حدأة طارت وحطت فوق شجرة وقالت « لست » : انع نفسك الآن فقد حكمت عليها بفمك ، فإن الماشية (يات) ليست إلا وظيفة الملك التى تسمى لاقتناصها من ابني « حور » ولما قص « ست » هذه الواقعة على « رع » لم يسمه إلا أن يحكم « لحور » بملك والده راضياً أو ساخطاً .

ولم ينته دور « إزيس » بذلك ، بل قامت بمناصرات أخرى في النزال الذى قام بين « حور » و « ست » وفي إرجاع بصر « حور » إليه عند ما أعماه عمه ، ثم في إنقاذ ابنها من وهدة السقوط والفحش التى دبرها له « ست » ، بل قلبت القضية وجعلت البئر تستقبل من حفرها لأخيه ، فوضعت نطفة « حور » على شجرة الخس التى اعتاد « ست » أن يأكل منها فلصقت به الرذيلة وانكس عليه الحكم .

موقف الولد « ست » :

يلاحظ في قصتنا أن الإله « ست » كان غيباً أعمته شهوته فاندفع وراءها ، ووقع في حبائل « إزيس » ، وكان من جهة أخرى قوياً عنيداً يريد أن يصل إلى أغراضه ، إما بالوعيد الإجماعى ، فقد هدد الآلهة بأن يقتل كل يوم واحداً منهم إذا وقفوا في سبيله ، وإما بالحيل الخبيثة ، وذلك عندما أراد أن يأتى الفاحشة مع أخيه « حور » حتى يسقط من قدره فلا يصل إلى الملك . وإن الدور الذى لعبه في هذه القصة كان الدور الذى يلائم شخصيته في كل أطوار

التاريخ المصرى تقريباً ، فإنه كان يمثل الشر والغدر والظلام .. وقد أبرز في هذه القصة يده على الإله « رع » فإنه كان حاميه من الثعبان « إبوى » ، وقد ذكره بهذه المنة ليكون في جانبه عند القضاء . وإذا جملنا الإله « ست » رمزاً لشخص تاريخى فإن ذلك الشخص التاريخى الذى يرمز إليه « ست » يكون حاكم إقطاع من الذين كان لهم نفوذ عظيم في بداية الأسرة الثانية عشرة .

وقد كان « ست » في عهد الرعامسة أو بمباراة أخرى في عهد الدولة الحديثة يعتبر إله الحرب والقوة ، وقد تبددت بعضى المدة شهرته السيئة الماضية ، وكان كذلك معتبراً إله البلاد الأجنبية ، ولذلك وصت الإلهة « نيت » بأن يزوج من الإلهتين « عنات » و « عشتارت » وهما إلهتان أسيويتان . ونرى في آخر الأمر أن « رع » رغب في النهاية أن يتخذ ابناً له يعيش معه ويكون إله الرعد في السماء . وفي ذلك ما يشير إلى أن « رع » قد انحاز إلى « ست » في النهاية حتى بعد أن غلب على أمره ؛ لأنه عدو « أوزير » الذى كانت له السيادة والكلمة العليا في ذلك الوقت ، وبذلك أصبح « ست » يسكن مع « رع » في السماء وترك العالم السفلى « لأوزير » يحكم فيه كيف يشاء .

موقف الاله تحوت :

إن الدور الذى قام به الإله « تحوت » (إله العلم والعرفان) خليق به ؛ فقد كان ينوب عن الناسوع في أعماله ، فهو الذى قدم العين المقدسة (أى مصر) للإله « رع » ليقرر مصيرها ، وهو الذى ألف الرسائل التى تبودلت بين « رع » من جهة وبين الإلهة « نيت » والإله « أوزير » من جهة أخرى ، وهو الذى حكم في نداء النطفة عند ما ادعى كل من « ست » و « حور » الغلبة له على قرنه ، وقد كوفى على عمله هذا بوضع القرص الذهبى الذى خرج من جبين « ست » على جبينه ، وبواسطة هذا القرص أُحْد تحوت بالإله القمر ، لأن ذلك القرص كان يمثل القمر نفسه ، على أن هناك رواية أخرى جاء فيها أن القرص الخارج من جبين « ست » هو الإله « تحوت » نفسه الذى كان يمثل القمر . ونجد في المتون الخرافية شيئاً آخر غريباً هو أن تحوت أو القمر كُلف للإلهين « حور » و « ست » ، وهذا هو الحادث الوحيد الذى نسمع فيه أن الذكرين قد تناسلا . ولكن الخرافة في الواقع تخفى في ثناياها ظاهرة طبيعية هي النضال بين النهار والليل أو بين النور والظلام ، والذى انتهى بتغلب النور على الظلام لخلق القمر الذى شد من أزره . ولما كان المصرى لا يعرف المعنويات صور هذا

النضال بمحسات وحقائق ملموسة ؛ « غور » وهو النور قد تغلب على « ست » وهو الظلام بالتلقيح فنتج من ذلك القمر الذى أصبح بضئ الكون ويبدد دياجير الظلمات .

الموقف التاريخى الذى توضحه القصة :

قد أشرنا من قبل إلى أن لهذه الملحمة أصلاً تاريخياً توضحه وتشير إليه ، وعلينا أن نوضح الآن هذا الأصل التاريخى الذى تمثله ، والمصر الذى بدأ فيه .

إن « رع » يمثل شخصية الفرعون ، وآلهة التاسوع يمثلون مجلس بلاطه ، ومظاهرة « رع » « لست » على « حور » صاحب الحق الموروث تعنى رغبة فرعون فى تنصيب أحد عظماء قومه فى وظيفة حاكم متخظياً بذلك قانون الوراثة الذى تسير عليه البلاد . وما دمتا قد وصلنا إلى هذه النتيجة فإنه يسهل علينا أن نعرف المصر الذى رمز إليه هذه القصة ؛ فإن موقف فرعون الذى شرحناه من أحد عظماء القوم لم يحدث إلا مرة واحدة فى تاريخ مصر ، وذلك فى العهد الذى تلا سقوط الدولة القديمة ؛ فإن أسراء الإقطاع قد ازداد نفوذهم ، وصارت المقاطعات التى يحكمونها كأنها ضياع لهم ، يستغلونها فى حياتهم ، ويورثونها أبناءهم بعد مماتهم . ولما جاء ملوك الأسرة الثانية عشرة ، ووجدوا أن قوة هؤلاء الأسراء عظيمة إلى حد بعيد ، اضطروا أن يسلموا بالأمر الواقع . وبذلك اعترفوا بقانون الوراثة فى تلك المقاطعات ، ولكنهم أخذوا يعملون على هدم هذا النظام شيئاً فشيئاً بتنصيب حكام موالين لهم على تلك المقاطعات والقضاء على الأسر الوراثية كلما مكنتهم الفرص من ذلك . وأكبر دليل على أن هذه السياسة قد نفذت ونجحت هو نقصان عدد مقابر أمراء الإقطاع فى عهد الأسرة الثانية عشرة ، وإن كان محو هذا النظام جملة كان بطيئاً وشاقاً ، ولم تظهر بوادره إلا فى عهد « سنوسرت » الثالث . وقد أراد أحد الفراعنة جريئاً على تلك السياسة التى استنوها لأنفسهم أن ينصب حاكماً قويا ممن يثق بهم على إحدى المقاطعات بدلاً من آخر يستحقها بالوراثة ؛ فقام هذا المراك بين الاثنين ، فصوّر ذلك بصورة « رع » يعاضد « ست » فى الخصام الذى جرى بينه وبين أخيه على وظيفة الملك التى آلت « لهور » بطريق الوراثة ، ويريد « ست » ويمضده فى تلك الإرادة « رع » أن يجعلها لنفسه بالقوة والجبروت . فإرث « أوزير » الذى كان يستحقه « حور » يُفسّر هنا بمقاطعة ، وإذن فليس الشجار الذى أمامنا واقعاً بين « حور » و « ست » بل بين الملكية وبين حكام المقاطعات الوراثيين فى بداية الدولة الوسطى ؛ فهى قصة تشرح فى

طياتها موقفاً سياسياً تاريخياً يدور حول ما كان يلاقه الملك في ذلك الوقت من الصعوبات ، وما كان لأمر المقاطعات من القوة والبطش .

وهناك موقف آخر في القصة نستطيع أن نجد له مقابلاً يفسره في الأصل التاريخي الذي نتحدث عنه ، ذلك أن « ست » قد أصبح من أصدقاء « رع » مناقضاً بذلك الحقائق التي وردت في الخرافات المصرية . ولقد برر « ست » هذه الصداقة التي جمعت بين الاثنين مع اختلافهما بقوله : « ماذا حدث لي ؟ ! إني « ست » أعظم الآلهة قوة ، فأنا الذي أقتل عدو « رع » كل يوم لإثني أقف في مقدمة سفينة الملايين ، على حين أنه لا يوجد إله آخر في قدرته أن يعمل هذا ، ولهذا أرجو أن تسلم إلى وظيفة « أوزير » . الخ » . وترجمة ذلك بلغة الواقع أن ذلك الحاكم الذي كان يعضده الملك كان يقوم بدور سياسي مستتر لمساعدة الملك على تعزيز ملكه وبناء سلطانه ، ومن ثم زكاه الملك بدوره ليتقلد هذه الوظيفة .

ونرى كذلك مشهداً آخر في القصة يترجم عن حقيقة تاريخية ؛ ذلك أن « ست » كانت له مكانة عالية بين أعضاء مجلس الآلهة ، فكان يعامل معاملة حسنة ، وكان في الوقت نفسه لا يأبه بهم ، يدل ذلك أنه لما غضب منهم مرة قال لهم مهدداً : « سأخذ سيفي الذي وزن ٤٥٠٠ رطل وأقتل به واحداً منكم كل يوم » . وترجمة ذلك أن من تسول له نفسه من حكام المقاطعات أن يقوم بعمل عدائي ضد الملك فإنه مستعد لإبادته .

ومما يدل على علاقة « ست » الوثيقة بالإله « رع » ما جاء عند تبادل الآراء بين « رع » والإله « ناي » التي كانت تعتبر أمّاً للأله « رع » نفسه عندما سألها عن رأيها في مصير تلك الوظيفة التي تشاخن الاثنين عليها إذ قالت : أعط ابن « أوزير » الوظيفة ، ولكن في الوقت نفسه ضاعف أملاك « ست » وأعطاه ابنتيك « عنات » و « عشتارت » . فلم هذا الإكرام كله « لست » ؟ وما سبب تلك الخطوة التي جعلت أم « رع » تسمى لترضية « ست » وإعطائه ما يعوضه عن التركة التي ينشدها ؟ السبب واضح وهو أن « ست » هذا ليس إلا الحاكم الذي يفضل الملك أميراً للمقاطعة ، وأنه ما دام قد التوى عليه القصد فلم يقدر أن ينصبه في المركز الذي طمح إليه فلا أقل من أن يعوضه عن ذلك غنى وجاهاً تطيباً لخاطره ، وجزاء لما قدمه للملك من أجل الخدمات . على أنا نلاحظ هنا شيئاً ، فإن ذكر إعطاء « عنات » و « عشتارت » « لست » لا يمكن أن يتفق مع تاريخ الدولة الوسطى الذي تنسب إليه قصتنا . وليس من البعيد أن تكون تلك الفقرة دخيلة على القصة أضيفت إليها في العصر الذي كتبت فيه حينما كانت مصر على اتصال وثيق بالأمم المجاورة التي كانت تُعبد فيها هاتان الإلهتان ،

وهذه ظاهرة مجدها في كثير من القصص المصرية ، فلقد وجدنا في خرافة « حور » المتقوية على معبد « إدفو » حوادث ترجع كذلك إلى أقدم عهود التاريخ المصري ، ومع ذلك قد دس عليها وأضيف إليها حوادث ترجع إلى عهد الهكسوس وغيره .

وقد يظن القارئ أن تشبيه إرث « أوزير » بمقاطعة مع أنه كان ملكاً على مصر كلها غير صحيح أو غير دقيق ، وإسكن إذا علمنا أن « رع » هو رب العالم كله كما كان يلقب بذلك ، كانت مصر من غير شك بالنسبة إلى هذا العالم الفسيح كمقاطعة من مقاطعاته ، فالتشبيه محبوك من كل أطرافه ^(١) ، كما أن المرتبة التي كان يسمى إليها وارث « أوزير » قد أطلق عليها في القصة « حك » وهي وظيفة حاكم المقاطعة ، والتعبير عنها بكلمة (وظيفة) لا شك أنه مقصود حتى يفهم القارئ أن هذه وظيفة تُقلد لا تركة تورث ، لموقف البلاد السياسي الذي سبق شرحه . وقد لمحنا في القصة بعض التناقض ، فهذا « رع » يسمى نفسه مرة « رب العالمين » وأخرى « الملك الطيب لمصر » ، وهذا مجلس التاسوع يطلق عليه أحياناً مجلس الثلاثين .

مجلس الثلاثين :

ومجلس الثلاثين ، وقد يسمى مجلس الثلاثين العظام ، يضم الحكام الذين كانوا يديرون دفة البلاد في عهد الحكم الإقطاعي ومنهم يؤلف مجلس البلاط ، وقد خلف مجلس الثلاثين مجلس العشرة العظام للوجه القبلي ، الذين كانوا يتولون أمور البلاد في عهد الدولة القديمة ، وفي ازدياد أعضاء هذا المجلس الذي أنشئ لمساعدة الملك وللحد من سلطان حكام المقاطعات هوية لهم ، وعون على تعزيز الأداة الحكومية ، وداعية إلى القبض على ناصية الحال في طول البلاد وعرضها ، لأن معظم الأعضاء كانوا يشتغلون في الوقت نفسه حكماً للأقاليم ، وسادت هذه الحال في العهد الإهناسي وعهد الأسرة الحادية عشرة ، وهي الفترة التي طفت فيها سلطة حكام الأقاليم واستمرت إلى أوائل حكم الأسرة الثانية عشرة . وقد كان أعضاء هذا المجلس يمثلون سلطة الملك في مختلف المقاطعات ، غير أنه استبدل بهم حكماً انتخبهم بنفسه . وقد لاحظنا أن لهذا المجلس سلطاناً قاهراً في أوائل عهد الدولة الوسطى ، وكان أعضاؤه يقومون بأهم الأعمال في كل مرفق من مرافق الدولة ، ولقد كان له هذا السلطان في قصتنا أيضاً ، فقد رأينا أن التاسوع كان يفصل في الأمور الخطيرة ، وكان يحدد من سلطة الفرعون . وهذا المجلس

(١) ويمكننا تفسير هذا الموقف بصورة أخرى وهي أن « بتاح » كان والد كل من « أوزير » و « رع » وأنه خالق كل شيء . أي أن العالم كله تحت سلطانه فلا غرابة إذا أعطى « ست » جزءاً من مصر و « رع » الجزء الآخر (انظر ص ١٤٣ هامش رقم ٣) .

بعينه كان يسمى « قنبت » أى الجمع ، ولقد عرفنا تكوينه من نقش وُجد فى « حاتنوب » القريبة من ملوى ، جاء فيه عن أمير مقاطعة « الأرنب » (المقاطعة الخامسة عشرة) المسمى « نحرى » الأول ما يأتى : « وقد اجتمع للتشاور مع الجمع « قنبت » دون أن يعرف ذلك أحد ، وقد كان البلاط منشراحاً للأراء التى أدلى بها ، وقد كان من الرجال المخلصين ، وقد كان يأتى إليه (المجلس) الحكام (حكام المقاطعات) من الوجه القبلى . والظاهر أن اجتماع المجلس هذا كان سبباً كما يدل على ذلك سياق الكلام ، وكذلك كان اجتماعه لمحاربة العدو ولتسيير دفة الحرب فى الجنوب . ويمكننا هنا أن نجد وجه شبه بين مجيء « نحرى » إلى هذا المجلس ، وندب الإله « با » من بلدة منديس (تل الربع الحالية) لحضور مجلس الآلهة .

أوزير والعهد الإقطاعى :

جاء فى الأساطير المصرية فى الفصل الخامس والسبعين بعد المائة من كتاب الموتى أن « أوزير » كان إلهاً فى صورة ملك ، وقد تناول الأستاذ « كيس »^(١) هذا الفصل من كتاب الموتى بالبحث ، واستخلص منه أن « أوزير » كان الإله الرسمى عند تأسيس المملكة الإهناسية فى خلال الأسرة العاشرة ، وعلى ذلك كانت تعتبر هذه المملكة ملكاً « لأوزير » فى العهد الإقطاعى ، ومن هنا نجد النواة التى نبتت منها فكرة قيام مملكتين متجاورتين لكل منهما ملك مستقل ، كما نجد صدى ذلك فى قصتنا ، فكان « رع » يحكم فى طيبة و « أوزير » يحكم فى « هيراكليوبوليس » (أهناس المدينة) وذلك قبل توحيد البلاد على يد « أمنمحات » الأول . وبهذا كان « أوزير » يمثل فى قصتنا مملكة « إهناس » . والواقع أن هذه المقاطعة فى هذا العهد الذى وصلنا إلى معرفته كانت من أقوى المقاطعات ، وكان الحاكم عليها صاحب صولة وسلطان يخشى جانبه وترهب سطوته ، ومن هنا كانت كلمة « أوزير » فى قصتنا فصل الخطاب .

ولقد قلنا إن هذه القصة تمثل حقائق تاريخية سياسية . فهل يتمشى ذلك مع يحدث ملك إلى الأحياء وهو فى عالم الأموات ؟ والجواب ما قلناه من أن الملاحم المصرية تجتمع فيها الحقيقة مع الخرافة ، ويتكون من المزيج النصهر وحدة ترمى إلى هدف معين وهذا ما نراه هنا . ومما يدل على أن هذه القصة لم تكتب فى عصر الرعامسة إغفال ذكر اسم الإله « أمون » مع أن كاتب القصة يقول : إنها كتبت فى طيبة فى عهد رمسيس الرابع ، أى أيام أن كان الإله « أمون » هو الإله الأعظم للدولة ، فلو كانت قصتنا قد كتبت فى عصر الرعامسة لجاء ذكر « أمون » كما جاء فى أنشودة « أمون » العظيمة الموجودة بالمتحف المصرى ، والتى يرجع

تاريخها إلى عصر الدولة الحديثة والتي قالت : إن « أمون » كان القاضى فيما نشأ بين « حور » و « ست » من النزاع .

ومما يجب ذكره أن وصف بلاط « رع » فى القصة ينطبق على حاله أيام العهد الإقطاعى وأوائل الدولة الوسطى ، فنشاهد أن إدارة الملك لم توطد فى مقر واحد ثابت ، بل كانت تنتقل من مكان إلى مكان ، وقد رأينا هذه العادة فى أهرام ملوك الأسرة الثانية عشرة مما يدل على أن قصتنا ليست من العصور الحديثة وأنها كما أثبتنا ذلك فى مناسبات مختلفة ترجع إلى العهد الإقطاعى . وإذا بحثنا الأمر من الناحية اللغوية ، وجدنا فى القصة تعبيرات وأساليب لا يحدقها كتاب عهد الرعامسة ، وتدل بميزاتها على أنها من عهد الدولة الوسطى ، وهذا الموضوع يهم طبعاً بصفة خاصة المشتغلين بأمر اللغة المصرية القديمة . ومن شاء التوسع فيه فليرجع إلى ما كتبه الأستاذ « جاردنر » ثم الأستاذ « سيجل » فى هذا الموضوع فى المراجع التى أشرنا إليها . على أنا نكتفى هنا بالإشارة إلى الموقف الذى حاول فيه « ست » أن يعتدى على « حور » اعتداءً منكراً ، فقد جاء هذا الحادث فى ورقة « كاهون » (Heiratic Papyri From Kahun Vol. I Pl. I — III & Vol. II P. 4.) وفى كتاب الموقى فى الفصل الثالث عشر بعد المائة . وترجع أقدم رواية لها إلى الدولة الوسطى فى متون التوابيت التى نشرها « لأكو » ، وكذلك نجد محاربة « ست » و « حور » متشككين فى صورة جاموس البحر قد جاء ذكرها فى ورقة « ساليه » رقم ٤ ، ويحتمل أنها من هذا العصر . ونجد أيضاً خرافة قتال « ست » للثعبان « أبوبى » عدو إله الشمس فى كتاب الموقى فى الفصل الثامن بعد المائة ، ويرجع أصلها إلى نقوش الدولة الوسطى (انظر Sethe A. Z. 59. P. 77 ff.) ، كما نرى قصة « أوزير » ومملكته التى وعد أن يحكم فيها والتى كان منشؤها أهناس المدينة فى العهد الإقطاعى قد وردت فى كتاب الموقى فى الفصل الخامس والسبعين بعد المائة ، ويرجع أصلها كذلك إلى الدولة الوسطى . ومن كل ما تقدم يمكننا أن ننسب قصتنا إلى الدولة الوسطى ، ولا يمنع هذا أن يكون السكاتب الذى صقلها قد أسبغ عليها سمة أساليب عصر الرعامسة .

أسلوب القصة ونقشها وطريقه إنشائها :

نلاحظ فى أسلوبها البساطة التى انحطت إلى حد الابتذال والتعبير بلغة العامة . وهذا عين ما نجده فى أساليب الدولة الحديثة ؛ ذلك إلى أن مفردات القصة قليلة فى عددها ، عادية فى نوعها ، إذا استثنينا بعض ألفاظ وراكيب أغفلها كاتب عهد الرعامسة الذى صاغ القصة

من جديد ليظهرها في ثوب يلائم عصره ، وأكثرت التعبيرات سذاجة ما جاء على لسان «ست»
«لرع» يقص عليه ما دار بينه وبين «إزيس» من الحديث . وفي نسج القصة تكرار ممل
دفننا واجب الأمانة إلى تسجيله كما رأيناه . كما أوردنا الألفاظ المكشوفة في صورة تهدي
القارئ إلى ما أراد منها وأضح القصة .

وبين أسلوب هذه القصة وأسلوب قصص الدولة الوسطى الرائع فرق كبير يتضح جليا
إذا قرنتها بأخرى من إنتاج هذا العصر كقصة «سنوهيت» مثلا ، وكذلك نجد بينها وبين
كتابات عصر الرعامة فارقا كبيرا تلمسه إذا قستها بالخطاب الوارد في ورقة أنستاسي
الأولى وسنوردها بعد .

ولابد أن يكون القاص لقصتنا هذه قد أراد أن تكون غذاء للعامة فأنحدر بأسلوبها إلى
مستواهم كما يفعل قاصو القرى الآن في مجالس الفلاحين . ومن هذا النوع قصة الملك «خوفو»
والسجرة ، وقصة الأخوين ، وقصة الأمير المسحور ، وغيرها ، وقد تشابهت في طريقها
وأسلوبها وكثير من تعبيراتها . وقصتنا من ناحية أخرى متصلة الحلقات تسير في سردها إلى
نتيجة منطقية ناجحة .

المصادر :

أول من كتب عن هذه القصة هو الأستاذ جاردنر ثم كتب عنها سيجل الألمانى .
وهالك المصادر :

- (1) Gardiner, "The Chester Beatty Papyrus No. I," p.p. 8 — 26, Pls I — XVI.
- (2) J. Spiegel, "Die Erzählung vom streite des Horus und seth in Pap. Beatty I".
- (3) Blackman, "The Journal of Egyptian Archaeology", Vol. 19, 1933, p. 200 f.f.
- (4) Gardiner, "Late Egyptian stories", p.p. 37 — 60.

من القصة :

[لقد حدثت] المحاكمة بين «حور» و «ست» صاحبي الصورة الخفية ، العظيمين ،
وأكبر أميرين وُجدا .

جلس الطفل^(١) أمام رب العالمين^(٢) ، مطالبا بوظيفة والده « أوزير » صاحب الظلمة البهية ، [وابن] « بتاح »^(٣) ، والذي ينير [أرض الغرب] بضوئه ، على حين كان الإله « تحوت » يُقَرَّب العين^(٤) [المقدسة] إلى الأمير الجليل في « عين شمس » . (أى إله الشمس) .

ثم تكلم « شو »^(٥) بن « رع » أمام [آتوم] الأمير العظيم في عين شمس وقال : « إن العدالة هي رب القوة فننفذها بقولك : » أعط الوظيفة (أى وظيفة الملك) إلى « حور »

(١) يقصد بالطفل هنا « حور » ، وقد كان المتأد أن يقف العاكي في المحاكم المصرية أمام المحكمة ليقدم شكايته ، ومن المحتمل أن « حور » قد مثل هنا جالسا لأنه كان طفلا صغيرا لا يقوى على الوقوف ، وسنرى في سياق القصة أن « رب العالمين » يقول له « إنك ضعيف الأعضاء وأن وظيفة الملك لهذا السبب كبيرة عليك ، يضاف إلى هذا أننا نقامد تمثال « حربوخراد » أى حور الطفل جالسا على حجر أمه « إزيس » .

(٢) المبنى الحرفي « لرب العالمين » هو « الرب إلى النهاية » وهذه التسمية تحتل المسكاة الثانية كدلالة على اسم إله الشمس في هذا المتن وقد وردت ٢٠ مرة . أما الاسم الذى يحتل المسكاة الأولى فهو « رع — حور — أخق » وقد ذكر ٢٢ مرة . أما الاسم « رع » بدون أداة التعريف « پ » فيذكر هنا في تعابير قديمة في أصلها مثل « شو » بن « رع » . ومن أسماء إله الشمس التى ورد ذكرها هنا كثيرا « آتوم » بوصفه « الأمير القوى الذى في عين شمس » . وكذلك فإن « الثور » الذى يسكن في عين شمس يقصد به إله الشمس . هذا وقد يسمى هنا إله الشمس باسم « خبرى » كما سيرد بعد في هذا المتن .

(٣) « بتاح » هو إله « منف » وقد ذكر هنا بوصفه خالق كل شيء ، وهذا ما يفسر لنا في هذا المتن أبوته للإله « أوزير » و « رع » . ولا يبعد أن الأفضلية التى أعطيت للإله « بتاح » في هذه القصة تعبطنا تفكر في أنها ترجع إلى أصل منفى أو على الأقل نجد التأثير الذى فيها ، لأن « بتاح » هو إله « منف » العظيم .

(٤) العين المقدسة هنا التى يقدمها « تحوت » للإله « رع » الذى كفى عنه « بالأمير الجليل في عين شمس » هي بلاد مصر أو تاجها . وهي الموضوع الذى تدور حوله الخاصة بين « حور » و « ست » . وذلك أنه لما اعتزل « أوزير » الملك ونزل إلى العالم السفلى ليحكم فيه أصبح عرش البلاد خاليا وتنازعه كل من « حور » و « ست » . وقد جاء « تحوت » بالعين المقدسة التى هي مصر نفسها ووضعها أمام الآلهة ليحكموا لمن يُعطى وظيفة الملك أعطى « حور » أم « ست » ؟ ولذلك فإن تفسير العين المقدسة بمصر في هذا الموقف مقبول جدا . والواقع أننا نجد في المصور المتأخرة أن البلاد المصرية كان يرمز لها بالعين المقدسة (وازيت) . وكذلك كان يرمز لتاج مصر بالعين المقدسة . وقد بحث هذا الموضوع الدكتور « سبيجل » الألمانى بالتفصيل في دراسته لهذه القصة : Spiegel. Die Erzählung Vom Streite Des Horus und Seth P. 85 ff.

وفي هذه الدراسة نجد أن « تحوت » يقوم بإعطاء العين (أى مصر) سيدها الذى يستحقها وهو « حور » .

(٥) « شو » : بكر أولاد « رع » ولهذا السبب كان خليقا أن يقوم بدور المتكلم عن « التاسوع »

عندئذ قال « تحوت » للتاسوع ^(١) : « حقا وألف ألف مرة (حقا) » .

وهنا صاحت « ازيس » عاليا وفرحت جدا ، وخرجت أمام رب العالمين وقالت : « يا رب الشمال هبى غربا ! وأنشئ « قلب وتنفر » (أوزير) بهذا الخبر وهو أن ابنه سيكون خلفه . ثم قال « شو » بن « رع » : « قرب المين (الى حور) فان فى ذلك عدالة للتاسوع » .

وعندئذ قال « رب العالمين » : « مامعنى أنكم تتخذون ندايركم وحدكم ! »

وهنا تكلم [التاسوع] وقال : « ليتنه يأخذ خاتم الملك « حور » وليت التاج الأبيض يوضع على رأسه » . فوجم « رب العالمين » [برهة طويلة] وغضب من التاسوع . ولكن عندئذ تكلم « ست » بن « نوت » : « دعه يخرج معى لأجعلك ترى أن يدى تقبض على يده فى حضرة التاسوع ، لأنه لا يعرف أحد طريقة التغلب عليه » .

وعلى ذلك قال له « تحوت » : « إذن سوف لا يمكننا أن نعرف من الكذاب . فهل ينبغى للإنسان على ذلك أن يعطى وظيفة « أوزير » إلى « ست » فى حين أن ابنه موجود هنا ؟ » وهنا غضب « رع — حور — اخنى » جدا — لأن رغبة الاله « رع » كانت أن يمنح « ست » العظيم القوة بن « نوت » الوظيفة (وظيفة الملك) — وعندئذ صاح « انوريس » ^(٢) عاليا أمام التاسوع وقال : « ماذا ينبغى إذن أن نفعله ؟ »

وحينئذ تكلم « آتوم » الأمير العظيم الذى يقطن « عين شمس » : « فليناد « با » رب ^(٣)

(١) التاسوع : كلمة التاسوع تقابل فى المصرية « بسزت » وهى جماعة مؤلفة من تسعة آلهة وهو الاسم الرسمى لجماعة الآلهة من نسل إله الشمس « رع — آتوم » وذلك حسب العقيدة الشمسية التى كان مركزها مدينة « عين شمس » . وهذا التاسوع فى الأصل كان يحتوى على « آتوم » نفسه وأربعة أزواج من آلهة وم « شو » و « نفتى » ، ثم « جب » و « نوت » ثم « أوزير » و « لمزيس » ، ثم « ست » و « نفتيس » .

وبعد ذلك زاد عدد أعضاء التاسوع حتى أصبح عددهم (نظريا) ١٨ أو ٢٧ إلها ، غير أنه لم نصلنا قائمة بأسمائهم .

(٢) « انوريس » وبالمصرية (إن — حرت) ومعناه ذلك الذى أحضر الواحدة البعيدة أى المين المقدسة وهى عين الشمس ، وهو إله يعبد فى بلدة طينة بالقرب من العراة المدفونة ، وهو هنا معاضد للاله « حور » .

(٣) « با » رب « منديس » وهو إله فى صورة « نيس » يعبد فى بلدة « منديس » وهى قرية تل الربع الحالية الواقعة فى الجزء الأوسط من شرق الدلتا . وقد كان مشهوراً بأنه المظهر الحى لكل من الإله « رع » و « أوزير » أى أن كلا من هذين الإلهين كان يتقمص هنا التيس ، فضلا عن ذلك فقد كان رب التناسل العظيم ، ولذلك فإنه كان بلا نزاع أعظم الآلهة صلاحية ليثبت شرعية « حور » للملك . وربما كانت هذه هى الأسباب التى دعت للاتجاء إليه ، وسنرى فى سياق الحديث هنا أنه لم يكن ميالا ليعطى حكمه فى هذه القضية . ولكننا نرى أنه فيما بعد كان يظهر ميله للاله « ست » =

« منديس » ، والإله العظيم الحى ، الذى يقطن كذلك فى « سهل »^(١) أمام « آتوم » .
وكذلك أحضر معه « بتاح »^(٢) — تاتين « وقال لها : « افصلا بين الشابين وارداهما
عن أن يقفا متخاصمين كل يوم » .

وهنا أجاب « با » رب « منديس » الإله العظيم الحى ، على ما قيل له : « لا تدعنا نتخذ
آية تدابير على غير علم تام . فليرسل خطاب إلى « نيت »^(٣) العظيمة أم الإله . وما تقوله
سوف نفذه » .

ولكن « التاسوع » قال لـ « با » رب « منديس » ، الإله العظيم الحى : « لقد فصل
بينهما سابقا فى القاعة (المسماة) « الوحيدة للمدل » .

وعندئذ تكلم التاسوع إلى « تحوت » أمام رب العالمين : « اكتب خطابا إلى « نيت »
العظيمة أم الإله باسم « رب العالمين » الثور الذى يقطن عين شمس » .
فقال « تحوت » : « سأفعل ذلك حقا . سأفعل ذلك » .

وعندئذ جلس ليؤلف الخطاب فكتب : « ملك الوجه القبلى والوجه البحرى » رع —
آتوم « محبوب « تحوت » رب الأرضين وإله عين شمس ، ونور الشمس الذى يضىء الأرضين
بجملها ، والتيل العظيم فى وفاته « رع حور أختى » — إلى « نيت » العظيمة أم الإله التى
أثارت فى الأزل . « ليتك تعيشين فى حجة وشباب غض ياروح رب العالمين الحى ، الذى يقطن
عين شمس وملك مصر الطيب . إن خادمك هنا : (أنا) (يعنى نفسه) الذى أسهر الليل من
أجل « أوزير » وأهتم كل يوم بأحوال الأرضين » .

= أما فيما يخص بالشك الذى كان يحوم حول شرعية « حور » فقد بحث فى كتاب بلوتارخ Plutarch
De Iside ch 54 وكذلك راجع Lacau, Textes Religieux, XVII .

(١) هذا الوصف الذى نمت به الإله « با » رب « منديس » المقصود به هنا أن يؤحده مع الإله
« خنوم » رب « سهل » وهى جزيرة واقعة فى إقليم الشمال الأول . غير أن « خنوم » . لا ينسب إلى
« سهل » إلا نادرا جدا .

(٢) يلاحظ أن « با » رب « منديس » عندما حضر جاء معه الإله « بتاح تاتين » وهو رب
الأرض وصورة من الإله « بتاح » ، غير أن السبب فى مصاحبته معه هنا غير واضح ، ولكن لدينا متن
يوضح لنا ذلك وهو مكتوب على لوحة من عهد « رعميس » الثانى : وبعد ذلك تكلم « بتاح تاتين »
رب الآلهة لابنه ... رعميس : « إني والدك وقد آتيتك ، وكل أعضائك آلهة وقد تمصت « با » رب
« منديس » واجتمعت مع والدتك لأجل أن تجعل خلقك مثل خلقة الإله (راجع Bueasted Ancient
Records III P. 400.)

(٣) « نيت » هذه الإلهة كانت مشهورة بأنها والدة « رع » . وقد مثلت هنا بصفتها إلهة محترمة
من جبل قديم تسكن منفردة فى مدينتها (صا الحجر) بالدلتا .

أقسم بحياة سبك^(١) الذى يعيش حقا إلى الأبد . « ما الذى ينبى أن نفعله مع هذين الشابين اللذين قضيا ثمانين حجة أمام العدالة ، ولم يكن فى استطاعة أحد أن يفصل بينهما ؟ فهل لك أن تكتبى عما يجب أن نفعله ! »

وعندئذ أرسلت « نيت » العظيمة وأم الآله جوايا إلى التاسوع متضمنا : اعطوا وظيفة « أوزير » ابنه « حور » ولا تقترفوا تلك الفعالم الذميمة التى ليست فى موضعها ، وإلا فإنى سأغضب وستسقط السماء على الأرض ، وليبلغ رب العالمين الثور الذى فى عين شمس : ضاعف أملاك « ست » وأعطه « عنات » و « عشتارت »^(٢) ابنتيك وأجلس « حور » مكان والده « أوزير » .

ووصل جواب « نيت » العظيمة أم الآله إلى « التاسوع » حينما كانوا جالسين فى القاعة (المسماة) « حور أمام القرون » وسلم الجواب ليد « نحوت » . وعندئذ تلاه « نحوت » أمام رب العالمين ، وأمام التاسوع كله . فقالوا بضم واحد : « هذه الإلهة على حق » .

فغضب رب العالمين على « حور » وقال له : « إنك ضعيف الأعضاء . ولهذا فإن الوظيفة (أى الملك) كبيرة عليك جدا ، أنت أيها الفر ذو الفم الكريه الطم^(٣) !
فغضب « أنوريس » لذلك ألف ألف مرة وكذلك « التاسوع » كله ، والمحلفون^(٤)

(١) الآله « سبك » وهو يمثل فى صورة تمساح هو ابن الإلهة « نيت » . وكان يعبد فى الدانا بجوار والدته « نيت » وقد بقى اسمه للآن فى أسماء بعض البلاد المصرية مثل « سبك الثلاث » و « سبك الأحد » الخ .

(٢) « عنات » و « عشتارت » هما إلهتان ساميتان ، وتذكران كثيرا معاً فى المتون المصرية وفى ورقة « عشتارت » تسمى هذه الإلهة بنت الآله « بتاح » . والمساومة التى عرضت هنا لا توجد فى أى نص مصرى آخر . غير أنها تطابق تماما آراء العصر الذى كتبت فيه الورقة إذ كان « ست » يعتبر لها أجنبا معاديا فى ذلك الوقت .

(٣) راجع بلوتارخ (Plutarch De Iside ch. 19) : وقد اجتمعت « إزيس » « بأوزير » بعد موته وحملت منه طفلا ولد فى غير موعده وكان ضعيفا فى أعضائه واسمه « حريوخراد » (أى حور الطفل) . والواقع أن « حريوخراد » يمثل على الدوام بطفل جالس ومن ثم لا يمكنه الوقوف

(٤) المحلفون الثلاثون كانوا يكونون منذ العهد الإقطاعى المجلس الأعلى لمصر وقد كان هذا المجلس فى عهد الدولة القديمة يتألف من عشرة حكام وهذه الزيادة أتت من اشتداد سلطة حكام الأقاليم . وكان هذا المجلس بمثابة رادع لهم ليقفل من سلطانهم وقد أحد هذا المجلس بالتاسوع المصرى . وهذا المجلس كان يدير الحكومة المصرية فى عهد الدولة الوسطى . وربما جاء من هنا وجه الشبه بينه وبين التاسوع الذى كان على رأسه الإله « رع » وهو ما يقابل الملك . راجع

الثلاثون ، ولكن الآله «بابي»^(١) قفز (من مكانه) وقال «رع حور أختي» :
«إن مقصورتك خاوية (أى لا يعبدك أحد)» . فتألم «رع حور أختي» لهذا الجواب
الذى قيل له ، فاستلقى على ظهره وحزن قلبه جد الحزن .

وعلى ذلك خرج «التاسوع» وصاحوا عاليا في وجه الآله «بابي» ، وقالوا له : «أخرج
من هنا ! إن الجرم الذى أتيت به عظيم جدا» . وذهبوا إلى مأويهم .

وقد أمضى الآله العظيم يوما مستلقيا على ظهره في حجرته ، وكان قلبه في شدة الحزن
وظل في عزلة .

وبعد فترة طويلة من الزمن جاءت «حتحور»^(٢) سيدة شجرة الجيز الجنوبية ووقفت

(١) «بابي» : هو إله قاض جدا لا تعرف عنه القىء الكثير ، وقد ذكر في متون الأهرام
حيث وصف بأنه ذو أذنين حراوين ودبر ملون (Pyr 1349 a) . ويحتمل لذلك أنه فرد وهو ما يطابق
الخصم الذى في ورقة «شستر بيتي» التى نحن بصدها ، وكذلك يوافق سلوكه السيء . وفي كتاب
للوكي (فصل ١٢٥) يظهر أنه مؤحد مع المارد «أما» الذى يلتمهم قلوب الأشقياء في يوم الحساب .
وكذلك قد تكلم بلوتارخ في كتابه (Plutarch De Iside ch 49) عن إله اسمه «بيون»
وهو على حسب قول بعضهم كان صاحب «ست — تيفون» . وقد قال عنه «مانيتون» إنه
«ست» نفسه .

(٢) لا شك أن «حتحور» تمثل هنا إلهة الجمال «إفرديتي» اليونانية وترسم دائما عارية الجسم

«حتحور والكشف عن العورة»

حتحور : إن الطريقة التى طبقت بها الإلهة «حتحور» خاطر والدها إرب العالمين «رع» ترى
في ظاهرها من الأمور المعيبة التى تدل على الفحش والدعارة ، ولكن كشف النساء عن عورتهم
عند قدماء المصريين كان يعتبر عادة دينية . وقد ذكر لنا «ديدور» وصفا لهذه العادة في عبادة
العجل إيبس (Diodor I. 85,3) وهى تنطبق على ما جاء في قصة الخاصة . ويؤكد ذلك ما ذكره الأستاذ
فير (weber) إذ عثر على تمثال من الخزف في متحف ليبزج (Leipzig Inv. Nr. 3634) في كتابه
(Berliner Terrakotten text. b 119. A. ١٠. 5.) وقد مثل وهو يقوم بتلك الحركة . وكذلك قد
ذكر «مردوت» شيئا عن تلك العادة نفسها عند سفر القوم للاحتفال بعيد الإلهة «باست» . وهى في
ظاهرها عادة وحشية إلا أنها بلا شك ترجع إلى نفس تلك العقيدة . والواقع أن ذكر هذه العادة هنا مما
يثبت لنا أن الإغريق قد نقلوها عن المصريين حتى إننا عندما نقرأها في كتبهم ننظر إليها على أنها وحشية
فحشة ، ولكن الكشف الحديثة تضع الأمور في نصابها . والواقع أن هذه العادة تعبر عن منتهى
الخصوع والخشوع وأن الإله هو الذى يعرف عورات النساء . ولكن مما يلفت النظر هنا هو ضحك الإله
«رع» من العمل الذى أتيته أمامه «حتحور» بكشف عورتها ، لأن ذلك منتهى ما يمكن من علامات
الخصوع والدعاء ، ولا يأتى إلا عامة الشعب ، ولذلك فإن قيام ابنته به أمامه لم يكن إلا لشدة محبتها
له وإرضائه بأعظم شيء يدل على الخضوع يمكن لامرأة في عالم الدنيا أن تأتيه . فكيف إذا أتيته إلهة ؟

أمام والدها «رب العالمين» وكشفت عن سوائها أمامه ، فضحك الإله العظيم منها ، وعلى أثر ذلك قام من مضجعه وجلس مع التاسوع وقال «لحور» و «ست» : «تكلمنا عن نفسيكما ! فتكلم «ست» العظيم القوة وابن «نوت» وقال : أما فيما يختص بي فإني «ست» أعظم الآلهة قوة بين التاسوع ، ولذلك فإني أقتل عدو «رع» يوميا لأنني (أجلس) في مقدمة «سفينة الملايين» ، وليس هناك إله آخر في قدرته أن يعمل هذا ، و (لذلك) أرجو أن أتسلم وظيفة «أوزير» . وعندئذ قالوا (أي التاسوع) : «إن «ست» بن «نوت» على حق» . وعندئذ صاح «أنوريس» و «نحوت» عاليا قائلين : «هل ستمنح تلك الوظيفة لأنثى من جهة الأم في حين أن ابنا من المصب لا يزال موجودا ؟» وهنا تكلم «با» رب «منديس» الإله العظيم الحى قائلا : «هل ستمطى الوظيفة هذا الفر في حين أن «ست» أخاه الأكبر لا يزال موجوداً (١) ؟

وعندئذ صاح التاسوع صيحة عظيمة أمام «حور» (؟) وقالوا له : «ما هذه الكلمات التى فهمت بها وليست جديرة بأن تسمع» ! ؟
وهنا تكلم «حور» بن «إزيس» : هذا ليس بالحسن فى الواقع بأن أظلم أمام التاسوع وأن تنقصب منى وظيفة والذى «أوزير» .

وغضبت «إزيس» من التاسوع وأقسمت بالله أمام التاسوع قائلة : «بحياة والدتي الإلهة «نيت» وبحياة «بتاح تاتن» ذى الريش العالى وحافى قرون الآلهة ، إن هذه الألفاظ ستوضع أمام «آتوم» الأمير الجليل قاطن عين شمس ، وكذلك أمام «خبرى» (٢) ساكن سفينته» وعلى ذلك قال لها التاسوع : «لا تتورى فإن الحقوق ستمطى من كان على حق وإن كل ماقلته سينفذ» .

فاغتاض «ست» بن «نوت» من التاسوع عندما قالوا هذه الكلمات لإزيس الجليلة أم الإله . وعندئذ قال لهم «ست» : سأخذ سيفى الذى وزن ٤٥٠ رطلا وأقتل به واحداً منكم كل يوم .. ثم أقسم «ست» يمينا لرب العالمين قائلا : «لن أتناقش بعد أمام العدالة مادامت «إزيس» هنا» .

(١) نجد فى هذه الفقرة رأيين متضاربين فيما يتعلق «بحور» و «ست» . فبلى حسب الخرافات الأقدم عهدا نجد أن «حور» و «ست» كانا أخوين متناظرين . وعلى حسب رواية أخرى أقل قدما من سابقها ولكنها مع ذلك ترجع إلى أزمان سحيقة ، كان «ست» و «أوزير» ابني الإلهة «نوت» وعلى ذلك لم يكن «ست» الأخ الأكبر لحور بل خاله أو عمه .
(٢) اسم الإله «رع» وقت الظهيرة .

وعندئذ تكلم «رع حور أختي» إليهم : « اعبروا إلى «جزيرة الوسط» وافصلوا بينهما وقولوا لـ «عنتي» لا تعبر بأية امرأة في صورة إزيس . وعلى ذلك عبر التاسوع إلى «جزيرة الوسط» وجلسوا يأكلون .

وهنا حضرت «إزيس» واقتربت من «عنتي»^(١) النوقى عندما كان جالسا بقرب قاريه ، ولكن غيرت نفسها في شكل امرأة عجوز ، وسارت منحنية ، وكانت تلبس خاتما من ذهب في إصبعها ، وخطابته قائلة : «لقد أتيت إليك لتعبر بي إلى «جزيرة الوسط» ، لأنى حضرت بهذا الوعاء من الدقيق إلى الصبي الصغير ! لقد كان يحرس بعض الماشية في «جزيرة الوسط» منذ خمسة أيام إلى هذا اليوم وهو جوعان » . فقال لها : لقد قيل لى لا تعبر بأية امرأة .

ف قالت له : هل ما قيل لك خاص « بإزيس » ، ذلك الذى تكلمت به ؟
فقال لها : « ما الذى ستمطينه إياى حتى أعبرك بك إلى «جزيرة الوسط» ؟
ف قالت له « إزيس » : « سأعطيك هذا الرغيف »

وعندئذ قال لها : « ماذا يكون رغيفك ؟ هل ينينى لى أن أعبرك إلى جزيرة الوسط —
على حين أنه قيل لى : لا تعبر بأية امرأة — من أجل رغيفك ؟
وعندئذ قالت له : « سأعطيك الخاتم الذهبى الذى فى يدى »
فقال لها : « أعطينى الخاتم الذهبى » .

فأعطته إياه وعلى ذلك عبر بها إلى «جزيرة الوسط» وبينما هى سائرة تحت الأشجار ، إذ نظرت فرأت التاسوع وهم جالسون يأكلون فى حضرة «رب العالمين» فى نزله ، فنظرت «ست» ولحها وهى آتية من بعيد . فتلقت تمويدة من سحرها وغيرت نفسها إلى عذراء جميلة الجسم لم يكن لها مثيل فى الأرض قاطبة فأحبها حبا جما

(١) إن القليل الذى نعرفه عن هذا الإله يرجع الفضل فيه إلى الأستاذ زيت فى كتابه (Urgeschichte Und Älteste Religion der Agypter Par. 51 and 52.)

و «عنتي» فى الأصل إله فى صورة صقر وينعت «عنتي» أى صاحب الخالب . وكان فى الأصل يقطن حصنة الثانية عشرة من الوجه القبلى (مقاطعة الصعيد) ووظيفته نوقى ، وهى التى يعرف بها هنا فى قصتنا ، ولم تكن معروفة من قبل ، ويمكننا بالتى الذى فى أيدينا أن نقتنى أثرها كما أشار «زيت» إلى ذلك فى متون الأهرام (وازن سطرى 792 a و 1359 a) وكذلك ملحظ فى الرسم للفوس الذى تحت الصقر أنه لا بد أن يكون قاربا وبخاصة أن هذا القارب له سكان . والعقاب الذى وقع عليه هو قطاع الجزء العلوى من قدميه أى مخالبه التى يدافع بها عن نفسه . ومن أجل ذلك كان يطلق عليه صاحب الخالب (سمى الصقر صاحب الخالب) وهذه من الأمور التى ذكر فيها السبب والنتيجة فى القصة .

وحينئذ قام « ست » بعد أن كان جالسا يأكل مع الناسوع العظيم ، وذهب ليقابلها ، ولم يكن قد رآها أحد سواه — فوقف خلف شجرة وصاح بها وقال لها : « إني أريد أن أكون معك أيتها الفتاة الجميلة ! »

فقلت له : « آه ياسيدى الرفيع ! ماحدث لى أنى كنت امرأة راعى ماشية . وقد جئت منه بولد . وقد مات زوجى وأصبح الصغير يرعى ماشية والده ، ثم حضر غريب وجلس فى حظيرتى وخاطب ولدى قائلا : « سأضربك وسأستولى على ماشية والدك وسأطردك » . وهكذا تكلم إليه ، ورغبتهى هى أن أجعلك تحميه » . وعندئذ قال لها « ست » : « هل ينبغى للإنسان أن يعطى الماشية الغريب فى حين أن ابن الرجل موجود هنا ؟ »

وعلى ذلك غيرت « إزيس » نفسها إلى حدأة^(١) وطارت ثم حطت على قبة شجرة ثم نادى « ست » وقالت له : « انع نفسك . إن فك هو الذى قالها ، وإن رأيك هو الذى قضى عليك . ما الذى تريده أكثر من ذلك ؟ »

فوقف باكيا . ثم ذهب إلى المكان الذى كان فيه « رع حور أختى » وبكى . وعندئذ كلمه « رع حور أختى » : « ماذا جرى لك ثانية ؟ »

فأجاب ست قائلا : « هذه المرأة الشريرة قد اعتدت على كربة أخرى وقد خدعتنى مرة ثانية ، فقد غيرت صورتها إلى عذراء جميلة أمامى ثم قالت لى : « ماحدث لى أنى كنت زوج راعى ماشية وقد مات بعد أن وضعت منه ابنا وأنه يرعى بعض ماشية والده ، وأن غريبا أتى إلى حظيرتى مع ابنى فأعطيته طعاما ، وبمسد مضى عدة أيام على ذلك قال الغريب لابنى : « سأضربك وسأستولى على ماشية والدك وستكون ملكى » . وهكذا كلم ابنى . وهكذا قالت لى » .

فكلمه « رع حور أختى » : « وماذا قلت لها ؟ »

فقال له « ست » : « قلت لها : هل ستمطى الماشية (ياوت) الغريب وابن الرجل لا يزال موجودا هنا . وعلى ذلك قلت لها يجب أن يضرب المتطفل على وجهه بعصا ثم يطرد ، وينبغى أن يجلس ابنك فى مكان والده — وهكذا قلت لها » .

(١) لقد حكم « ست » بنفسه على نفسه دون أن يعلم ، لأنه هو الذى كان يريد أن ينتصب وظيفة اليتيم . وقد تقمصت « إزيس » حدأة وسخرت منه ، وهذه الصورة التى تحولت إليها « إزيس » هى من مميزاتنا ، وذلك لأننا نعرف أنها حينما كانت تبكى عند نمش أخيها « أوزير » كانت تعرف باسم الحدأة الكبرى ، كما كانت أختها « نفثيس » تعرف باسم الحدأة الصغرى . ولكن الدور الذى لعبته هنا فى صورة حدأة يختلف كثيرا عن سابقه . إذ هنا أرادت أن تثبت شرعية ابنها لحكم البلاد بحيلة .

فقال له « رع حور أختي » : « انظر . إنك حكمت على نفسك بنفسك ، فإذا تريد زيادة على ذلك ؟ » . فقال له « ست » : « من بحضور « عنتى » ليوقع عليه عقاب صارم وسله : لماذا سمحت لها أن تعبر ؟ هكذا ينبغي أن يقال له » .

وعندئذ أحضر « عنتى » التوتى أمام التاسوع وقطعوا الجزء الأمامى من ساقيه وكفر « عنتى »^(١) بالذهب إلى يومنا هذا وقال في حضرة التاسوع العظيم : « لقد أصبح الذهب ممقوتا لمدينتى » . عندئذ عبر التاسوع إلى الشاطئ الغربى^(٢) وجلسوا على الجبل . ولكن عند المساء أرسل « رع حور أختي » وآتوم سيد الأرضين و (رب) عين شمس إلى التاسوع الرسالة التالية : ما الذى تفعلونه بكمثكم هنا إلى الآن ؟ إنكم ستجعلون الشاين يعضيان كل حياتيهما أمام المدالة ، فعندما يصلكم خطاىي يجب عليكم أن تضحوا التاج الأبيض على رأس « حور » بن « إزيس » ، وينبى أن ترفموه على عرش والده « أوزير » .

وعندئذ غضب « ست » غضبا شديدا ، ولكن التاسوع قال لست : لماذا أنت غضب ؟ ألا ينبى أن يفعل كما قال « آتوم » رب الأرضين فى عين شمس و « رع حور أختي » ؟ وعلى ذلك وضع التاج الأبيض على رأس « حور » بن « إزيس » ، فصاح « ست » عاليا أمام التاسوع وعصف ثم قال : « هل ستمطى الوظيفة أختى الصغير ، وأخوه الأكبر ما زال موجودا هنا ؟ » .

وعندئذ حلف يمينا وقال : ينبى أن ينزع التاج الأبيض من رأس « حور » بن « إزيس » وينبى أن يلقى به فى الماء حتى يمكننى أن أتنازع معه على وظيفة « الحكم ! » (ياوت) ووافق على ذلك « رع حور أختي » فقال « ست » لـ « حور » : « تمال ولينقمص كل منا جاموس بحر ، ودعنا نمص فى الماء الذى فى « الأخضر العظيم » (كفاية عن البحر)^(٣) ومن يطف على سطح الماء قبل مضى ثلاثة أشهر لا يعط هذه الوظيفة » .

(١) هذه العبارة من العبارات النادرة فى القصة التى يوجد فيها السبب والنتيجة . وظاهر أنه كان هناك شريعة تحرم استعمال الذهب فى بلدة الإله « عنتى » . غير أننا لا نجد ذلك المذكور فى أى متن مصرى آخر .

(٢) يقصد بذلك حدود الأراضى المنزرعة غربى الدلتا . ويقابلها من الجهة الشرقيه منطقة أخرى منزرعة فى نهاية حدود الدلتا .

(٣) نجد هذه الحادثة مذكورة فى كتاب (نتيجة الأيام السعيدة والأيام المشئومة) (Pap Sallier IV Recto 2,6) . غير أننا نجد فى هذا المصدر الأخير أغلاطا كثيرة ، ولكنها دونت بنفس التعبيرات التى فى قصتنا هنا . وهاك الترجمة حرفيا للنصف الأول منها : « الشهر الأول من فصل القضبان (يوم ٢٦) =

وعندئذ غطس كلاهما في الماء وقعدت «إزيس» تبكي وقالت : إن «ست» قد قتل ابني «حور» . ثم أخذت كمية من الفزل وقتلت حبلا ، ثم أخذت رطلا من النحاس وصهرته وصنعتة سلاحا للماء (شصا) ثم ربطت فيه الحبل وألقته في الماء في المكان الذي غطس فيه «حور» و «ست» ، فاشتبك الشص^(١) في جلالة ابنها «حور» فصاح «حور» عاليا ونادى : النجدة يا والدتي «إزيس» يا أمي ! مصرى شصك حتى ينفك عني . إني «حور» ابن «إزيس» . فصاحت «إزيس» عاليا آصرة شصها : «انفك عنه : انظر . إنه ابني «حور» طفلي هوذا» . فانفك شصها عنه .

وبعد ذلك ألفت به في الماء ثانية فاشتبك في جلالة «ست» ، فصاح «ست» عاليا وقال : ماذا فعلت ضدك يا أختي «إزيس» . مرى شصك أن ينفك عني . إني أخوك من أمك يا «إزيس» . فألمها قلبها من أجله جدا . ثم ناداها «ست» قائلا : «هل تحبين الغريب أكثر مما تحبين أخاك من أمك ؟» . فأمرت «إزيس» شصها قائلة : «انفك عنه . انظر . إنه أخو «إزيس» من الأم ذلك الذي عضضته» . وعلى ذلك انفك الشص عنه .

من أجل ذلك غضب «حور» من «إزيس» أمه وخرج ، وكان وجهه وحشيا كأنه فهد من الوجه القبلي ، وكان سكينه الذي يزن ستة عشر رطلا في يده ، فقطع^(٢) رأس والدته

= شؤم . شؤم . لا تقم بعمل أى شيء في هذا اليوم لأنه اليوم الذي تحارب فيه «حور» مع «ست» وضرب أحدهما الآخر ثم رقدا على جنبيهما وتقدم كل منهما جاموس بحر عند باب (?) رب «خرطاحا» (مصر القديمة) ومضيا ثلاثة أيام وثلاث ليال على هذه الحال . ثم جعلت «إزيس» شصها يصيبهما فأصاب وجه «حور» . وعندئذ صاح قائلا : «إني ابنك «حور»» . وعلى ذلك نادى الشص قائلة : «تنج عن ابني «حور»» . وبعد ذلك أرسلت الشص ثانية فأصاب وجه أخيها «ست» . وعلى أثر ذلك صاح بصوت عال وحزن . فنادت الشص قائلة [اقبض بشدة (?)] وعندئذ ناداها «ست» صرعات عدة : «هل تريد أن تمادى أخاك من أمك ؟» ثم صار قلبه حزينا جدا . وعندئذ نادى الشص قائلة «تنج» . انظر . إنه أخى من أمي . فانفك الشص عنه وقام كل واحد منهما وولى ظهره لصاحبه (١) كانت الطريقة التي يبيعها المصري في صيد جاموس البحر هي أنه يربط شصا في خيط ثم يرمى به في الماء بواسطة رمح . وبعد أن يصاب جلد الحيوان بعدة شصاص كان يجر إلى الشاطئ بعد أن يكون قد نرف كمية عظيمة من الدم وذلك مما يسبب ضعفه على المقاومة (Gardiner Tomb of Amenmhet P48.)

(٢) الجزء الثانى من الفقرة التي ترجمنا الجزء الأول منها من ورقة سالية يتفق مع ما جاء في قصتنا وهو : «وكان جلالة «حور» غاضبا جدا مع والدته وكان مثل فهد من الوجه القبلي وقد ابتعدت من أمامه في هذا اليوم الذي أعلن فيه الحرب على المغارب (?) (أى ست) وعندئذ قطع رأس «إزيس» ثم تقمص الإله «تحوت» صورة الإله «حكا» (وهو إله السحر) وأعاده (أى الرأس) كرأس بقرة (?) وما =

« إزيس » ووضعه في حضنه ، وصعد إلى الجبل . وعلى ذلك تقمصت « إزيس » تمثالا من الظرآن بدون رأس . ثم قال « رع حور أختي » « لتحتوت » : « من هذه التي حضرت ؟ إنها حقا بدون رأس » . فقال « تحتوت » « رع حور أختي » : « يا سيدي الطيب إنها « إزيس » العظيمة أم الإله ، وقد قطع ابنها « حور » رأسها » . وصاح « رع حور أختي » عاليا وقال للتاسوع : « سنسرع ونوقع عليه عقابا صارما ! »

وعلى ذلك صعد التاسوع إلى الجبل ليجثوا عن « حور » بن « إزيس » . ولكن « حور » قد مضى الليل تحت شجرة « شنوشع » في إقليم^(١) الواحة ، وقد وجده « ست » وقبض عليه وألقاه على ظهره على الجبل واقتلع عينيه من مكانهما ودفنهما في الجبل . غير أن عجبري عينيه أصبحا يبضتين ، ثم نمتا فصارتا زهرة اللوتس^(٢) وأضاءتا الأرض . وعندئذ رجع « ست » وخاطب « رع حور أختي » كذبا : إني لم أجد « حور » . والواقع أنه وجده .

ثم ذهبت « حتحور » سيدة شجرة الجيز الجنوبية ووجدت « حور » كما كان مضطجعا يبكي في الصحراء ، فامسكت بغزاة وحلبتها وقالت « لحور » : « افتح عينك حتى أضع فيها هذه النقطة من اللبن . ففتح عينه ووضعت فيها نقطة اللبن ، ووضعت في العين اليمنى ، ووضعت في اليسرى ، وقالت له : « افتح عينك ففتح عينه » فتأملتها ووجدتها سليمة . وعندئذ ذهبت إلى « رع حور أختي » لتقول : « إن « حور » قد وُجد وقد اقتلع عينيه « ست » ولكني قد أعدتهما ثانية . انظر . إنه آت » .

== زال الإنسان إلى اليوم يقدم قربانا باسمها وباسم « تحتوت » إلى اليوم .

والمقصود من هذه الخرافة هو محاولة تفسير رأس البقرة القى تظهر به الإلهة « حتحور » وثانيا تأجيل « إزيس » و« حتحور » . غير أن قصتنا لم تذكر لنا السبب ولذلك حذف منها كل الجزء الخاص بإعادة الرأس بواسطة « تحتوت » .

(١) الفصل التالي من القصة كما هو مذكور هنا لم يعرف بعد في النقوش المصرية . ولدينا خرافة قديمة جدا تقص علينا كيف أن « ست » اقتلع عين « حور » وأن « حور » انتقم لنفسه بمجب خصيتي « ست » . ولكن في الفقرة التي نحن بصدها نلاحظ أن عيني « حور » لا عينا واحدة قد نزعنا ، وكذلك أن « حتحور » لا « تحتوت » هي التي أعادت نظر الإله إليه . على أننا نجد أن الفرق بين الحادتين عظيم جدا لدرجة تجعل الإنسان يتساءل عما إذا كان كل منهما له أصل خاص به .

(٢) يظهر أن هذه إشارة للفكرة الغائلة إن « حور » رب السماء وأن عينيه هما الشمس والقمر . أما الجملة التي تلي ذلك فتعبر إلى حادث لم يعرف بعد في المتون المصرية بهذه الصورة ، غير أننا نعرف أن الإله « رع » أي إله الشمس يولد من زهرة اللوتس

وعندئذ قال التاسوع : فليناد كل من «حور» و«ست» ويفصل بينهما . فأحضرا أمام التاسوع ، وتكلم رب العالمين أمام التاسوع العظيم إلى «حور» و«ست» وقال : « اذهبا واسمعا ما سأقوله لكما ، وكلا واشربا وبذلك ستكونان في سلام ، تنجيا عن المشاحنة كل يوم ! » وإذ ذاك قال «ست» «لحور» : « تعال وسنمضي يوما سعيداً في بيتي » .

فقال له «حور» : « بالتأكيد وعن طيب خاطر ! » .

ولما حل المساء فرش (السرير) لهما واضطجع الاثنان وفي الليل دس «ست» قناته المنتشرة بين نخذي «حور» . ولكن حور وضع يديه في نخذه وتلقى بهما نطفة «ست» . وعندئذ ذهب «حور» ليقول لوالدته : « النجدة يا «إزيس» يا أمي ! تعالي وانظري ما آتاه «ست» معي ! »

وفتح يده وجعلها تنظر إلى نطفة «ست» . فصاحت عاليا وقبضت على سكينها وقطعت^(١) يده وألقت بها في الماء ، ثم صنعت يدا تماثلها وأخذت قطعة مرهم خلو ووضعتها على قناة «حور» فانتصبت ، ثم وضعتها في أناء وجعلت نطفة «حور» تجري إليه . وبعد ذلك ذهبت «إزيس» ومعها نطفة «حور» في الصباح إلى حديقة «ست» وسألت بستاني «ست» : « ما المشب الذي يأكله «ست» معك ؟ » فقال لها البستاني : « إنه لا يأكل أي عشب معي هنا إلا الخس »^(٢) .

(١) إن حادثة قطع اليدين (لا يد واحدة كما في قصتنا) قد جاء ذكرها في الفصل ١١٣ من كتاب الموتى ، ونجد بداية هذا الحادث في رواية متون الدولة الوسطى وهي : « إني أمرف سر هيرا كنبوليس » إنه يدا «حور» وهما اللتان قطعتهما أمه وقد قذفت بهما في الماء قائلة : « إنكما ستكونان الاثنتين المفضولتين عن «حور» حتى بعد أن تكونا قد وجدتما ثانية كالتين وجدتهما أنا ثانية . وعندئذ قال «رع» : « لقد شوه ابن «إزيس» هذا بما اقترفته أمه بنفسها ضده . دع «سينك» (إله في صورة تمساح) يحضر إلينا من نهاية الماء لأجل أن يصطادها لتتمكن أمه «إزيس» من إعادتهما إلى مكانهما (الأصلي) . » ولنا في حاجة للتعليل هنا على أوجه الشبه والاختلافات التي توجد بين الحرافتين .

(٢) لقد برهن الدكتور «كير» في مجلة (Zeitschrift Fur Agypt. Sprache 59. 140) على أن النبات «عبو» المذكور هنا والذي ترجمناه بكلمة «خس» هو نوع من أنواع الخس الذي ينبت في مصر (Lactuca. Sativa. L) وهو النبات الذي يظهر غالبا مرسوما وراء صور الإله «مين» . وقد عزا الدكتور «كير» بحق العلاقة بين هذا الإله وبين الخس إلى العصاراة التي تشبه اللبن المستخرجة من هذا النبات ، وذلك أن القوة التناسلية التي تحدثها هذه العصاراة يمكن تشبيهها باللبن الذي هو رمز للخصب وعدم القم من جهة ، ولشابهة هذه العصاراة للنطفة الآدمية . وهذه الآراء قد تثبت بالفقرة التي جاءت في قصتنا ، وكذلك أثبتتها الطب الحديث . والسبب الذي من أجله كان «ست» منغمسا في أكل =

وعلى ذلك وضعت «إزيس» نطفة «حور» عليه (الخس). ثم حضر «ست» حسب عادته كل يوم وأكل الخس الذى تعود أكله فصار حاملا من نطفة «حور» ؛ وعلى ذلك ذهب «ست» ليقول لحور : « تعال . دعنا نسرع لتتخاصم معا أمام العدالة » . فقال له «حور» « بالتأكيد وعن طيب خاطر ! » وعلى ذلك ذهب الاثنان إلى المجلس ووقفا أمام التاسوع العظيم وقيل لهما : « تسكما عن شخصيكما ! »

فقال «ست» : لتعطى لى وظيفة الحكم . أما عن «حور» وهو الشخص الذى يقف هنا فإنى قد فعلت معه مايعمل الرجل (مع المرأة) . وإذ ذاك صاح التاسوع عاليا : ابصقوا فى وجه «حور» . غير أن «حور» سخر منهم . وعندئذ أقسم «حور» يمينا بالله قائلا : «إن كل ما قاله «ست» كذب . مر بأن تنادى نطفة «ست» ، وسنرى من أين تجيب » . فوضع «تحت» رب «كلام الإله» ، وكاتب الصدق للتاسوع ، يده على ساعد «حور» وقال : تعالى يا نطفة «ست» . فأجابته من ماء المستنقع ، ثم وضع «تحت» يده على ساعد «ست» وقال : تعالى هنا يا نطفة «حور» ! فقالت له (أى النطفة) : «من أين ينبئ لى أن أخرج ؟» فقال لها «تحت» : «أخرجى من أذنه» ! وعند ذلك قالت له : «هل أخرج من أذنه وأنا النطفة الإلهية ؟» . وعلى ذلك قال لها : «أخرجى من جبينه» ! فخرجت مثل قرص من الذهب على جبين «ست» ، ففضب «ست» جدا ومد يده ليقبض على القرص الذهبى ، فأخذه «تحت» ووضعه حلية فوق رأسه (١) هو . ولكن التاسوع

== الخس مثل الإله «مين» أنه كان يريد تقوية الناحية الجنسية عنده ، ولكن بله «نطفة» «حور» مع الخس جعل «ست» يصبح حاملا مختئا بعد أن كان معروفا بقوته وبطشه (وازن ذلك بما جاء فى قصة الأخوين حينما بلغت امرأة الملك قطعة الخشب وأصبحت حاملا) .

(١) هذه الفقرة بأكملها تحتوى على رواية معدلة لقصة قديمة جاء فيها أن «تحت» قد ولد من جبين «ست» . فمن المعلوم أن هذا الحادث الذى ذكر هنا كان معروفا عند المصريين منذ أقدم العصور مع الفارق أن «تحت» فى الرواية القديمة لم يكن المحكم بل كان هو نتيجة نطفة «حور» التى كانت فى «ست» . وأقدم برهان لدينا يرجع إلى الدولة الوسطى انظر (Rec Trav 34 P 144) حيث نجد أن المتوفى يؤحد نفسه مع «تحت» ويقول لأوزير : «إنى ابن ابلك وبذرة بذرتك ، والإله الذى فصل الأخوين .» ونجد على تمثال من العصر الصاوى (Turin, 74) أن تحت قد سمى صرتين : «تحت» ابن الإلهين الذى خرج من الجبين . وفى معبد «ادفو» يوجد متنان يشيران إلى هذا الحادث (Rochemontix Edfu I, 82 & II 44) فى المتن المطول نشاهد الملك وهو يقرب الخس لاله «مين» قائلا : «خذ لنفسك العشب الأخضر الجبيل الذى أقبض عليه (؟) لأجل أن يمكنك أن تدفق سائلك السرى الذى فيه (أى الذى فى الخس) وليكن من عاملته كامرأة أن يملئه ويحمل منك ولدا يخرج من الجبين مثل المحكم لأجل أن يمكنك أن تبرا أمام مجلس العدالة» . ويلاحظ هنا أن الإله «مين» قد أحد ==

قال : « إن « حور » على حق و « ست » على باطل » . وعندئذ غضب « ست » جداً وصاح صيحة عالية عندما قالوا : « إن « حور » على حق و « ست » على باطل » .

وعلى ذلك أقسم « ست » عينا بالله هذه الكلمات : « لا ينبغي أن يُعطى الوظيفة حتى ينزل معى لنصنع لنفسينا سفينتين من الحجر ، ونتحارب سويا والذي يتغلب على زميله يُعطى وظيفة الحكم » .

فصنع « حور » لنفسه سفينة من خشب الأرز وغطاها بطبقة من الجبس وألقى بها في الماء عند الغروب ، ولم يره أحد في كل العالم . ولكن رأى « ست » سفينة « حور » وظن أنها من حجر ، فذهب إلى الجبل وقطع قته وصنع لنفسه سفينة من الحجر ذرعها مائة وثمانية وثلاثون ، وفي هذا الوقت نزلا في سفينتهما في حضرة التاسوع ففرقت سفينة « ست » في الماء فتقمص « ست » جاموس بحر وسبب غرق سفينة « حور » .

وعندئذ أمسك « حور » بشص ورمي به جلالة « ست » فقال له التاسوع : « لا ترمه به » . وإذ ذاك أخذ معدات الماء (يعنى بذلك القلع والسكان والمجداف) ووضعها في سفينة ، وسار منحدرأ في النهر إلى « صا الحجر » ليتحدث إلى « نيت » أم الإله فقال : « اعمل على أن يفصل بيني وبين « ست » ، فنذ ثمانين عاما ونحن أمام العدالة ولم يعرف أحد كيف يفصل بيننا . ومع ذلك لم يمترف له بالحق دوني ، ولكن لأف مرة قبل ذلك كنت المحق الظاهر عليه كل يوم ، وعلى الرغم من ذلك لم يبال بأى شيء قاله التاسوع . وقد تخاضمت معه في قاعة المحكمة (المسماة) « طريق العدالة » ، وقد كان الحق في جانبي وقد تخاضمت معه في قاعة المحكمة

== مع « حور » ولذلك يسمى « حور — مين — نخت » أى حور — مين المنتصر . ومن الجائز أن هذه التسمية المركبة قد تكون نتيجة لهذه الخرافة .

أما الرواية القصيرة فتتمثل على ما يأتي : « إنك [تدفق] تطفئت في جسم العدو (أى « ست ») حتى يحمل وحتى يخرج ابنك (تحوت) من جبينه » والفرق الوحيد الهام الذى نشأه في رواية قصتنا هي العبارة التي تقول إن قرصا من الذهب خرج من جبين الإله « ست » لا الإله « تحوت » نفسه ، وترى أن قرص الذهب يصبح مرتبطاً مباشرة بالإله « تحوت » عندما يضعه على رأسه عتابة حلية . ولا نزاع في أن الخرافة كانت خارقة لحد المعقول في نظر مؤلف قصتنا إذ كيف يمكن أن يكون « تحوت » في وقت واحد محكما بين « حور » و « ست » وأبنا « لست » . والظاهر أن هذه الخرافة كان يرمز بها للحرب بين النور والظلمة أو الليل والنهار أى بين « حور » و « ست » وأن « حور » وهو النهار تغلب على « ست » وهو الليل وكانت نتيجة لإتيان « حور » « لست » أن ولد الأخير القمر ، ولذلك يسمى ابن الإلهين . وقد شرحنا ذلك في درس القصة .

(المسألة) « حور — ذى القرون — البارزة » ، وقد كان الحق في جانبي . وقد تخاضعت معه في قاعة المحكمة (المسألة) « حقل البوص »^(١) وكان الحق في جانبي . وقد تخاضعت معه في قاعة المحكمة (المسألة) « بركة الحقل »^(٢) وقد كان الحق في جانبي .

ثم تكلم التاسوع مع « شو » بن « رع » فقال : « لقد كان « حور » بن « أزيس » على حق في كل ما قال . ثم تكلم « تحوت » إلى رب العالمين قائلا : « مر بإرسال خطاب إلى « أوزير »^(٣) حتى يمكنه أن يفصل بين الشابين . وعندئذ تكلم « شو » بن « رع » : « حقا وألف ألف مرة حقا ما قاله « تحوت » للتاسوع . والآن تكلم رب العالمين إلى « تحوت » : « اجلس واكتب خطابا إلى « أوزير » وإنا نريد أن نسمع ما الذى سيقوله » . وإذ ذاك جلس « تحوت » ليؤلف خطابا إلى « أوزير » فكتب^(٤) : « الثور الأسود — الذى

(١) حقل البوص (سحت أرو) هو اسم معروف يطلق على « حقول الجنة » عند المصريين ، وهو المكان الذى يمكن المتوفى أن يواصل فيه حرفة الزراعة بنجاح عظيم .

(٢) لم يعثر على اسم هذه القاعة في غير هذه القصة . ومن المحتمل أن هذا الاسم يشير إلى البركة التى جاوبت منها نطفة « حور » ولا بد أن تكون هى بينها التى ألفت فيها « لأزيس » اليد النجسة .

(٣) إن الدور الذى يلعبه « أوزير » فى هذه القصة هو أنه ملك متوفى يحكم فى الغرب فى العالم السفلى ، ولذلك نجده مذكورا باسم « ونن نر » « الكائن الطيب » وإذا استثنينا الفقرة التى نحن بصدددها الآن وهى التى وصفت فيها وظيفته وقوته بصورة حية مدهشة فإننا لا نعرف شيئا تقريبا عنه فى قصتنا . ونجد أنه قد ذكر مرة بأنه ابن الإله « بتاح » وكذلك بوصفه ابن « رع » . ولكن يرجع سبب ذلك إلى أنه كان فى هذه الحالة يمثل فرعون الذى كان يدعى ابن الشمس . أما الاسم الملكى أو الخرطوش الذى يحتوى اسمه « عظيم الفيض — رب السكثرة » فإنه يشير إليه بوصفه خالق الغلال . غير أنه لا يوجد بهذه الصورة إلا فى قصتنا . على أن من يقرأ قصتنا لا بد أن يفهم منها أن القارىء يعرف ضمنا كل تاريخ مأساة « أوزير » . هذا ما يقوله الأستاذ « جادتر » عن مركز « أوزير » فى هذه القصة . أما « سيبجل » فإنه قد برهن على أن « أوزير » هنا كان يمثل ملك « أهناس » المدينة وأن قصة الآلهة هنا هى إلا صورة رمزية لحالة مصر فى العهد الإقطاعى وما قام من الحروب والمشاحنات بين حكام الإنقطاع فى أوائل الأسرة الثانية عشرة . (انظر كتاب مصر القديمة جزء أول ص ٤١٥)

(٤) يلاحظ هنا أن ألقاب مرسل الخطاب هى التى ذكرت هنا . والمرسل هو « إله الشمس » . وشاهد أن ألقابه خمسة الألقاب التى يحملها فرعون مصر وهى خمسة الأسماء التى تفسر لنا الصفات التى كان يتميز بها الملك (وقد تكلمت عنها فى كتاب مصر القديمة جزء أول ص ١٦٦) . فمثلا بصفته « ملك الوجهين القلبي والبحرى » كان تحت مأه « الثور الذى يقطن عين شمس » . ويلاحظ هنا أن اسم الملك الحورى العادى قد اختصر إلى « الثور » بدلا من « حور الثور المنتصر » وهو اللقب الذى حل بدلا من « حور » فقط منذ حكم تحتمس الثالث . أما لقب الإلهتين (بتى) (أى العقاب والصل) ولقب « حور —

يصطاد لنفسه — والإلهتان (نبتى) — الذى يحمى الآلهة وقاهر الأرضين — و«حور» الذهبى بارىء الناس فى الأزل — ملك الوجه القبلى والبحرى — الثور الذى فى عين شمس . ابن «بتاح» المنير فى الأرضين (؟) والذى يضئ بوصفه والد تاسوعه ليعزى نفسه من الذهب ومن الطرائف المقدسة — فى حياة وعافية وصحة — : اكتب لنا عما ينبغى أن نفعله مع «حور» و«ست» ، فنحن لا نريد أن نفعل شيئا مادامنا لسنا على علم (تام) .

وبعد ذلك وصل الجواب إلى الملك ابن «رع» غزير الفيضان ورب القوة ، وهنا صاح صيحة عالية عندما قرئ الجواب أمامه .

فجواب بسرعة عظيمة إلى المكان الذى كان فيه رب العالمين موجودا مع التاسوع فكتب : « لماذا تستعمل مع ابني «حور» القوة ؟ هل كنت أستعمل معكم القوة ! وانى أنا الذى أوجدت الشعير والحنطة ، والذى أطعم الآلهة^(١) وكذلك المخلوقات الحية بعد الآلهة . على أنه لا يوجد إله ولا آلهة فى مقدوره أو مقدورها أن يفعل ذلك » .

وقد وصل جواب أوزير إلى المكان الذى فيه «رع حور أختي» أثناء جلوسه مع التاسوع فى الحقل الأبيض فى (بلدة) «سحا» .

== الذهبى « فانهما يقدمان كالمتاد . ويلاحظ فى الألقاب التى فى قصتنا أن المؤلف حينما أراد أن يذكر اللقب الخامس الذى يعرف عند علماء الآثار بالاسم تميزا له عن الصفة الرابعة ، لم يكن فى الإمكان استعمال عبارة «ابن الشمس» وهو اللقب المتاد ، لأن ذلك يظهر سخيفا إذا وصف «رع» بأنه «ابن رع» أى الشمس . على أن هذه النوت نفسها غريبة فى بابها ولم تكن منتظرة . فثلا نجد أن لقب «الأسد الذى يصطاد لنفسه» قد صيغ على وثيرة لقب حورى أعطى للملك «مرنبتاح» وهو «الفهد الذى يزق لنفسه» الخ . وهكذا نجد معظم هذه الألقاب غريبة فى بابها .

(١) لا نزاع فى أن القول السريع فى قصتنا أن «أوزير» هو الذى خلق القمح فريد فى المتون المصرية . والواقع أن علاقة هذا الإله بالمحاصيل الزراعية كان يمر عنه بطريقة أخرى فى كل ما وصلنا من النقوش المصرية . فقد كان الاعتقاد القديم أن «أوزير» كان مؤحدا مع القمح ، وكان يقال عنه إنه هو «نبر» إله القمح . انظر (Lacau Textes Relig no LX III.)

وكذلك يمثل لنا نفس الفكرة أسرة «أوزير» المصنوعة من الفرين الصالح للزراعة والقمح الذى كان يوضع عليها لينبت فى القبور ، وكذلك التماثيل التى كانت تصنع فى عيد كيهك وهو عيد إحياء «أوزير» يضاف إلى ذلك ما جاء فى «بلوتارخ» وغيره من كتاب اليونان مفسرا لهذا الرأى (Plutarch De Iside ch 65) . على أن مظهر هذا الإله فى هذه الصورة قد بحثه سير جيمس فريزر فى كتابه :

Sir James Frazer Osiris, Attis and Adonis Vol II PP 89 ff. وكذلك بحث فى Journ. Egypt. Arch. II, 121—5 & A. Morèt La mise au Mort du Dieu en Egypte. وقد كان الرأى السائد فى العصر الإغريقى الرومانى أن «إزيس» هى التى كشفت عن القمح ولكن استعماله وزراعته يرجع الفضل فيهما إلى «أوزير» . راجع Plutarch De Iside Ch. 31 & Diodorus Siculus I. 14.

وقد قرىء في حضرته وفي حضرة التاسوع وقال « رع حور أختي » : أجب بدلا مني عن هذا الخطاب بغاية السرعة واكتب إلى « أوزير » ، ردا عليه : « هب أنك لم توجد بعد ، وهب أنك لم تولد قط فإن الشعير والحنطة كانا — لا بد — موجودين ! » .
ولإذ ذاك وصل جواب « رب العالمين » إلى « أوزير » وقرىء أمامه .

وعندئذ أرسل إلى « رع حور أختي » ثانية ما يأتي : « قد يكون كل ما فعلت أنت يا خالق التاسوع حسنا جدا حقيقة . إنه قد سمح للمدالة بذلك أن تهبط إلى العالم السفلي ، ولكن تنبه إلى المركز الذي تجدد نفسك فيه ، أما الأرض التي أمكت فيها فإنها ملأى برسل غضاب^(١) ، لا يخافون أى إله أو آلهة . فإذا تركتهم يخرجون منها فإنهم يحضرون قلب أى إنسان يرتكب خطيئة وسيصيرون معي هنا . والالم أبق في الغرب^(٢) وأنتم جميعا في الخارج (أى في عالم الدنيا) ! من يوجد بينكم أقوى مني ؟ ولكنهم في الواقع افتروا الكذب . و « بتاح » العظيم القاطن جنوب جداره رب « عنخ تاوى » (منف) وخالق السماء ألم يتكلم إلى النجوم التي فيها قائلا : ينبغي أن تذهبي إلى الغرب كل ليلة حيث يوجد الملك « أوزير » .

ولكن ينبغي أن يذهب بعد الآلهة البشر وعامة الخلق للراحة (الموت) أيضا في المكان الذي^(٣) أنت فيه — هكذا قال لى . ؟ (أى بتاح) » .

(١) إن فكرة الرسل هنا تقابل في التوراة والإنجيل والقرآن الملائكة الذين ينفذون أوامر الإله . ولدينا أدلة على وجودهم في النقوش المصرية في « كتاب الموت » وفي « متون الأهرام » . ففي الفصل التاسع والعشرين من « كتاب الموت » نجد ما يناسب الفقرة التي في قصتنا تمويذة لمنع أخذ قلب الإنسان منه ، وهي : « ائتمنى أنت يا رسول أى إله ، هل أتيت لتحرقى قلبي هذا الذى أعيش به ؟ إني لن أعطيك إياه ، قلبي هذا الذى أعيش به . . . »

(٢) يظهر أن الغرب أو العالم السفلي هنا يقصد به أن يكون مكانا للنفى خاصة بالأشقياء وبعبارة أخرى ما يقابل جهنم عندنا .

(٣) لقد عثر على وصف ممتع للغرب (الجبابة أو عالم الآخرة) في قصيدة من أواخر الأسرة الثامنة عشرة (Proc. Soc. Bib. Arch, 35, 168)

« إن كل أقاربنا يرتاحون فيها منذ الأزل . وكذلك من سيولدون : (الملايين) منهم تلو (الملايين) سيأتون إليها جميعا ولا يتباطأ أحد عنها في مصر ، وليس هناك فرد واحد لا يقترب منها » . وكذلك في المصور المتأخرة نجد في قصة « خامواس » (Griffith. Stories of the High Priest of Memphis) أن الموتى قد مثلوا داخلين إلى الغرب (يعنى) لبعائهم « أوزير » ، فالتقى يدفع به إلى المارد المسمى « اما » (الملتهم) ، أما الفاضل فإن مكانه بين الأبرار الذين يحمدون « أوزير »

وبعد ذلك وصل خطاب « أوزير » إلى حيث كان رب العالمين الذي كان مع التاسوع ،
 فتسلم «بحوث» الجواب وقرأه أمام «رع حور أختي» والتاسوع .
 فقالوا : «إن «العظيم في فيضانه ورب الطعام» بحق في كل ماقاله . وهنا قال «ست» :
 اذهبوا إلى «جزيرة الوسط» ، وعلى ذلك يمكنني أن أتخاصم معه (هناك) . وعلى ذلك ذهب
 إلى «جزيرة الوسط» وقد أعلن أن «حور» صاحب الحق عليه . وعندئذ أرسل «آتوم»
 رب العالمين في عين شمس إلى «إزيس» قائلا : ايتي «ست» مكبلا بالأغلال . وعلى ذلك
 أحضرت «إزيس» «ست» مكبلا بالأغلال مثل السجين .

فقال له «آتوم» : لماذا لم تقبل أن يفصل بينكما (حسب القانون) ، بل بحثت لتفتصب
 لنفسك وظيفة «حور» ؟ فقال «ست» : ليس الأمر كذلك ياسيدي الطيب قط — مر بأن
 ينادى «حور» بن «أوزير» ثم يعطى وظيفة والده «أوزير» .
 فأحضر «حور» بن «إزيس» ، ووضع التاج الأبيض على رأسه وأجلس على عرش
 والده «أوزير» . ثم قيل له : «إنك ملك مصر الطيب ! وإنك الرب الطيب لكل بلاد
 أبد الآبدين !»

وعندئذ رفعت «إزيس» صوتها عاليا أمام ابنها «حور» وقالت : «إنك الملك الطيب
 وإن قلبي لفي سرور عندما تنير الأرض بهائك» .

وإذ ذاك تكلم «بتاح» العظيم القاطن جنوب جداره ، رب «عنخ — ناوى» (منف) :
 ما الذى ينبغى أن يعمل لست (الآن) ؟ إذ تأمل . فإن «حور» قد جلس في مكان والده
 «أوزير» . وعندئذ قال «رع حور أختي» : «أتمنى أن يسمح «لست» بن
 «نوت» أن يسكن معي بمثابة ابن ، وكذلك ينبغى أن يرفع صوته في السماء (يرعد) وأن
 يخاف الإنسان في حضرته» .

وعندئذ أتى من يبلغ «رع حور أختي» : «أن «حور» بن «إزيس» قد نصب
 حاكما . وعلى ذلك فرح «رع حور أختي» فرجا شديدا وقال للتاسوع : «أقيموا
 الأفراح في كل البلاد «لحور» لابن إزيس !» . ولكن «إزيس» قالت : «إن «حور»
 قد نصب حاكما ، والتاسوع في سرور ، والسماء في حبور ، وهم يأخذون أكليل الأزهار
 عندما يشاهدون «حور» بن «إزيس» ، وكيف أنه نصب حاكما عظيما لمصر»
 أما التاسوع فإن قلوبهم كانت فرحة وكل البلاد في حبور عندما رأوا «حور»

ابن « إزيس » ، وكيف أنه قد أخذ وظيفة والده « أوزير » سيد « أبو صير » . لقد انتهى
بخير في طيبة في مكان الصدق (٩)

قصة سياحة ونأمون

ملخص الفصة :

كان القارب الرسمي المشهور المسمى « وسرحات » الذي كان يستعمله « آمون » طيبة
في حاجة إلى خشب من أرز لبنان ، وكان ذلك سهلاً مادامت مصر قوية . ولكن حوالى
سنة ١١٠٠ ق.م. كانت مصر ضعيفة فلم يكن لديها المال ولا النقود لجلب ما يلزم لإعادة بناء
القارب من الخشب ، ومع ذلك فقد جمع المال بطريق التبرع واتفق على إرسال آمون نفسه
إلى « بيلوس » « جبيل » ، وقد اختير لهذا الغرض تمثال للآله يسمى « آمون الطريق »
وصاحبه « ونأمون » أحد موظفي المعبد (أسن رجال القاعة) ، وأخذ معه خطابات توصية
« لسمندس » ، و« تنتامون » لده بما يحتاج إليه في طريقه إلى بيلوس « جبيل » .

وصل ونأمون إلى « تانيس » مقر « سمندس » و« تنتامون » . وفي الشهر الرابع وصل
إلى « دور » في بحر سوريا العظيم . وهناك سرت نقوده فشكا إلى أميرها فلم ينصفه ، فاستمر
في سياحته إلى « زاكار بعل » أمير « جبيل » ، وقد قابل بعض الأهالي فسلمهم كيس نقود
تمويضا عما سأل به ، فغضب أمير « جبيل » لما حدث وأمر بطرده من ثقره ، ولكن « ونأمون »
لم ينفذ الأمر ، ودار حوار بينهما حول السفر والإقامة وسبب المجيء إلى بلاده ، وطلب تمنا
لما يراد منه ، وانتهى الأمر بإرسال سبع قطع من الخشب إلى مصر ، وأرسل « سمندس »
« وتنتامون » هدايا كثيرة فرح لها الأمير ، وحشد جمعا من الرجال والثيران لإعداد الخشب
المطلوب . وبعد أن جهز الخشب على شاطئ البحر جاءت سفن من « زاكار » للقبض على
« ونأمون » وسجنه وللحيلولة دون سفر الخشب إلى مصر ، فأبى الأمير أن يقبض عليه في
أرضه وأرسله بعيدا عن بلاده ، فسأقت الريح سفينه إلى أرض « إرسا » وخرج أهلها ليقتلوه ،
فلجأ إلى ملكها ، ثم كسرت البردية بعد ذلك ، فلم يعلم كيف نجا « ونأمون » من أخطاره ؟
وهل حقق الغرض من رحلته أم رجع كما ذهب .

دراسة القصة :

هذه القصة تعد من أدب الدولة الحديثة الراقى ، وإذا قسّمها بغيرها من قصص الدولة الوسطى كقصة «سنوهيت» الراقية المفزى والتعبير ، أو قصة «الغريق» السهلة التناول المذبة الأسلوب ، وجدت أهم ميزة لقصتنا هذه الوصف الحى الذى تضعه أمامنا ، والحوار الحاد المتمتع الذى تعرضه على أسماعنا . وأهم من هذا وذاك البيئة التى أظهرها القاص فيها ، والجو الذى نقل القارىء إليه ، والنواحي النفسية التى تناولها كإبراز أخلاق «ونأمون» أهم شخصية فيها ، وبيان أن الأسرة العشرين التى انحطت قوتها أهجّز من أن تجلب لمصر ما اعتادت الأسر القوية أن تفعله ؛ فلم يكن فى مقدور حاكمها أن يصدر أمراً فى مصر لينفذ فى لبنان . ولقد سرد الكاتب قصته بطريقة جميلة حتى لترسخ فى ذهنك صورة أمير «جيبيل» فى حجرته العليا ، وظهره مستند إلى شرفتها ، وأمواج البحر السورى تتلاطم من خلفه ، وحتى تشارك ونأمون أساء لهروب أحد أتباعه بما كان عنده من ذهب وفضة ، وحتى لترى لخدلانه عندما طوب بإبراز ما يتسلح به من توصية أو عدة ، وحتى لتبكي معه سوء طالعهم عندما رأى الطيور تنزح للمرة الثانية إلى مصر وهو على حاله من الخيبة والفشل فى سوريا مقيم .

وقد وضع الكاتب أمام أعيننا صورة مدهشة لتدهور الدولة المصرية وسقوطها ، مشربة باعتقاد رقيق مؤثر فى قوة آمون ، وقدرته على انتشالها من هذبتها وإعادتها لما كانت عليه فى غابر الأزمان .

وهذه القصة جديرة بأن توضع جنباً لجنب مع بعض أحسن القصص التى وردت فى التوراة مثل قصة «يونس ورسالته» أو «قصة راعوت فى وسط القمح» ، مع فارق واحد هو أن قصتنا قد سبقت كلاً منهما بنحو خمسة قرون ، كما أنها تقدم لنا صورة حية عن السياحة وعن التجارة فى شرق البحر الأبيض المتوسط ، وتساعدنا على تصور ذلك العالم على حقيقته كما كان ، ذلك العالم الذى لا تزال صورته تتمتع بها فى قصة «الأوديسا» بأسلوبها البسيط الخالى من المحسنات العميقة القديمة . هذا إلى أن القاص يستميلنا أكثر من هذا بنسكاته الدقيقة التى تجرى على لسانه من غير تكلف أو اصطناع .

المصادر :

عثر على هذه البردية الأستاذ جولنيشف الروسى ، وهى الآن فى موسكو وقد ترجمها وعلق عليها سنة ١٨٩٩ وأهم من ترجمها أو كتب عنها :

- (1) Erman, Zeitschrift für Aegyptische Sprache, XXXVIII, p.p. 1. f.f.
- (2) Erman, "The Literature of the Ancient Egyptians", (translated by Blackman), p. 174.
- (3) Eric Peet, "A comparative study of the Literature of Egypt, Palestine and Mesopotamia", p. 47. f.f.
- (4) Maspero, "Popular Stories of Ancient Egypt," p. 202.
- (5) Wiedmann, Altägyptische Sagen und Märchen, (Leipzig, 1906), p.p. 94 — 113.
- (6) Breasted, "Ancient Records of Egypt", Vol. IV, p.p. 274 f.f.

من الفضة

في اليوم السادس عشر من الشهر الثالث من فصل الصيف سنة خمس سافر في هذا اليوم « ونأمون » أكبر رجال قاعة إدارة « آمون » الكرنك ليحضر الخشب للسفينة الكبرى المعظمة الخاصة « بأمون رع » ملك الآلهة ، وهي التي على النهر وتسمى « ونسرحات آمون » . ففي اليوم الذي وصلت فيه إلى « تانيس » مقر « سمندس » و« تنتامون » أعطيتهم خطابات « آمون رع » ملك الآلهة . وقد قرئت في حضرتيهما وقالوا : « نعم سنفعل كما قال سيدنا « آمون رع » ملك الآلهة ، وقد مكثت إلى الشهر الرابع من الصيف في « تانيس » ثم أرسلني « سمندس » و« تنتامون » مع قائد المركب « منجبت »^(١) . وفي اليوم الأول من الشهر الرابع من فصل الصيف نزلت في بحر سوريا العظيم . وقد وصلت إلى « دور » وهي مدينة « للزكار »^(٢) وقد أمر « بدر » أميرها بالحضار (؟) رغيغ لي وإناء من النبيذ وساق ثور^(٣) . وقد ولي الأدبار أحد رجال سفينتي سارقا : أواني من الذهب . . . يبلغ مقدارها خمسة دين^(٤) . وأواني فضة أربعاً يبلغ مقدارها عشرين دينا . وفضة في كيس يبلغ مقدارها ١١ دينا ، فجموع ماسرق خمسة دين من الذهب وواحد وثلاثون دينا من الفضة ، وكان في الكيس قطع من الفضة كانت تستعمل للتعامل زيادة على الأواني (هذا مبلغ عظيم كان لا بد أن يستعمل معظمه لشراء الخشب) .

وفي الصباح نفسه (؟) استيقظت وذهبت إلى حيث كان الأمير وقلت له : « لقد سرق

(١) كما سيوضح بعد : هو اسم قائد سوري أي فينيقي

(٢) شعب كان قد غزا ساحل فلسطين منذ ثمانى سنوات مضت .

(٣) هدية له .

(٤) الدين ٩١ جراما

في ثغرك . ولما كنت أمير هذه الأرض وشرطيها فابحث عن نقودى . وفى الحق أن المال ملك « آمون رع » ملك الآلهة ورب الممالك ، وهو ملك سمندس وملك « حرجور » سيدى ، وملك عظماء مصر الآخرين^(١) ومن ملكك أنت ومن مال « ورت » ملك « مكرم » و « زاكار بعل » أمير « جبيل »^(٢) . فقال لى : أنت مؤذأم مسالم^(٣) ؟ انظر . أنا لا أفهم شيئا فى هذا الموضوع الذى حدثتني عنه . لأنه لو كان اللص الذى دخل السفينة وسرق المال من بلادى حينئذ كنت أدفعه لك ثانية من خزانتي إلى أن يعرف اللص المذكور . ولكن الذى سرقك هو منك وتابع لسيفيتك . فانتظر هنا بضعة أيام حتى أبحث عنه . وقضيت تسعة أيام مقبياً فى ثغره ، ثم ذهبت إليه وقلت : « انظر . إنك لم تجد نقودى (فسأقلع أنا) مع القائد ومن سيسافرون » .

وفى الكسر الكبير الذى فى الورقة البردية فى هذا المكان يمكن أن تقدر أن عبارة كالأنيية قد قيلت . قامت مناقشة حادة بين « ونأمون » وأمير « دور » إذ قال له « أئزم الصمت » وقد أساء له إنسان النصيحة بأن يعمل مثل غيره على أن يسترد ماله ثانية بنفسه أى : يذهبون ليجثوا عن سارقهم — ومن ثم أتى إلى « صور » ؟ وأنييت فى الفجر من صور . واستمر فى سياحته إلى زاكار بعل أمير « جبيل » . ولسوء الطالع قابل بعض أهالى « زاكار » فى خلال سياحته وظن أنه محق فى أن يعوض على نفسه السرقة التى كان هو فريستها فى مدينتهم من متاعهم ، فسلب منهم كيساً (٩) : « وَجِدْتُ فيه ثلاثين ديناً من الفضة . فأخذتها . فاشتكوا ولكنه أجاب : (حقاً أنها) نقودكم غير أنها ستبقى معي إلى أن توجد نقودى . وعلى ذلك أوجد لنفسه أعداء من أهالى « زاكار » ثم ذهبوا ، ووصل هو إلى ثغر « جبيل » . وهناك بحث لنفسه عن مكان أمين : وقد خبأت فيه « آمون الطريق » ووضعت فيه متاعه^(٤) . ولكن أمير « جبيل » لم يظهر ارتياحه لزيارة رجل لم يكن على وثام مع « الزاكارين » ، فأرسل إلى أمير جبيل وقال : « اخرج من ثغرى » (لم يبق من جواب « ونأمون » على هذا الطلب إلا الكلمات الأخيرة) : « إذا كان هنا

(١) الذين جمعوها

(٢) هؤلاء هم الأمراء الفينيقيون الذين سيوزعم والذين سيكون لهم نصيب من النقود عندما

يجدها ثانية .

(٣) يحتمل أنه يريد أن يقول يمكنك أن تضرب لجوابى . غير أن هذا الأمر لا يعينى لأن السارق

ليس من رعاياى

(٤) نقود زاكار ومتاع ونأمون

أناس على سفر فدعهم يأخذوني إلى مصر . (والظاهر أن « ونأمون نفسه كان مستعداً تماماً ليتخلى عن هذه الرحلة الفاشلة ، غير أنه لم يكن لديه أى فرصة ليسافر آمناً إلى وطنه إذا لم يضمن له أمير « جبيل » مكاناً أميناً على ظهر مركب مسافر إلى مصر . ثم يستمر المتن) : وأمضيت تسعة عشر يوماً في ثغره ، ولكنه استمر يبعث إلى كل يوم قائلاً : « اخرج من ثغرى » . وبينما كان يُقدم القرابين لآلهته أصاب الإله أحد شبانه النبلاء (١) فصار مخبولاً وقال : « احضر الإله هنا ؟ احضر الرسول الذي معه إنه آمون الذي أرسله ، إنه هو الذي جعله (٢) يأتى . »

وهكذا استمر الشاب المخبول في خبله طول الليل ، في حين أتى وجدت سفينة مقلعة إلى مصر وكنت أنقل كل ماعندى على ظهرها ، وكنت أرقب الظلام حتى إذا أسدل ستاره أنزل الإله حتى لا تراه عين أخرى . وأتى إلى رئيس الثغر قائلاً : « امكث إلى الصباح تحت تصرف الأمير » ، فقلت له : أأست الذى لا يفتأ يأتيت كل يوم قائلاً : اخرج من ثغرى ولم تقل قط « ابقى ؟ » . والآن سيدع الأمير المركب التى وجدتتها تسافر ، ثم تأتى أنت إلى ثانية قائلاً : « فلتذهب ؟ »

فذهب وأخبر الأمير بذلك ، ولكن الأمير أرسل إلى قائد المركب قائلاً : « امكث إلى الصباح تحت تصرف الأمير » .

ولما جاء الصباح أرسل إلى وأحضرني أمامه والإله بقى في ... الذى كان فيه على ساحل البحر ، فوجدته قاعداً في حجرته العليا وظهره متكئ على النافذة وأمواج بحر سوريا العظيم تتلاطم من خلفه ، فقلت له : « رحمة (؟) آمون ! فقال لى : ما المدة التى قضيتها منذ أتيت من مقر آمون (٣) إلى الآن ؟ . فقلت له : خمسة شهور كاملة إلى الآن .. فقال لى : « أحقا تكلم الصدق ؟ وأين إذاً مكتوب رئيس كهنة آمون الذى يجب أن يكون معك » فقلت له : أعطيتها « سمندس » و « ننتامون » . ففضب جداً وقال لى : « انظر . ليس لديك كتابة ولا خطاب ، فأين على (أقل) تقدير سفينة خشب الأرز التى أعطاهها إياك « سمندس » ؟ وأين نواتيها السوريون ؟ حقا إنه لم يسلمك لربان هذه السفينة لتذبح وتلقى في البحر فن أين إذاً أتوا ؟ بالإله ، وأنت أخبرني من أين أتوا بك ؟ » وهكذا تكلم إلى وقد قلت له : « ولكنها سفينة

(١) يقصد بالشبان الوصفاء أو من على شاكلتهم

(٢) وقد كان نبأ حضور تمثال الإله أخذ ينتشر بين حاشية الملك

(٣) الأسئلة الآتية كلها ترمى إلى اعتبار ونأمون محتالاً .

مصرية ونواتها مصريون يسيحون « لسمندس » وليس لديه ملاحون سوريون ^(١) » فقال لي : « ولكن يوجد في ثغرى عشرون سفينة مشتركة مع «سمندس» ، وفي «صيدا» التي مررت بها سائحا أيضا خمسون مركبا مشتركة مع «بركات أيل» ^(٢) وهي تسافر إلى بيته . » وقد كنت صامتا في تلك اللحظة الرهيبة . فأجاب قائلا : « لأى داع أتيت إلى هنا ؟ » فقلت له : « أتيت من أجل الخشب اللازم للسفينة العظيمة الشأن ملك «آمون» ملك الآلهة ، وقد كان والدك وجدك معتادين أن يفعلوا ذلك وأنت ستفعل كما فعلا أيضا »

وهكذا تكلمت معه . فقال لي : « حقيقة قد فعلا ذلك ، وإذا أعطيتني شيئا مقابل تنفيذ هذه الرغبة فعلتها . وفي الحق أن قومي قد أنجزوا هذا الأمر ، ولكن الفرعون قد أرسل ستة مراكب هنا محملة بسلع مصر وقد أفرغوها في مخازنهم ، فعليك إذا أن تحضر لي أنت بعض الشيء أيضا ، ثم ذهب وأحضر سجلات والده اليومية وأمر بقراءتها بصوت عال في حضرتي ، وقد وجد أن مداخل في سجله يبلغ ألف دين من كل أنواع الفضة ^(٣) »

وقال لي : « إذا كان حاكم مصر سيد أملاكى وكنت أنا خادمه أيضا لم يكن لزاما عليه أن يرسل فضة ولا ذهباً حينما يقول « نفذ أمر آمون » . على أنها لم تكن هدية ملك ^(٤) ، التي أعطوها والدى . وأنا لذلك لست خادمك ولا خادم من أرسلك ^(٥) . وإذا بعثت إلى لبنان فإن السماء تفتح وتكون الأشجار ملقاة هنا على شاطئ البحر ^(٦) . أعطني القلاع التي أحضرتها معك لتقطع بسفنك التي تمود بالخشب إلى مصر . أعطني كذلك الجبال التي أحضرتها معك لتربط بها بإحكام ^(٧) ؟ إل ... شجر الذى سأقطعه حتى أصنعها ... لك ... لأنك من غير كل هذا لا يمكنك أن تسافر بالخشب ، وإذا صنعتها لك قلاعاً لسفنك فإن أطرافها ستكون ثقيلة أكثر من اللازم وتنكسر إلى قطع ، وتهلك أنت في وسط البحر . وتأمل إن آمون يرعد

(١) أسئلة لا قيمة لها . فإدام صاحب السفينة مصريا فالبحارة الفينيقيون يمكن اعتبارهم مصريين كذلك

(٢) ومعنى هذا الاسم « نعمة الله »

(٣) يقصد أواني وقطعا فضية

(٤) يريد أن يعلق أهمية على أن النفود كانت مقصورة على ثمن شراء الخشب فقط

(٥) فهو بكل احتقار يمين بالذات الكاهن الأعلى

(٦) ولما كانت هذه الأشجار نامية على جبال عالية فإن تساقطها من أعلى يدفع بنا إلى الظن أنها

ساقطة من السماء

(٧) أحال من الخشب إذا لم تكن مربوطة بإحكام تكون خطرا على السفينة

في السماء ويجعل « سوتخ »^(١) يثور (؟) في وقته . لأن آمون^(٢) قد أمد كل البلاد ، وقد أمدهم كما أمد أرض مصر التي أنبت منها فقد أمدها أولا . لأن الشغل الدقيق قد أتى منها إلى مقرى ، وكذلك التلميم أتى منها ليصل إلى مقرى . فها هذه السياحات الصبانية التي جعلوك تقوم بها ! « فقلت له : « صه . إنها ليست سياحات صبانية مطلقا التي أقوم بها ، فليست هناك سقينة على الماء الا وهي ملك لآمون . فانه هو البحر ولبنان ملكه وهي التي تقول عنها « إنها ملكي » لأنها مزرعة للسقينة « وسرجات آمون » رب كل سفينة . وفي الحق هكذا تكلم « آمون رع » ملك الآلهة قائلا « لحارحور » سيدى : أرسلنى^(٣) واجعلنى أسافر مع هذا الإله العظيم . ولكن تأمل . لقد جعلت هذا الإله العظيم يعضى ٢٩ يوما ، وبعد ذلك نزل إلى ثغرك وأنت تعلم تماما أنه كان هنا ! وهو لا يزال على ما كان عليه أبديا ، وأنت تقف الآن وتريد أن تساوم عن لبنان مع ربها آمون . أما من جهة قولك : إن الملوك السالفين أرسلوا فضة وذهباً فإذا كانوا قد قدموا الحياة والصحة فإنهم كانوا في غنى عن إرسال هذه الأشياء . وقد فضلوا أن يرسلوا إلى آبائك هذه الأشياء بدلا من الحياة والصحة^(٤) .

« والآن من جهة « آمون رع » ملك الآلهة فإنه هو رب الحياة والصحة ، وقد كان رب آبائك الذين قضوا مدة حياتهم يقدمون القربان لآمون ، وأنت كذلك خادم لآمون . والآن إذا قلت : نعم سأفعلها ونفذت أمره فإنك ستعيش وتفلح وتكون في صحة جيدة وستكون محسنا إلى كل الأرض وإلى قومك . ولكن لا تأخذ شرها لنفسك أى شئ خاص « بآمون رع » ملك الآلهة ، حقا أن السبع يجب متاعه !

« دع كاتبك يحضر إلى حتى أرسله إلى « سمندس » و « تنتامون » قائدى الأرض ، وهما اللذان قد منحهما آمون الجزء الشمالى من أرضه ، وسيرسلان كل ما يحتاج إليه وسأكتب أنا إليهما قائلا : أرسلها (أى الأشياء) حتى أعود للجنوب وأرسل لك كل ما أنا مدين به لك » وهكذا تحدثت له . وقد سلم خطابى إلى يد رسوله ثم حمل خشب قعر المركب والمقدمة والمؤخرة وكذلك أربع قطع أخرى ، أى أن المجموع كان سبع قطع ، وأمر بإرسالها إلى مصر .

(١) يعتبر « سوتخ » إله العاصفة وهو إله أسبوى الأصل

(٢) يتكلم عن آمون « كالاله الأعلى » وشعبه يجب أن ينظر إليه بعين الاحترام مراعاة للاله وللمصر

(٣) نأمون نفسه هو الذى أمر بسفر تنثاله بواسطة الوصى

(٤) الحياة والصحة هي البركة التي يمنحها الآلهة . وهذا ما أحضر لك بواسطة تنثال الإله . وهذه

بلا شك أفضل من المال الذى كنت تنسله في الزمن الماضى .

وقد ذهب رسوله إلى مصر وعاد إلى في سوريا في أول شهر من الشتاء وأرسل إلى « سمندس » و « تننامون » .

عدد

ذهب ٤ أباريق وإناء كما كنت .

فضة ٥ أباريق .

ملابس من الكتان الملكي عشر قطع .

عدد

كتان جيد من الوجه القبلي ١٠ خرد

بردى جميل : ٥٠٠

جلود ثيران : ٥٠٠

حيال : ٥٠٠

جولق عدس : ٢٠

سلة سمك : ٣٠

وكذلك أحضروا لي (١) : ملابس من كتان الوجه القبلي الجيدة : ٥ قطع وكتانا جديداً من الوجه القبلي : ٥ خرد .

عدد

عدس ١ جولق

سمك ٥ سلات

ففرح الأمير وخصص ثلثمائة رجل وثلثمائة ثور على رأسها ملاحظون لقطع الأخشاب ، وقد قطعوها وبقيت ملقاة طول الشتاء . وفي الشهر الثالث من الصيف جُرت إلى شاطئ البحر .

وأتى الأمير ووقف عليها (أي الأشجار المقطوعة) وأرسل إلى قائلاً : تعال . ولما أحضرت بالقرب منه سقط ظل مروحته على ، ولكن بنأمون (٢) ساقيه وضع نفسه بيني وبينه قائلاً : « إن ظل فرعون ربك قد سقط عليك » وقد غضب (الأمير) قائلاً : « دعه وهذه » . وأحضرت بالقرب منه وأجاب قائلاً لي : « تأمل . إن الأمر الذي قد أدها آبائي في الزمن الماضي قد أدبته أيضاً ، وإن كنت أنت من ناحيتك لم تفعل لي ما فعله آباؤك لي . انظر . إن آخر

(١) أرسل هذا « تننامان » له شخصياً

(٢) رجل مصري . غير أننا لا نعرف كيف نحدد خبث هذه الحركة

قطعة من خشبك قد وصلت الآن وهامى قد كُوت . والآن افعل كما أريد وتعال لشحنها ، لأنها فى الحقيقة أعطيت لك . ولكن لاتأت لتشاهد أهوال البحر^(١) ، فإذا كنت ستشاهد هول البحر فشاهد هول أيضا . وفى الحق لم أفعل معك ما فعلوه مع رسل « خاموس^(٢) » حينما قضوا ١٧ سنة فى هذه الأرض ، وقد ماتوا حيث كانوا .

ثم قال لساقية : « خذهُ وأره قبورهم حيث يرقدون » وقلت له : « لا تُرنى إياها ! أما عن « خاموس » فإنه أرسل لك رجلا رسلا وكان هو نفسه رجلا وأنا ليس معى أحد من رسله ومع ذلك تقول : « اذهب وانظر إلى زملائك^(٣) » ألا يحسن بك أن تفرح وتأمّر بممل لوح تذكارى لك وتنقش عليه « آمون رع » الإله أرسل إلى رسوله « آمون الطريق » ومعه « ونأمون » رسوله من البشر من أجل الخشب اللازم لسفينة « آمون رع » ملك الآلهة العظيمة الفاخرة ، وأنى قطعها وشحنها وأرسلتها فى سفنى المجهزة بعلامى ، وقد أرسلتهم إلى مصر ليلتمسوا إلى حياة عشرة آلاف سنة من آمون ، أكثر مما هو مقدر لى وسيحقق ذلك . وحينئذ عندما يأتى رسول من أرض مصر فى الزمن المقبل عالم بالكتابة ويقرأ اسمك على اللوحة التذكارية فإنه سيقرب لك ماءً فى الغرب مثل الآلهة^(٤) الذين هنا . فقال « إنها لشاهدة عظمى على ما قد قصصته على » فقلت له : أما من جهة الأشياء العدة التى قلتها لى فانى لو وصلت إلى مقر كهنة آمون ونظر إلى ما وصيت^(٥) به فحينئذ سيجيبك إلى هذه التوصية بعض الشيء^(٦) . وذهبت إلى ساحل البحر حيث كان الخشب محزوما ولحمت إحدى عشرة سفينة تقترب فى البحر وهى من متاع « زآكار » وقد أتت بالأمر : خذوه سجيناً ولا تسمحوا لسفينة له أن تذهب إلى أرض مصر . وعند ذلك قمدت وبكيت . ثم أتى كاتب خطابات الأمير إلى وقال لى : « ماذا يؤملك ؟ » فقلت له : « لا ريب أنك ترى الطيور التى تذهب إلى مصر للمرة الثانية^(٧) . انظر إليها ! إنها تذهب إلى البرك الباردة ، ولكن إلى أى وقت سأترك هنا ؟ ولا شك أنك ترى هؤلاء الذين أتوا ثانية ليأخذونى سجيناً » . فذهب وأخبر

(١) أى أسرع وسافر ولا تجعل رداءة جو الفصل سببا فى بقاءك هنا

(٢) يحتمل أن يكون رمسيس التاسع . ونحن هنا لسنا فى موقف يمكننا أن نضمن فيه ما حدث بالضبط . ولكن على أية حال فإن هناك إشارة إلى تهديد فى هذه الحادثة

(٣) ومعنى ذلك أن مهمتى لها صبغة إلهية

(٤) أى الملوك الأموات الذين فى الغرب (أى الآخرة)

(٥) الخشب الذى تسلمه (٦) أى سندع محاولة الخشب الثانية

(٧) لقد مضى عام كامل منذ مغادرته طيبة . وسد ذلك يقول بشئ من المبالغة إنه يرى الطيور للسافرة للمرة الثانية تسافر إلى مصر

الأمير بذلك . فأخذ الأمير يكي بسبب الأخبار المحزنة جداً التي قيلت له ، وأرسل إلى كاتب خطاباته وأحضر إلى قدحين من النبيذ وكبشا وزيادة على ذلك أحضر لي « قفنتوت » وهي مغنية مصرية كانت معه قائلاً لها « غنى له ولا تجمل قلبه تسكنه الهموم » ، وأرسل إلى قائلاً : « كل واشرب . ! ولا تجمل قلبك مسكناً للهموم ، وستسمع كل ما أقوله غداً » وعند الصباح أمر ينادى ووقف في وسطهم وقال لرجال « زاكار » : « ما معنى مجيئكم هذا ؟ » فقالوا له : « قد أتينا وبحشنا وراء السفن التي يجب أن تحطم وهي التي ترسلها إلى مصر مع زملائنا » . فقال لهم : « أنا لا يمكنني أن آخذ رسول آمون سجيناً في أرضي . دعوني . أرسله بعيداً ، وعندئذ اقتفوا أثره لتأخذوه سجيناً (يظهر أن هذا كان نص القانون الدولي وقتئذ) .

فوضعتني على ظهر السفينة وأرسلني بعيداً عنه . . . إلى ثغر البحر ، فساقتني الريح إلى أرض « إرسا »^(١) وخرج أهل المدينة ليقتلوني وقد ساقوني بينهم إلى مكان سكن « حتب » ملكة المدينة ، وقد وجدتها حينما كانت آتية من أحد بيوتها داخلة إلى بيت آخر لها^(٢) وقد حينئذ قلت للناس الذين وقفوا بجانبها : « يوجد من غير شك واحد من بينكم يفهم المصرية » فقال أحدهم : « أنا أفهما » فقلت له : قل لسيدتي : « لقد سمعت أنه يقال من أول طيبة حتى إلى مكان « آمون » إن الظلم يفعل في كل مدينة ، ولكن الحق يفعل في أرض « إرسا » ، والآن كذلك يفعل الظلم كل يوم هنا » . فقالت لي : « ولكن ما الذي تعنيه بما تقول ؟ » فقلت لها : « إذا كان البحر قد هاج وساقتني الريح إلى الأرض التي تسكنونها فإنك لن تسمح ليهم أن يقبضوا على ليذبوني مع العلم بأن رسول « آمون » ، قد برى الأمر جيداً . إنني فرد سيجري البحث عنه باستمرار^(٣) . أما من جهة « ملاحي » أمير « جبيل » الذين يبحثون عنهم ليقتلوهم فإن سيدهم لو عثر على عشرة من ملاحيك كذلك سيقتلهم » وعلى ذلك أمرت بإحضار الناس فأحضروا أمامها وقالت لي : « أراقد ونم » . وهنا كسرت ورقة البردي ولا نعلم كيف هرب « ونأمون » من هذه الأخطار الجديدة ، وهل أفلح في إحضار الخشب إلى مصر ؟ وهل دفع ثمنه ؟ وهل « آمون الطريق » الذي لم يستفد منه شيئاً قط في السياحة رجع سالماً ثانية إلى الكرنك^(٤) أو لم يرجع ؟

(١) إرسا هي « قبرس » ولكن لا نعلم كيف تخلص من « زاكار » سليما

(٢) أي كانت في الشارع . (٣) لأنه شخصية كبيرة

(٤) « الكرنك » هو معبد الإله آمون العظيم في « طيبة » والظاهر أن هذه الكلمة معرفة عن لفظة « الخورق » وهو القصر المشهور . وقد جاءت هذه التسمية عن طريق العرب عند فتح مصر لما بين البنائين من التشابه . واسم معبد « آمون » بالمصرية هو « إبت - سوت » .

الحكم والتأملات

مقدمة :

تدل نتيجة البحوث التي قام بها علماء الآثار في تاريخ أدب العالم القديم أن مصر كان لها قصب السبق في الإنتاج الأدبي في باب الحكم والتأملات . فإن « بابل » و « آشور » لم تترك شيئا يستحق الذكر نسبيا في هذا المضمار .

أما فلسطين جارة مصر فقد أنتجت فيه إنتاجا عظيما ، وبخاصة في باب الأمثال والتعاليم الدينية وحكم سليمان و « الزمير » وكتاب « أيوب » وغيرها مما نبجده في التوراة من هذا النوع من الأدب .

والفكرة السائدة التي علقت بأذهان معظم المتعلمين أن الحكم المصرية والتعاليم التي وصلت إلينا عن المصريين ، كان الغرض الذي يرمى إليه الكاتب من تدوينها هو أن يكون موظفا كفتا وأن يؤدي عمله على الوجه الأكمل ، ويكون في مقدوره أن يكتب عن عمله تقريراً ليساعده على الظهور في مجال الحياة وحسب . ولكن من يعمق في النظر إلى كتب الحكمة المصرية يجد أن الكاتب المصري لم يكن غرضه الوظيفة أو جمع ثروة في الحياة فقط ، بل كان يرمى إلى معان أسمى من ذلك ومقاصد أنبل ، تخلد ذكره وترفع من شأن قومه ؛ لأنه كان يرمى إلى أن يفتح أمامهم أبوابا لدروس الحياة في نواحيها المختلفة ، ويرشد المرء إلى الطريقة التي يمكنه بها أن يتحدث مع غيره ، ويحجب عما يسأل عنه بأجوبة سديدة قولاً وكتابة ، مما يمهده له سبل الفلاح في الحياة الدنيا ويجعله مقبولا في الآخرة .

ولقد كان الكاتب يشعر بأنه إذا أجاد في نشر تعاليمه القيمة خلّد اسمه ، وعاشت حكمته على مر الأيام والدهور ، من أجل ذلك جرت العادة أن يختار المؤلف أعز الناس إليه ليضع أمامه تعاليمه وحكمه حتى يحفظها ويعمل بها ويتوارثها نسله ، ولكنه من جهة أخرى كان ينظر إلى مؤلفاته الأدبية نظرة من يريد لها البقاء ، فكان يطمئنها عين العناية ، ويبدل في تأليفها جهد الطاقة ، لأنها عنده أرفع مكانة من كل أغراض الحياة ، وأبقى من البروح المشيدة من « النحاس والحديد » ، لأن كل صروح الحياة في نظره عرض زائل . أما كتاباته وتأليفه الأدبية فهي التي ستبقى بعد زوال كل شيء ، وحتى بعد زوال نسله

وقد طالعنا الكشوف الحديثة بقفرة من كتاب على بردية من عهد الرعامسة ، تضع أمامنا صورة ناطقة تغير الاعتقاد القديم عن الكاتب المصرى ومراميه ، وفى الوقت نفسه تذكر لنا بعض أسماء الكتاب الذين خلّدت كتاباتهم أسماءهم . فمنهم من نعرفهم ومنهم من نجهلهم تمام الجهل ، مما يدل على قلة ما وصل إلينا عن الأدب المصرى .

وسنورد هذه القفرة هنا بدون تعليق مفصل ، ونترك الحكم فيها للقارىء ليرى كيف أن المصرى يقدر الأدب للأدب ، ولتكون بمثابة مقدمة لهذا الفصل وهى :

« ولكن إذا فعلت هذه الأشياء فإنك تصبح كاتباً حاذقاً ، والكتاب

المثقفون الذين يرجع عهدهم إلى عهد ورثة الآلهة ، وهم الذين تنبثوا بالمستقبل ، قد بقيت أسماءهم خالدة ، رغم أنهم تواروا عنا لا انتهاء أجلهم ، ورغم أن كل ذريتهم قد أصبحت نسياً منسياً . على أنهم فى ذلك لم يقيموا أهراماً من نحاس ، ولا صفائح قبور من حديد ، ولم يكن فى مقدورهم أن يخلقوا ورثة من الأولاد الذين ينبئ لهم أن يذكروا أسماءهم ؛ بل جعلوا لأنفسهم خلفاء من بعدهم من الكتب والتعاليم التى ألفوها . فقد نصبوا إضامات البردى التى كتبوها لتكون كاهناً مرتلاً ، وألواح الكتابة لتكون ابناً باراً ، وكتب التعاليم لتكون أهرامهم ، والقلم ابنهم ، ووجه الحجر (الذى يكتب عليه) زوجتهم (؟) وقد جعلوا الناس صغیرهم وكبيرهم أطفالاً لهم ، لأن الكاتب رئيسهم ، وقد أقيم لهم (بوابات) ومقابر (؟) ، غير أن مصيرها كان إلى الدمار . وكذلك طمست صفائح قبورهم بالأفذار ، ونسيت وانقرض كهنتها ، ولكن أسماءهم كانت تذكر عن مؤلفاتهم التى وضعوها ، وبقدر ما كانت عليه من الإتيان كان يكتب لذكر واضعها البقاء والخلود . فكان كاتباً ، وضع ذلك فى قلبك ، وبذلك يمكنك اسمك ، وإن مؤلفاً واحداً لأعظم فائدة من لوحة قبر منحوتة ، ومن جدران قبر (؟) أحكم تأسيسها ، لأن هذا يكون لك بمثابة مقاصير وأهرام فى قلوب من

ينطقون باسمه (الكتاب) . حقا إنه من الخير أن يكون اسم الإنسان في فم الناس في الجبانة . فالرجل يموت وجثته تصير جيفة قدرة ، وكذلك تصبح كل ذريته ترابا . ولكن الكتب (التي يؤلفها) تجعله مذكورا في فم من يلقاها . وإن كتابا واحدا لأكثر نفعا من بيت مؤسس ، ومن قبر في الغرب . وإنه لأجل من قصر منيف ، ومن نصب تذكارى (أقيم له) في معبد . فهل يوجد إنسان مثل «حردادف» ؟ وهل يوجد آخر مثل «أمحوتب» ؟ . على أنه ليس في عصرنا واحد مثل «نفرى» و «خيتى» ، وهو الرئيس بينهما وإنى أذكرك باسمين «بتاح - أم - تحوتى» و «خمخبر - رع - سنب» . وهل يوجد من يماثل «بتاح حتب» أو «كارس» ؟ وهؤلاء هم الحكماء الذين تنبؤوا بالمستقبل وقد وقع فعلا ما تفوهوا به ، وقد وجد كلام مدون في كتبهم . وقد منحوا أولاد غيرهم وورثة لهم ، كأنهم أولادهم الحقيقيون . وقد اختفوا ولكن سحرهم قد امتد تأثيره إلى كل الناس (؟) الذين قرءوا تعاليمهم ، ولقد ذهبوا ونسى اسمهم ، ولكن الكتابة جعلت المرء يذكرهم .

ولا بد أن أول ما يلاحظ القارئ في هذه الفقرة أن كاتبها يتمدح بفضل المؤلفين . وقد أسمدنا الحظ هنا أن يذكر لنا ثمانية من عظماء الكتاب نعرف بعضهم بأسمائهم ، وبعضهم بتأليفهم ، والبعض الآخر نجعله تماما . على أن معظم من نعرفهم يرجع عهدهم إلى الدولة القديمة ، مما يدل على أنها كانت ينبوع الأدب في ذلك العهد كما ذكرنا ذلك من قبل . فنعرف «حردادف» الذى ذكره الكاتب أولاً وقد عاش في عهد الملك «خوفو» ، وقد جاء ذكره في قصة «خوفو» والسحرة . وكذلك جاء ذكره في قصيدة الضارب على المود . وكذلك نعرف «أمحوتب» الحكيم المشهور الذى عاصر الملك «زوسر» أحد ملوك الأسرة الثالثة . أما «نفرى» فجهول لنا تماما . وأما «خيتى» فقد برهن الأستاذ «جاردنر» على أنه مؤلف التعاليم التى نسبت إلى «دواوف» خطأ وتعاليم الملك أمنمحات الأول . ومن المدهش أن يذكر لنا في هذه الفقرة اسم «الشاعر الحكيم» «خمخبر - رع - سنب» الذى حفظت لنا

من تأليفه لوحة كتابة محفوظة الآن في المتحف البريطاني، وسنوردها في باب التأملات . أما « بتاح حتب » فهو الحكيم الذي سنورد حكمه في افتتاح هذا الفصل . والاسم الأخير الذي جاء في هذه الورقة وهو « كارس » لا نعرفه قط ، وربما تجود الأيام بشيء من كتاباته في كشف جديد . والواقع أن الأدب الحكيم في مصر كما وصف لنا في تلك الفقرة الفذة يمكن تقسيمه إلى فرعين : التعليمي والتأملي . ومعظم ما وصل إلينا منهما ينسب إلى الدولة القديمة والعهد الإقطاعي والدولة الوسطى ، وقليل منه ينسب إلى الدولة الحديثة .

وسيرى القارىء فيما وصلنا من الحكم والأمثال والتعاليم أنه كان هناك نمو مطرد في أفق المؤلف من جهة مجال الموضوعات التي تحت حسه تمشياً مع المدنية واتساع رقعة البلاد ، وما أحرزه المصريون من التقدم في العمران وفي الأمور الدينية . وسيدرك ذلك القارىء عندما يوازن بين حكم « بتاح حتب » الذي ينسب إلى الدولة القديمة وبين حكم « أمنموبى » وتعاليمه التي تنسب إلى أواخر الدولة الحديثة . فكل من هذه وتلك تبحث في المبادئ القويمة ، ولكن شتان بين الدائرة الضيقة التي تنحصر فيها التعاليم الأولى والدائرة الثانية الفسيحة الأرجاء التي تنتشر في نواحيها التعاليم الثانية ، فالأولى تنحصر في البيت وما يحيط به والوظيفة وما تتطلبها ، والمعاملات مع الناس ، أما الثانية فتشمل الحياة من كل نواحيها ، وعالم الآخرة وما يستدعيه ، وما إلى ذلك مما ستراه . وسيرى القارىء أن الحكيم المصرى كان يحدد أهدافه التي يرمى إليها في تعاليمه في بداية مؤلفه ، ثم يذكرها القارىء في نهايتها ، وهو ما نشاهده في تعاليم « بتاح حتب » وتعاليم « خيتى » ، وتراها واضحة جليلة في تعاليم « أمنموبى » ، وكذلك تحس بها في تعاليم « آفى » وإن كانت غامضة بعض الشيء لما في المتن من الأخطاء .

وسيتناول بحثنا هنا الحكم والتعاليم أولاً ، مرجئين خص موضوع التأملات إلى ما بعد ذلك

الحكم والتعاليم

أهم ما وصل إلينا من هذا اللون من الأدب ثمان وثائق ، وهي حسب ترتيبها التاريخي :
حكم وأمثال « بتاح حتب » ، وتعاليم « كاجنى » وهما من الدولة القديمة . وتعاليم « مريكارع »
من العهد الإقطاعي . ووصايا امنمحات لابنه « سنوسرت » وتعاليم « سحتب اب - رع »
وتعاليم خيتي من الدولة الوسطى ، وتعاليم « آتى » وتعاليم « أمتموبى » من الدولة الحديثة .
ويرى القارىء من ذلك أن لدينا سلسلة متصلة الحلقات من هذا اللون من الأدب تمثل كل
عصر من عصور التاريخ المصرى .

غير أنه مما يؤسف له جد الأسف أن بعض هذه التعاليم وإن كانت تنسب إلى الدولة القديمة
إلا أنها لم تصل إلينا من نسخ أصلية من هذه الدولة ، بل وصلت إلينا من نسخ يرجع عهد
أقدمها للدولة الوسطى ، ولذلك نجد أن هناك فروقا فى الأساليب وفى المتن بين النسخ القديمة
وبين نسخ عصر الدولة الحديثة . وذلك لأن الكتاب كانوا يحورونها أحيانا تحويراً كبيراً
حسبما يتفق مع ذوق العصر ولغته . بل قد نرى أحيانا أن بعض الجمل كانت تشرح لعمومها
على التلاميذ كما سنشاهد ذلك فى بعض المتن حتى فى الدولة الحديثة ، يضاف إلى ذلك أن
معظم هذه النسخ التى ترجع إلى عهد الرعامسة كانت محشوة بأخطاء التلاميذ الذين كانوا
يكلفون نقلها . ومما يؤسف له أنها هى التى وصلت إلى أيدينا ؛ فإذا اتفق أنه وصلت إلينا نسخة
واحدة من هذا النوع كان من الصعب بل من المستحيل فهمها . ولكن لحسن الحظ قد
وقع فى أيدينا أكثر من نسخة لبعض هذه التعاليم . ولا تزال الكشوف تخرج لنا من
آن لآخر نسخاً أخرى من هذه المؤلفات القيمة فتسهل علينا حل بعض ما استغلق علينا منها .
من أجل ذلك سنضطر إلى استعمال النسخ القديمة أو الحديثة مفضلين الأسهل منهما . وعندما
نجد اختلافاً بينا فى التعبير أو المعنى نعرض كليهما . ومما هو جدير بالذكر هنا أن هذه التعاليم
لكثرة استعمالها وشيوعها كان التلاميذ يكتبونها على قطع من الخرف وشظيات من الحجر
الجبرى الملساء ؛ والسبب فى ذلك طبعاً غلاء ورق البردى وعدم كفايته لعدد جم من التلاميذ ،
ومعظم هذا الخرف يرجع إلى عهد الرعامسة ، وعثر منه حديثاً على كيات هائلة مكتوبة وعليها
فقرات عدة من هذه الحكم والتعاليم .

أمثال وحكم بتاح حتب^(١)

كان المصري عندما يشعر بدنو أجله يكتب وصيته فيقسم أملاكه ، وغالبا ما كان ينقش صورة من هذه الوصية على جدران مقبرته . على أن الأمر لم يكن يقتصر على ذلك ، بل كان أحيانا يخلف لابنه الأكبر نصائح وتعاليم عن تجاربه في الحياة وفي وظيفته لتكون عوناً له على أداء عمله الحكومى وعلى الضرب في الحياة على أحسن حال . وسيدرك القارىء أن الحكيم كان دائماً يشير إلى ما يرمى إليه في تعاليمه في افتتاحها وفي نهايتها

وأقدم من خلف لابنه نصائح من هذا النوع هو « بتاح حتب »

وقد ذكر لنا أنه كان وزيراً للملك « إسيسى » (٢٦٧٠ ق . م تقريباً) . وتدل النقوش على أنه كان لهذا الملك وزير يحمل هذا الاسم ، ولا يزال قبره معروفاً لنا في سقارة حتى الآن . وبالرغم مما يحوم من شكوك حول نسبة هذه الوثيقة إلى هذا الوزير ، فإنه من المؤكد أنها قديمة جداً . قد وصلت إلينا منها ثلاث نسخ يرجع عهد اثنتين منها إلى الدولة الوسطى ، والثالثة كتبت في الدولة الحديثة . ومن الجائز أن بعض هذه النصائح قد فاه بها هذا الوزير العظيم ، كما يحتمل أن بعض أمثال التوراة التى تنسب إلى سليمان قد فاه بها حكيمنا فعلاً .

ومهما يكن من أمر هذه التعاليم فإن الغرض منها إرشاد التلميذ وغيره إلى السير الحكيم والأخلاق الحسنة ، ثم ليكون أسلوبها هدفاً مثالياً يحتذيه التلميذ في تعبيره ، ليصبح ذا بصر بفنون الكلام ، وليعبر عما فى نفسه بلفه مختارة جديرة بموظف محترم ، وهذا هو السر فى ذبوعها فى عهد الدولة الوسطى ثم فى الدولة الحديثة .

ونجد فى النسخة التى من عصر الدولة الحديثة السبب الذى من أجله ألف « بتاح حتب » تعاليمه هذه . فيقول : لجلالة الملك « إسيسى »

« قد حلت الشيخوخة . وبدأ خرفها ، وامتلات الأعضاء آلاماً ، وظهر الكبر كأنه شىء جديد ، وأضحت القوة أمام الهزال ، وأصبح الفم صامتا لا يتحدث ، وغارت العينان ، وصمت الأذنان وأضحى القلب كثير

(١) وازن العالم « ديفو » بين كل النسخ التى عثر عليها من هذه التعاليم فى كتاب خاص

النسيان غير ذا كرامته والعظام تتألم من تقدم السن ، والأنف كتم فلا يتنفس ، وأصبح القيام والعمود كلاهما مؤلماً ، والطيب أصبح خبيثاً ، وكل ذوق قد وتي فتقدم السن يجعل حال المرء سيئاً في كل شيء .

فرني أصنع لى سنداً (عكازة^(١)) لكبر سنى ، ودع ابني يحتل مكانى ، فأعلمه أحاديث من يسمعون ، وأفكار من سلفوا ، وهم الذين حرموا السلف فى الأزمان الخالية ، وليتهم يعملون لك بالمثل ، حتى يتقى الشجار بين الناس وتخدمك مصر .

فأجاب جلالته : « علمه أولاً الحديث وإني أرجو أن يكون مثلاً لأولاد العظماء ، وليت الطاعة تكون رائده ، ويدرك كل فكرة صائبة ممن يتحدث إليه . فليس هناك ولد يحرز الفهم من تلقاء نفسه »

ولا أشك فى أن القارىء يرى فى هذا الوصف البديع للشيخوخة وفيما يهدف الناصح إليه من وراء تعليم ابنه ، صورة مدهشة من حيث الدقة فى التعبير ونفاذ البصيرة وضعها كاتب منذ آلاف السنين .

أما النسخة القديمة فقدمتها تختلف عن هذه . فقد جاء فيها :

« الكلام الحسن التعبير الذى نطق به الأمير العظيم الوزير
« بتاح حتب » عندما كان يعلم الجاهل العلم وقواعد الكلام المنسجم . فيا فلاح
من يصنى إليها ويا شقاء من يحيد عنها » .

ويبدو من هذا العنوان الذى كتب فى نسخة الدولة الوسطى أن الاهتمام بصياغة الكلام والأسلوب الحسن من أهم ما يعنى به الكاتب فى هذا العهد . كما توهنا عن ذلك من قبل . ولقد وافق الملك وزره « بتاح حتب » على تعليم ابنه (ابن الوزير) ليعمد للقيام بأعباء الواجبات الحكومية وللحياة حتى يكون مساعداً وخلفاً له ، فأخذ الوزير المذكور يسدى

النصح لابنه بالأشياء استئمال الحكمة التي سيليَّقنها . بل عليه أن ينهج سبيل التواضع
فقرأه يقول :

« لا تكونن متكبرا بسبب معرفتك ، ولا تكونن مستفخ الأوداج ، لأنك
رجل عالم ، فشاور الجاهل والعاقل ، لأن نهاية العلم لا يمكن الوصول إليها ،
وليس هناك عالم المسيطر على فنه تماما . وإن الكلام الحسن أكثر اختفاء من
الحجر الأخضر الكريم ، ومع ذلك فإنه يوجد مع الإماء اللاتي يعملن في إدارة
أحجار » الطواحين ^(١) .

ثم يعقب ذلك اثنتان وأربعون فقرة تنتظم نصائح مختلفة . ولكن المؤلف لم يبذل أى جهد
في ترتيبها أو تنظيمها ، بل كتب كل فقرة منها عفو الخاطر حسبما كان يجول في ذهن رجل
مُسن قد حنكته تجارب الحياة ومسئولياتها ، وأراد أن يطرحها عن كاهله إلى كاهل ابنه .
ونرى في حكمه الاهتمام القوى وحسن الذوق واستئمال الذهن الذي اعتاد أن يطلق عليه القلب
وقد كان أبرز الصفات القيمة التي يجدر بالشاب أن يتصف بها عنده هي أن يكون
قادراً على الإصغاء والطاعة ، فتجده يقول :

« إن الاستماع مفيد للابن الذي يصنفي (يطيع) . وإن المستمع يدخل
مثل إنسان قد استمع . ومن يستمع يصبح مستمعا ، فيكون حسن الإصغاء وحسن
الكلام . وإن من يستمع يكون مالكا للفائدة ، لأن الإصغاء مفيد للسامع .
والإصغاء أحسن من أى شيء . لأن من نتائجه الحب الجميل .

أجل بالابن الذي يصنفي عندما يتحدث إليه والده ! . فإنه سيصل إلى
الشيخوخة بسبب ^(٢) ذلك . وإن المستمع يحبه الله . ومن لا يستمع تبغضه الآلهة ،
والعقل هو الذي يشكل صاحبه فيكون مستمعا أو غير مستمع . وعقل الإنسان
هو حياته وسعادته وصحته ، أجل بالولد الذي يرى الواجب في أن يصنفي إلى

(١) يعني أفقر الفقراء

(٢) يطول عمره أى يبارك له فيه لكثرة ما أؤاد

والده ! . وما أعظم فرح الإنسان الذي يقول له الناس : « إنه ابن فضيلة كفضيلة سيد يستمع ! »

« أما المستمع الذي يقال له ذلك فإنه يكون فاضلاً منذ الولادة ، ومحترماً في نظر والده ، وذكره تكون في أفواه الأحياء الذين على الأرض ما داموا أحياء . أما النبي الذي لا يستمع فلن ينال نجاحاً ، إذ أنه يعتبر العلم جهلاً والطيب خبيثاً ، ويعرض نفسه كل يوم للوم ، لما يأتيه من كل شيء مكروه ، ويعيش على ما يموت الناس فيه ، والقول الخبيث غذاء فيه ، وأخلاقه إذن تكون معروفة للحكام ، ويموت حياً كل يوم ، ولن يعامله الناس مطلقاً بسبب السيئات الكثيرة التي يرتكبها كل يوم »

فن ذلك يتضح أنه منذ القرن السابع والعشرين كان السلوك أمراً يقوّم ، وحكمة ذات مقياس ، يرثها الابن عن والده ، وكان للنجاح في الحياة المكانة السامية ، وكانت السبل التي تحقق الوصول إليه عظيمة الأهمية ، ولذلك استفرقت هذه الأمور نحو تلك نصائح « بتاح حتب » ، فبعض هذه النصائح يوحى بالتخلق بالحذر في حضرة العظماء ، وبعضها يعرفنا آداب المائدة في حضرة الرئيس ، فيقول :

« إذا اتفق أنك كنت من بين الجالسين ^(١) على مائدة أكبر منك (مقاماً) نغذ ما يقدم لك حينما يوضع أمامك ، ولا تنظرنَّ إلا إلى ما وضع أمامك ، ولا تصوبن لحظات كثيرة إليه ، لأن ذلك مما تشمئز منه النفس (كا) ^(٢) إذا أحفظها الإنسان . وانظر بحضائك إلى أسفل إلى أن يحبك ، وتكلم فقط بعد أن يرحب بك ، واضحك حينما يضحك ، فان ذلك سيكون ساراً لقلبه ، وما

(١) كان المصريون يجلسون عند الأكل على موائد منخفضة ، ونظن أن المضيف المجدد كان يجلس على مائدة في الوسط والضيوف حوله على موائدهم
(٢) (كا) هي تلك القوة السكّانة في الإنسان التي يتوقف عليها سلوكه كما تنبئ ذلك هنا .
ولذلك يجب على الإنسان أثناء المحادثات الاجتماعية أن يتلافى كل ما يضايق نفس (كا) الآخر

تفعله يكون مقبولا ، لأن الإنسان لا يعلم ما في القلب ^(١) . والرجل العظيم يتوقف عزمه على أوامر نفسه ، حينما يجلس أمام الطعام . والرجل العظيم يعطى من بجواره « وقد خصص الناصح جزءاً كبيراً من حكمه لبيان الطرق السديدة الموصلة إلى حسن سير الأعمال الرسمية فقال :

« إذا كان رئيسك فيما مضى من أصل وضيع ، فعليك أن تتجاهل وضاعته السابقة ، واحترمه حسبما وصل إليه ، لأن الثمرة لا تأتى عفواً ، ولا تعيدن قط كلمات حمقاء خرجت من غيرك في ساعة غضب . التزم الصمت فإن هذا أحسن من أزهار (تفتف) . وتكلم فقط إذا كنت تعلم بأنك ستحل المعضلات . وإن الذى يتكلم فى المحفل لمفتن (يعنى فى الكلام) ، وصناعة الكلام أصعب من أى حرفة أخرى .

وعليك أن تقدم للأمير نصيحة تساعدك ، لأن قوتك تتوقف على مزاجه ، وبطن الرجل المحبوب يعلأ ، وظهره يكسى تبعاً لذلك

« كن عميق القلب نزر الكلام ... وكن ثبت الجنان طالما تتكلم ، فمضى أن يقول الأمير الذى يسمع كلامك : ما أسد الكلام الذى يخرج من فم ! »

ولا نزاع فى أن الدافع لمثل تلك النصيحة هو اتباع سياسة دنيوية مبنية على اليقظة والتفطن ونرى أن ذلك السياسى الحنك كان ذا نظرة ناقبة فى انتهاز الفرصة لمصلحته ، مع أنه لم يحرم فى الوقت نفسه حاسة الإدراك لما هو أثنى من ذلك ، إذ أن علمه بتقلبات الدهر قد علمه التواضع ، ولذلك قال ينصح ابنه :

« إذا أصبحت عظيماً بعد أن كنت صغير القدر وصرت صاحب ثروة بعد أن كنت محتاجاً فلا تنسين كيف كانت حالك فى الزمن الماضى ، ولا تنفن بثروتك التى أتت إليك منحة من الإله (الملك) ، فإنك لست بأحسن

(١) يجب أن تكون متحفظاً فى حضرة الرجل العظيم لأنك لا تعرف طبائعه

من أقرانك الذين حل بهم ذلك (أى الفقر) »

وفضلا عما تقدم فقد رأى أن حياة الموظف المدنية محفوفة بالمخاطر ، ولذلك يقول ناجحا :
(« احترس من الأيام التى يمكن أن يأتى بها المستقبل . »
ولمذ أن يكون من أصالة الراى أن يمنع غيره أموالا كثيرة بحسن نية لما يخبئه المستقبل .
كما يقول :

« أشيع أصدقاءك بما جد لك بسبب نيلك الخطوة عند الإله (أى الملك) ،
إذ لا يوجد إنسان يعرف مصيره إذا فكر فى الغد ، وإذا اعترى حظوته لدى
الملك شىء فإن الأصدقاء هم الذين لا يفتشون يقولون مرحبا فملكك أن
تستبقى ودم لو قت السخط الذى يهدد الإنسان . ولكن سترى فيما بعد ، أنه
حينما تسوء حظوتك فإن فضيلتك ستكون فوق أصدقائك »

وتراه هنا ينصح الإنسان بأن يتحرى أخلاق أصدقائه فيقول :

« إذا كنت تبحث عن أخلاق من تريد مصاحبته فلا تسألنه ، ولكن
اقترب منه وكن معه وامتنع قلبه بالمحادثة ، فإذا أفشى شيئا قد رآه أو أتى أصرا
- يجعلك تحجل له فاحذر عندئذ حتى من أن تجيبه . »

ولقد كانت مسئوليات الأسرة فى نظره أهم من الأصدقاء ، فتراه يتحدث عنها قائلا :

« إذا كنت رجلا ناجحا فوطد حياتك المنزلية وأحب زوجتك فى البيت
كما يجب . »

وفى نسخة حديثة يقول :

« إذا كنت رجلا ناجحا فأسس لنفسك بيتا واتخذ لنفسك زوجة تكون
سيدة قلبك . »

فترى فى المتن القديم أنه يجعل الحب أساسا لبناء عش الزوجية . ولكنه الحب العملى
الذى يجب على الزوج لزوجته ، ولذلك يستمر قائلا :

« أشبع جوفها واستر ظهرها » .

ومطالب المرأة كثيرة لا تقف عند حد ، ولكن ما تعتر به المرأة الحديثة وتشاركها فيه أختها القديمة في مصرنا من التطور ينحصر فيما غلا من الروائح والدهان . ولم ينس حكيمنا أن يذكر بها ابنه إذ قال :

« إن علاج أعضائها هو الدهان » .

وبذلك يرى ذلك الوزير المحنك أن الزوج الكيس هو الذى يجعل زوجته سعيدة أولاً بالحببة التى يلزمه أن يفسح لها فى قلبه المكان الأول ثم يتبع ذلك بقضاء حاجتها من غذاء وملابس ، ثم الكاليات كالعطور ، ونراه يقول :

« اجعل قلبها فرحاً ما دمت حيّاً فهى حقل مشمر لسيدها » .

وهذا التشبيه الأخير جاء فى القرآن بعد مضى خمسة وثلاثين قرناً فى قوله تعالى : « نساؤكم حرث لكم » (سورة البقرة آية ٢٢٢) .

أما عن الأبوة فقد كان « لبّاح حتب » آراء خاصة فيها إذ يقول :

« إذا كنت رجلاً ناجحاً وكان لك بيت ، وولد لك ابن اكتسب رضا الإله (الملك) فإذا عمل صالحاً ومال إلى طبعك ، وسمع نصائحك وكانت خططه ذات نتائج حسنة فى بيتك ، وكان معنياً بمالك كما يجب ، فابحث له عن كل شىء حسن ، فهو ابنك الذى ولدته لك نفسك (كا) ، ولا ينفرد قلبك منه ، ولكن إذا عمل سوءاً وأعرض عن خططك (أى أوامرك) ولم يعمل حسب نصائحك وصارت خططه لا قيمة لها ، وتحدى كل ما تقوله . . . عندئذ أقصه لأنه ليس ابنك ولم يولد لك . . . »

ومع أن ذلك الوزير كان يفقه جيداً الرغبة فى النجاح الديبوى ، وإحراز الثروة إلا أنه كان يرى ألا تطغى المادة على الروابط الأسرية . فقرأ يقول :

« لا تكونن شرها فى القسمة ، ولا تكونن ملحاً فى الحق ، ولا تطمعن فى مال أقاربك ، فإن الالتماس باللين يجدى أكثر من القوة . فإن القليل الذى

يختلس يولد المداوة (حتى) عند صاحب الطبع اللين (يعنى الحليم)
ولما كان الطمع من أهم الصفات الذميمة الداعية لتفكك روابط الأسرة المتماسكة قال
يحذر منه :

« إذا أردت أن يكون خلقك محموداً ، وأن تحرر نفسك من كل قبيح
فاحذر الشراة فإنها مرض عضال ، والصداقة معها مستحيلة ، لأنها تجعل
الصديق العذب مرأ ، وتقضى ذا الثقة عن سيده ، وتجعل كلا الأبوين قبيحا ،
وكذلك الاخوان ، وتفرق بين الزوج وزوجه وهى حزمة فيها كل أنواع
الشر ، وعيبة بها كل شئ مردول ، وإن الرجل الذى يتبع طريقة حققة فى سلوكه
ويسير على صراط سوى يعيش طويلا ، ويكسب الغنى بذلك . ولكن الشره
لا قبر له »

وقد شفع « بتاح حتب » هذا البحث الذى يدل على ما للروابط الأسرية عنده من
القيمة العظيمة فى بيت الإنسان ، بوجوب احترام أهل بيت غيره ، ولو كان من غير ذوى قرباه .
فنجده يحذر الزائر تحذيراً شديداً من محاولة الاقتراب من النساء ، بل يحتم عليه أن يتباعد
عنهن بقدر المستطاع فيقول :

« إذا أردت أن تحافظ على الصداقة فى بيت تدخله ، سيداً كنت أم خادماً أم
صاحباً ، فاحذر القرب من النساء ، فإن المكان الذى يكن فيه ليس بالحسن ، ومن
الحكمة إذن ألا تحشر نفسك معهن ، ومن أجل ذلك يذهب ألف رجل إلى الهلاك
بسبب متعة قصيرة تضيع كالحلم ، ولا يجنى الإنسان من معرفتهن غير الموت »
وقال فى هذا المعنى أيضاً :

« وعندما يفتتن الإنسان بأعضائهن البراقة (حرفياً : أعضاء من الزجاج)
فإنها تصير بعد ذلك مثل حجر «هرست» (أى شيئاً تافهاً مثل الحلم) . والموت
يأتى فى النهاية »

وتسود حكمة « بتاح حتب » روح الشفقة الكريمة ، ولم يجعلها تنحصر في أسرته ، بل جعلها تمتد إلى من حوله ، ولذلك يأمر ابنه بأن يسلك مسلكه في ذلك إذ يقول له :
« كن طلق الوجه ما دمت حيًا »

ثم يستمر في كلامه بحالة تُشعر بأنها كانت أصلاً للمثل المشهور ، لا فائدة من التحجب على ابن مَهراق (وهذا يشبه المثل : العايط في الفايث نقصان من العقل) .
وهذا المرح العظيم الذي نراه فيما يأتي من قول الوزير يتفق وما يفشده من طلب الراحة والفراغ إذ يقول :

« اتبع لبك ما دمت حيًا ، ولا تفعلن أكثر مما قيل لك ، ولا تنقصن من الوقت الذي تتبع فيه قلبك ، لأنه مكروه عند النفس (كا) أن ينتقص من وقتها ، ولا تشغلن نفسك يومياً بخلاف ما يتطلبه بيتك ، وعند ما يواتيك الثراء متع نفسك ، لأن الثراء لا يتم (فائدته) إذا كان معذباً
ولا شك في أن من كانت روحه مرحة بهذا الوصف ينبغي أن تكون الشفقة عنده من الأمور المألوفة . واستمع إلى قوله في ذلك :

« إذا كنت حاكماً فكن شقيقاً حينما تسمع كلام المتظلم ، ولا تسيء معاملته إلى أن يفسل^(١) بطنه ، وإلى أن يقول ما جاء من أجله وإنها لفضيلة للقلب أن يستمع مشفقاً »

ولا نزاع في أن تكون هذه الشفقة ذات علاقة وطيدة بالمعاملة الحسنة القائمة على الحق . ولا غرابة إذن إذا وجدنا أن الحق والمدالة قد اتخذتا لهما مكانة في حله تسمو على كل مكانة فيقول :
« إذا كنت حاكماً تصدر الأوامر للشعب فابحث لنفسك عن كل سابقة حسنة حتى تستمر أوامرك ثابتة لا غبار عليها ، إن الصدق جميل وقيمه خالدة ، ولم يترجح عن مكانه منذ خلق ، لأن العقاب يحل بمن يعيث بقوانينه . . .
وقد تذهب المصائب بالثروة ، ولكن الصدق لا يذهب بل يحكك ويبقى ،

والرجل المستقيم يقول عنه (إنه متاع والدى قد ورثته عنه) «

لذلك كان لزاما على الشاب أيضاً أن يبلغ رئيسه الحقائق ولو كانت مرة على نفسه : ولا شك في أن هذه السبل كانت تتطلب قوة خلق عظيمة ؛ وهذا ما كان يرجوه ذلك الحكيم من ابنه إذ يقول :

« حصل الأخلاق واصل على نشر العدالة ، وبذلك تحيا ذريتك »

وكذلك يذكر ابنه :

« بأن الفضيلة التي يتحلى بها الابن لها قيمتها عند الأب ، والخلق الحسن يبقى شيئاً مذكوراً »

ويقول أيضاً :

« وإذا استمعت ووعيت ما ألقىته عليك فإن كل صنيع لك سيكون على غرار عمل الأجداد . أما صحة هذه الأشياء فالفضل فيها يرجع إليهم (أى الأجداد) ، وذكرها لن تمحى من أفواه الناس ، لأن نصائحهم جديرة بالتقدير ، وكل كلمة سنقبل وإن تمحى من هذه الأرض أبداً ، وسيكون للكلام قيمة حسبما تنطق به الأمراء وعندما يصيب رئيسك شهرة جديرة بالتقدير فإنها ستبقى حسنة أبداً ، وستخلد كل مزاياها . أما الرجل الحكيم فإن روحه تنعم باستمرار بقاء فضيلته على الأرض . والرجل العاقل يعرف بعمله ، وقلبه ميزان لسانه ، وشفته تصيبان القول عندما يتكلم ، وعينه تبصران عندما ينظر ، وأذناه تسمعان ما يفيد ابنه الذي يقيم العدل ويبرأ من الكذب »

وقد يجوز أن ذلك الوزير المسن قد عبر عن روحه الخلقية بأوجز عبارة حينما حذر من الطمع فيما سلف ، وأثنا نجده الآن في صورة الظافر المنتصر إذ يقول في غير مناسبة تربط بين قوله هذا وبين ما تقدم :

« إن الرجل الذي اتخذ العدالة معياراً له ، وسار وفقاً لجاداتها يكون

ثابت المكانة »

وختم « بتاح حتب » نصائح لابنه بعبارة تحبب إلى نفسه العدالة إذ يقول له في منتهيها :
تأمل ! « إن الولد النجيب الذى يهبه الإله يقوم بأداء أكثر مما يأمره به
والده ، فهو يقيم الحق وقلبه يسير على صراطه . وبقدر ما تصل إلى ما وصل
إليه الناس ، سيكون جسمك سليماً وسيكون الملك مرتاحاً لك فى كل مايجرى .
وكذلك ستصل إلى السن التى وصلت إليها ، والسنين التى عشتها على الأرض
ولست بالقليلة ، فقد بلغت العاشرة بعد المائة وحبانى الملك بمكافأة تفوق كل
مكافآت الأجداد لأنى أقت العدل للملك حتى ضمنى القبر »

ومما سبق يتضح أن حكم « بتاح حتب » كانت ذات مكانة راجحة فى الجهات العليا من
وادي النيل ، وبخاصة إذا علمنا أن أحد ألقاب الملك « وسركاف » الذى عاش فى عهده هذا
الوزير « مقيم العدل » . وقد أفاض وزيرنا فى العدل وفضائله .

وبتناول أكثر من نصف حكم هذا الرجل العظيم أخلاق الإنسان وسلوكه ، وما بقى
يختص بالبحث فى الإدارة وسلوك الإنسان الرسمى ، ويلاحظ بوجه عام أن تلك الحكم
ترشد إلى اللطف والاعتدال والحزم الذى يصحبه الثبوت . ففى ذلك فى الواقع ثم عن منتهى
ما كان عليه الوزير من حسن الذوق وسلامته فى تقدير الأمور ووزنها بالميزان الصحيح عند
ما وصى ابنه باتباعها والسير على نهجها ، فيجب أن يعرف بأن الحياة العظيمة القيمة هى التى
يحظى فيها الإنسان بقسط وافر من التمتع ، وعليه أن يحافظ على ساعات الراحة والدعة حتى
لا يتسرب منها شيء إلى أعباء الوظيفة أو غيرها . ذلك إلى أنه يجب على المرء أن يكون بادى
البشاشة والطلاقة لأنه لافائدة من النجيب على ما فاته .

وبالجملة فإن النعمة التى تغلبت على فلسفة نصائح ذلك الوزير السهلة التناول هى الوازع
الخلقى الحقيقى ، وأبرز الواجبات التى تظهر فيها ما عبر عنه بقوله :

« أقم العدل وعامل الجميع بالعدالة »

على أنه ليس من باب المصادفة أن تذكر تلك الحقائق المقتنة فى إضامته من البردى
القديم تبعث فينا جواً مشبعاً بالرحمة والمحبة واحترام الوالدين والبر بهما مما يوطد دعائم الأسرة
ويوثق العلاقات بين أعضائها ، وتناهى بنا فى الوقت نفسه عن الشره الذى يقضى على الوثام

وفسكك الروابط . بل ان تلك المواطن دروس قصد إليها ذلك العالم الاجتماعى فانتقلت إلى البيئة المحيطة به وانتشرت فيها . وسعادة الأسرة وسلامة العلاقات بين أفرادها هي الثمرة الظاهرة لهذه التعاليم .

وعلى ذلك نجد في حكم « بتاح حتب » برهاناً قاطعاً للحقائق التي وجدت في نقوش المقابر والمعابد التي رسمت فوق جدرانها والتي تدل على أن حياة الأسرة هي التي هيأت للإنسان في بادئ الأمر الشعور بالمسؤوليات الخلقية .

من أجل كل ما ذكرنا بقيت أمثال « بتاح حتب » منارة يستضاء بها في مفاير الأخلاق وفي الأسلوب الكتابي .

ولا أدل على ذلك من أن جملاً مفردة من نصائحه كانت تعيش بعد مئات السنين من وضعها . مثال ذلك أن رجلاً اسمه « أمنمحات » عاش في عهد الأسرة الثامنة عشرة يقول متحدثاً عن نفسه وعن رئيسه :

« لم أصوب إليه لحظات عدة ، بل ألقيت بوجهي إلى الأرض عندما تحدث إلى »

وكذلك نقرأ على أثر يمجّد فتح الملك « سنوسرت الثالث » لبلاد النوبة :

« إنه ليس ابنك ، إنه لم يولد لك »

المصادر :

أهم من كتب عن هذه التعاليم ما يأتي :

- (1) Pieper " Die Agyptische Literatur " PP. 19. ff.
- (2) Peet, " A comparative Study of the Literatures of Egypt, Palestine and Mesopotamia " P.P. 100. f.f.
- (3) Breasted, " The Dawn of Conscience " P.P. 129 f.f.
- (4) Erman, " The Literature of the Ancient Egyptians " P.P. 54-65.
- (5) Griffith. " The World's Best Literature ".
- (6) Petrie, " Religion and Conscience in Ancient Egypt " (translation by Griffith).
- (7) Dévaud, " Les Maximes de Ptahhotep. " (Fribourg, 1916)
- (8) Meyer, (The Oldest Books in the World " New york, 1900).

تعاليم كاجنى

لم يصلنا من هذه التعاليم إلا جزء صغير محفوظ مع تعاليم « بتاح حتب » فى « ورقة باريس » . فلا بد أنها مشابهة لها . ومن المحتمل أن الجزء المفقود قد جاء فيه أن الملك « حونى » الذى ينسب حكمه إلى أواخر الأسرة الثالثة قد أمر وزيره بأن يفرغ تجارب حياته فى كتاب لتكون بمثابة مواظ لأبنائه ، ومن بينهم وزير يدعى « كاجنى » . ونحن لا نعرف وزيرا بهذا الاسم من ذلك العصر ، والوزير الذى نعرفه بهذا الاسم عاش فى الأسرة السادسة أى بعد ذلك ببضع مئات من السنين . فترى فى الفقرة الأولى التى وصلت إلينا أن الوزير يتكلم عن الحزم والتبصر فى الكلام فيقول :

« والمتواضع يبقى صحيحا ، ومن يستقم فى معاملته يمدح ، وتفتح الخيمة للمتواضع ، والحذر فى كلامه يفسح له مكان رحب ، ولكن السكين ترهف لمن يحيد عن الصراط »

ثم ينتقل بعد ذلك إلى الكلام عن آداب المائدة فيحض على التعفف وضبط جراح النفس عند تقديم ألوان الطعام الشهى فيقول :

« إذا جلست مع أناس كثيرين (للأكل) فانظر إلى الطعام بدمم مبالاة وإن كنت تشتهييه ، فإن ضبط النفس لا يكلف الإنسان أكثر من لحظة . وإنه لمن العار أن يكون الإنسان شرها ، فقدح ماء يروى الغلة ، وإن كان الفم مفعما فإن ذلك مما يقوى القلب ، والشئ الطيب يحل محل الطيب (إن لونا بسيطا جيدا يغنيك عما هو أحسن منه) كما أن القليل يحل محل الكثير ، وإن الرجل الشره تعس لداعى جسمه وإذا جلست مع إنسانا شره فلا تأكلن إلا بعد أن يفرغ من وجبته . وإذا جلست مع سكير فلا تأخذن (من الشراب) إلا بعد أن يشبع شهوته . ولا تتكالبن على اللحم فى حضرة نخذ حينما يقدم لك ولا ترفضنها ، وفكر فى أن ذلك يريحه »

وبعد ذلك ينتقل حكيمنا إلى حض الإنسان على عدم الفخر فيقول :
« لا تكونن نفورا بقوتك بين من هم في سنك ، واحذر من أى فرد
يغالبك (١) ، لأن الإنسان لا يعرف ماذا يكون حظه ، وما يفعله الله عندما
ينزل العقاب »

الخاتمة :

ونادى الوزير أولاده بعد أن أتم مقاله عن أحوال بنى الإنسان وعن أخلاقهم كما عرفها
بنفسه فقال لهم :
« أصغوا إلى كل ما فى هذا الكتاب كأنى قد تكلمته وعندئذ
سجدوا على بطونهم وقرءوه كما هو مكتوب ، وقد كان محببا إلى قلوبهم أكثر
من أى شىء آخر فى الأرض قاطبة ، وقد قاموا وقعدوا حسبما جاء فيه
(أى أنهم ساروا حسب تعاليمه) وعلى أثر ذلك عُين « كاجنى » مشرفا على
العاصمة ووزيرا »

المصادر :

- (1) Prisse Papyrus (Paris).
- (2) Erman, " The Literature of the Ancient Egyptians, " P.P. 66. ff.
- (3) Griffith, " Notes on Egyptian Texts of the Middle Kingdom, " " Proceedings of the Society of Biblical Archaeology, " Vol. XIII, (1980)

« التعاليم التي لقنت للملك مريكارع »

هذه الوثيقة تنسب للملك من الأسرة المباشرة لم يعرف اسمه لنا بعد على وجه التحقيق ، وقد كتبها لابنه المسمى « مريكارع » والظاهر أن الملك مؤلفها قد وضعها في آخر لحظة من حياته . على أن هذه الوثيقة العظيمة الشأن لم تصل إلينا إلا عن نسخة كتبت في عهد الأسرة الثامنة عشرة . ونحن نعلم أن « مريكارع » قد عاش في عصر الثورة الاجتماعية التي قلبت نظام البلاد رأساً على عقب في النصف الثاني من الألف الثالثة قبل الميلاد . وتدل الأحوال على أن الملك والد « مريكارع » لم يكن يقبض على زمام الأمور في كل مصر وكانت عاصمة ملكه هيراكليوبوليس (اهناس المدينة) .

وقد تغلب هذا الملك المسن على مدينة طينة في العرابة المدفونة ، التي كانت ضمن أملاك « أنتف العظيم » . أمير طيبة (انظر تاريخ مصر جزء ١ ص ٤٢٠)

ومما يؤسف له جد الأسف أن ناقل الوثيقة قد ارتكب أغلاطا كثيرة مما جعل كثيراً من أجزائها غير مفهوم ، فضلاً عما بها من فجوات كبيرة . ومع ذلك فإنها تعد من أعظم الوثائق التي وصلت إلينا عن هذا العصر ، لأن ذلك الرجل المسن لم يقتصر فيها على النصائح الأدبية والاجتماعية ، بل أضاف إلى ذلك تعاليم دينية منقطعة النظير ، وتجارب سياسية كشفت لنا عن صفحة مجيدة في نوع الحكم الذي كانت تسير عليه البلاد في ذلك العهد في مدن الدلتا ، ووصفت لنا الأقوام الذين كانوا يهددون مصر على حدودها ، والعلاج الناجع لكبح جماحهم (وقد تكلمت عن هذا في كتاب أقسام مصر الجغرافية)

ولا نزاع في أن الصراع المائل الذي قام بين الفوضى والنظام أيام العهد الاقطاعي في المدة التي تلت سقوط الدولة القديمة لم يجد حتى الآن ما يُعبر عنه تعبيراً تاماً . إذ تنقصنا كل الوثائق التاريخية البحتة عن هذه الفترة ، ولا بد أن الحياة المتحضرة في أمهات البلاد التي كانت مزدهرة في عصر الدولة القديمة مثل « منف » و « عين شمس » وغيرها من المدن التي كانت مركزاً للقوة والثقافات المدنية والخلقية كانت لا تزال باقية على ما هي عليه . أما « اهناس المدينة » فلا نعلم عنها شيئاً إلا أنها كانت عاصمة ملكنا الحكيم الذي أهدى إلى العالم تلك التعاليم العظيمة التي كان يريد بها أن تكون نبراسا يسير على هديه ابنه « مريكارع » . وتلك الوثيقة كما قلنا مدونة على بردية محفوظة الآن بمتحف « ليننجراد » ، وهي تحمل

بين سطورها أدلة قاطعة تثبت أنها كتبت في العصر الذي تنسب إليه ، ويمكن أن نمدّها صوتاً حقيقياً للملك «أهناس» والد «مريكارع» . وهذا الملك المحنك يرجع بنا بنظراته الصائبة إلى الوراء لنستعيد ماضى تلك الدولة القديمة ، مما يدل على عظم احترامه وشدة محبته للحكمة التى تمخضت عنها تلك الأزمان ، إذ نرى ذلك السياسى المحنك يتحدث عن الرجل الحكيم فيقول :

« إن الصديق « ماعت » يأتى إليه مختمراً حسبما كان عليه الأجداد ، فمليك إذن أن تقلد أجدادك . وتأمل ! إن كلماتهم مدونة فى المخطوطات فافتحها لتقرأها وقبلد معرفتهم ، وبذلك الطريقة يصير صاحب الصناعة على علم »

وإذا رجعنا إلى الوراء أمكننا أن نلاحظ فى تلك الكلمات تأثير نصائح « بتاح حتب » الذى عرف فى نصائحه الكلام بأنه صناعة ، والتكلم الماهر بأنه محترف . ولا بد أنه كان ضمن تلك المخطوطات إضاماة البردى التى تحتوى على نصائح « بتاح حتب » . ولا بد أن ملك «أهناس» قد أمر بفتحها وقراءتها على سمعه ، حتى يمكنه التبصر فيما تحويه من الحكم التى كانت قدمضى عليها وقتئذ ما يقرب من أربعمائة سنة ، ولذلك يقول الملك المسن :

« كن صانعاً للكلام لتكون قوى البأس ، لأن قوة الإنسان هى اللسان ، والكلام أعظم خطراً من كل حرب ، وهذا القول أشبه بقولنا « القلم أشد بأساً من السيف »

وكذلك يتفق ذلك الملك الحكيم مع « بتاح حتب » فى أن اللسان الذرب يحتاج إلى توجيه حكيم ، إذ يضيف إلى ما سبق قوله :

« إن الرجل الفطن لا يجد من يفحمه ، والذين يعرفون أنه أوتى الحكمة لا يعارضونه ، وبذلك لا تحدث له مصيبة فى زمانه »

ولقد كان من المستحيل بداهة أن يتجاهل ذلك الملك الصعوبات التى كانت قائمة فى موقف البلاد السياسى إذ ذاك . ولذلك أسدى النصيحة للأمير الصغير بالمحافظة على العلاقات السليمة التى كانت قائمة بينه وبين الوجه القبلى المستقل كما ذكرنا . وقد خصص جزء كبير للعناية بمحدود البلاد المصرية المكشوفة المعروفة من جهة آسية شرقاً ولوبيا غرباً^(١) .

(١) لقد فصلت الكلام على هذا الموضوع فى « مصر القديمة » جزء أول ص ٢٥ ، الخ .

أما في سياسة البلاد الداخلية فقد تجلت لنا فطنة ذلك السياسي العظيم إذ نجده يعترف اعترافا صريحا بقوة الأسر الشريفة العظيمة التي استقلت كل واحدة في مقاطعتها ، ولذلك فإنه سار في معاملتها على تلك السياسية التي اتبعها كثير من ملوك أوروبا فيما بعد ، وهي سياسة المهادنة والمخالفة مع فطنة عظيمة في الوقت نفسه تشعر بضرورة البحث عن الكفايات المغمورة في الأوساط الدنيا ، وتكوين رجال جدد يمكن استخدامهم ضد رجال الإقطاع القدامى ، ولذلك يقول :

« أعل من شأن الجيل الجديد ليحبك أهل الحاضرة إن مدينتك مفعمة بالشباب المدرب الذين هم في سن العشرين . ضاعف الأجيال الجديدة من أتباعك على أن يكونوا مزودين بالأموال ، وعلى ألا ترفع من شأن ابن العظيم على ابن الوضع ، بل اتخذ لنفسك الرجل بحسب كفايته ، ومع ذلك فإنه ليس من الفطنة أن تهمل الأسر الشريفة العريقة »
وكذلك يقول :

« عظم من شأن أشرافك لينفذوا قوانينك ، لأنهم إذا لم يكونوا أهل يسار فإنهم لا يقومون بالعدل في إدارتهم للأمر . إن الرجل الفنى في بيته لا يتحيز (يعنى في حكمه) لأنه صاحب عقار ، وليس محتاجا ، ولكن الرجل الفقير (يعنى في وظيفته) لا يتكلم حسب العدالة (ماعت) لأن الرجل الذى يقول : « ليت لى » لن يكون محايدا ، بل ينحاز إلى الشخص الذى يحمل في يده رشوة . فالعظيم من كان أصل شرفه عظيما ، والمملك الخطير من كانت له حاشية ، والرفيع من كانت أشرافه أغنياء . وإذا تكلمت الصدق (ماعت) في بيتك فإن الأشراف المتسلطين على الأرض سيخافونك ، والمملك ذو العقل المحايد يفلح حاله ، لأن داخل (القصر) هو الذى يبعث الاحترام فى الخارج »

وفضلا عن المسئولية فيما يختص بالعدالة الدنيوية يمط الملك ابنه بأن على الملك واجبات

هامة في المبد ، وأنه محتوم عليه أن يصرف جميع عنايته لإقامة جميع الشعائر المقدسة مما يظهر بكل وضوح اعتماده التام على العطف الإلهي ، وليست المظاهر هي كل شيء ، بل يجب أن يكون لها سند من العمل والعقيدة القلبية ، فليست الهيبة وحدها ضامنا كافيا لرضاء الله إذ لم تصحبها استقامة .

ولذلك نجد الوالد يحض ابنه في وصيته التي تُعد من أنبل ما جاد به التفكير الخلقى على أن يحفظ في ذهنه :

« إن فضيلة الرجل المستقيم أحب (عند الله) من ثور (يقدم قربانا) من الرجل للظالم »

فلا بد لذلك الشاب عندما يتربع على العرش أن يحكم طبقا للصفات الخلقية الباطنة . لذلك يقول :

« أقم العدل لتوطد مكانتك فوق الأرض ، وواس الحزين ولا تعذب الأرملة ، ولا تحر من رجلا ميراث والده ، ولا تضرن الأشراف في مراكزم ، ولا تتول العقاب (أى بنفسك) ، فإن ذلك لا يرفعك ، ولكن توله بالجلادين من غير إسراف ، وبذلك تستتب الأرض والله عليم بالرجل الثائر ، والله يجازى عسفه بالدم ولا تقتلن رجلا تعرف قدره ، وتكون قد جودت معه الكتابة (أى كنت معه تلميذا في المدرسة) »

أما التخلق بالدعاة التي طالما وصّى بها « بتاح حتب » فقد بالغ في الحض عليها ملكنا الحكيم إذ يقول مستحلفا ابنه :

« لا تكونن فظا لأن الشفقة محبوبة ، وأسس آثارك على حب الناس ، وسيحمد الناس الله على مكافأتك لهم ، مقدمين الشكر على شفقتك ومصلين لعافيتك » وقد لاحظنا فيما سبق أن « بتاح حتب » كان كثير الاهتمام بالمستقبل في هذه الدنيا ، بسبب تقلبات الحظ التي تقدر بالإنسان في هذا العالم وتطوح بمركزه ، ولكن الملك في تلك الوثيقة ينصح ابنه « مريكارع » بأن يفكر في مستقبله في عالم الآخرة فيقول :

« إنك تعلم أن محكمة القضاة الذين يحاسبون المذنب لا يرحمون الشقي عند مقاضاته، وتسوء العقوبة إذا كان المتهم هو الواحد العاقل (يعنى «تخوت» الذى يدير المحكمة يوم القيامة) ؛ ولا تضمن ثقتك فى طول العمر لأنهم (يعنى القضاة) ينظرون إلى مدة الحياة كأنها ساعة واحدة، ولكن الإنسان يبعث ثانية بعد الموت وتوضع أعماله بجانبه كالجبال، لأن الخلود مثواه هناك (أى الآخرة) والغنى من لا يكثرث لذلك . أما الإنسان الذى يصل إلى الآخرة دون أن يرتكب خطيئة فإنه سيثوى هناك ويمشى مرحا مثل الأرباب الخالدين (يعنى الأبرار المتوفين) »

ويرى هذا الملك الصالح أن الحياة الصالحة فوق الأرض هى العباد الأعظم الذى ترتكز عليه الحياة الآخروية فيقول :

« إن الروح تذهب إلى المكان الذى تعرفه ولا تحيد فى مسيرها عن طريق أمسها »

ولا شك فى أنه يقصد بذلك هنا طريقها المعتاد للخلق القيم الكريم . وقد كان القبر فى نظره فى الوقت نفسه من الأشياء الهامة حيث يقول :

« زين مشواك (أى قبرك) الذى فى الغرب ، وجعل مكانك فى الجبانة بصفتك رجلا مستقيما مقيما للعدالة ، لأن ذلك هو الشيء الذى تركن إليه قلوبهم (أى أهل الاستقامة) »

مولما كان أهم أمر فى حياة الإنسان هو علاقته بربه فى الحياة الدنيا أو الحياة الآخرة فإنه يقول ناصحا لأبيه أيضا :

« يمر الجيل منتقلا إلى جيل آخر بين الناس ، والله العليم بالأخلاق قد أخفى نفسه . . . وإنه الواحد الذى يبهى بما تراه الأعين . فاجعل الإله يخدم بالصورة التى سوتى فيها ، سواء أكانت من الأحجار الكريمة أم من النحاس ، لأنه

كالماء الذى يحلّ محله الماء ، إذ لا يوجد مجرى يرضى لنفسه أن يبقى مختبئاً بل
يكتسح الذى (يخفيه) »

وهذه الكلمات الهامة التى جاءت على لسان رجل من قادة الفكر فى مصر منذ أكثر
من أربعة آلاف سنة مضت ليست إلا محاولة منه لتمييز بين الإله وبين الصنم التقليدى الذى
كان يوجد فى المعبد ، ويظهر فى الاحتفالات الرسمية ، ويهتف له الشعب ، ولكن كينونة
الإله كالماء يكتسح السدّ أمامه ولا يمكن أن يبقى محبوساً فى الصورة المحسوسة (أى الصنم)
بل يبهز الناس بما تراه العيون ، وهذا الإله العليم بالأخلاق قد أخفى نفسه فلا يمكن
إدراكه ، كجسم من الماء يمتزج فى جسم آخر مثله من الماء . ومن الجائز أن هذا الحكيم
يريد بعبارة « كالماء الذى يحلّ محله الماء الخ » أن الإله الذى شُبه بالماء إذا دخل فى أى
جسم سواء أكان من الأحجار الكريمة أم من النحاس أم من أية مادة أخرى لا بد واجد
لنفسه منفذا يخرج منه أو يظهر قوته ، ولذلك فإن تصوير الإله فى أى شيء مادى ليس
بالأمر الهام .

ولدينا فى تلك الوثيقة سلسلة أفكار عن إله الشمس نجد فيها الفكر المصرى القديم
يقترّب من عقيدة التوحيد ، إذ ترى الكاتب يعترف بوجود طائفة من الآلهة يقومون
مقام القضاة فى عالم الآخرة ، وبذلك يعتمد بعداً واضحاً عن الاعتراف بوحدانية الإله . على
أنه من جهة أخرى يقترّب جداً من الاعتراف بالتسلط الخلق لإله واحد لدرجة أن كلمة إله
صارت تدلّ فى مواضع — مع شيء من التناقض — على مدلولها الحقيقى . ويمكن أن نلاحظ
صوغ هذه التأمّلات بصيغة التوحيد زيادة على ما ذكرنا فى الصورة الآتية التى صور فيها
الحكيم الأهناسى الخالق والحاكم الرؤوف فى خاتمة تأملاته إذ يقول :

« إن الله قد عنى عناية حسنة برعيته ، فقد خلق السموات والأرض وفق
رغبتهم وخفف الظمأ بالماء ، وخلق الهواء لتحيا به أنوفهم ، وهم الصورة التى
خرجت من أعضائه ، وهو يرتفع إلى السماء حسب رغبتهم ، وخلق النبات
والماشية والطيور والسماك غذاء ، وهو كذلك يعاقب ، فذبح أعداءه وعاقب
أطفاله بسبب ما دبروه حينما عضوا أمره ، ويضع النور حسب رغبتهم ،

وكذلك يجعلهم ينامون ويسمعهم عند ما يكون ، وجعل لهم حكاما في البيضة
(أى وهبوا الحكم قبل الولادة) لتحضى ظهور الضعفاء منهم »

والإشارة هنا إلى أن الإله ذبح أعداءه توجيه إلى أسطورة هلاك الإنسانية التى ذكرناها
في باب القصص . ونجد في تلك الأسطورة ناحية خلقية تدل على حرمان الإنسان المطف
الإلهى ، وكذلك نتعرف فيها سيادة إله الشمس سيادة خلقية مطلقة . وقد كان واضحاً في
ذهن الملك الأهناسى المسن محاولة الموازنة بين تصوره السامى للزاد الخلقى وبين التقاليد الموروثة
الخاصة بقيمة المتاد المادى ولذلك يقول لابنه :

« أقم آثاراً باقية للإله لأنها تجعل اسم صانعها يبقى ، ودع المرء يعمل ما فيه
صلاح روحه بتأدية الطهور الشهرى ولبس النعلين الأبيضين وزيارة المعبد ،
وإمالة اللثام عن الرموز الدينية ، والدخول فى قدس الأقداس وأكل الخبز فى
المعبد . وضاعف القربان وأكثر من عدد الرغفان ، وزد فى القربان الدائم لأن فى
ذلك خيراً لفاعله ، واجعل آثارك ثابتة حسب ثروتك ، لأن يوماً واحداً (أى
عمل يوم واحد) قد يبقى إلى الأبد ، ورب ساعة واحدة تنفع للمستقبل . والله
عليم بالفرد الذى يقوم له بأية خدمة »

على أن محاولة الموازنة بين ما يحتاج إليه الإنسان من مادة ، وما يحتاج إليه من أخلاق
ظاهرة فى الكلام القيم اقتبسناها فيما سبق عند ما كان الملك المسن يقول :

« إن فضيلة الرجل المستقيم أحب (عند الله) من ثور الظالم ، ومع ذلك قرّب
للإله ليكافئك بالمثل بقربان تُزود بها مائدة القربان ، وبالنقوش لأن ذلك هو
ما يخلد اسمك . والله يعلم من يقرب له القربان »

ف نجد هنا اعترافاً صريحاً عن قيمة الحياة الصالحة فى نظر الإله وهو الذى لا يقبل أن
تقوم الهدايا عنده مقام الأخلاق .

وأهم المصادر التي اعتمدنا عليها ما يأتي :

- (1) Pieper "Die Agyptische Literatur", pp. 30. ff.
- (2) Breasted, "The Dawn of Conscience", pp. 154 ff.
- (3) Erman, "The Literature of the Ancient Egyptians", pp. 75. ff.
- (4) Gardiner, "The Journal of Egyptian Archeology", Vol. I, p. 20. ff.
- (5) Golenischeff, "Les Papyri Hieratiques Nos. 1115, 1116 A et 1116 B de l'Ermatiige Imperial á St. Petersbourg". (1913).

التعاليم المنسوبة إلى « أمنمحات » الأول

كتبها « خيتي » بن « دواوف »

عن أقدم نسخة عرفت حتى الآن

تدل الشواهد على أن تعاليم الملك « أمنمحات » لابنه « سنوسرت الأول » كانت تحتل مكانة عظيمة بين الوثائق الأدبية التي خلفتها لنا الدولة الوسطى .

غير أن البحوث الحديثة تكاد تثبت أن هذه التعاليم لم يفه بها « أمنمحات الأول » وأنها كتبت بعد وفاته ، لتكون بمثابة دعاية سياسية لابنه « سنوسرت الأول » الذي تولى الحكم بعده مباشرة ، وقد دلل الأثرى الكبير الأستاذ « دى بك » على ذلك بأدلة قوية مقتبسة من صلب متن التعاليم نفسها ، وكذلك من وثيقة عثر عليها بين أوراق « شستريتي » . فقد جاء في هذه الورقة مانصه وأنه : « هو (أى الكاتب خيتي) الذى كتب مؤلفا يسمى « تعاليم الملك سحتب — اب رع » عندما ذهب ليستريح منضما إلى السماء وداخلا بين أرباب الجبانة ^(١) »

وقد تشكك الأستاذ « جاردنر » فى أن « خيتي » هذا هو مؤلف هذه التعاليم قائلا إنها قد نسب إليه بسبب جهل أحد الكتاب فى عهد الرعامسة . راجع :

Gardiner melanges maspero I. P. 491 ff.

غير أنه من جهة أخرى يرى أن هذه التعاليم قد كتبت فى عهد « أمنمحات » الأول وإن كان لا يجوز بالطريقة التى دونت بها . وكل ما قاله فى هذا الصدد لا يخرج عن كونه مجرد حدس وتخمين .

فقال : « إنه من المحتمل عندما أشرك « أمنمحات » ابنه « سنوسرت » فى حكم البلاد فاه أمام رجال بلاطه بنصائح غالية تحمل فى طياتها ما لاقاه من المصاعب والمصائب ، وما قام به من عظيم الأعمال ، وما جعله يشرك ابنه معه فى حكم البلاد . ولا يبعد أن رجال الحاشية الذين أعجبوا بهذه النصائح وتلك الحكم الثمينة التمسوا من الملك أن يدونها ، فكلّف بدوره كاتباً ملكياً بذلك » .

ثم قال الأستاذ « جاردنر » . إنه يمكن أن يقاس ذلك بالخطاب الذى ألقاه الملك عند تولية الوزير كما نجد ذلك فى مقبرة « زخمرع » وغيرها من المقابر .

أما الأستاذ « دى بك » فيرى أن الملك « أمنمحات » قد قتل في مؤامرة قامت ضده في القصر ، ويدلل على ذلك بحمل في صلب متن التعاليم ويبراهين أخرى ، إذ يقول : إنه جاء في صلب المتن الجملة التالية :

« ولو كنت استللت سلاحى بيدي لكنت جعلت هؤلاء المختنين يولون الأدبار ، ولكن لا شجاع في الليل ولا أحد يحارب وحيدا ، ولا يحرز النصر بدون عضد »

فاذا اعترفنا أن « أمنمحات » يشير في هذه الفقرة إلى مؤامرة ناجحة ضده ، وهذا على ما يظهر هو الرأي الصحيح ، وأن ما جاء في ورقة « شستريتي » من أن « خيتي » هو مؤلفها كان لا بد لنا من أن نأخذ بنظرية من يقول « إن الملك كان يتكلم ، أو كان مفروضا أن يتكلم من قبره » . على أن ذكر الميت الذي يترجم حياة نفسه ، خاصة لا تقتصر على المتن الذى نتحدث عنه ، بل نجد لها في متون جنازية أخرى . يضاف إلى ذلك أن هذه ليست هى الظاهرة الوحيدة في تعاليم هذا الملك التى تذكرنا بأسلوب الكاتب الذى يترجم حياة نفسه . وأكبر دليل على ذلك ما يأتى :

« لقد أعطيت الفقير وعلمت اليتيم ، وقد جعلت الرجل المغمور الذكر يصل إلى غرضه مثل صاحب المكانة »

وكذلك نجد في فقرة أخرى وهى من الصنف الذى نمثله عليه في تراجم الأموات :

« أنا الذى أنشأت الغلال والذى أحبه » نبر « (إله الجبوب) والفيضان قد حياتى باحترام (أى كان معتدلا في أيامى) ولم يجمع إنسان في سننى حكى ، ولم يعطش خلالها أحد ، وكل ما أمرت به كان في موضعه الصحيح »

ولاشك في أن أى عالم آثرى يقرأ هذه الفقرة دون أن يعلم أنها من تعاليم « أمنمحات » لا يشك في أنها كانت على لوحة مائتية .

ولدينا فقرة أخرى يمكن أن تعتبر تفسيراً للظروف التى انفجرت فيها المؤامرة ، وهى في الوقت نفسه تمدنا بسبب من الأسباب التى بها نجحت في بادئ الأمر وهى الفقرة التى يقول فيها « أمنمحات » :

« انظر إن المصيبة قد حلت بي عند ما كنت بدونك »

والقول بأن الثورة قد بدأت و « سنوسرت » بعيد عن العاصمة يتفق تماماً مع بداية قصة « سنوهيت » إذ نقرأ هناك أن « أمنمحات » قد مات عندما كان ابنه عائداً من حملته إلى بلاد لوبيا . على أن السرعة التي عاد بها « سنوسرت » ليصل إلى مقر الملك مع كتمان الأمر عن جيشه ، والرسالة التي بعث بها لإحضار أولاد الملك الذين كانوا يرافقون ذلك الجيش ، وذعر « سنوهيت » الغريب وهربه ؛ وسؤال الشيخ الفلسطيني « لسنوهيت » عما إذا كانت قد حدثت كارثة في العاصمة ، ثم محاولة « سنوهيت » اقناعه بعدم حدوث أى شيء شاذ ، (وأن كل ما حدث هو أن « أمنمحات » قد رحل إلى الأفق وأن ابنه قد دخل القصر وتولى ميراث والده) واعترافه بأن موت « أمنمحات » لا تعرف نتائجه ، كل هذه الحقائق توحي إلينا أن هذا الموت لم يكن طبيعياً مما يتفق وما جاء في سياق التعاليم .

ثم يأتي بعد ذلك في المتن (هذا إذا كان ما ترجم هو المتن الصحيح) :

« قبل أن يسمع رجال البلاط أنى سأسلمك (الحكم) وقبل أن أجلس معك ، وإنى أفهم من هذه الكلمات أن « أمنمحات » قد حال بينه وبين إعلان ابنه ملكاً على البلاد بصفة رسمية موته المفاجيء .

وإذا كان هذا رأى هو الصحيح عن محتويات هذه التعاليم فما هو إذن الفرض منها وما القصد الذى من أجله كتبت ؟

والجواب عن ذلك أن هذه الوثيقة مقال سياسى فى صورة قطعة أدبية صيغت دعاية لتعضيد حزب « سنوسرت » الأول ، فقد رأينا أن « سنوسرت » بعد موت والده قد أسرع إلى مقر الملك ، وقد وصل فى الوقت المناسب لمنع ما يخشى من الأحداث ، وقد أفلح فى تسليم مقود المملكة التى كان والده قد أعدها له .

ولكن لا بد أن يكون تيار المعارضين قويا ، إذ كان المنافسون له على وشك الوصول إلى مأربهم ، وربما كان لديهم من الأسباب الحقّة ما يبرر موقفهم ويقوى جبهتهم ويضعف من « سنوسرت » واستحقاقه العرش .

فمن المحتمل أن يكون « سنوسرت » قد لجأ إلى قوة السلاح الأدبى لتهدأ النفوس عقب الضربات القاصمة التى أودت بحياة الملك الكبير .

فقد كتب أديب بايعاز من « سنوسرت » أو بوازع من نفسه هذه التعاليم يظهر فيها الملك

المتوفى بسلطانه العظيم يعضد «سنومرت» ويخاطبه من قبره بوصفه الملك الشرعى على البلاد ،
ومتهما أولئك الأوغاد الذين أودوا بحياته . ولما كان غرضه من هذه التعاليم أن يعضد ابنه جاء
في مستهلها بما يؤكد ما وثبت صدقها فذكر الجملة التالية «يقول لابنه في رسالة صادقة» (١)
وقد كان من الأمور الطبيعية في التفكير المصرى أن يأتي الوالد المتوفى من عالم الأموات
لمساعدة ابنه على الأرض ، وذلك لأن موتى المصريين كانوا دائماً حاضرين ، وكان لديهم من
القوة ما يؤثر على حفظ الأحياء . فكثيراً ما نجد الحى يطلب مساعدة المتوفى وحمايته ، وقد
عثر على كثير من الخطابات التى أرسلها الأحياء إلى الأموات مما يوضح لنا تأصل هذه
الفكرة في معتقدات المصريين .

وإذا كان من الممكن الاتصال بالموتى بالوسائل ، وإذا كان في مقدور المتوفى أن يقرأ
بايدٍ إليه من رسائل الأحياء فن المعقول المنطقى — وكان المصريون منطقيين في مثل هذه
الأمور — أن يكتب الأموات بأنفسهم للأحياء . ولهذا عثرنا على عدد قليل من الخطابات
أرسلها الأموات للأحياء مقابل ما يصل إليهم من أقاربهم ، ومن بين هذه الوثائق ورقة
« هاريس » التى وصفها « ستروف » الأثرى الروسى بأنها تزييف ولكنه قديم ، وقد ذكر
فيها أن الملك رمسيس الثالث المتوفى (وقد كان كذلك فريسة لؤامرة نسوية) قد أفرد
أحد أولاده بأن يكون الوارث الشرعى للعرش ، ويرجو من الآلهة والشعب أن يماضدوه ،
وبذلك أفسد الغرض الذى لاقى من أجله الملك حتفه . ولا شك في أن المتن الذى بين أيدينا
الآن بمثابة مثال مبتكر من نفس هذا النوع من المقالات السياسية التى كتبت للدعاية .

على أن الحرب بالأسلحة الكتابية أو الأدبية لم تكن من مبتكرات الملك « أمنمحات »
الأول . وإذا كان من الممكن أن يصل إليه صدى من تعاليمه في العالم السفلى الذى غُيب فيه
فانه لا بد أن يذكر بابتسامة نبوءات « نفرروهو » عنه بأنه هو المخلص المنتظر الذى
سينشر في البلاد عهد سعادة ورخاء . فقد كانت تلك النبوءات دعاية له في أول عهده عند ما
كانت شوكة الحزب المنتمى للأمرأة الحادية عشرة لاتزال قوية . وقد كان من نتائج هذه الدعاية
أن ضمت إلى جانبه شعور القوم الدينى ومهدت له السبيل إلى اعتلاء عرش البلاد
وفي اعتقادى أن هذه التعاليم تعد من نوع هذه الوثائق . ورغم أننا لا نرى أمامنا صورة
ذلك الملك المسن اليقظ الصارم الذى لم تخدعه الأوهام ، فإن لدينا في مقابل ذلك مقال دعاية
سياسية ليس بأقل حيوية ولا إنسانية من شخصه .

(١) جاء في بحث جديد للأستاذ «جن» (راجع J. E. A. Vol 27 B. 4 etc أن «أمنمحات»
ظهر لابنه في رؤيا صادقة (حلم) بعد موته وهذا هو رأى القديم

التعاليم

التعاليم التي أَلَفَهَا جلاله الملك « سحتب اب رع » ابن الإله « رع » « أمنمحات »
الأول متحدثاً عن رسالة صادقة لابنه رب المالمين يقول :

« أنت يا من ظهرت إلهاً (أصبحت ملكاً) اصغ لما سألقيه عليك حتى
تصير ملكاً على البلاد وحاكماً على شواطئ النهر ، وحتى يمكنك أن تفعل الخير
(أكثر مما ينتظر) . خذ الحذر من مرءوسيك لأن الناس يصفون لمن يُرهبهم .
ولا تقترب منهم على انفراد ، ولا تثقن بأخ ، ولا تعرفن لنفسك صديقاً ،
ولا تصطفين لك خلاناً لأن ذلك لا فائدة منه »

وبعد أن حذّر ذلك الملك العظيم ابنه الثقة ببنى الإنسان عامتهم حتى الأخ ، حذّره كذلك
اتخاذ الخلان . لأن تجاربه الشخصية عرفته أن أقرب الناس إليه هم الذين اغتالوه .
وبعد ذلك ينتقل الملك إلى نصح ابنه ألا يتكل على أحد آخر في أن يحافظ عليه ، وذلك
بعد أن رأى بعيني رأسه أن إحسانه وعطفه قد قوبلا بإنكار الجليل . قال :

« وعندما تكون نائماً كن الحارس لشخصك حرصاً على قلبك ، لأن الرجل
لا صديق له في يوم الشدة . فإني قد أعطيت الفقير وعلمت اليتيم ، وجعلت
من لا ثروة له مثل صاحب الثراء . وقد كان آكل خبزي هو الذي جند
الجنود ضدي ، والرجل الذي مددت له يد المساعدة هو الذي أحدث لي بها
المتاعب ، والذين يرتدون فاخر كتاني عاملوني كالذين في حاجة إليه ، والناس
الذين يتضمخون بعطوري قد لوثوا أنفسهم وهم يستعملونه (بخيانتى) »

وانتقل « أمنمحات » بعد ذكر هذه الصورة التي تدل على الشك في الناس والتشاؤم
منهم إلى حث خلفه وهم لا يزالون يذكرون تأملاته المحزنة وما آتاه من الأعمال الحربية العظيمة
أن يعوا هذه المعلومات في نفوسهم ، وذلك لأن الخلف دائماً ينسى ما قام به السلف ، ومع ذلك
فإن الإنسان لا يمكنه أن يصل إلى السعادة الحقيقية إلا بالمعرفة . اسمع إليه وهو يقول :

« وأنتم يا نسلي من الأحياء ويا من سيخلفونني من الناس . اعملوا على أن تكون أحزاني كأنها أشياء لم يسمع بها ، وكذلك اجعلوا ما قتت به من عظيم الأعمال الحربية لا يرى . وذلك لأن الإنسان يحارب في ساحة الوغى وقد نسي (ما جرى) بالأمس ، ومع ذلك فإن الإنسان الذي يتناسى العلم لا تتم له سعادة »

وينتقل الملك بعد ذلك إلى وصف الحالة التي كان عليها حينما هاجمه التآمرون ، قال :
« لقد كان ذلك بعد العشاء حينما دخل الليل . وكنت قد أخذت ساعة من الراحة واضطجعت على سريري ، وكنت متعبا ، وأخذ قلبي يجرد وراء النوم ، ثم شعرت كأن أسلحة تلوح ، وكأن إنسانا يسأل عني ، فانقلبت كأني ثعبان الصحراء (أي قتت متعبا) »

وبعد هذه القطعة أخذ « أنمنحات » يصف موقفه الحرج عند الهجوم عليه ، وهنا تختلف الآراء كما أوضحنا فيما مضى فيقول « دى بك » : إن الملك اغتيل فعلا . أما « جاردنر » فلا يمتد ذلك . ولهذا نجد أن كلا منهما يترجم الجملة التي تشير إلى ذلك حسبا يظن :
« وقد استيقظت (على صوت الحرب) وكنت وحيدا ووجدت أنها حرب جنود . ولو كنت أسعفت بالسلاح في يدي لكنت قد شنت شمل المخنثين شذر مذر . ولكن لا شجاع في الليل ، ولا يمكن أن يحارب الإنسان وحيدا ، إذ لا نصر بدون معين »

يرى بعد ذلك « أنمنحات » أنه قد أصبح طاعنا في السن وليس في مقدوره أن يحكم البلاد وحده . ولما لاحظ أنه قد أصبح غير قادر على أن يتنبأ ويعوق المؤامرة التي دُبِرت ضده نزل عن الملك لابنه « سنوسرت » ، وهو الذي أشركه معه في حكم البلاد ، ولذلك يقول :
« تأمل لقد أريق الدم وأنت بعيد عني ، وقد سلمت لك (الملك) قبل أن يسمع بذلك رجال البلاط . وعلى ذلك دعني ، أفعل ما تريد ، وذلك لأني

لم أحتط لنفسي ضد هذه (المؤامرة) فإنني لم أفطن لها من قبل . هذا فضلا عن أن قلبي لم ينتبه إلى تراخي الخدم .

ينتقل بعد ذلك « أمنمحات » إلى التنويه بأن هذه المؤامرة قد دُبِّرت في الخدور . وقد وضع المؤلف هذه الحادثة في ثلاثة أسئلة قد اختلف كثيراً في ترجمتها . ونظن أن الأستاذ « جاردنر » قد قارب الحقيقة إذ يقول :

« هل حدث أن النساء اصطفضن في ميدان المعركة ؟ وهل من لا يرعى حرمة القانون قد شبَّ في القصر ؟ أو هل الماء الذي كسر السد قد انطلق ، وعلى ذلك خاب الفلاحون في عملهم ؟ »

ويمكن فهم السؤالين الأولين تماما . أما الثالث فإنه استعارة تشبيهية من الطراز الأول ؛ إذ من المحتمل أن نفهم منها أن الشعور بالولاء الذي كَمَّاه الملك قد تلاشى ، فأصبح الوثام الذي كان يسود القصر مقضياً عليه جملة ، ولذلك شبهه بتوزيع مياه الفيضان في وقت الزرع بواسطة القنوات الصغيرة تشق الحقول وتقسّمها إلى مربعات مثل رقعة الشطرنج ، فإذا حدث خلل في هذه القنوات فإن كل المساحة تغمرها المياه ، وبذلك يضيع تعب الفلاحين سدى . على أن ما يأتي لا يثبت أن المؤامرة قد خابت ، ويمكن فهم نتيجتها ضمناً من قوله :

« وسوء الحظ لم ينتبني منذ ولدت ، هذا فضلا عن أنه لم يتأت لإنسان قط

أن يقوم بمثل ما قمت به من الأعمال العظيمة بوصفي رجلاً شجاعاً »

ثم ينتقل « أمنمحات » إلى تعداد ما أحوزه من النجاح في ميدان الأعمال المادية فيقول :

« لقد اقتحمت طريقي إلى الفتتين (أسوان) ونفذت حتى منافع الدلتا .

ووقفت عند نهاية حدود الأرض وشاهدت وسطها ، ووصلت إلى معازل الحدود بقوة ساعدي وياهر أعمالى العظيمة »

ثم يأتي ذكر أعمال الخير التي قام بها الفرعون المسن مادحاً إياها قائلاً :

« لقد كنت مؤسساً للمحاصيل الزراعية محبوباً من الإله « نهر » رب الغلال وقد حيّاني النيل في كل رقعة من الأرض المكشوفة ، ولم يجمع إنسان في سني

حكى ، ولم يسغب أحد خلالها (السنون) . ولكن القوم جلسوا فى سلام بما عملت لهم وتحدثوا عنى وكل ما أمرت به كان فى موضعه الحق . ولقد أذلت الأسود واصطدت التماسيح ، وقهرت أهل واوات ، وأسرت قوم الماتو ، وجعلت الأسويين يعيشون كالكلاب ، وأقمت بيتا مزينا بالذهب وسقفته من اللازورد ، ورقعته وأبوابه من النحاس وأقفاله من البرنز وقد صنعتها لتبقى إلى زمن لا نهاية له ، والأبدية تحشاها ، لأنها لا يمكنها أن تقضى عليها »

ويأتى بعد ذلك عدة جل لا يمكن فهمها لأن المتن مشوه .

ولا نزاع فى أن كاتب هذه التعاليم قد رسم لنا صورة التشاؤم والريبة التى بعثتها أحوال البلاد فى ذلك العصر ، رغم ما قام به « أمنمحات » من إعادة النظام القديم الذى كانت عليه البلاد بقدر ما استطاع ، إذ كانت الأحوال قد حتمت عليه أن يتخير عماله وموظفيه لإدارة البلاد من بين أولئك الرجال الذين ترعرعوا وشبوا فى عهد ذلك الانحطاط الذى عقب عصر الأهرام ، وكانت قلوبهم قد أشربت حب الفوضى والفساد اللذين هوى إلى حضيضهما الشعب المصرى عدة قرون ولم ينقذه منها فى ذاك الوقت إلا « أمنمحات » ، وإن كانت بقاياها قد ظهرت ثانية فى حادثة اغتياله على يد من أحسن إليهم . لذلك بدا شعور النفوس فى المجتمع المصرى فى ذلك العهد مملوءا بالريبة والشكوك إلى حد أن ذلك الشعور قد انعكست ظلاله على أعظم أنواع الفنون فى ذلك العصر ، وأعنى بذلك فن نحت التماثيل البشرية ، فظهر فى هياكل التماثيل الخالدة التى تمثل لنا ملوك الدولة الوسطى سمة الرزاة والوجوم التى تلمح فى أقوالهم ونصائحهم والتى كانوا ينظرون بها فى عصرهم إلى الحياة الدنيا . وعندما ننم النظر فى تلك الوجوه التى تدل على الجرأة والبطولة أمثال « سنوسرت » الثالث « وأمنمحات » الأول والثالث وقد ظللتها سحائب اليأس والقنوط ، نرى أن نفس هذه الوجوه تعد كشفًا جديدًا فى ميدان الفن يعيط لنا اللثام من غير شك عن روح ذلك العصر الذى يعتبر أقدم عصر معروف تخلص من الأوهام ولم ينخدع بها . وسنرى ذلك جليا فى باب التأملات عند الكلام على موضوع شجار بين إنسان سُم الحياة وبين روحه .

المصادر

أهم المصادر التي يرجع إليها ما يأتي :

- (1) Gardiner, "The Earliest Manuscripts of the Instruction of Amenemmes I", "Melanges Maspero", Vol. 1, pp. 479 ff.
- (2) Peiper, "Die Agyptische Literatur", pp. 37. ff.
- (3) Peet, "A Comparative Study of the Literature of Egypt, Palestine and Mesopotamia", pp. 107 ff.
- (4) Breasted, "The Dawn of Conscience", pp. 205 ff.
- (5) Erman, "The Literature of the Ancient Egyptians", pp. 12. ff.
- (6) Maspero, "Les Enseignements d'Amenemhait 1^{er}".
- (7) Griffith, "A.Z.", Vol. XXXIV, pp. 35 ff.
- (8) Battiscombe. Gunn Journal of Egyptian Archeology Vol 27 P 2.
(Notes on Ammenemes I.)

تعاليم « خيتي بن دواوف » لابنه « يبي »

لقد ظلت هذه التعاليم تعرف باسم تعاليم « دواوف » إلى أن برهن الأستاذ « جاردنر » على أن اسم كاتبها هو « خيتي بن دواوف » وأن « خيتي » كتبها لابنه « يبي »

وقد وصلت إلينا نسخ كثيرة من هذه التعاليم بعضها على أوراق بردية ، وبعضها على لوحات خشبية ، وفقرات على قطع الخبز ، وشطيات من الحجر الجيري الأبيض الأملس ، وأقدم فقرات وصلت إلينا منها هي التي اهتمدى إلى حلها « بيانكوف » ، ويرجع عهدا إلى أوائل الأسرة الثامنة عشرة ، وقد كتبت على لوح من الخشب بقي لنا بعض أجزاء منه . وهي بلا شك ترجع إلى عهد العصر الإقطاعي كغيرها من قطع الأدب ، ولا غرابة فإنه هو العصر الذي ازدهر فيه الأدب بدرجة عظيمة (راجع تعاليم أمنمحات) .

وهذا النوع من التعاليم الذي سنسوقه للقارى كان محبباً بصفة خاصة عند مدارس الدولة الحديثة ، ولذلك نال مكانة ممتازة ، غير أن الطريقة التي عبث بها التلاميذ في المتون كانت مغيبة لدرجة يقصر أمامها كل وصف ، فلا يكاد القارى يتم قراءة فقرات منها حتى يتساءل ييأس عما كان مكتوباً في الأصل (١) ، لأن ما كتبه التلاميذ كلمات لا معنى لها غالباً ، وقد يكون السبب في ذلك عدم فهمهم ما نقلوه ، أو عدم إقبالهم على عملهم وإجبارهم عليه . ولكن من حسن الحظ أن القطع التي عثر عليها « بيانكوف » وقرنها بما يقابلها في النسخ الأخرى قد حلت لنا بعض معضلات هذه التعاليم وإن كان الجزء الأكبر منها لا يزال غامضاً بعض الشيء في قط ومغلقة تماماً في أخرى .

ويرجع السبب في خطوة هذه التعاليم وانتشارها في مدارس عهد الرعامسة إلى أنها كانت تتغنى بفضل المدارس والتربية المدرسية وبامتدادها لمهنة الكاتب ، وهي بالضبط كالرسائل التي كانت تتبادل بين المدرسين في عهد الدولة الحديثة .

وعصر هذه التعاليم قد أصبح محققاً إذا كان « خيتي » هذا هو الذي كتب تعاليم الملك « أمنمحات » الأول . ويفتح الحكيم « خيتي » هذه التعاليم كالعادة بذكر اسمه وابنه الذي من أجله كتبت هذه النصائح فيقول :

(١) وجدت هذه المتون إما على ألواح من الخشب أو على ورق البردى أو على شطيات من الحجر الجيري ومعظم هذه الوثائق كان مدفوناً مع أصحابها

« تعاليم ألفها مستافر في حجرة سفينة » اسمه « خيتي » بن « دواوف » لابته
« يبي » حينما سافر مصعدا في النهر إلى عاصمة الملك ليلحق ابنه بالمدرسة بين
أولاد الحكام

وهذا العنوان وحده يكشف لنا عن حقائق خطيرة من الوجهة التعليمية والتاريخية .
فنه نعلم أنه كان يوجد مدرسة جامعة يتعلم فيها أولاد عليّة القوم في عاصمة الملك ، وأن العاصمة
كانت وقتئذ في الوجه القبلي ، لأنه كان على « خيتي » أن يقطع بسفينته مصعداً في النهر . ومن
الجائز أنها كانت وقتئذ « أهناس المدينة » أو « طيبة » ، هذا إلى أن هذه المدرسة كان يعلم
فيها أولاد حكام المقاطعات ومن في طبقتهم . وسرى أن « خيتي » يقول لابنه وستكون رئيساً
لمجلس « قنبت » ، وهو ذلك المجمع الذي كان يدير حكومة البلاد في العهد الإقطاعي (انظر
قصة المخاصمة بين « حور » و « ست ») وكان معظمه في ذلك الوقت من حكام المقاطعات .

ومجد أن أول ما يلقي « خيتي » على ابنه من النصائح هو أن يرسم له صورة قبيحة للجاهل ،
ثم يفرجه بأن يحب العلم أكثر من حبه لأمة ، ويقول له إنه عاجز عن تصوير جماله له ،
ثم يشير إليه بأن صناعة الكتابة تفوق كل الحرف ، وأنه لو تعلمها فإن القوم يهتئون به على
ذلك فيقول :

« لقد رأيت من ضرب ، فعليك أن توجه قلبك لقراءة الكتب ، ولقد
شاهدت من أعتق من الأشغال الشاقة . تأمل ! لا شيء يفوق الكتب .

اقرأ في نهاية « كمت » (لعله اسم كتاب قديم ؟) تجد فيه هذه : إن
الكاتب عمله في كل مكان في حاضرة الملك ولن يكون فقيراً^(١) . والرجل الذي
يعمل على حسب عقل غيره لا ينجح . ليتني أجعلك تحب الكتب أكثر من
والدتك . وليت في مقدوري أن أظهر جمالها أمام وجهك . إنها أعظم من أي
حرفة وإذا أخذ (التلميذ) في سبيل النجاح وهو لم يزل طفلاً فإن الناس

(١) قد يحتل أن كل وظيفة يشغلها لها صلة بالبلاط ، وعلى ذلك للكاتب نصيب قبل غيره في
الأرزاق التي توزع هناك

تهنته ، ويكلف تنفيذ الأوامر ، ولا يعود إلى البيت ليرتدى ثوب العمل (مثل
أرباب الحرف الأخرى »

بعد ذلك يصف الأب لابنه الفرق بين مهنة الكاتب وما ينال صاحبها من الشرف وبين
المهن الأخرى التى يكون من جرائها تعب الجسم واضمحلاله ، وتعرض محترفها للأخطار فيقول :
« على أننى لم أرَ قط قاطع أحجار كلف برسالة ولا صانعا أرسل فى مهمة »
ثم يتناول بالشرح كل مهنة وما فيها من متاعب وحقارة بالنسبة لمهنة الكتابة . ويقدم
لابنه درساً فى الحياة الاجتماعية ، ويستعرض أمامه نواحى مصر الصناعية ، ونصيب كل صانع
من متاعبها ، يذكر ذلك فى لىء من المبالغة ، ولكنه يكشف لنا فى الوقت نفسه عن نوع
الحرف التى كان يتخذها أبناء العصر المظلم الذى يتحدث عنه .

وإذا كان القارىء الأجنبى لا يحفل بهذا العرض كثيراً فإن القارىء المصرى يستهويه
أن يراه ، لأن فيه صفحة مضى عليها أربعة آلاف سنة ، يستطيع أن يقرنها بصفحة مصر
الحاضرة فيرى أن الأخيرة تكاد تطابق الأولى مع طول المهد بينهما ، وأن هذه المطابقة تشد
وتقوى فى الدساكر والقرى حيث يضمف تأثير المدنية الحديثة .

فيتكلم أولاً عن صانع المعادن فيقول :

« ولكنى رأيت النحاس يقوم بعمله عند فوهة الآتون وأصابه كجلد
التمساح (أى أنها مجمدة وخشنة كجلد التمساح) ورائحته أكثر كراهية من
البيض والسمك »

ثم ينتقل إلى الخراط فيقول :

« وكل صانع يقبض بمهارة على المخرطة ^(١) (؟) فإن الإعياء يناله أكثر ممن
يفلح الأرض ، وميدانه الخشب وفأسه المخرطة (حرفيا المدن) وفى الليل

(١) لا شك أن حكيمنا يبالغ فى هذه الصورة التى يضمها أمام ابنه . لأنه مما لا شك فيه أن بعض
أصحاب هذه الحرف كان يجب مهنته لذاتها . وإلا لما وصلت إلينا تلك القطع الفنية النادرة فى إتقانها من
أيدى هؤلاء الصانع .

حينما يطلق سراحه يعمل فوق طاقة ساعديه . وفي الليل يشعل النور «
(أى يستمر في عمله فلا راحة له)

ثم ينتقل إلى الكلام على البناء وما يناله من التعب الجثائي فيقول :
« والبناء يبحث عن عمل له (؟) في كل أنواع الأحجار الصلبة . وعندما ينتهى
منه تكون ذراعاها قد تكسرتا ، ويصبح مضنى ، وعندما يجلس امرؤ كهذا
عند الغبش فإن نخذه وظهره تكون قد خطمت »

بعد ذلك يتناول حرفة الحلاق فيظهر لابنه أنها مضنية ، صاحبها لا بد أن يجول في الشوارع
ليبحث عن عمل يسد رمقه بما يكسبه منه . فقرأ يقول :

« والحلاق يحلق متأخرا إلى الغروب ويجول من شارع إلى شارع
ليبحث عمن يحلق له ، وينهك ذراعيه لأجل ملء بطنه ، كالنحلة التى تأكل
وهى تكد^(١) . »

وكذلك يظهر له المتاعب التى يلاقها التاجر (؟) الجوال ليحصل على ثمن سلعه فيقول :
« والتاجر (؟) يسمح إلى الدلتا ليحصل على ثمن سلعته ، ويكد فوق طاقة
ساعديه ، والبعوض يقتله (لما يحمله من الجراثيم)
ويتناول بعد ذلك أحقر الحرف وهى صناعة اللبّين فيقول :

« وصانع اللّبن (ضرب الطوب) الصغير الذى يصنعه من غرين النيل
يقضى حياته بين الماشية (؟) وهو على أية حال مختص بالكروم والخنازير
(فى المصرية تورية بين كلة كروم وخنازير ، وربما كان ذلك هو السبب فى ذكرها هنا)
وملابسه تكون خشنة وهو يشتغل بتقديمه ويدق »

والظاهر أن حرفة البناء كانت شاقة عند المصريين ، حتى إن حكيمنا هـا قد رصد لها
فقرتين غير ما ذكر ، ولكن الفقرة الثانية فيها بعض الغموض فيقول :

(١) أى أنه يأكل أثناء عمله . وهذا ما نشاهده الآن فى القرى المصرية

« دعى أحدثك فضلا عن ذلك عن البتء الذى يكون غالبا مريضا (؟) وملابسه قدرة وما يأكله هو خبز أصابعه ، ويفسل نفسه مرة واحدة وهو أتعس مما يمكن أن يتحدث عنه الإنسان بحق (؟) . فهو كقطعة حجر (؟) فى غرفة طولها عشر أذرع فى ست والخبز يقدمه إلى بيته ، وأطفاله يضربون ضربا . . . » (وهذه القطعة غامضة فى الأصل)

ثم يصف الحكيم لابنه حالة البستانى . ويظهر أنه يقصد به زارع الخضر والفاكهة على السواء فيقول :

« أما البستانى فيحضر أثقالا وذراعه ورقبته تتألمان من تحتها . وفى الصباح يروى الكراث وفى المساء الكروم (لأن ذلك أحسن وقت لريها عند ما تكون محملة بالفاكهة) فحرفته أسوأ من أية حرفة . »

ثم ينتقل إلى وصف حالة الفلاح ، وهو ذلك الوصف الذى ينطبق على حالة فلاح مصرنا ؛ فالأمراض تفتك به وصاحب الأملاك يستنفد كل محصوله ، فهو كالحیوان الضعیف الذى يعيش بين الأسود فهو لابد مأكول . فيقول الحكيم :

« أما الفلاح فحسابه مستثمر (أى أن صاحب الأرض يطالبه دائما بتأدية ما عليه من الديون) إلى الأبد ، وصوته أعلى من صوت الطائر « أبو » (دائما يشكو) ، وهو كذلك أكثر تعباً ممن يمكن التحدث به ، وحالته كحال الذى يعيش بين الأسود ، وهو فى غالب الأوقات مريض (؟) وعندما يعود إلى بيته فى الغروب ، فإن المشى يكون قد مزقه إرباً إرباً » (أى أن طول الطريق يجهدده لإجهادا كبيرا فوق ما لاقى من التعب خلال اليوم)

يقناول بعد ذلك « خيتى » حكيمنا الناسج الذى يعمل وهو جالس طول اليوم ، فيشبهه بقميدة البيت ، فهو لا يتمتع بالهواء الطلق ، وهو مراقب دائما ، فإذا تباطأ عن العمل يوماً ضرب بالسوط . وفى رواية أخرى انتزع من مكان راحته كما تنتزع زهرة السوسن من البركة . وإذا

أراد أن يخرج من مصنعه ليستنشق الهواء فلا يصل إلى ذلك إلا بالرشوة . فيقول :
 « وحال الناسج داخل مصنعه أتمس من حال المرأة ، فركبتاه تكونان
 في بطنه ، وهو لا يمكنه أن يستنشق الهواء وإذا أمضى يوما دون عمل انتزع
 (من مكان راحته) مثل ما تنتزع زهرة السوسن (في رواية أخرى فإنه يضرب
 بسوط ذى ٥٠ شعبة) أو (فإنه يضرب كسائة الضحية ٥١ سوطا) . وهو يقدم
 لجارس الباب خبزاً ليسمح له بالخروج في ضوء النهار »

بعد ذلك يصف هذا الحكيم الحنك لابنه « حرفة » من الحرف التي كانت شائعة في
 ذلك العصر ، ولكنها قد اختفت في عهدنا تدريجاً بانتشار المدنية ، وأعني بذلك صناعة « السهام »
 التي لم يفتأ يستعملها المصري لأنها كانت من أهم أسلحة الحرب ، فيصف كيف يحتم على
 صاحبها أن يذهب إلى الصحارى والجبال حيث الظرآن الذى تصنع منه السهام ، وما فى ذلك
 من بعد المسافة ، وما يعانىة هو وحماره ، وما يستلزمه من المال لمن يرشده إلى الطريق فى
 وسط تلك الفياق والقفار ، وما يتطلبه كل ذلك من وقت ونصب . فيقول :

« وصانع السهام يكون تعسا عندما يرحل إلى الصحراء ، وإن ما يعطيه
 حمازه لكثير . هذا فضلا عن أنه عمل يستغرق وقتا طويلا . ويعطى كذلك
 الذين فى الحقول والذين يرشدونه إلى الطريق كثيرا أيضا . وعند ما يصل إلى
 بيته فى المساء فإن السير يكون قد أنهكه »

ثم يتناول بعد ذلك حرفة أخرى من التي أخذت تقلشى فى مصر وإن كانت لم تزل باقية
 فى بعض الجهات المتطرفة التي لم تصلها المدنية الحديثة ، وأعني بها نقل البريد برجال خصصوا
 بذلك . فيصف لنا كيف أن عامل البريد عند ذهابه إلى بلد أجنبي يترك وصيته خوفا من
 عدم عودته ، لما فى رحلته من المخاطر ، وحتى إذا عاد إلى مصر ثانية فإنه لا يعود مرتاح
 النفس ، لأن التعب يكون قد أضناه ، فيقول :

« وحامل البريد عندما يسافر إلى بلد أجنبي يوصى بأملأه لأولاده
 خوفا من الأسود والأسويين ، وهو يعلم ذلك وهو فى مصر . وعندما يعود إلى

بيته يكون تعسا لأن المشى قد كسره . وسواء أكان بيته من النسيج أو اللين (؟) فإنه لا يعود منشرح القلب^(١) . (وفي رواية أخرى : وعندما يصل إلى بيته مساء فإن قلبه يكون فرحا) .

ويعقب ذلك كلام على حرفة لم نصل إلى كنه معناها ، والفرض من ذكرها هنا هو أن يظهر له بشاعة رائحة محترقها ، ولذلك سنورد الكلمة هنا بأصلها المصرى :
« أما الـ « سنوى » فإن رائحة إصبعه تكون تننة ، والرائحة التى تتصاعد منها هى رائحة جثة ، وعيناه تكونان مثل (؟) بسبب المسوح وهو لا يقضى عنه « سنأوى » وهو يقضى وقته فى تقطيع الخرق (؟) وما يعقته هو الملابس »

ثم يشفع ذلك بالتحدث عن حرفة يظهر أنها تشبه السابقة فى قدارتها ، وأعنى بها حرفة الإسكاف . فيصف الحكيم لابنه كيف أن هذا الشمس يحمل أوانيه التى فيها آلاته وجلده ، وكيف أن صحته تسوء وجسمه يهزل وقد يجبر على قطع الجلد بأسنانه فيقول :
« والإسكاف يحمل أوانيه إلى الأبد (وفي نسخة أخرى : يحمل آلاته إلى الأبد) . وصحته تكون كصحة الجيفة ، وما يعرض عليه هو الجلد »

ثم يأتى بعد ذلك الكلام على حرفة الفسال ومجازفة صاحبها بنفسه أمام خطر التماسح ، مما يدل على كثرة هذا الحيوان فى ذلك العصر فى النيل ، وما يلاقيه بسببها من تعب جثمانى ، وما يشعر به من تعس عندما يضع مئزر سيده ليؤدى فيه عمله . فيقول :

« والفسال يفسل على الموردة ، وإذا ذاك يكون جاراً قريباً للتمساح (فى صورة إله) وعندما يخرج الوالد (الفسال) متجهاً نحو الماء المضطرب فإن ابنه وابنته يكونان فى عمل هادئ منعزل عن كل عمل آخر ، وعندئذ يقول ابنه وابنته : إن هذا ليس بعمل يجد فيه الإنسان راحة ، وهو منفصل عن أى عمل

(١) لأن أولاده يكونون قد قسموا مسكه طناً منهم أنه قد مات فى طريقه

آخر . وغذاؤه يكون مختلطاً بمكان حساباته . وليس فيه عضو سليم . وإذا ارتدى مئزر المرأة فإنه وقتئذ يكون تمسا ، وهو يبكي حينما يمضى وقته حاملاً « مكاتن » ويقال له - « الفسيل » - اسرع إلى

ويعقب هذا بحرفة أخرى ليست من نوع الحرف السابقة ، بل هي حرفة لهو ، ولذلك يقول عنها إنها تجعل صاحبها يهمل أعماله ، وأعنى بها حرفة صيد العصافير ، فيقول : « وصائد العصافير تراه في منتهى التمسع عندما يشاهد ما في السماء ويهمل أعماله (وفي رواية أخرى : وعندما تطير الطيور المتنتقة^(١) في السماء يقول : ليت عندي شبكة هنا . ولكن الله لا يهيء له نجاحاً (؟) »

بعد ذلك ينتقل إلى حرفة صيد السمك ، ويصف الحكيم لابنه ما فيها من أخطار التماسح ، فيقول :

« إنى مخبرك كيف أن حرفة صياد السمك أكثر تمسا من أية حرفة أخرى . فإنه يشكو منها . أليس عمله على النهر حيث يختلط بالتماسيح (؟) . وإذا لم يقل له الإنسان يوجد تماسيح فإن خوفه يعميه »

وهنا ينتقل الكاتب الحكيم إلى إطرأ حرفة الكتابة . فيقول :

« إن صاحبها هو الذى يصدر الأوامر »

ثم يصفها بأنها أحسن من كل الحرف التى استعرضها أمامه فيقول :

« تأمل ! . فإنه لا توجد حرفة من غير رئيس لها إلا صناعة الكاتب فهو رئيس

نفسه^(٢) . فإذا عرف الإنسان الكتب فإنه يقال عنه بحق : إنها مفيدة لك ...

وما أقوم به فى سياحتى إلى الحاضرة تأمل ! إنى أقوم به حباً فبك . ويوم فى

المدرسة مفيد لك وما تعمله فيه يبق مثل الجبال »

(١) تؤلف الطيور المتنتقة عنصراً هاماً فى طعام المصريين

(٢) هذه الفكرة هى الغرض الذى يرمى إليه الكاتب من كل أقواله

ويعقب هذه الكلمات الحكيمة بعض فقرات غير مفهومة وتدل مقدمتها هذه :

« دعنى ألق عليك فضلا عما سبق كلمات لأعلمك » على أنها تبحث فى موضوع

جديد ؛ ومن المحتمل أنها إضافات قد أدخلت على المتن الأصلي فيما بعد . فمنها فقرة تعلم الإنسان حسن السلوك فى حضرة العظيم . فيقول حكيمنا :

« إذا دخلت ورب البيت فى داره مشغول بآخر قبلك فعليك أن تجلس ويدك فى فك . ولا تسألن عن أى شىء ، وفصلا عن ذلك لا تتكلمن بكلمات غامضة ، ولا تنطق بلفظة وقحة ثم إذا حضرت من المدرسة وقد أعلن وقت الظهر لك وأنت سائر تصيح فرحا فى الطرقات ، فحينئذ وإذا أرسلك رجل عظيم برسالة فأدها كما ألقىت عليك ولا تنقص منها ولا تزد »
وبلى ذلك نصيحة غالية فى القناعة فى المأكل والشرب من أحسن ما قيل فى هذا الباب إذ يقول :

« كن قنوعا بطعامك ، إذا كان يكفيك ثلاثة رغفان وشرب قدحين من الجعة ، فإذا لم يكن بطنك قد اكتفى بعد فخاربه (١) »

ثم إن الحكيم يحض ابنه على أن يستمع لكلمات الرجل العظيم ويتخذ لنفسه صديقا من سنه . فيقول :

« انظر . إنه لحسن أن تفض الجمهور وتستمع منفردا إلى كلمات العظيم ...
اتخذ لنفسك رجلا صديقا من جيلك »

وفى النهاية ترى « خيتى » يقول لابنه إنه قد وضعه على الطريق الإلهية وإن ربه « حصاد الكتاب » على كتفه منذ يوم ولادته ، أى أنه لن يقاسى آلام الحاجة ، وأنه بفنه يصل إلى أعلى وظيفة فى البلاط ، بأن يصبح عضواً فى المجلس الأعلى للحكام (قنبت) ، بل قد يكون الرئيس فيه بما أوتي من علم وحكمة ، ثم يخبره أن هذا الطريق محمد أمامه وأمام أولاد أولاده . فيقول :

« انظر . إني قد وضعتك على طريق الإله ، وإن « رنوت »^(١) الكاتب (أى ربة الحصاد للكاتب) قد أصبحت على كتفه منذ يوم ولادته . وهو يصل إلى باب مجلس « القنبت » عندما يصل إلى سن الرجولة . تأمل ! إنه لا يوجد كاتب قد حرم القوت الذى هو متاع بيت الملك عاش فى صحة وفلاح . و« مسخت » (إلهة الكتابة) هى سعادة الكاتب ، وهى التى تضعه على رأس المجلس الأعلى (قنبت) . ويجب على الإنسان أن يشكر والده ووالدته اللذين وضعاه على طريق الأحياء . والآن تأمل ، فإن هذا (أى ما نصحتك به) ما أضعه أمام وجهك ووجه أولادك . وقد انتهى هذا بإسلام

المصادر :

أهم المصادر التى يمكن الرجوع إليها فى دراسة هذه التعاليم ما يأتى :

- (1) Papyrus Sallier II; and Papyrus Anastasi VII (British Museum, London).
- (2) Pieper, "Die Agyptische Literatur", p. 30.
- (3) Peet, "A Comparative Study of the Literatures of Egypt, Palestine and Mesopotamia", pp. 104 ff.
- (4) Piankoff, "Quelques Passages des Instructions de Douaf sur une Tablette du Musee du Louvre", "Revue d'Egyptologie", Tome II. (1933) pp. 51 — 74.
- (5) Erman, "The Literature of the Ancient Egyptians", pp. 67 ff.
- (6) Maspero, "Genre Epistolaire", pp. 48 ff.

(١) يظهر أن « رنوت » ربة الحصاد كان لها علاقة بعبادة نعرفها من التماثيل ، وذلك أن يكتب الإنسان اسم سدد ـ مطريقة « الوسم » أو الوشم على الجزء العلوى من الذراع ، وبذلك يكون الكاتب ملكاً للآلهة التى تمدّه بالحبر والوسم

(تعالم سحتب أبرع)

كان الفرعون « أمنمحات » الثالث (١٨٤٤ - ١٧٩٦ ق م) من أعظم ملوك الأسرة الثانية عشرة . فقد بلغت البلاد أوج مجدها في عهده بعد أن كانت في حالة فوضى واضطراب في عصر العهد الإقطاعي ، وقد بدأ روح الوحدة يدب في جسم الدولة خلال حكمه بفضل جيل الموظفين الجديد الذي عمل ملوك هذه الأسرة على إنشائه ليلتف حولهم ، وليكون لهم نصيراً وظهيراً على تسيير أداة الحكم في البلاد والقضاء على حكام المقاطعات الذين كانوا أكبر عقبة في سبيل توحيد نظام الحكومة والنهوض بها . فلا غرابة إذن أن نرى هؤلاء الموظفين حريصين على بث روح الطاعة والمحبة لملكهم في نفوس أولادهم . وقد بلغ بهم حب الفرعون درجة جعلت تعالم بعضهم لأبنائه تدور حول حب الفرعون وخدمته والإخلاص له ، لا أن ترشدهم إلى الحياة الصالحة السعيدة كما كانت التعالم التي وصلت إلينا حتى الآن . بل إن الكاتب الذي فعل ذلك غالى ، فلم يشأ أن يكتب تعاليمه على ورق بردى ، بل نقشها على صفحة حجرية وجعلها شاهداً لقبره حتى يضمن خلودها ويراهها أولاده في كل وقت يزورون فيه قبره ، لأن القبور كما نعلم كانت تحاط بكل عناية في كل أزمان التاريخ المصري ، وكان بكر أولاد المتوفى يُنصب عادة كاهناً يزورها ويقدم لوالده القربان كل يوم .

ولا غرابة في أن تشيع هذه العادة في ذلك العهد . ولم يصلنا بكل أسف إلا هذه اللوحة الحجرية التي تحدثنا عنها . وقد يكون لكتابها صلة خاصة وثيقة بالملك أكثر من غيره ، فغالى في حبه لمولاه ونقش هذه التعالم إظهاراً لولائه للفرعون وليسير أولاده على نهجه في حبهم وولائهم له . والواقع أن كاتب هذه النصائح كان موظفاً كبيراً في المالية ، ويقول إن الملك قد مدحه أمام (الملايين) وإنه كان صديقاً حميماً لسيده الذي كان يطلعه على أسرار الخفية . وقد صاغ الكاتب عقود المدح لهذا الفرعون وأظهر عظمته ، ومثله أمام أولاده بأنه يفوق كل إله وأنه هو الذي يعطى من يشاء ويحرم من يشاء . ويرى القارىء أن المؤلف ينصح أولاده أن يحاربوا في جانب الملك مما يتفق وروح العصر الذي كان عصر نضال وحروب لتثبيت عرش الملكية بتوحيد البلاد تحت حكم ملك واحد .

وقصارى القول أن هذه اللوحة كانت نوعاً من الدعاية للملكية في ذلك العهد ، ولكنها دعاية فريدة وحاذقة في بابها . ومن الجائز أنها كانت عادية منتشرة وقتها ، غير أنه لم يصلنا نحن منها إلا هذه الوثيقة وصيغتها :

المتن :

« إني أتحدث عن أمر عظيم ، وأجعلكم تصفون إليه . وإني أنقل إليكم فكرة للأبدية^(١) وحكمة للحياة الصحيحة ، ولأجل أن تمضوا مدة الحياة في نعيم . احترموا الملك « نى معات رع » بأجسامكم ، وألقوا بين قلوبكم وجلالته . إنه هو الفهم الذى فى القلوب ، وعينه تفحصان كل إنسان . وإنه « رع » الذى يرى الناس بأشعته . وإنه يضئ الأرضين أكثر من الشمس ، ويجعل الأرضين أكثر نضارة من نيل عال ، وإنه ملأ الأرضين قوة وحياة والأنوف تصير باردة حينما يحنج إلى الرعب^(٢) . وعندما يكون طلقا يتنسم الناس الهواء ، وهو يعطى من يخدمونه القوة الحيوية ، ويعد بالطعام من يسير على نهجه . والملك قوة حيوية وفيه^(٣) الرخاء بعينه وإنه هو الذى يطعم من سيكون ، وإنه الإله « خنوم »^(٤) لكل الأجسام والمبدع الذى يخلق كل الناس ، وهو « باستت »^(٥) التى تحمى الأرضين ، ومن يحترمه ينج من ساعده ، ولكنه الإلهة « سخمت » لمن يتعدى أمره . حازبوا لاسمه ، ودافعوا عن حياته حتى تنجوا من الكريهة (القدر) . ومن كان صاحباً للملك فانه سيكون محترماً ، ومن كان عدواً للملك . فلا قبر له وجسمه يلقى فى الماء فافعلوا ذلك لتصح أجسامكم . نعم ، إن ذلك لمجد لكم إلى الأبد »

المصادر :

(1) Stele, Cairo Museum, No. 20538.

(2) Erman, "The Literature of the Ancient Egyptians", pp. 84 — 85.

(١) أى تفكرون فيها دائماً

(٢) يعنى أن نفس الحياة الذى يعطى الجسم حرارة يخرج من الأنف فإذا انقطع أصبح الأنف

بارداً وذهبت الحياة عنه

(٣) الذى ينطق بأوامر

(٤) كما أن خنوم يسوى الأجسام فهو كذلك ينشئ العظام

(٥) باستت هى الإلهة الشقيقة لها رأس قطة . أما « سخمت » فهى الإلهة المربعة ولها رأس أسد .

(نصائح «آنى»)

لقد كانت دراساتنا فى باب الحكم والنصائح والتعاليم حتى الآن مستقاة مما وصل إلينا من الدولتين القديمة والوسطى على ما يظهر ، وإن كان بعضها قد أعيد كتابته بلغة الدولة الحديثة تمشياً مع التطورات الأدبية والاجتماعية ؛ إذ قد لاحظنا فى أثناء دراساتنا للوثائق الخاصة بذلك العصر أن الكتاب الواحد قد كتب فى عصر الدولة الوسطى مثلاً ثم أعيدت كتابته فى الدولة الحديثة مع ظهور تغيير جوهري عن النسخة القديمة . ولا أدل على ذلك من أمثال « بتاح حتب » التى عثرنا على نسخ منها من الدولة الوسطى وأخرى من الدولة الحديثة . وما يدرينا ! لعل الأيام تسعدنا فجأة بنسخة من الدولة القديمة التى تنسب إليها تلك الأمثال والحكم الفالية .

أما فى الدولة الحديثة فقد وصلت إلينا حتى الآن وثيقتان : واحدة تمثل أدب هذا العصر أو على الأقل كتبت بلغة هذا العصر التى تسمى باللغة الحديثة . وهذه الوثيقة هى نصائح « آنى » لابنه « خنسحتب » . وإذا أردنا أن نحدد تاريخ هذه الورقة من أسماء الأعلام التى وردت فيها فعلى بلا شك كانت أعلاماً مستعملة فى عهد الدولة الحديثة ؛ فاسم « آنى » وابنه « خنسحتب » من الأسماء المتداولة منذ الأسرة الثامنة عشرة ، غير أن الكاتب « آنى » نسب نفسه إلى بيت الملك « نفركارع تارى » الذى ينسب إلى الأسرة الثامنة ، رغم أنه سمي نفسه وابنه باسمين من أعلام الدولة الحديثة ، ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى ما كان للأدب القديم وبخاصة أدب الأمثال والحكم من منزلة ، فكل ما كان قديماً له فى نظر القوم روعته واحترامه . وهذا ما نشاهده فى الأدب العربى ، فكم من قصيدة كتبت فى العصر العباسى أو العصر الأموى ثم نسبت إلى شعراء الجاهلية لتكون أوقع فى النفوس وأبهج للعين وأحلى للأذن . ومع ذلك فقد كان من السهل كشف الحقيقة فى كل من الأدب العربى والأدب المصرى ، وذلك من التعابير والاصطلاحات اللغوية التى كان يتميز بها كل عصر من عصور الأدب .

واللغة التى كتبت بها هذه النصائح يرجع تاريخها إلى بداية العصر الذى استعملت فيه اللغة المصرية الجديدة وهو نهاية عصر «الهكسوس» . ولا أدل على ذلك من أن النسخة التى وصلت إلينا قد نقلها تلميذ من تلاميذ الأسرة الثانية والعشرين حسب رأى الأستاذ «أرمن» .

وقد وجدنا بها أغلاطا كثيرة جداً لدرجة أصبح من المستحيل معها تقريباً فهم فقرات بأكملها . ومن المحتمل جداً أن هذا التلميذ لم يفهم كثيراً من محتويات الكتاب ، لأن اللغة الحديثة التي كتب بها لم تكن لغة العصر الذي عاش فيه ؛ بل كانت لغة القوم الذين عاشوا قبل زمنه بنحو ٣٠٠ أو ٤٠٠ سنة . ولدينا دليل مادي على ذلك ، إذ وجدنا في متحف « برلين » أدوات كتابة لتلميذ عاش في خلال الأسرة الثانية والعشرين ، ومن بينها لوحة كتابة مكتوب عليها الكلمات الافتتاحية لنصائح « آني » . غير أننا لاحظنا أن التلميذ لم يفهم هذه الجمل الافتتاحية ، ولذلك وجدنا معها شرحها باللغة التي كانت مألوفة له . فنقرأ :

« أول التعليم الوعظي (= فاتحة التعاليم الوعظية) لمؤلفه الكاتب « آني »
(= التي ألفها الكاتب آني) التابع لبيت « نفر كارع تاري »

وهذا طبعاً ما نجده بالضبط عندما نقرأ مؤلفاً قديماً لم يكن في مقدور القارئ فهمه فيسهل أمر فهمه بالشرح والتعليق عليه .

وهذه النصائح كما قلنا من قبل تقليد حديث لكتب الحكمة القديمة . والواقع أنها تشبهها من ناحية أنها تعليم والد لابنه ، إلا أن المجال هنا على ما يظهر أوسع أفقاً ، ويشتمل على حيوية وتجارب أكثر مما نجده في تعاليم « بتاح حتب » وغيره ممن كتبوا في هذا الموضوع . غير أنه مما يؤسف له جسد الأسف أنه قد وصل إلينا في نسخة واحدة كما قلنا مشوهة لحد بعيد ؛ ولذلك فإن قيمة هذه الوثيقة الحقيقية لا يمكن أن نقدرها قدرها الذي يليق بها في الأدب المصري إلا إذا عثر على نسخ منها خالية من تلك الأغلاط الفاحشة . ومع كل فني على حالتها تعد من أحسن ما وصل إلينا من الأدب المصري في النصائح والحكم والتجارب والمعاملات الإنسانية من حيث الأخلاق والدين والسلوك في الحياة الدنيا .

وستتناول هنا الموضوعات التي عالجها « آني » بقدر ما يسمح به فهمنا للمتن ، تاركين ما غمض منها للوقت الذي تجود به تربة مصر علينا بنسخة أخرى من هذا المؤلف العظيم ، وعندئذ تلقى علينا ضوءاً جديداً لفهمها .

يفتح هذا الحكيم كتابه معهداً لابنه ما تحمله نصائحه من فوائد وما سيعود عليه منها لو اتبعها فيقول :

« إني مخبرك بكل فاضل ، وبما يجب أن تعيه في لبك ، فاعمل به ، وبذلك تكون محموداً ، ويتمد عنك كل شر . . . وسيقال عنك (إذا اتبعت ما أقول)

إنه على خلق عظيم ، ولن يقال : « إنه قد أ تلف وإنه بليد » . وإذا تقبلت كلماتي فإن كل شر سيبتعد عنك »

ثم يتلو هذه النصيحة الأولى عدة نصائح أخرى في الحذق في الكلام وقلته وعدم التفاخر بالقوة ، غير أنها كلها قد استمعى علينا فهمها ، إلى أن نصل إلى نصيح حكيمنا لابنه في أن يتخذ لنفسه زوجة وهو لا يزال في ريمان الشباب ليكون له خلف صالح يسعد بهم ويربيهم في حياته ، فيقول :

« اتخذ لنفسك زوجة وأنت لا تزال شابا لتنجب لك ولدا . ويجب أن تنتج لك وأنت لا تزال صغير السن . ويجب أن تعيش لتراه قد صار رجلا (؟) فما أسعد الرجل الكثير النسل ! فهو يحترم بسبب أولاده » .

وبعد أن تكلم لابنه عن تأسيس الأسرة أراد أن يذكره بجانب ذلك بتقوى الله وأداء ما عليه من الواجبات نحوه فيقول :

« احتفل بعيد إلهك وإن الله يغضب على من يستخف به . واجعل شهودا يقفون عند قربانك (التي تقربها لله) فإنه لأحسن شيء لمن يؤديه (؟) . وإن الغناء والرقص والبخور لمتعلقة بخدمته (؟) . أما تقبله الاحترام فمن حقوقه فقدمها للإله حتى تمظم اسمه »

(وجاء في القرآن الكريم « واذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون »)

ينتقل بنا بعد ذلك « آنى » إلى تعليم ابنه المعاملات الاجتماعية ، فيعلمه أولاً أدب الزيارة ، فلا يدخل بيتاً إلا بعد الاستئذان ، وعندما يدخل يفض طرفة عن كل عيب ولا يشكلم عن شيء رآه معيباً في زيارته ، فيقول :

« لا تدخلن بيت غيرك ولا تمنن في النظر إلى الشيء المتقدم في يته ، إذ يمكن لعينك أن تراه . ولكن الزم الصمت ، ولا تتحدثن عنه لآخر في الخارج ، حتى لا تصبح جريمة كبرى تستحق الإعدام عندما تُسمع (؟) »

وبهذه المناسبة يحذره الزنا ويذكره بأن المرأة لغز ملتوفلا ينفخدع بإغرائها، وبأن ارتكاب الفاحشة يعاقب عليه بالقتل أمام القانون . فيقول :

« خذ حذرک من المرأة الأجنبية تلك التي ليست معروفة في بلدها ولا تغمزن لها بعينك . . ولا تبغ معها (؟) ، فهي ماء عميق لا يعرف الرجال التواءاته (تياراته) . والمرأة البعيدة عن زوجها تقول لك كل يوم « إني جميلة » ، ولذلك عندما تكون بعيدة عن أعين الرقباء تقف أمامك لتوقعك في حبائلها وإن ذلك (الزنا) لجرم عظيم يستحق الإعدام عندما يرتكبه الإنسان . ثم يعلم بذلك الملاء ، لأن الإنسان يسهل عليه بعد ارتكاب تلك الخطيئة أن يرتكب كل ذنب » يتحدث بعد هذا « آنى » في فقرة صغيرة عن سمعة الرجل أمام القضاء بعد أن تكلم عن سمعته أمام الناس بالنسبة للمرأة فيقول :

« لا تدخلن وتخرجن في قاعة العدل (المحكمة) حتى لا يفوح اسمك (من كثرة القضايا) . ولا تتكلمن كثيرا ، وكن صامتا لتكون سعيدا ، ولا تكن ثار نار » ويطالنا بعد ذلك بتعليم ابنه معنى التقوى الحقيقية نحو الله ثم نحو أبويه فيقول :

« إن بيت الله يعقت الهرج ، فصل بقلب محب ولا تجهربصلاتك ، وبذلك ستقضى كل حوائجك ، وسيسمع (الله) ما تقول ويتقبل قربانك » هذا عن الإله . أما عن الأبوين فيقول :

« قرب الماء لأبيك وأمك اللذين يسكنان في وادي الصحراء (الجبانة) ولا تنس أن تؤدى هذا حتى يعمل لك ابنك بالمثل »

ثم ترى « آنى » يحض ابنه على الابتعاد عن المسكرات شارحا له في صورة حية ناطقة ما يبدو على السكير من سوء الحال فيقول :

« لا تلزم نفسك (من باب الفخر) بأنك تستطيع أن تشرب إبريقا من الجمعة ، فإنك (بعد ذلك) تتكلم ويخرج من فيك قول لا معنى له . وإذا سقطت وكسرت ساقك فلن تجد أحدا يعيده إليك (ليساعدك) . أما إخوانك في الشراب

فيقفون قائلين ، « أبعادوا : هذا الأحمق » . وإذا حضر إنسان ليبحث عنك
ليستجوبك فستكون طريح الثرى ، ومثلك (فى هذا) كالطفل الصغير «
ثم يذكره بعد هذا بالألا يتردد على البيوتات المريبة فيقول :

« لا تخرج من بيتك إلى بيت لا تعرفه (؟) ، واجعل كل بيت تحبه معروفا
(حتى لا يرتاب أحد فى سلوكك) »

وبعد أن تكلم عن كل هذه الأشياء الفاضلة التى يجب على ابنه أن يرعاها فى الحياة انتقل
إلى تذكيره بالموت وأنه يجب عليه أن يعد لنفسه قبرا ليثوى فيه ، وهذا أمر كان يهتم به
كل مصرى قديم طوال حياته ، إذ كان إعداد القبر فى المنزل الأولى . فيقول :

« أعد لنفسك مأوى جيلا فى وادى الصحراء ، وهى الحفرة التى ستوارى
جثمانك ، فاصنع أمام عينيك فى مشاغلك مثل السلف العظام الراقدين فى
مداقبهم (؟) . وإن الذى يبنى القبر لنفسه لن يقابل باللوم (على ذلك) . وإنه لجليل
أن تعد لنفسك كذلك على هذا النحو (قبرا) . وسيأتى إليك الرسول (الموت)
وسينصب نفسه أمامك ، فلا تقولن . « إني لا زلت صغيرا جدا لتختطفني ،
لأنك لا تعرف حتفك . والموت يأتى ويختطف الطفل الذى لا يزال يرضع
ثدى أمه ، كما يختطف الرجل عندما يصبح مسنا »

يأتى بعد هذه الفقرة فقرة طويلة بعض الشيء ينصح فيها « آنى » ابنه بأن يكون يقظا
فى المعاملات الاجتماعية ، غير أن معظمها غير مفهوم لنا تماما :

« تأمل ! إني أقص عليك أشياء أخرى طريفة ، يجب عليك أن تعيها فى
لبك . فأدّها وستكون بذلك سعيدا ، وسيبتعد عنك كل سوء »

ثم يشير على ابنه بعد هذه المقدمة بأن يتخير صديقه بعد التجربة على ألا ينزل إلى طبقة
المبيد ويأخذ منهم صديقا فيقول :

« ابتعد عن الرجل المعادى ولا تتخذنه خذنا لك ، بل اصطف لنفسك

صديقا مستقيما عادلا . وعندما ترى ما فعله (؟) ولا تتخذن لنفسك صديقا كان عبداً لآخر سىء السمعة فإذا اقنئ أثره إنسان ليقبض عليه وليأخذ من كان فى بيته (أى العبد) فإنك ستكون تمسا وتقول : « ما العمل ؟ »

وينصح بعد ذلك « آنى » ابنه بأن لايفتر بالمال ، وأنه ليس مصدر سعادة وألا يعتمد على مال غيره ولا يبنى قصوراً على ما سيرته من مال جده . فيقول : « يبنى الإنسان بيتا لنفسه ، (وهب) أن قطعة أرض صارت ملكا لك وقد حُوِّطت بسياج من النبات المزهر أمام حقلك الخصب ، وغرست فيها شجرة الجيز وأنت قد ملأت يدك بكل الأزهار التى تتصورها العين ، ولكن مع كل هذه (الاشياء) قد يكون الإنسان شقيا لا تتكلم على مال إنسان آخر ، واحذر أن تفعل هذا ، ولا تعتمد على متاع الآخر ولا تقولن « إن والدأى له بيت » ... لأنه إذا جاءت القسمة مع إخوتك فإن نصيبك لا يكون (إلا) مخزنا . « وإذا أراد الله أن يولد لك طفلا »

ثم يحض حكيمنا ابنه على احترام غيره فيقول :

لا تعتمد إذا كان غيرك أكبر سنا واقفاً أو آخر يشتغل فى مهنة (معك) زمناً أقدم منك .

وينتقل بنا « آنى » إلى موضوع المعرفة ومكانتها فى المجتمع والكاتب وسمو حرفته ، فيقول : « إذا كنت ماهرا فى الكتابة فإن الناس أجمع يفعلون كل ما تقوله . إذن خصص نفسك للكتب وضعها فى لبك ، وبذلك يكون كل ما تقوله ممتازا ، كل وظيفة يعين فيها الكاتب فإنه (لا بد) يستشير فيها الكتب (وبذلك يلازمه النجاح) . فليس هناك ولد للملاحظ الخزانة ولا وارث للملاحظة الحصن

.... الوظائف لا أولاد لها (وفي هذه الحالة يحصل عليها الأكفاء الذين تعلموا كثيرا) »

ثم يعود « آنى » إلى تحذير ابنه ليكون محترساً فى كلامه خوفا من الخطأ فى القول ويعلمه أن جوفه يتسع لحفظ كل ما يريد أن ينطق به لسانه فيقول :

« لا تفضين بما فى قلبك إلى ... رجل فإن كلمة خاطئة خرجت من فيك إذا أعادها من سمعها تجعل لك أعداء ، وإن الإنسان ينزل به الخراب من جراء لسانه . وإن بطن الإنسان أوسع من مخزن الغلال ، فهو مضم بكل أنواع الأجوبة . وعليك أن تنتخب خير الكلام وتحدث به ، واجعل القبيح سجيناً فى بطنك . وفى الحق ستكون دائماً معى ، وستجواب من يضرنى بقول الكذب ، ومع ذلك فإن الله يحكم فى صالح الحق ، وعندئذ سيأتى عقابه ويلحق به (يظهر أن المؤلف يشير إلى عدو قد ألحق به ضرراً قد ذكر فى الجزء المفقود من نصائحه فى أول الكتاب) . »

وبعد ذلك يعود مرة ثانية إلى العلاقة التى يجب أن تكون بينه وبين ربه فيحثه على تقديم قربان ، وعلى ألا يفتال حقوقه ، ولا يسأل عن صورة ربه ، ولا يمشى الخيلاء فى موكبه مما يذكرنا بقوله عز وجل فى القرآن : « ولا تمش فى الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً » ، وأن الله هو الذى يجعل من يشاء عظيماً . ثم يشير من طرف خفى إلى أن الله واحد ممثل فى الشمس ، وأما الآلهة الذين على الأرض فهم صور مختلفة له فيقول :

« قدم قرباناً لألهتك واحفظ نفسك من التعدى (على حقوقه) ولا تسأل عن صورته ، ولا تمش الخيلاء حينما يخرج فى موكبه (أى الإله) ولا تتزاحم على حمله (فى الموكب) ... ودع عينك تعرف قيمته ، واحترم اسمه لأنه هو الذى يعطى القوة (ملايين) المخلوقات . وستقصر العظمة على من يجعله هو عظيماً . إن إله هذه الأرض هو الشمس التى فى الأفق و (لكن) صورته على الأرض ، فليقرب إليها البخور كل يوم »

وبعد أن عرف حكيمن ابنه كيف يعامل ربه انتقل به إلى معاملة الوالدة وما لها من فضل عليه في حله وترتيبه مما يذكرنا بقول الله تعالى : « وبالوالدين إحسانا » فيقول :
 « ضاعف مقدار الخبز الذي تعطيه والدتك ، واحملها كما حملتك ، ولقد كان عبؤها ثقيلا في حملك ولم تتزك لي قط أبداً ، وحينما ولدت حملتك كذلك ثانية بعد شهور حملك حول رقبتها ، وقد أعطتك ثديها ثلاث سنوات ، ولم تشمئز من برازك ، ولم تكن متبرمة ولم تقل « ماذا أفعل أنا » . ولقد ألحقتك بالمدرسة عندما تعلمت الكتابة ، وقد وقفت هناك يوميا (خارج المدرسة) ... بالخبز والجمعة من بينها . وحينما تصبح شابا وتتخذ لنفسك زوجة وتستقر في بيتك اجعل نصب عينيك كيف وضعتك أمك وكيف ربتك بكل الوسائل . فليتها لا تضرك بالألا ترفع أكف الضراعة إلى الله ، وليته لا يسمع عويلها^(١) ، ثم عرج بعد ذلك الحكيم ناسحا لابنه أن يكون شفيقا على الناس كذلك ، والألا يثق بالثروة لأنها كجرى الماء لا يبقى على حال ، فمن يكون غنيا اليوم قد يصبح فقيرا في الغد ، فيقول :
 « لا تأكل الخبز إذا كان هناك آخر يتألم من عدمه دون أن تمد يدك إليه بالخبز ، فواحد غني وواحد فقير ومن كان غنيا في السنين الخوالي قد أصبح هذا العام سائسا . ولا تكن شرها فيما يختص بلب بطنك . وإن مجرى الماء الذي كان يجري فيه الماء في السنة الماضية قد يتحول هذا العام إلى مكان آخر ، وقد أصبحت البحار العظيمة أما كن جافة وأصبحت الشواطئ هوات (أي بحارا) . . . »
 ثم يعود ثانية « آتى » إلى التحدث عن الزيارة وآدابها فيقول لابنه :
 « لا تذهبن إلى بيت إنسان بحرية . بل ادخله فقط عندما يؤذن^(٢) لك . وحينما يقول هو لك (أي رب البيت) أهلا بك بضمه (وتأتى بعد ذلك

(١) في هذه النصيحة إشارة لما تلاقيه الأم من ألم الفيرة عندما يتزوج ابنها وتلك سنة طبيعية تجدها في كل زمان ومكان
 (٢) قد جاء في القرآن الكريم (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا) الآية

جمله مبهمه) اعطه الإله واعطه يوما ثانيا للإله والغد مثل اليوم ، وسترى ما يفعلهُ الإله إذا أُطخ اسم الذى لطخك »

ويحتمل أن هذا الكلام يشير إلى إنسان قد ارتكب خطيئة وسيتولى الله عقابه عليها .

وينصح بعد ذلك « آنى » ابنه بأن يتجنب الشغب . فيقول :

« لا تدخلن فى زحام إذا رأيْت أنهن مستعدون للضرب . . . حتى لا تلام فى المحكمة أمام القضاة بعد تأدية الشهادة (؟) ابتعد عن أهل الشر . . . »

ثم ينصح ابنه بعد أن أصبح رب بيت أن يكون حكيما فى سلوكه مع زوجته حتى يبتعد عن كل شجار أو خلاف فيقول :

« لا تغتلب دور الرئيس مع زوجك فى بيتها إذا كنت تعرف أنها ماهرة فى عملها ، ولا تقولن لها : أين هى ؟ أحضرىها لنا ، إذا كانت قد وضعتها فى مكانها الملائم . واجعل عينك تلاحظ فى ضمت حتى يمكنك أن تعرف أعمالها الحسنة (وأنها) لسعيدة إذا كانت يدك معها وبذلك يتجنب الرجل تحريك الشجار فى بيته »

ثم يُذكر « آنى » فى الوقت نفسه ابنه بأن يحذر النساء الأجانب فيقول :

« لاتذهبن وراء امرأة حتى لاتتمكن من سلب لبك »

ولم يفت « آنى » أن يضع لابنه الخطط فى معاملة الرئيس حتى يكون سعيدا معه فيقول :

« لاتجيبين رئيسا فى حالة غضبه ، بل ابتعد من أمامه . واذكر حلو الكلام حينما ينطق بمره لأى إنسان ، واعمل على تهدئة قلبه ، فإن الأجوبة الشديدة تحمل غضبا (تؤدى إلى ضربك) وبذلك تنهار قواك . وإن الغضب يصوب نفسه نحو أعمالك فلا تنغصن نفسك ، على أن الرئيس سيلتفت ويشئى عليك بسرعة بعد فوات ساعته الخفيفة (ساعة غضبه) . وإذا كانت كلماتك مهدئة

للقلب فإن القلب يميل لاستيعابها . وجدّ في أن تكون صامتا واخضع لما يفعل .

وبعد أن رسم له الطريقة الرشيدة في معاملة رئيسه لم يفته أن يلفت نظره إلى أن يكون على وفاق مع رجال الشرطة ، فيقول :

« آتخذ من شرطة شارعك صديقا ولا تجعله يشور عليك ، وأعطه من طرائف بيتك حينما يكون منها في بيتك (في أيام العيد) ولا تتفاض عنه وقت صلاته ، بل قل له « المديح »^(١) لك » .

يتلو ذلك قطعة غير مفهومة ثم محادثة هي خاتمة الكتاب . وبعد أن فرغ « آنى » من إلقاء نصائحه على ابنه أجابه الأخير بأنه يتمنى أن يكون مثله ، ولكن شتان ما بينه وبين والده الذى كان صاحب همة عالية ومطامح سامية ، وأنه ربما يتعذر عليه أن يصل إلى ما وصل إليه « آنى » فيقول :

« آه ياليتنى مثلك ... حتى أعمل حسب تعاليمك وحتى يرق الابن إلى مرتبة والده ... إنك رجل صاحب مطامح عالية ، فكل كلماتك مختارة ، وإن الولد الذى يتصور خبثا فى نفسه يقول ... فى الكتب . إن كلماتك مريحة لقلبي ولبي يميل إلى استيعابها ، وإن قلبى لفرح . ولكن لا تجعل فواذك يتجاوز الحد فى غزارته ... إن الولد لا يعمل حسب التعاليم التى تثقف حتى لو كانت كل الكتب على لسانه^(٢) »

غير أن الوالد لما سمع هذا الجواب من ابنه أخذ القلق يساوره وأخذ يضرب له الأمثلة الطريفة فى الطاعة ويحثه على اتباع ما ألقاه عليه من النصائح فيقول « آنى » مجابا ابنه « خنسختب » :

« لا تثقن فى هذه الأشياء (؟) الخطرة ، وتجنب أن تعود إلى الشكوى

(١) وهذا ما يقابل عند المسلمين قول الإنسان « حرما »

(٢) ومعنى هذه الفقرة : أن الولد يقول لوالده لا تغال فى طلباتك ، وإلا فإنه رغم أنى أفعل حكمتك فى فى فلن يلتسنى لى أن أعمل حسبما جاء فيها

فإن قلبي لا يصنى إليها ، فإن الثور المحارب الذى قتل ما فى الحظيرة من ثيران لا يمكنه أن يغادر الحلقة (إذ يجب عليه) أن يأخذ أوامره من سائقه ، وكذلك الأسد المفترس يخفف من ثورته ويمر بكآبة على الحمار ، والجواد يخضع لنيره . . . والكلب يصنى للكلام ويتبع سيده ، والحيوان « كبرى » يحمل . . . إناء الذى لم تتحمله والدته . والإوزة تحط على البركة الباردة حينما تصاد ، وبذلك تنتفض فى الشراك (حزنا) . والعبيد قد تعلموا الكلام المصرى وكذلك السورىون وكل الأجانب . وقد تكلمت كذلك عن كل الحرف التى يمكن أن تسمع عنها وأعرف ما يجب أن يفعل »

أما الجواب الذى أجاب به « خنسحتب » أباه فبهم ، ومن المحتمل أنه يشير إلى الحقيقة القائلة (بأن كل الناس لاقيمة لهم) . فيقول :

« إن هناك جما غفيرا من الأدياء ، وليس هناك فرد يعرف تعليمه ، وإذا وجدت إنسانا حازما فإن الأكثرية أغبياء »

(ومن المحتمل إذن أنه يعاهد والده على الطاعة) فيقول :

« كل كلماتك ممتازة . . . وإنى أعطيك الموائيق بأن أضعها على طريقتك (التى رسمتها) »

وعلى ذلك يجيب الكاتب « آنى » على ما قاله ابنه بعبص أمثال حكيمة لا تزال تأخذ بالآلالباب وتستهوئ النفوس لأنها تنفذ إلى الأعماق . فيقول :

« ولّ ظهرك لتلك الكلمات الكثيرة التى ينبو عنها السمع ، فإن العصا المعوجة الملقاة فى الحقل والمعرضة للضّح والنّى يحضرها الصانع ويحملها مستقيمة ويصنع منها سوطا للشريف ، ولكن قطعة الخشب المستقيمة هى التى يصنع منها لوحا (للكتابة) ^(١) »

(١) ويقصد الكاتب أن الإنسان يمكنه أن يتقن كل إسان وإن كانت النتيجة تختلف . وبقى أن نعرف هل هذا الحكيم يفضل السوط الجليل أو اللوح (؟)

آه أيها القلب الذي لا يمكنه أن يتبصر في العواقب ، هل كانت آراؤك
في أن تعطى الموائيق أو أنك تفشل »

ومن الجائز أن « آنى » يعبر في الجزء الباقي عن أمله في أن يكون ابنه الذي يعرف
القوة التي في يده (أى يشعر بقوة نفسه) ، عاقلا كالطفل الذي في حضن أمه ، فإنه عندما يبلغ
سن التمييز لا يريد الاستمرار في الرضاعة بل يجد فيه (أى يتكلم) ليقول أعطني خبزا .

المصادر :

هذه التعاليم لا تزال غامضة وتحتاج إلى درس جديد وأهم المصادر التي يمكن الرجوع
إليها حتى الآن هي :

- (1) Breasted, "The Dawn of Conscience", p.p. 319 f.f.
- (2) Erman, "The Literature of the Ancient Egyptians", p.p. 234 f.f.
- (3) Spiegel, "Die Praambel des Amenemope und die Ziellsetzung der Agyptischen Weisheitsliteratur", p. 15.

تعاليم «أمنموبى»

مقدمة :

لا بد أن القارئ قد لاحظ في نصوص «آتى» نموا وتطورا كبيرين في الوعي الإنسانى برجمان فى أصلهما إلى المؤثرات الاجتماعية ، ثم إلى التفكير العميق فى هذا العصر ، إذ نجد أن المتعبدين يمتدحون بالوعي الإنسانى ويذكرون من غير تحفظ أنه أمر الله نفسه . على أن تلك الفكرة كانت قد ظهرت قبل بداية عهد الإمبراطورية المصرية بنحو خمسمائة سنة . ولكن فى العصر الذى نحن بصدده الآن ، أى العصر الذى يعد عصر الورع الشخصى صار «الضمير» هو الإيحاء الإلهى الحق ، وذلك ما لم يحدث من قبل أبدا ، وفى تلك الأحوال لم يكن هنالك بالطبع إخفاء للخطيئة أو إنكار لها بعد وقوعها من الخطيئة ، إذا كان المتعبد فى ذلك الوقت يشعر بأن أمره كان معلوما عند ربه لأنه كان يضع نفسه بدون تحفظ فى يد الله للرشد والمهيم على كل حياته وحظه ، ومع أن إرضاء المجتمع كان لا يزال الأمر الهام وأن الإحساس بضغوط المؤثرات الاجتماعية كان لا يزال موجودا ، فإن المسئولية أمام الإله المليم بكل شيء كانت مع ذلك فوق كل شيء . وهذا الموقف الجديد الذى شاهدنا بوادره فى التعاليم للاضحية قد كشف لنا غطاؤه فى مقال ممتع وأغنى به تعاليم «أمنموبى» . وقبل أن نتكلم عن محتوياتها والرسالة التى أدتها إلى العالم يجدر بنا أن نتكلم ببعض الإيجاز عن تاريخها فنقول : وجدت هذه التعاليم مكتوبة على ورقة بردية محفوظة الآن فى المتحف البريطانى . وقد حصل عليها السير «ولس بدج» عام ١٨٨٨ ومعهما ورقة أخرى تشتمل على جزء من كتاب الموتى وقد بقيت تعاليم «أمنموبى» فى زوايا النسيان إلى أن نشر الأستاذ «بدج» بعض قطع منها فى عيد شيلبون .

(1) Recueil d'Etudes Egyptologiques dediees à la Memoire de Jean François Champollion, (Paris, 1922). pp. 341 — 346, ("The Precepts of Life by Amen-em-apt", described by E. A. Wallis Budge).

وفى العام التالى طبع الأستاذ «بدج» متن كل التعاليم بالهيراطيقية ثم كتبه بالهيرغليفية وترجمه وعلق عليه فى :

(2) Wallis Budge, "Facsimiles of Egyptian Hieratic Papyri in the British Museum", with Description and Summary of Content (Second Series, London, 1923) pls. 1 — 14.

وبعد ذلك قام بدرسها الأستاذ « لنجا » الأثري الدنماركي ، وخطا خطوات واسعة في إعطاء معناها الحقيقي وأعقب ذلك درس الأستاذ « إرمن » لهذه الوثيقة .

(3) "Das Weisheitbuch des Amen-em-Ope", Orientalische Literaturzeitung (1924), pp. 241 — 252.

وفي يناير سنة ١٩٢٤ طبع « بدج » هذه النصائح مرة ثانية وأضاف على الترجمة بعض إصلاحات .

(4) "The Teaching of Amen-em-apt", (London, 1924).

وبعد ذلك طالعنا الأستاذ « إرمن » بمقال عن هذه النصائح والتعاليم برهن فيه على أن هذه الوثيقة كانت مصدرا أخذت منه حكم سليمان عليه السلام .

(5) Erman, "Eine Agyptische Quelle der Sprüche Salomos", Sitzungsberichte der Preussischen Akademie der Wissenschaften, philosophisch-historische klasse (1924), pp. 86 — 93.

تم تناول هذا الموضوع ثانية الأستاذ « لنجا » في كتابه .

(6) "Das Weisheitbuch des Amen-em-ope".

وقد طبعه في عام ١٩٢٥ .

وقام بترجمة هذه الوثيقة الأستاذ « جرفت » في « مجلة الآثار المصرية » ووازن بينها وبين أمثال سليمان .

(7) Griffith, "The Journal of Egyptian Archaeology, "Vol. XII, pp. 191 ff.

ويجد القارئ في الترجمة الأخيرة بعض تحسينات جديدة في قراءة الأصل المبراطيقي .

وأخيرا نجد الأستاذ برستد قد تناول هذه الوثيقة يبحث ممتع في كتابه « فجر الضمير » .

(8) Breasted, "The Dawn of Conscience", pp. 320 — 330, 331, 364—366, 371, 372 — 382.

العصر الذي كتبت فيه التعاليم

وقد اختلف علماء الآثار في تحديد تاريخ هذه الوثيقة . غير أن الرأي الأخير يجعل عصرها ينحصر ما بين الأسرة الحادية والعشرين والثانية والعشرين ، وهذا هو رأي كل من الأستاذ « إرمان » والأستاذ « لنجا » .

وقد كان رأى الأستاذ « إرمان » يتركز على أن هذه التعاليم تشبه تعاليم « آنى »
السالفة من حيث المادة واللغة ، ومن حيث الشيوع فى الاستعمال ، إذ الواقع أن تعاليم
« أمنموبى » كان لها شهرة عظيمة للدرجة أنها كانت تستعمل بكتابة كتاب مطالعة^(١)
وتمرين فى المدارس فى عهد الدولة الحديثة ؛ فقد عثر على لوحة فى متحف « تورين » من الخشب
عليها طبقة من الجص مكتوب على كل من وجهيها فقرات من هذه التعاليم . وهذا
ملاحظناه سابقا فى ورقة « آنى » .

المـتـن

المقدمة

- ١ بداية درس الحياة .
- ٢ والإرشاد إلى الخير .
- ٣ وكل قواعد الاندماج بين كبار الموظفين .
- ٤ وعادات معاملة رجال القصر .
- ٥ ليعرف كيف يجيب (شفويا) عن سؤال يلقي عليه ^(١) .
- ٦ وأن يرد (كتابة) على مسألة لمن يستفسر عنها ^(٢) .
- ٧ ليرشده إلى سبيل الحياة (أى مواقف الحياة المختلفة) .
- ٨ وليجمله يفلح على الأرض ^(٣) .
- ٩ ويحمل قلبه يدخل فى محرابه ^(٤) .
- ١٠ وبذلك يبعده من الشر ^(٥) .
- ١١ ولينجيهِ من فم ^(٦) الناس .
- ١٢ وبذلك يكون ممدوحا فى أفواه القوم .

المؤلف ^(٦)

- ١٣ ألفه ملاحظ الأراضى الخاذق فى عمله .

(١) معنى السطرين الخامس والسادس هو المقصود من كل هذه النصائح .

(٢) يفلح على الأرض أى ينجح فى حياته

(٣) يقصد بهذه الجملة أن قلبه يساعده على الاحتفاظ بسكينة وكرامة . وما يستحق الذكر هنا أنه منذ النصف الثانى من عهد الدولة الحديثة كان الجمران الجنازى وهو الجمران الذى كان يوضع مكان قلب الميت ليثله يوضع فى حلية على شكل محرابه ويتبدل على الصدر

(٤) يعود ضمير الغائب فى « يبعده » على القلب الذى يقوده بعيداً عن الشر

(٥) فم الناس أى ألسنة السوء

(٦) يريدون لنا من عنوان هذا الكتاب أنه يشتمل على مقطوعتين كل منهما ستة سطور : فالأولى

تبشر بالإرشاد إلى الفلاح الدينى والثانية تبشر بالإصلاح الخلقى

- ١٤ وهو نتاج^(١) كاتب مصرى .
- ١٥ ملاحظ الفلال ومدير المكاييل^(٢) .
- ١٦ وهو الذى يدير محاصيل الفلال لسيده .
- ١٧ والذى يقيد الجُزر والأراضى الجديدة^(٣) .
- ١٨ بالاسم العظيم لصاحب الجلالة (أى باسم الملك) .
- ١٩ ويضع العلامات عند حدود الأرض المنزرعة .
- ٢ : ١ وهو الذى حفظ ذكرى الملك بنقوشه^(٤) .
- ٢ ومسح الأرض السوداء .
- ٣ الكاتب الذى يقرر الأوقاف الإلهية الخاصة بالآلهة كلها .
- ٤ والذى يمنع الإيجار من يشاء .
- ٥ ملاحظ الفلال والقابض على زمام الأطمعة .
- ٦ والذى ينقل مخازن الفلال .
- ٧ الثاوى حقا فى « تاور » بطينة .
- ٨ والمفقور له فى « آبي »^(٥) .
- ٩ وصاحب القبر الهرمى الشكل فى غربى « سنوت »^(٦) .
- ١٠ وصاحب الضريح فى « العرابة » .
- ١١ « امنموبى بن كاخت » .
- ١٢ المبرأ فى « تاور » .

(١) هذه الكلمة قد تشير إلى أن المؤلف ابن كاتب مصرى أى « كاخت » أو إلى كتابه كاهن
 ثمرة كاتب مصرى وفى هذه الحالة الأخيرة يؤكد المعنى يعاقبته بالجملة السالفة
 (٢) مدير مكاييل (واز) وهى عين حورس . وهذا هو الاسم المقدس لمكاييل الفلال
 (٣) الجديدة أى المتخلفة عن فيضان النيل
 (٤) يلاحظ فى هذا السطر وما بعده أنه أظهر ولاءه للملك ثم تناول خدماته للآلهة والناس باختصار
 (٥) السطران السابع والثامن يشيران إلى الموت فقط ومعهما أنه صاست ساكن فى القبر وله مدفن
 حقيق فى « تاور » وهو المكان المقدس فى العرابة المدفونة ، وله مدفن تذكارى فى « أخيم »
 (٦) اسم بلدة بانوبوليس (إخيم) وكانت هذه البلدة واقعة على الشاطئ الشرقى للنيل وبشير المتن
 إلى موقع مقبرته الهرمية الشكل فى غربى «سنوت» والظاهر أن الضريح كان موضوعا فى مكان فى الجهة
 الأخرى من التهر بعيدا عن جبانات « بانوبوليس » التى كانت منحوتة فى صخور الصحراء الشرقية

الابن الموجهة إليه هذه التعاليم^(١)

- ١٣ لابنه أصغر أولاده .
- ١٤ وهو صغير إذا قيس بأقاربه .
- ١٥ المشرف على أسرار « مين » نور أمه .
- ١٦ صاحب سقاية الإله « وننفر »^(٢) .
- ١٧ المنصب « حور » على عرش والده .
- ١٨ وحارسه في محرابه المعظم .
- ١٩ غاسل (؟) ملابس « ليزيس » العظيمة .
- ١ : ٣ وحارس (؟) أم الإله .
- ٢ ومقتش البقرات السود التابعة لمعبد الإله « مين » .
- ٣ والمحافظ على (صورة) « مين » في محرابه .
- ٤ واسمه الحقيقي « حار — مع — خر »^(٣) .
- ٥ وهو ابن نبيل من « آبي » .
- ٦ وابن لاعبة الصنج للألهين « شو » و « فنوت » .
- ٧ ورئيس خدر « حور » المسمى « تومرى » (أو رئيس ضارب الصنج للاله حور المسمى « تومرى ») .

الفصل الأول^(٤)

واجب التلميح

- ٨ يقول الفصل الأول .
- ٩ أسلم أذنيك واستمع إلى (الكلمات) التي تقال .

(١) وصف المؤلف هذا الفصل وصفا أدبيا تحاشى فيه أن يضع الألقاب الرسمية . ولأنه لمن الصعب جدا أن نحدد بالدقة ألقاب هذا المؤلف إلى أن تتسع معلوماتنا عن نظام الحكم في مصر بعد عصر الدولة الحديثة .

(٢) « وننفر » معناه الكائن الطيب وهو اسم من أسماء الإله « أوزير »

(٣) أى حور المبرأ

(٤) هذا الفصل مقدمة يكلف فيه التلميذ الانتباه إلى التعاليم

- ١٠ واشد فكريك لتفسرها (أى تفهمها) .
- ١١ وإنه لمن الخير أن تضمها في ليك^(١) .
- ١٢ ولكن الويل لمن يهملها .
- ١٣ دعها (أى التعاليم) تستقر في صندوق بطنك^(٢) .
- ١٤ حتى تكون بها قفلا لقلبك .
- ١٥ فإذا جاءت عاصفة من الكلام .
- ١٦ فإنها (التعاليم) ستكون بمثابة (وتد) (رادع) للسانك .
- ١٧ وإذا أمضيت مدة حياتك . وهذه الأمور في قلبك .
- ١٨ فإنك ستلقى بها نجاحا .
- ١ : ٤ وستجد في كلماتي ذخيرة الحياة .
- ٢ وسيفلح جسمك على الأرض^(٣) .

الفصل الثانى^(٤)

الإنسانية ونصائح منوعة

- ٤ احذر أن تسلب فقيرا بأثسا .
- ٥ وأن تكون شجاعا أمام رجل مبيض الجناح .
- ٦ ولا تمدن يدك لتمس رجلا مستا (بسوء) .

(١) وازن ٢٧ : ١٣ — ١٤ وسفر الأمثال فصل ٢٢ : ١٧ — ١٨

(٢) يعنى فى قرارة نفسك

(٣) أى وستنجح فى حياتك ، وازن هذين السطرين بما جاء فى تعاليم بتاح حشب

(٤) قد قسم هذا الفصل أربعة أقسام : فالأول والثانى مقطوعات رباعية والثالث مركب من ثمانية سطور تصف كيف يقع الرجل الشرير فى الخطر المهدق ، ويل ذلك ستة سطور يتبين منها كيف أن الرجل الرحيم ينجى الشرير مقابلا الإساءة بالاحسان ، والقسم الأخير يحتوى على سطرين موضوعهما يظهر فى الفصل التالى .

والعلاقة بين هذه الأقسام الأربعة ليست واضحة إلا أنها تبحث فى السلوك وأحوال أخرى مختلفة :

أ : كن متلطفا مع الضعيف والمسن

ب : تباعد عن الفروع فى عمل خاطئ ولا تجتهدن فى تبرير أعمالك الخاطئة

ج : كن رحيما مع المذنب عندما تتناهب المصائب

د : فكر قبل الكلام .

- ٧ ولا تسخرن من كلمة رجل هرم .
- ٨ ولا تجعلن نفسك رسولا في مهمة ضارة (أى رسول سوء) .
- ٩ ولا ترغبن في مصاحبة من قد أداها .
- ١٠ ولا تصخبين مع من قد أذيت .
- ١١ ولا تردن عليه بجواب لتجمل الحق في جانبك .
- ١٢ ومن فعل فاحشة فإن المرفأ يفلت منه ^(١) .
- ١٣ وأرضه المبللة تحمله بعيدا ^(٢) .
- ١٤ وكذلك إعصار الشمال يهب ليقضى على حياته .
- ١٥ ويتحد مع العاصفة .
- ١٦ أما الرعد فقاصف والتماسيح نخيثة .
- ١٧ وأنت أيها الرجل الأحمق . ما حالك ؟
- ١٨ إنه يصيح وصوته (يصل) إلى (عنان) السماء .
- ١٩ وأنت أيها القمر (تموت) الذى ثبتت جرمته .
- ٢٠ : ١ حرك الدفة حتى يمكن الرجل الخبيث أن يعبر إلينا (؟)
- ٢ لأننا لا نركب ما ارتكبه ^(٣) .
- ٣ ارفعه ومد يدك إليه .
- ٤ وأسله إلى ذراعى الإله .
- ٥ واملأ جوفه بخبزك
- ٦ حتى يشبع ويى (؟)
- ٧ وهناك شيء آخر محبوب إلى قلب الإله :
- ٨ هو الثانى قبل الكلام .

(١) [فإن المرفأ يفلت منه] أى « وليس جديرا بإدراك غايته »

(٢) أى « ونفسه الشريرة تمن به في سبيل الهلاك »

(٣) أى لا نفعل فإذا جاء إلينا صار منا ولا يعمل سوءا

الفصل الثالث^(١)

الحزم في المناقشة

- ١٠ لا تشبكن في جدال مع أحق .
- ١١ ولا تحزنه بالألفاظ^(٢) .
- ١٢ تأن أمام متطفل ، وأعرض عمن يهاجم .
- ١٣ ونم ليلة قبل التكلم^(٣) .
- ١٤ لأن العاصفة تهب مثل النار في الهشيم .
- ١٥ والرجل الأحق في ساعة غضبه .
- ١٦ يجب أن تنسحب من أمامه وأتركه لكايده (أو سامحه فيها)
- ١٧ والله يعلم كيف يجيبه (يجزيه) .
- ١٨ وإذا أمضيت حياتك واعيا هذه الأشياء في قلبك .
- ١٩ فإن أولادك سيبصرونها .

الفصل الرابع^(٤)

الرجل الضعيف والرجل العظيم

- ١ : ٦ أما الرجل الأحق الذي يخدم في المبد .

- (١) يتناول هذا الفصل البحث في الحزم عند إجابة الخصم فهو بذلك تعقيب على السطرين الأخيرين من الفصل السابق
- (٢) أى ولا تهرجه بالألفاظ
- (٣) أطل التفكير قبل الكلام
- (٤) ينقسم هذا الفصل إلى مقطوعتين كل منهما تحتوى على ستة سطور ، فهما يقابل بين حظ الرجل الأحق والرجل الرزين ، وكل منهما في خدمة المبد ، فالأول شبه بشجرة برية تستعمل لبناء السفن أو تحرق ليصنع منها الفحم ويمكن الموازنة بين أوجه الشبه والخلاف في أشخاص يتوكلون على الإنسان وعلى الإله بما هو مذكور في نبوءة « أرميا » في الفصل السابع عشر : . . « هكذا قال الرب ملعون الرجل الذى يتوكل على البصر ويجعل اللحم ذراعه وقلبه يتصرف عن الرب » ٦ . « لأنه يكون كالأنبل في البادية ولا يرى الخير إذا أقبل ، بل يسكن الرضاء في البرية الأرض السبخة التى لا ساكن فيها » ٧ . « مبارك الرجل =

- ٢ فثله كشجرة نبتت في الغابة (٩)
- ٣ ففي لحظة تفقد خضرتها .
- ٤ ويكون مصيرها في صرفاً الأخشاب .
- ٥ أو (٩) تنقل بعيداً عن مكانها .
- ٦ والنار كنفها (مثواها) .
- ٧ أما الرجل الحليم حقاً : فهو الذى يضع نفسه جانباً (حيث يجب) .
- ٨ فثله كشجرة باسقة في حديقة .
- ٩ تنمو يانعة وتضاعف ثمرتها .
- ١٠ فتقف أمام سيدها .
- ١١ وثمرتها حلوة وظلها ظليل .
- ١٢ وينتهى مصيرها في الحديقة (١) .
- ١٣ الفصل الخامس (٢)

الرعاية والرزاة في المعبد

- ١٤ لا تسيئ استعمال أنصبه المعبد .
- ١٥ ولا تكونن جشعاً (حتى) تجد الخير الميم (أ كثر مما كنت تلتظر) .
- ١٦ ولا تعزلن خادم إله .
- ١٧ لكي تؤدي خدمة لآخر .

= الذى يتوكل على الرب ويكون الرب معتمده « ٨ » . « لأنه يكون كالعجر المفروس على المياه الذى يلقى أصوله في الرطوبة ولا يرى الحر إذا أقبل بل يبق ورقه أخضر ، وفي سنة القمط لا خوف عليه ولا يكف عن الثمار .

- (١) جاء في القرآن الكريم (وضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها —) الآية
- (٢) ينقسم هذا الفصل إلى ثلاث مقطوعات :
- فالمقطوعة الأولى : تحض على احترام أملاك المعبد
- والمقطوعة الثانية : تذكر الإنسان بأن الأمور تتقلب كالنيل
- والمقطوعة الثالثة : مناعها كن رزينا وتق بالله
- وقد تكون الفكرة مستمرة وقد يحتمل أن يزيد دخل المعبد أو عمله مما يتوفر منه ولذلك فإن الرجل المتسرع الذى لا ضمير له لا يتأخر في اختلاسه ولكن القدر قد يطوح به في الغد .

- ١٨ ولا تقولن إن « اليوم مثل الغد » .
 ١٩ فكيف تكون نهاية هذه الأشياء ؟
 ٧ : ١ فإن الغد يأتي واليوم راح .
 ٢ وقد تصبح اللجة العظيمة حافة من الأمواج ^(١) .
 ٣ وتنكشف التماسيح ويصير جاموس البحر على اليابس .
 ٤ والسماك يلقف الهواء .
 ٥ وبنات آوى تصير بطانا والطيور المفترسة تصبح في عيد .
 ٦ والشباك تصبح خاوية .
 ٧ أما من حيث العلماء كلهم في المبد .
 ٨ فإنهم يقولون إن الشيء العظيم رضا رع رضا طيبا ^(٢) .
 ٩ احرص تماما على الرجل الحليم وبذلك تجدد الحياة .
 ١٠ وسينعم جسمك على الأرض .

١١ الفصل السادس ^(٣)

التعدي على أرضه الغير

- ١٢ لاتزحزحن الحد الفاصل (بين الحقول) .
 ١٣ ولا تحولن موقع خيط المقياس .
 ١٤ ولا تطمعن في ذراع أرض
 ١٥ ولا تقذفن بمحدود الأرملة (أى لاتتعد عليها) .

(١) أى يصير ماؤها مفضا

(٢) الفكرة المقصودة هي الخضوع لإرادة « رع »

(٣) الجزء الأول من هذا الفصل الطويل يحتوى على مقطوعتين وعلى مقطوعة مزدوجة تخص على عدم اغتصاب أرض الغير بدون حق ، ويتلو ذلك مقطوعتان تناولتا البحث في الموضوع مرة أخرى . والجزء الثالث ينصح السامع بأن يرعى بزرع أرضه وذلك في مقطوعتين بينهما مقطوعة على الفقر مع السعادة . ووجه الشبه كبير بين أمثال هذا الفصل وسفر الأمثال . وازن سفر الأمثال ٢٢ — ٢٨ ، ٢٣ — ١٠ ، ١١ . والمقطوعة الأخيرة بسفر الأمثال ١٥ — ١٦ ، ١٧ وكذلك ١٦ — ١ . (من سفر الأمثال) .

١٦ وإن المسلك الذى عبّده الزمن^(١) .

١٧ من يمتصبه ظلما فى الحقل .

١٨ بأن يتصيد بالآيمان الكاذبة .

١٩ فإن بطش القمر يوقعه فى حباله

٨ : ١ وراقب جيدا من ارتكب ذلك على الأرض .

٢ لأنه يكون ظلما للضعيف .

٣ وهو عدو يعمل لخرابك [للإضرار بك] .

٤ والفدر بفقدان الحياة فى عينه .

٥ وبيته عدو للمدينة .

٦ ولكن أجرانه تخرب .

٧ وأمتته تنتزع من يد أطفاله .

٨ وأملاكه تُعطى غيره .

٩ احترس من أن ترمى (تغير) حدود الأرض المنزرعة .

١٠ خوف أن يملك الفزع [يستولى عليك الفزع] .

١١ والإنسان يستعطف الإله بقوة ربه .

١٢ عندما يُعيّن حدود الحقل .

١٣ ارجب حينئذ فى أن تجعل نفسك سعيدا

١٤ واحذر رب العالمين .

١٥ ولا تعتمد على حرث آخر .

١٦ وخير لك أن تكون مستقيا بالنسبة له (الحرث) .

١٧ ازرع الحقول حتى يمكنك أن تجد ما تحتاج إليه .

١٨ وتجنّب خبزك من حراثك .

١٩ ، ٢٠ وإن المكيال الذى يعطيكه الله خير لك من خمسة آلاف تكسبها بالبنى .

٩ : ١ فإنها لا تمكث يوما واحدا فى المخزن ولا فى الجرين .

٢ ولا يعمل منها طعام فى وعاء الجمعة .

(١) يقصد الطريق الذى يوجد بين حدود الحقول ، وقد عبّده الأيام فأصبح ملكا للجميع .

- ٣ ولا تحمكت إلا لحظة في الحزن .
- ٤ فعند ما يأتي عليها الصباح تنفيض .
- ٥ والفقير على يد الله .
- ٦ خير من الغنى في الخازن .
- ٧ وأرغفة (تكسبها) بقلب فرح خير لك .
- ٨ من ثروة مع شقاء .

٩ الفصل السابع^(١)

البحث وراء الثروة

- ١٠ لا تندفعن بقلبك وراء الثروة
- ١١ إذ لا يمكن تجاهل « شأى » و « رننت » (إلهى الحظ) .
- ١٢ ولا تضمن أفكارك في أمور في الخارج .
- ١٣ فكل إنسان مقدر له ساعته (ساعة الحظ)^(٢) .
- ١٤ ولا تجهدن نفسك في طلب المزيد .
- ١٥ عند ما تكون قد حصلت (بالفعل) على حاجتك .
- ١٦ لأن الثروة لو أتت لك من طريق السرقة .
- ١٧ فأنها لا تحمك معك (سواد) الليل .
- ١٨ إذ عند مطلع الفجر لا تكون في بيتك بعد .
- ١٩ وسترى مكانها ولكنها لن تكون (هناك) .
- ٢٠ (فرمما) قد فغرت الأرض قاهها فتأخذها وتبتلعها .

(١) هذا الفصل يضم الفصل السابق ويقع في أربعة أقسام :

الأول : مقطوعة ثنائية تحت على ضرورة التسلية لما قدر على الإنسان .

الثاني : اثنا عشر سطرا عن الثروة التي لاتدوم

الثالث : ستة أسطر عن مزية القناعة

الرابع : أربعة أسطر عن صلاة الرجل القنوع

(٢) [مقدر له ساعته] أى أن خيره موكل بحظه

- ١:١٠ وتنفوس بها في (تأى) في العالم السفلى .
- ٢ أو أنها تعمل لنفسها كهفا كبيرا بقدر حجمها .
- ٣ ثم تفيض بنفسها في غزن الغلال .
- ٤ أو أنها تعمل لنفسها أجنحة مثل الإوز .
- ٥ وتصعد إلى السماء .
- ٦ لا تفرحن من أجل ثروة أنت من طريق السرقة .
- ٧ ولا تثنن من الفقر .
- ٨ فإن مفوق السهام (النابل) الذى يكون في المقدمة ويندفع إلى الأمام .
- ٩ تهجره جنوده في الخطر .
- ١٠ وكذلك قارب الشره يترك ويموقه الطين .
- ١١ وقارب الرجل الرزين يقطع (مع النسيم) .
- ١٢ ويجب عليك أن تعتمد إلى «أتون» حينما يشرق .
- ١٣ وقل : «امنحنى السلامة والصحة» .
- ١٤ وسيقتحك ما تحتاج إليه طول الحياة .
- ١٥ وتأمن الخوف .

١٦ الفصل الثامن^(١)

لا تغفل سرا

- ١٧ ضع طبيبتك في جوف الناس (في أعماق نفوسهم)
- ١٨ حتى يحبيك كل إنسان .
- ١٩ لأن الإنسان يرحب بالصل (الثعبان الذى على جبين الملك)
- ٢٠ ويبصق على الثعبان «أبوى»

(١) يحتوى هذا الفصل على ثلاثة أجزاء :

- ١ — مقطوعة رابعة في أهمية الصبرة الحسنة . فإن «الصل» له خطورته كأي ثعبان آخر إلا أنه يحيا بالفرح في حين أن الثعبان «أبوى» عدو «رع» منبوذ
- ٢ — بثلو ذلك مقطوعة سداسية تحض على التباعد عن الكلام الخبيث
- ٣ — ومقطوعة أخرى سداسية تنصح بإخفاء التقرير الضار

- ٢١ احفظ لسانك سليما من الألفاظ الشائنة .
 ١:١١ وبذلك ستصبح المفضل عند الآخرين .
 ٢ وستجد مكانك في المعبد
 ٣ وطعامك من خبز قربان ربك .
 ٤ وستحترم في شيخوختك وتواري في كفك .
 ٥ وستكون في مأمن من بطش الإله .
 ٦ لا تصيحن : جريمة في وجه إنسان^(١)
 ٧ عند ما يكون سبب فراره خفيا (وأخف حالة هرب الهارب)
 ٨ وإذا كنت مستمعا لتحكم في شيء سواء أكان خيرا أم شرا .
 ٩ فاقبل ذلك في الخارج حيث لا تسمع^(٢)
 ١٠ وضع تقريرا حسنا على لسانك^(٣) .
 ١١ أما ما قبح فأخفه في بطنك .

١٢ الفصل التاسع^(٤)

تجنب الرجل الضمير وسبد

- ١٣ لا تخالطن الرجل الأحق .
 ١٤ ولا تدن منه لتحادثه .

(١) أى لا تفضضن لسانا بهتك سره .
 (٢) أى فكون رأيك في نفسك
 (٣) أى وتلطف في تقريرك
 (٤) على الرغم من طول هذا الفصل فإن أجزائه وحدة مرتبطة بعضها ببعض وهو يحتوى على ستة وثلاثين سطرا . ويظهر أن السطر التاسع عشر المكتوب بالمداد الأحمر بداية الجزء الثانى من الفصل من جهة العدد فقط وليس للمعنى دخل
 ومعنى المتن كله أنه يجب على الإنسان ألا يصاحب الأحق ولا يقلده
 والفصل يبتدىء وينتهى بقطوعة ترمى إلى هذا الغرض . وبين هاتين المقطوعتين : أولا ثمانية سطور تحض على عدم إجابة الرئيس بحمق . ويتلو ذلك أربعة وعشرون سطرا قد يجوز تقسيمها إلى ثلاثة أقسام تصف الرجل الأحق .
 والمقطوعتان الأولى والأخيرة تشبهان في سفر الأمثال (الفصل ٢٢ — ٢٤ ، ٢٥)

- ١٥ واحفظ لسانك سليما من مجاورة رئيسك .
- ١٦ واحذر من أن تذمه
- ١٧ ولا تجعله يرى بكلامه ليحبلك (ليوقعك في أحبولة) .
- ١٨ ولا ترخ العنان لجوابك .
- ١٩ ويجب أن تناقش الجواب مع رجل على شاكلتك .
- ٢٠ واحذر الاندفاع في النطق به .
- ١:١٢ فإن الكلام يكون سريعا عند ما يؤذى القلب .
- ٢ أكثر من الريح أمام الماء (؟) كالزوبعة التي تسبق الطر .
- ٣ فالإنسان يبنى ويهدم بلسانه .
- ٤ ومع ذلك فإنه يقول قولاً مقدماً .
- ٥ ويحجب بجواب يستحق الضرب
- ٦ (لأن) حولته الشر .
- ٧ ويقوم بسياسة مثل كل العالم (ويخلق الشجار بين الناس) .
- ٨ غير أنها مثقلة بالألفاظ الكاذبة .
- ٩ ومثله كمثل النوى^(١) في نسج (؟) الكلام .
- ١٠ يروح ويغدو بالمشاحنة .
- ١١ وعند ما يأكل ويصرب في الداخل
- ١٢ يسمع جوابه في الخارج
- ١٣ والواقع أن يوم إظهار جريمته .
- ١٤ يكون بؤسا على أطفاله .
- ١٥ ليت الإله « خنوم » يحضر حقا حقا (؟)
- ١٦ عجلة صانع الفخار لصاحب الفم الناري .
- ١٧ حتى يشكل ويصهر القلوب (مثل الأواني) (ويصلح من سبله) (وأنه مثل....)
- ١٨ وهو كابن الذئب في ساحة المزرعة .
- ١٩ يحول إحدى عينيه معا كسة للآخرى .
- ١:١٣ ويشير الشجار بين الإخوة .

- ٢ ويسير كالسحاب أمام كل نسيم
٣ وينقص من لون الشمس
٤ ومخضب (؟) ذيله مثل التماسيح الصغير
٥ وينكمش في نفسه جالسا
٦ وشفته حلوتان ولسانه بارد (أى مر)
٧ ولكن اللهيب يتقد في جوفه
٨ فلا تقفون لتنضم إلى هذا (الزميل)
٩ وإلا يذهب بك الفزع

١٠ الفصل العاشر

الوجه

- ١١ لا تصاغن قرنك الأحمق على الرغم منك
١٢ ولا تحزن قلبك من أجل ذلك
١٣ ولا تقولن له « السلام عليكم » رياء
١٤ عند ما يكون في باطنك حقد (تداير عظيمة)
١٥ لا تتكلمن مع إنسان كذبا
١٦ فذلك ما يحقته الله .
١٧ ولا تفصلن قلبك عن لسانك
١٨ حتى تكون كل طرفك ناجحة .
١٩ وكن ثابتا أمام غيرك من الناس
٢٠ لأن الإنسان في مأمن في يد الله .
٢١ وإن المقوت من الله من يزور في كلام
٢٢ لأن أكبر شيء يكرهه هو النفاق (؟)

الفصل الحادى عشر^(١)

٤

التابع

- لا تطمعن فى متاع تابع .
- ٦ ولا تطلمن (جوما) لخبزه .
- ٧ والواقع أن متاع التابع شجا للحلق .
- ٨ ومقيء للزور
- ٩ وعند ما يحصل عليه بالإيمان الكاذبة .
- ١٠ تنمكس رغبته ببطنه^(٢) .
- ١١ والنجاح (؟) يخطئ (؟) الإنسان الخائن .
- ١٢ ويخيب كل من الحسن والقيبح .
- ١٣ وعند ما تخيب أمام رئيسك .
- ١٤ وتكون ريككا فى كلامك .
- ١٥ فان تصرفاتك تجاب باللعنات .
- ١٦ وخضوعك بالضرب .
- ١٧ ولقمتك الضخمة من الخبز تلتهمها وتقيها .
- ١٨ فانت إذن قد جردت من متاعك .
- ١٩ دقق جيدا فى امتحان التابع .
- ١:١٠ حينما تصله المصيبة (أى يضرب) .
- ٢ وعند ما يكون كل أهله فى الأغلل .
- ٣ فأين المنفذ^(٣) ؟ (أو ومن منهم يستحق القتل)
- ٤ وحتى عند ما يصفح عنك أمام رئيسك .
- فإنك تكون محقرا أمام مرءوسيك .

(١) المقطوعتان الأولى والأخيرة تلخصان الموضوع الأساسى وهو يوصى فى الواقع بالقناعة بما ناله الإنسان من نصيب فى هذه الدنيا .

(٢) أى يلتوى عليه القصد فإ يريد أن يبتله فى بطنه ليلفظه ثانية

(٣) ربما يقصد من ذلك أن ينادى على الجلاذ

- ٦ ويجب أن تتباعد عن التابع على الطريق .
٧ وستراه ، وأبعد نفسك من متاعه .

٨ الفصل الثاني عشر

الدافع الشريف

- ٩ لا تطمعن في متاع شريف .
١٠ ولا تعطين مقداراً عظيماً من غذاء الخبز تبذيرا
١١ وإذا نصبتك على إدارة أعماله
١٢ فابتعد عما يخصه حتى يثمر ما تملكه
١٣ ولا تشارك رجلاً أحق
١٤ ولا تخالط رجلاً خائفاً
١٥ وإذا أرسلت لنقل التبن
١٦ فابتعد عن مكيال الفلال ، (لأنك لم ترسل لتقوم بذلك)
١٧ وهتك ستر الرجل في أمر حقير ،
١٨ يموق استخدامه كرة أخرى أيضاً

١٩ الفصل الثالث عشر

طاب الحسابات الطيب

- ٢٠ لا تضرن رجلاً بحجرة قلم على بردية^(١)
٢١ لأن ذلك يعقته الله
١: ١٦ ولا تؤدّين شهادة كذبا
٢ ولا ترحزن^٢ إنساناً آخر بلسانك
٣ ولا تفرضن ضريبة على شخص لا يملك شيئا
٤ ولا تستعملن قلمك في الباطل
٥ وإذا وجدت فقيرا عليه دين كبير

(١) أى لا تخطن على رقعة ما يضر إنسانا

- ٦ قسمه ثلاثة أقسام
- ٧ وساعه في اثنين وأبق واحدا
- ٨ وستجد ذلك سبيلا للحياة
- ٩ وستضطجع بالليل وتنام نوما عميقا (وستهدأ)
- ١٠ وفي اليوم التالي ستجد أنها (ما فعلتها) أخبار سارة (على الألسنة)
- ١١ وخير للإنسان مدح الناس وجبهم له
- ١٢ من الثراء في المخازن
- ١٣ وخير للإنسان (أكل) الخبز مع قلب سميد
- ١٤ من الثراء مع الكدر
- ١٥ الفصل الرابع عشر

الكرامة

- ١٦ لا تحترم شخصا [لا تفرض على نفسك الذلة لشخص] .
- ١٧ ولا تجهدن نفسك لتبحث عن يده (أى مساعدته) .
- ١٨ إذا قال لك « خذ رشوة » .
- ١٩ إذ ليس بالرجل المعدم من يقبلها (؟) (أو أن ذلك ليس بالأمر الهين) .
- ٢٠ ولا تكن خجلا (أمامه) وتحنى نفسك (له) .
- ٢١ ولا تلقين بنظرك إلى أسفل .
- ٢٢ وسلم عليه بغمك وقل له « سلام عليك »
- ١:١٧ وعندما يقطع عن ذلك فإن موهبتك ستظهر .
- ٢ ومع ذلك يجب ألا تقصيه عندما يقترب منك أول مرة
- ٣ فإن أمراً آخر (فرصة أخرى) سيقصيه بعيدا (عنك) .
- ٤ الفصل الخامس عشر

الولم « تموت » والطبيب

- اعمل خيرا حتى تعرف من (؟) أنا .
- ٦ ولا تغمسن قلما في المداد لتفعل ضررا .

- ٧ فإن منقار « ايبيس » هو أصبع الكاتب .
- ٨ واحذر لزواجه .
- ٩ فالقرد يسكن في بيت « الأشمونين » .
- ١٠ غير أن عينيه تطوفان حول الأرضين .
- ١١ فإذا رأى من يضر بأصبعه .
- ١٢ فإنه يرى بطعامه إلى اللجة المميقة .
- ١٣ أما الكاتب الذى يضر بأصبعه .
- ١٤ فإن ابنه لن يحفظ فى السجل .
- ١٥ فإذا أمضيت حياتك واعيا هذه الأمور فى قلبك .
- ١٦ فإن أطفالك سيرونها .

١٧ الفصل السادس عشر

الموازين المقسومة والمزينة

- ١٨ لا تتلاعبن بكفتى الميزان ولا تطفقن الموازين .
- ١٩ ولا تنقصن من أجزاء مكايل الفلال .
- ٢٠ لا ترغبن فى مكايل الحقول (أى الضريبة) .
- ٢١ ثم تهمل مكايل الخزانة^(١) .
- ٢٢ فإن القرد يجلس بجوار الميزان (الإله تحوت) .
- ١ : ١٨ وقلبه اللسان (الميزان) .
- ٢ وأين يوجد إله عظيم مثل « تحوت » .
- ٣ الكاشف لهذه الأشياء ليصنعها ؟
- ٤ لا تصنعن أنفسك موازين منقوصة .
- ٥ فإنها تزخر بالجيش (؟) بقوة الإله .
- ٦ وإذا رأيت إنسانا يغش .

(١) أى كل بدقة محصول الفلاح ولا تتم بما يدفع للخزانة ، وعليك أن تلاحظ أن ما يدفعه الفلاح هو ما يجب عليه دفعه وخذ من دخل الخزانة نصيبا لك .

- ٧ وجب عليك أن تمر به مبتعدا .
 ٨ ولا تقتالن النحاس .
 ٩ واجتنب الكتان الجليل .
 ١٠ وما فائدة عبادة من نسيج « مك » (١)
 ١١ إذا كانت ضلالا أمام الله .
 ١٢ وإذا كانت قشرة الذهب توضع فوق السبيكة لتظهرها ذهبيا خالصا .
 ١٣ فإنها في الفجر تكون من قصدير .
 ١٤ الفصل السابع عشر

كبل الفحول

- ١٥ احذر إساءة استعمال مكاييل عين حور (وازيت) .
 ١٦ أو القش في أجزائها .
 ١٧ ولا تكونن^٢ ظلما مثل « ابن ناخث » (٢) .
 ١٨ ولا تجعلها خالية في بطنها (أى تجعل لها قعرا مفضوشا) .
 ١٩ وأوفر مكيالها حسب حجمها بالدقة (؟)
 ٢٠ ويدك تكيل بالحق .
 ٢١ ولا تتخذن لنفسك مكيالا ذا حجمين (سعتين) .
 ٢٢ لأنك إذن ستعمل فقط للجة المميقة .
 ٢٣ لأن المكيال هو عين رع .
 ١:١٩ وما يعمته هو الرجل المدلس .
 ٢ ومكيال الفلال الذى يضاعف القش .
 ٣ تبث عينه التهمة ضده .
 ٤ لا تتسلمن جزية الفلاح على حصاده .

(١) نوع من الكتان المختار .

(٢) يحتمل أن يكون « ابن ناخث » بطل قصة أو لعل المعنى هو لا تأتين قسوة في ضوء مجموعة النجوم المعروفة باسم « المارد » وهذه المجموعة قد وجدت في جداول النجوم الموجودة في مقبرة رمسيس السادس ورعمسيس التاسع . ومن المحتمل أنها كانت تظهر في وقت الحصاد أو غير ذلك .

- ٥ ثم تعقد وثيقة ضده ليُضار .
- ٦ ولا تتآمرن مع كيال الفلال .
- ٧ ولا تلعبن لعبة « ترتيب الداخل » ^(١) (؟)
- ٨ وإن أرض درس الشجير لها قوة (قوة خارقة للمادة) إغراء أكبر
- ٩ من الحلف بالعرش العظيم ^(٢) (أو في المكان العظيم) .

١٠ الفصل الثامن عشر

تقاسم الهم

- ١١ لا ترقد في الليل متخوفا من الغد .
- ١٢ وعندما يطلع النهار فما شكل الغد ؟
- ١٣ إذ لا يعلم الإنسان ما سيكون عليه الغد [إن حوادث الغد في يد الله] .
- ١٤ والله دائماً في فلاحه [تديره المحكم]
- ١٥ والإنسان دائماً في خيبته [ظنونه الطائشة] .
- ١٦ والكلمات التي يقولها الناس شيء .
- ١٧ والأشياء التي يفعلها الله شيء آخر [أنت تريد وأنا أريد والله يفعل ما يريد]
- ١٨ ولا تقولن « ليس لي جريمة » (ليس ذلك بخطأ مني) .
- ١٩ ولا تجهدن نفسك للبحث عن الشجار .
- ٢٠ فإن الجريمة من عند الله .
- ٢١ وهو الذي يختمه بأصبعه .
- ٢٢ وليس هناك فلاح مع الله .
- ٢٣ ولا خيبة أمامه .
- ٢٤: ١ فإذا وجهه إلى الحصول على الفلاح .
- ٢ فإن الإنسان يفسد ذلك في لحظة .
- ٣ كن حازماً في قلبك وثباتاً في عقلك .

(١) هذه اللعبة ليست معروفة ولكن ما يقصد منها مفهوم على وجه عام

(٢) يشير إلى محراب الاله أو عرشه

- ٤ ولا تتحرك (؟) مع لسانك .
٥ لأن لسان الإنسان كسكان القارب .
٦ ورب العالمين هو القائد .

٧ الفصل التاسع عشر

الكموم في المحكمة

- ٨ لا تدخلن قاعة المحكمة قبل نبيل .
٩ ثم تزييف كلماتك .
١٠ ولا تتدبذين في جوابك .
١١ عندما يكون أشهادك قد وقفوا .
١٢ ولا تخترعن في إيمانك ربك .
١٣ بكلام في مكان التحقيق (عبارة عن احتجاج بالبراءة وبعد ذلك اعتراف بالجرعة)
١٤ قل الصدق أمام الشريف (القاضي) .
١٥ وألا يكون له سلطان على جسمك .
١٦ فإذا حضرت أمامه في اليوم التالي .
١٧ فإنه يقبل كل ما تقوله .
١٨ وسيدكر قولك في الداخل^(١) أمام مجلس الثلاثين .
١٩ وستكون مفيدة (؟) كرة أخرى أيضا .

٢٠ الفصل العشرون

الأمارة في الوظيفة

- ٢١ لا تفسدن رجلا في قاعة المحكمة .
٢٢ ولا تزججن الرجل الحق (؟)
١:٢١ ولا توجهن كل التفاتك إلى فرد قد لبس (؟) ملابس بيضاء ناصعة .
٢ بل اقبله في خرقة البالية .

(١) في قاعة المحكمة .

- ٣ ولا تقبلن هدية رجل قوى .
- ٤ ولا تظلمن الضعيف من أجله .
- ٥ لأن المدل هبة عظيمة من الله .
- ٦ وسيعطيها من يشاء .
- ٧ وحقا فإن قوة من يمائله (أى الإله) .
- ٨ تنجى الفقير البائس من ضربه .
- ٩ لا تؤلفن لنفسك وثائق مزيفة .
- ١٠ لأن ذلك خيانة عظيمة (تستحق) الإعدام .
- ١١ لأنها إيمان عظيمة
- ١٢ وتكون موضع تحقيق من المبلغ (عنها) .
- ١٣ لا ترفغن فى الدخلى على دفارك .
- ١٤ وبذلك تفسد تدبير الإله .
- ١٥ لا تجلبن على نفسك غضب الإله .
- ١٦ بدون قرار « شأى » « ورننت » .
- ١٧ وسلم الأمتعة لأربابها .
- ١٨ وابغ الحياة لنفسك .
- ١٩ ولا تدع قلبك يبنى فى بيتهم (لا تقتصب متاعهم)
- ٢٠ وإلا كانت عظامك لخشب الإعدام .

٢١ الفصل الحادى والعشرون

الصمت

- ١:٢٢ لا تقولن : « أوجدلى رئيسا قويا .
- ٢ لأن رجلا فى مدينتك قد أضر بى » .
- ٣ ولا تقولن « أوجدلى مخلصا .
- ٤ لأن رجلا يكبرهنى قد أضر بى » .
- ٥ وفى الحق أنك لا تعرف تدابير الله .

- ٦ / ولا يمكنك أن تعرف القد .
- ٧ فاجلس بين يدي الله .
- ٨ وحملك سيتقلب عليهم .
- ٩ والواقع أن التماسح الصامت .
- ١٠ يكون الفرع منه شديدا .
- ١١ لا تفضين بقرارة نفسك لكل إنسان .
- ١٢ ولا تتلفن بذلك نفوذك .
- ١٣ ولا تنشرن أقوالك لآخرين
- ١٤ ولا تصاحبن إنسانا يكشف عما في قلبه .
- ١٥ والرجل الذي يخفي أخباره في نفسه .
- ١٦ خير من الذي يفشي شيئا لضرره .
- ١٧ والإنسان لا يجري ليصل إلى الكمال .
- ١٨ ولا يرى (?) ليضر بنفسه (?) .
- ١٩ الفصل الثاني والعشرون

المحاورة

- ٢٠ لا تتآمر ضد قرنك في المحاورة .
- ٢١ ولا تجعله يخبر حديث القلوب .
- ٢٢ ولا تبرزن لتذهب لمقابلته .
- ٢٣: ١ وأنت لم تر ماذا يفعل .
- ٢ وستفهم أولا من جوابه .
- ٣ وكن هادئا وعندئذ تأتي معرفتك .
- ٤ ودعه لنفسه حتى يفرغ مافي قرارة جوفه .
- ٥ واعرف كيف تنام وسيفهم .
- ٦ اقبض على قدميه ولا تحقرنه (وفي الكلام العامي جر رجله) .

- ٧ وخفه ولا تهمله .
 ٨ والواقع أنك لا تعرف تدابير الله .
 ٩ ولا يمكنك أن تحقق ما في النقد .
 ١٠ اجلس بين يدي الله .
 ١١ فإن حلمك سيتقلب عليهم (١) .

١٢ الفصل الثالث والعشرون

تجنب أكل السم

- ١٣ لا تأكلن الخبز في حضرة شريف .
 ١٤ ولا تكن أول من يلوك بفمه .
 ١٥ وإذا كنت صرنا للعضغ الكاذب (أى مضغ الخبز الذى أتى عن طريق الغبن) .
 ١٦ فإن ذلك يكون مجرد تسلية لريقك (٢) .
 ١٧ انظر إلى الوعاء الذى أمامك .
 ١٨ واجمله يكنى حاجتك .
 ١٩ وكما أن الشريف عظيم فى مقر وظيفته .
 ٢٠ فإن مثله كمثل البئر تغرز بمتح (الماء) منها .

٢١ الفصل الرابع والعشرون

الأوصى

- ٢٢ لا تصفين إلى أجوبة شريف فى بيت .
 ٢٣ ثم تفسره إلى آخر فى الخارج .
 ٢ ولا تجملن كلامك يذاع فى الخارج .
 ٣ حتى لا يتألم قلبك .

(١) هذا الجمع ليس مفهوما هنا تماما

(٢) لا بد أن يكون هنا خطأ فى المتن

- ٤ وقلب الرجل (ضميره) هو منقار الإله «موت» .
 ٥ فاحذر أن تهمله .
 ٦ والرجل الذي يقف بجوار الشريف .
 ٧ يجب ألا يعرف اسمه حقاً .

٨ الفصل الخامس والعشرون

اهترام العاقرة

- ٩ لا تسخرن^(١) من أعمى ولا تهزان من قزم .
 ١٠ ولا تفسدن قصد رجل أعرج .
 ١١ ولا تحفظن رجلاً في يد الله (ما يعبر عنه الآن بالمجذوب) .
 ١٢ ولا تكونن عابس الوجه حينما يكون قد تعدى الحدود^(٢) .
 ١٣ إذ الواقع أن الإنسان من طين وقش (وهما السادتان اللتان يصنع منهما اللبن)
 ١٤ والله هو مسويه .
 ١٥ وهو يهدم ويبني كل يوم .
 ١٦ وهو يصنع ألف تابع حسب إرادته .
 ١٧ أو ينصب ألف رجل مشرفين (؟)
 ١٨ عند ما يكون في ساعة حياته (؟)
 ١٩ ما أسعد الذي قد وصل إلى الغرب (مات) .
 ٢٠ وهو آمن في يد الله .

٢١ الفصل السادس والعشرون

معاملة من هم أكبر مقاماً في المجتمع

- ٢٢ لا تجلس في الحانة (بيت الجمعة) .

(١) من سطر ٩ إلى ١٢ أنظر الكلام على تحوت
 (٢) «يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم»

- ١:٢٥ وتخالط من هو أكبر منك مقاما (وظيفة) .
 ٢ مهما كان صغيرا في السن فإنه عظيم في الرتبة .
 ٣ أو أكبر في السن .
 ٤ واصطحب من في مرتبتك .
 ٥ فإن الإله « رع » مساعد من بعد^(١)
 ٦ ولكن إذا رأيت رجلا أعظم منك في الخارج .
 ٧ وله أتباع وراءه فقدم له الاحترام .
 ٨ مد يد المساعدة لرجل مسن إذا كان قد عمل بالجمعة .
 ٩ واحترمه كما يحترمه أولاده .
 ١٠ لأن الذراع القوى لا يرتخي (٩) عندما يكشف
 ١١ والظهر لا يكسر عندما ينفخ .
 ١٢ والفقر لا يأتي للرجل عندما يقول الشيء السار .
 ١٣ ولا يأتي له الفنى عندما يكون قوله من القش^(٢) .
 ١٤ والنوق الذى يرى من بعد .
 ١٥ قاربه لا يفرق .
 ١٦ الفصل السابع والعشرون

المنحصر للمحسن

- ١٧ لا تلعن أكبر منك سنا .
 ١٨ لأنه شاهد « رع » قبلك .
 ١٩ ولا تجعله يتهمك إلى قرص الشمس عند شروقه .
 ٢٠ قائلا « شاب آخر قد سب مسنا » .

(١) انظر ص ٥٠ (مقطوعة ٢٥ : ٥)

(٢) أى عندما يكون قوله هراء

- ٢١ فإنه مؤلم جدا أمام « رع » .
 ١:٢٦ أن يسب شاب رجلا مسنا .
 ٢ دعه يضربك بيده في صدرك .
 ٣ دعه يسبك وأنت ملازم السكون .
 ٤ فإذا حضرت أمامه في اليوم التالي .
 ٥ فإنه سيمطيك خبزا لا حصر له .
 ٦ وإن طعام كلب الصيد (من شأن) سيده .
 ٧ إذ أنه ينبغي على من يقدمه له (الطعام) .
 ٨ الفصل الثامن والعشرون

كرم الأضياف

- ٩ لا تسألن عن شخصية أرملة عندما تقبض عليها في الحقل .
 ١٠ ولا يفوتنك أن تتذرع بالصبر لإجابتها .
 ١١ ولا تمرن على غريب بإناء زيتك .
 ١٢ بل اجعله يتضاعف أمام إخوانك .
 ١٣ وإن الله يحب سعادة المتواضع (١) .
 ١٤ أكثر من احترام الشريف .

١٥ الفصل التاسع والعشرون

عبور النهر (التعبير)

- ١٦ لا تمنن أناسا من عبور النهر .
 ١٧ عندما يكون في قاربك مكان .

- ١٨ وإذا أحضر لك محرك سكان في وسط اللجة العميقة .
 ١٩ فإنك ستحتج بيدك لتأخذه .
 ٢٠ ولن ينالك غضب من الله .
 ١: ٢٧ إذا لم يرحب بك نوحى .
 ٢ ولا تصنعن لنفسك معبرا على النهر .
 ٣ ثم تجاهد بعد ذلك لتجمع أجره .
 ٤ خذ الأجر من الرجل صاحب الثروة .
 ٥ ورحب بمن لا يملك شيئا .

٦ الفصل الثلاثون

الختام

- ٧ تأمل لنفسك هذه الفصول الثلاثين .
 ٨ فإنها تتمتع وتعلم .
 ٩ وهي تفوق كل الكتب .
 ١٠ فهي تعلم الجاهل .
 ١١ فإذا قرئت أمام الجاهل .
 ١٢ أصبح طاهرا بها (من الخبائث)
 ١٣ فاملا لنفسك بها وضعها في قلبك .
 ١٤ لتكون رجلا يعرف تفسيرها (عندما تعرفها تماما) .
 ١٥ وتكون مفسرا لها كعلم .
 ١٦ أما من حيث الكاتب المدرب في وظيفته .
 ١٧ فإنه سيجد نفسه أهلا لأن يكون من رجال البلاط .
 ١٨ وهذه نهايته .
 ١: ٢٨ كتبه « سنو » بن (الكاهن) « بمو »

(١) تعليق على تعاليم «أمنموبى»

من مقدمة هذه التعاليم نعلم أن «أمنموبى» هو ابن «كانخت»؛ وتزوج «أمنموبى» من «توزيرى» وأعقب «حور ماخر» وهو الذى كتب له أبوه هذه التعاليم كمادة مؤلفي التعاليم عند قدماء المصريين .

ويحمل «حور ماخر» ألقاباً دينية كثيرة تربطه بمعبد «بانو بوليس» (إخميم) غير أن هذه الألقاب نادرة الوجود فى الوثائق المصرية الأخرى .

أما ألقاب والدته فعادية شائعة ، غير أنها لاتدلنا على المكان الذى أنت منه .

وكان الولد يحمل ألقاباً دينية من صغره ؛ وقد كان الهال مسيحياً أمامه أن يتحلى بالصلاح والرزانة اللتين كانتا من صفات والده . ولا ندرى أأثرت تعاليم والده غفلاً نحو مرتبة علياً فى الحكومة - لأن الغرض من هذه التعاليم كما جاء فيها يرمى إلى العروج فى سراق الوظائف - أم لم تتمزق فبقى حيث كان .

وتقسم متن هذا الكتاب إلى أبيات من الشعر ليس بالأجر العادى ، وعندنا مثل واحد معروف من هذا النوع من الأسرة الثانية عشرة ، وأعنى بذلك قصيدة «سنوسرت الثالث» المكتوبة فى ورقة «اللاهون» وكذلك عثرنا على مثلين فى الديموطيقى : (الأول) حوالى القرن الثانى قبل الميلاد ، وهى قصيدة هجائية . (والثانى) يرجع تاريخه إلى القرن الأول بعد الميلاد ، وهو مكتوب فى ورقة «ليدن» الخلقية .

(٢) التعاليم كتبت شعراً

وتقسم التعاليم إلى فصول مرقومة تسمى فريد فى المتون الهيراطيقية ، غير أنه كثر فى ورقة «ليدن» نفسها الآتفة الذكر ، وتحتوى على خمسة وعشرين فصلاً فى الحكم الخلقية . أما من ناحية صياغة الشعر فليس هناك قافية ولا وزن معين ، والتأثير الشعرى نلاحظه فقط من المقابلة فى الأبيات .

وسطور هذه التعاليم مركبة من مقطوعات ، كل مقطوعة مركبة من سطرين ، وما شذت عن ذلك أتى من حذف سطر أو إدماج سطرين فى سطر واحد أو كتابة سطر واحد فى سطرين . وكذلك نجد مقطوعات مكونة من أربعة أسطر .

ولحسن الحظ وصلت إلينا كل هذه التعاليم كاملة من أولها إلى آخرها ، فكان ذلك مساعداً لنا على قدر المستطاع أن نصل إلى كنهها وغايتها .

أمنموبي

(٣) يحمل رسالة خاصة للعالم

الواقع أن «أمنموبي» كانت له رسالة يحملها إلى العالم ، إذ أنه ترك النصائح المادية ظهريا . وأول ما يلفت نظر القارئ في تعاليمه التي تتألف من ثلاثين فصلا شيثان : هما تدوين هذا المؤلف الشاعر ، واعتداله . والواقع أنه لم يصلنا إلى الآن من الكتب المعروفة في الأخلاق والتعليم عند المصريين القدامى ما يظهر لنا مثل هذا الروح ؛ ولذلك يجب علينا أن نعتبر تعاليم «أمنموبي» من أمتع الكتب وأعظمها قيمة . ولقد كان مؤلفنا حريصا على أن يضع في أول تعاليمه الفرض الأساسي من تأليفها في الفصل الأول من كتابه ، وبخاصة في السطرين الخامس والسادس . وقد كان أول من لفت النظر إلى ذلك هو الأستاذ «سيجيل» ، إذ أنه كان أول من فهم المعنى الحقيقي لهذين السطرين فيقول : إن هذا الكتاب يحتوي على بداية درس الحياة والارشاد للخير ، وكل قواعد الانخراط بين كبار الموظفين وآداب معاملة رجال القصر . ثم يذكر لنا بعد ذلك في السطرين الخامس والسادس ، وما يمبران عن هدفه ، وليعرف كيف يجيب (شفويا) عن سؤال يلقى عليه وأن يرد (كتابة) على مسألة لمن يستفسر عنها .

أما من الوجهة الدينية فنجد المؤلف قد ذكر في تعاليمه عدة آلهة مختلفة وبالرغم من ذلك يرى القارئ الذي ينظر بعين فاحصة ويحس أن هناك قوة أخرى عظيمة خفية وراء تلك الأسماء الرمزية ، وهي الله العلي العظيم الذي لا إله غيره ؛ إذ الواقع أننا نجد خلافا لأسماء الآلهة التي جاء ذكرها في التعاليم من مثل «نحوت» و«خنوم» و«رننوت» وغيرها ، أن «أمنموبي» يذكر لنا بصفة خاصة اسم الله أو الإله ، وهذا يطابق تماما ما جاء في الدين الإسلامي ، مما يدل على أن «أمنموبي» كان لا يؤمن إلا بإله واحد ، وعلى ذلك كان لكل فرد أن يصور هذا الإله في أية صورة شاء (انظر فيما يلي الكلام على لفظة الإله) . ولقد لاحظنا في التعاليم السابقة التي فاه بها من سبقه من الحكماء ورجال الفكر أن الصلاح كان فضيلة ، وأن التفكير في الموت والأبدية كان حافزا يدفع الإنسان إلى أن يسلك الصراط السوي في الحياة الدنيا مخافة الله ، إذ أن الله هو الذي يسعد ويعطي ، ولكن كان التدوين في نظر «أمنموبي» يقوم بدور أعظم من ذلك ، إذ كانت فكرة وجود الله في نظره هي المستوى

الذى وضعه أمامه لفهم الحياة . فآله هو الذى يجب أن يكون مديراً لسكان سفينة الحياة ، وهو رب الأرزاق ؛ لذلك يجب على الإنسان ألا يخاف غيره ، وأن الكمال لله وحده ، وأن الإنسان هو المخطئ ، والحساب ينتظر المخطئ ، وأن محاولة الإنسان الوصول إلى الكمال ضرب من المحال . ومجمل القول أن الله هو القوى القهار ، وأن الإنسان خلق ضعيفا ، ومع ذلك فإن الله كذلك عادل فيمكن للإنسان أن يتكل عليه . والله يبارك العمل ، ويجب الخير وكرم الضيافة ، ولكنه عمق الملئ والغش . وبعد الموت يكون الإنسان فى يدى الله (ما أسمع الذى قد وصل إلى الغرب (مات) وهو آمن مطمئن فى يدى الله) .

ولقد كان المثل الأعلى بين الناس فى نظر « أمنموي » هو الرجل الرزين أى الرجل المتواضع المعتدل فى حياته . ولعمري هل يستخلص الإنسان من هذا التواضع الذى أظهره لنا المؤلف — وهو على طرفى نقيض ، من حكايا المصور الماضية إذا قسناء بهم — أنه يصور لنا العقلية المصرية فى العصر الذى أخذت فيه البلاد تنحدر طبقا للضرورات السياسية التى فرضت عليها فى ذلك العهد ؟

ونقيض الرجل الرزين أو الحليم فى نظر « أمنموي » هو الرجل الأحمق أى الحاد الطبع ، المندفع ، المتوحش ، الغضوب . ويجد القارئ أن المؤلف جعل مدح الرجل الرزين وذم الرجل المندفع من أهم النقاط التى تناولها فى تعاليمه . فترى هذا الحكيم الذى شاب فى تأدية عمله يذكر ابنه دائما بأن المثل الأعلى فى الحياة هو الرزانة (الصمت) .

وقد كان « أمنموي » يسير على نهج غيره من الحكماء الذين سبقوه مثل « بتاح حتب » و « آتى » من جهة أنه كان يبحث على الناحية الإنسانية العملية فى الحياة . فتراه يشير إلى واجبات الموظف فلا بد أن يكون عادلا مستقيما رحيما . ويطلب إليه أن يكون أميناً وأن يكون متسامحا مع الفقير ويحذره النفس فى الدفاتر ، وألا يسيء استعمال فن الكتابة السامى .

وكذلك نجد حكيمنا يضع قواعد لسلوك الإنسان مع أخيه الإنسان خارج أعماله الرسمية ويحض على ألا يختلط الإنسان إلا بمن هو على شاكلته ، وأن يتجنب محادثة العظماء (فصل ٢٦) ، وكذلك يجب على الإنسان ألا يتملق الأشراف ، بل يجب أن يكون مستقلا بنفسه عنهم ، ومع ذلك يكون مؤدبا نحوهم (فصل ١٤) وكذلك يجب عليه ألا يكون عالة على الأشراف العظام (فصل ٢٣) ولكن يجب عليه فى الوقت نفسه أن يعاملهم كما يعامل الإنسان من هو أسن منه بالاحترام والأدب (فصل ٢ ، ٤ ، ٦ ، ٧) . ويجب على الإنسان أن يكون طلقا فإن

البشاشة لا تكلفه شيئا (فصل ٢٦) ويحضر «أمنموي» على أن يكون الإنسان لين الجانب مع المرأة الفقيرة التي تجمع الحبوب من حقول الغلال ، وأن يكون حسن الضيافة للغريب ، (فصل ٢٨) وأن يكون رحيما بالأعمى والمقعذ والأقزام (فصل ٢٧) ، وأن يهيئ أسباب الراحة لمن يريد أن يعبر النهر من ضفة إلى ضفة ، وألا يأخذ الإنسان أجرا من عابر فقير (فصل ٢٩) .

وفضلا عن ذلك يجب على المرء ألا يتناول على شريف ، وألا يعارض عظيما وإن أساء معاملته ، وحتى إذا لطمه فليضع يده على صدره ، فإن العظيم سيصبح فيما بعد مهادنا له ، لأن خضوعه سيسكن من حذره فيمطيه خبزا (فصل ٢٧) ، وليعمل على احترام الناس له باعتقال لسانه عن قول السوء (فصل ٨) ، وليكن بصيرا وحذرا ، وليكن حريصا مع من يحبون المتاعب وليرغب عن مخالطتهم (فصل ٢) ، وهذا شيء يسير مما جاء في تعاليم «أمنموي» ، ومنها يرى القارىء الفرق الشاسع بين ما كتبه وبين ما كان يكتبه حكماء العصور التي سبقتة . فلا غرابة إذن أن تعد هذه التعاليم بحق مصدرا عظيما للأمم المجاورة وبخاصة فلسطين التي كانت تعتبر مصر الأم التي ترضعها لبان العلم والعرفان .

الآلهة التي ذكرت في التعاليم

لقد جاء ذكر آلهة عدة من الآلهة المصريين في سياق هذه التعاليم . والإشارة إليها لها فائدتها للمشتغل بالديانة المصرية القديمة .

وبعض هذه الآلهة له علاقة بصناعة الكاتب ، والبعض الآخر له مساس بالموضوعات العامة .

١ — «اله الشمس» : «رع» أى الشمس وهو الذى يتجه الناس إلى قرصه «أتون» بصلواتهم فى الصباح . ويعتبر الإله المسيطر الذى يعمل كل الصالحين لكسب رضاه .

المقطوعة ١٠ : ١٢ — ١٥ (بدلا من البحث وراء الثروة) .

يجب أن تصلى إلى «أتون» حينما يشرق

قائلا «امنحنى الفلاح والصحة»

وسيعطيك ماتحتاج إليه فى الحياة

وستكون آمنا من الخوف

المقطوعة ٢٥ : ١٧ — ٢١ ، ٢٦ : ١

لا تسين من هو أكبر منك سنًا
لأنه شاهد « رع » قبلك
ولا تجعله يتهمك إلى قرص الشمس عند شروقه
قائلًا « شاب آخر قد سب مسنًا »
فإنه مؤلم أمام « رع »
أن يسب شاب رجلًا مسنًا

المقطوعة ٧ : ٨ (الرزين)

فإنهم يقولون : « إن أم شيء هو رضاء « رع » »
ومن المحتمل أن مثلًا حكميًا يظهر فيه :

المقطوعة ٢٥ : ٥

« إن « رع » يساعد من بعيد » ويقصد : ولكنه خطر لمن يقترب منه .
والصل المتقم الذي يوضع على جبهة « رع » وكذلك الثعبان
« أبوبى » الضخم عدو « زع » كلاهما مخيف ، قد ورد ذكرهما ليوضحا
الفائدة التي تعود على الإنسان من اكتساب سمعة حسنة .

مقطوعة ١٠ : ١٩ — ٢٠

فالإنسان يرحب بالصل

ويبصق على الثعبان « أبوبى »

ومكيال الغلال الذي لعب دورا هاما في حياة الكاتب المصرى هو
عين إله الشمس ، ويطلق عليه اسم « وزيت » أى عين « حور »
أو عين « رع »

وهذا المبدأ القديم لتشجيع الأمانة كان شائعا من قبل تعاليم
« امنموبى » هذا بزمى بعيد . وقد شرح أحد العلماء الألمان « جورج ملر »
أن الإشارات الدالة على تقسيم مكيال الغلال إلى $\frac{1}{4}$ = \searrow ، $\frac{1}{2}$ = \circ ،
 $\frac{1}{3}$ = \sim ، $\frac{1}{4}$ = \curvearrowright ، $\frac{1}{5}$ = \curvearrowleft ، تتفق مع الأجزاء
الستة التي تتركب منها صورة العين .

٢ — « الحظ » : كان « شاي » « المرتب » ورننت « المربية » إله الحظ وإلهته ، وكذلك إلهة الحصاد ، وقد ظهرت « رننت » في مناظر الحصاد وعصير الخمر في قبور الدولة الحديثة على شكل ثعبان « cobra » . ونشاهد « شاي » و « رننت » يمثلان الحظ في منظر وزن الروح في كتاب الموتى فصل ١٢٥ في ورقة « آني » وورقة « أنهاي » : في الأولى نجد أنهما مثلاً بشكل آدمي ، وفي الثانية في شكل قالبين من اللبن للولادة برأس آدمي ليدلا على حظ الإنسان . ويقول « أمنموبي » في :

مقطوعة ٩ : ١٠ — ١٣

لأندفعن بقلبك وراء الثروة
إذ لا يمكن تجاهل « شاي » و « رننت »
ولا توجهن أفكارك إلى أشياء في الخارج
فكل إنسان مقدر له ساعته [خيره موكل بحظه]

مقطوعة ٢١ : ١٣ — ١٦

لأتريقن في الدخول على دفاترك
وبذلك تفسد تدبير الإله
لأنجلبن على نفسك غضب الإله
بدون قرار « شاي » و « رننت » (إله وإلهة)

٣ — « اوله خنوم » : وظيفة هذا الإله تشكيل الإنسان على عجلة صانع الفخار . وهذه فكرة سائدة ، ونجدها ممثلة في معبد « الدير البحري » وفي معابد العصر الإغريقي الروماني ، وكان يمد الإله الرئيسي في بلدة « شطب » حيث يجد أن « شاي » إله الحظ كان إلهاً ثانوياً مراقباً له ، حسبما جاء في قطعة من النقوش يرجع عهدها إلى أواخر الدولة الحديثة

مقطوعة ١٢ : ١٥ — ١٧ (أما من جهة الرجل الأحمق)

ليت الإله « خنوم » يحضر حقاً حقاً
عجلة صانع الفخار لصاحب القم النارى
حتى يشكل ويصهر القلوب مثل الأواني (ويصلح سبله)
(وإنه مثل . .)

٤ — **الاوله الطاب :** يعتبر « تحوت » إله الاختراع والعلم وإله كل صناعات الكاتب ، وكان القرد الذى يمثله يرسم فى كل مصلحة حكومية لينظم أعمال الكتاب الكبير منهم والصغير . ونجد له مكانة بارزة فى تعاليم « أمنموى » . وقد ظهر اسمه مرة فى الفصل السادس عشر ١٨ : ٢ : والقرد ذكر فى نفس المتن وكذلك فى مقطوعة ١٧ : ٩ « تحوت » مخترعا وحارسا

مقطوعة ١٧ : ٢٢ — ١٨ : ٣ (لا تفش الموازن والكاييل)

فإن القرد يجلس بجوار الميزان
وقلبه اللسان (الميزان)
وإن يوجد إله عظيم مثل « تحوت »
الكاشف لهذه الأشياء ليصنمها ؟
لاتصنم لنفسك موازين منقوصة
فإنها تصير جيوشا عدة بقوة الإله
ومن مظاهر « تحوت » الطائر « إيبيس » (أبو قردان)

مقطوعة ١٧ : ٧ — ١٢

فإن منقار « إيبيس » هو أصبع الكاتب
واحذر من إزعاجه
فالقرد يسكن فى بيت « الأشمونين »
غير أن عينيه تطوفان حول الأرضين
فاذا رأى من يضر بإصبعه
فإنه يرمى بطعامه إلى اللجة العميقة .

ويحتمل هنا أن عين القرد يقصد بها القمر ، وعلى أية حال فإن « تحوت » يمثّل إله القمر . ونجد فى تعاليم « أمنموى » أن القمر فى الليل يكشف عن الخيانة . وعند ما يكون الرجل الأحق المرتكب للخطأ على شعا الموت فإن « تحوت » ينادى (عند محاكمة « أوزير ») بإدانته .

مقطوعة ١٩ : ٤

وَأَنْتَ أَيُّهَا الْقَمَرُ (تَحَوْتَ) أَظْهَرَ جَرِيعَتَهُ

ومقطوعة ١٨ : ٧ - ١٩ (من يتعد على أرض الآخر)

فإنه إذا تصيده بالآيمان الكاذبة

فإن بطش القمر يوقعه في حبائله

٥ - « الله » : قد جاء في التعاليم ذكر « الله » فقط بدون ذكر اسم إله معين وكذلك جاء ذكر لفظة « الإله » وليس هناك فرق بينهما في الغرض .

اليوم : جاء ذكر يد الله دائماً في مقطوعة ٩ : ٥ ؛ ١٤ : ١ ؛ ١٩ : ٢٢ ؛

٢٤ : ١١ ، ٢٠ : ٢٦ ؛ ٢٠ :

و « يدى الله » في مقطوعة ٢٢ : ٧ ؛ ٣٣ : ١٠

ولكننا نجد « أنف الإله » (منقار إيبيس) في مقطوعة ٢٤ : ٤

و « قوة الإله » في مقطوعة ١١ : ٥ ؛ ١٨ : ٥ ؛ ٢١ : ١٥

و « تدبير الإله » في مقطوعة ٢١ : ١٤ ؛ ٢٢ : ٥

و « لمنة الإله » في مقطوعة ١٣ : ١٦ ؛ ١٥ : ٢١

و « كره الإله » في مقطوعة ١٤ : ٢

و « حب الإله » في مقطوعة ٢٦ : ١٣

وقد رأى حكماء مصر بثاقب فكرهم ما وراء معتقدات العامة والمعبودات المحلية الخاصة ببلادهم من الآثار . ولم يكشف من بين كتبهم إلى الآن كتاب أظهر أماننا هذه الفكرة عن تلك المعتقدات وأبرزها بشيء كثير من الوضوح مثل كتاب « أمنموى » هذا ، فضلاً عن أن تعاليمه ملأى بالتقوى . ولا غرابة إذا قلنا إن ديانة « أمنموى » في أصلها ديانة توحيد . وإن كان هذا الحكيم قد استعمل خرافات عامية ليؤكد أفكاره .

وقد يكون من المبعث في كثير من الحالات أن نبحث عن آلهة فردية معينة في حين أنه يسمى ربه بلفظة الله أو الإله فحسب .

سفر الأمثال نقل عن ترجمة لا عن أصل مصري

ويرى شيخ علماء المصريات « أرمن » أنه في وقت ما قد ترجمت هذه التعاليم إلى العبرية أو إلى الأرامية ، وأن الذي جمع « سفر الأمثال » في التوراة قد استعمل الترجمة غير أنه أفسد المعنى عند الاستعارة . أما الدكتور « جرسمان » فله رأى آخر إذ يقول : إن الاستعارة لم تأت من طريق نقل الألفاظ مباشرة ، بل نقلت الأفكار وظهرت في ثوب جديد حسب مقتضيه الحاجة .

ويميز رأى « أرمن » مثل ظاهر ، وهو كلمة « ثلاثون » فإنها تكون كلمة لا فائدة منها ولا معنى لها في ثوبها الجديد أى في « سفر الأمثال » ولكنه فسرهما كما يأتي :

قسمت تعاليم « أمنموبي » إلى ثلاثين فصلا ، ومن ثم أخذها المؤلف العبري في القسم الثالث من سفر الأمثال قاعدة لمجموعته التي أخذ يؤلفها من ثلاثين حكمة ، ولذلك أشار إليها بحق في جملة تشابه الجملة التي أشار بها إلى هذا المدد « أمنموبي » في مؤلفه .

ويقول الأستاذ « جرسمان » إنه عندما أخذ المبرانيون بأسباب المدنية في حكم « سليمان » وخلفائه كانوا يتعلمون بخاصة إلى مصر وبابل لتعلم فنون الحياة . ولا غرابة إذا كان السكاتب الملكي — مثل « حزقيا شبننا » — عبداً أجنبيا ذا تربية عالية ، وكان في قدرته أن ينصح الملك من كتبه وتجاربه فيما يتعلق بشئون العالم العظيم . وكان في وسعه كذلك أن يتكلم ويقرأ ويكتب لغة السياسة التي كانت في هذا العصر « اللغة الأرامية » ، والواقع أنه كان وزير الخارجية .

على أن ذكر « رجال حزقيا » الذين نقلوا القسم الخامس من الأمثال (من فصل ٢٥ — ٢٦) يدلنا على العصر الذي كان فيه إنشاء محتويات « سفر الأمثال » قائما على قدم وساق . ونشاهد أن الدول الراقية قد لحظت ضرورة التفاهم فيما بينها ، ويدلنا على ذلك مراسلات « تل المارنة » ، ومراسلات « بوغاز كوى » ، والألفاظ الأجنبية الكثيرة التي نجدها في اللغة المصرية في عهد الدولة الحديثة .

ويظن الدكتور « جرسمان » أن كلمة « ماهر » التي في ورقة « انسطاسي رقم ١ » ، وفي متون أخرى من متون الأسرة التاسعة عشرة ، تدل على جندي ، ترجمان ، كاتب ، كانت وظيفته أن يتعلم اللغات الأجنبية وعلم الجغرافيا . وهو يشبه في ذلك الضباط الحاليين .

كتاب « سفر الأمثال »

وتعاليم « أمنموي »

ظهر عدد عظيم من الأقوال المأثورة أمثالا في « سفر الأمثال » العبري ، وقد وجد ما يشابهها في تعاليم « أمنموي » مشابهة قوية في الأفكار وفي الأساليب ، مما أثار موضوعا طريفا للبحث ذا أهمية عظمى لملاء كتاب « المهد القديم » . ولا يخفى أن بعض المقابلات في هذه الأمثال مما يوجد في كتابات الحكماء في كل البلاد وكل العصور . على أن هناك أمثالا أخرى ليست بالقليلة تلفت النظر بشبهها العظيم في كلا الكتابين ، مما أوجد الفكرة القائلة بأنها ترجع إلى أصل واحد ، فتكون هذه الأمثال المبرانية قد نقلت عن تعاليم « أمنموي » أو أن كلا من « المهد القديم » و « أمنموي » أخذها من كتابات قديمة . وقد لفت ما وجد متشابهها في كتاب « أمنموي » وفي كتاب « سفر الأمثال » علماء الألمان من المشتغلين بدرس كتاب المهد القديم ، وخلق لهم موضوعا جديدا ، وهو البحث عن الصلة بين الآداب العبرية ومدنيتهما ، ومصر القديمة .

وأول من بحث في هذا هو « أدولف أرمن » و « زيت » و « هيوبرت جريم » . وقد ألقى كل منهم بعض الضوء على علاقة الكتابين ببعضهما ببعض ، ولكن البحث المستفيض في هذا الموضوع يرجع الفضل فيه إلى « هوجو جرسمان » في مقالته المشهورة :

‘Die neugefundene Lehre des Amen-emope und die vorexilische Spruchdichtung Israels in Zeitscher. f. d. Altest Wiss 1924, 272—296’.

وفي كتابه الصغير :

‘Israels Spruchweisheit im Zusammenhang der Weltliteratur’.

وفي هذين الكتابين شرح آراءه بالنسبة إلى العلاقة بين بعض أجزاء كتاب سفر الأمثال وتعاليم « أمنموي » .

وفيا يلي ما جاء في كتاب سفر الأمثال رصدناه حذاء ما جاء في تعاليم « أمنموي » جنبا لجنب حتى يرى القارئ القرابة بين الاثنين .

والواقع أن كتاب سفر الأمثال قد استعار أمثاله هذه من كتاب « أمنموي » . والرأي القائل بأن « أمنموي » قد أخذ من غيره ثم استعير منه سفر الأمثال لا يستند على حجة قوية إلى الآن . وهاك المقارنة :

« سفر الأمثال »

فصل ٦ : ٢١

اربطها على قلبك دائماً ، قلدها عنقك

فصل ١٢ : ٢٢

شفقتا الزور رجس عند الرب والعاملون
بالصدق مرضاته

فصل ١٢ : ٢٣

الرجل الذكي يستر المعرفة
وقلب الجاهل ينادى بالحق

فصل ١٥ : ١٦ ، ١٧

القليل مع مخافة الرب خير من كنز
عظيم مع الاضطراب .
أكلة من البقول مع المحبة خير من ثور
معلوف مع البغضة .

فصل ١٦ : ٨

القليل مع العدل خير من الغلال
الكثيرة بغير حق .

« أمثال »

مقطوعة ٣ : ١١ - ١٣

ولأنه لمن الخير أن تضعها في لبك
ولكن الويل لمن يهملها
ثم دعها تستقر في صندوق بطنك

مقطوعة ١٣ : ١٥ - ١٦

لا تتكلمن مع إنسان كذبا
فذلك ما يحقته الله
[ثم يقول تأكيذا لهذا]

مقطوعة ١٤ : ٢ - ٣

إنه لمقوت من الله من يزور في كلام
لأن أكبر شيء يكرهه هو النفاق ؟

مقطوعة ٢٢ : ١٥ - ١٦

والرجل الذي يخفي أخباره في نفسه
خير من الذي يفشى شيئاً لضرره

مقطوعة ٩ : ٥ - ٨

والفقر على يد الله
خير من الغنى في المخازن
وأرغفة (تكسبها) بقلب فرح خير
لك من تروة مع شقاء

مقطوعة ١٦ : ١١ - ١٤

وخير للإنسان مدح الناس وجههم
له من الثراء في المخازن
وخير للإنسان أكل الخبز مع قلب

« سفر الأمثال »

تعاليم « أمنموبى »

سميد من الثراء مع الكدر

مقطوعة ١٩ : ١٦

والكلمات التى يقولها الناس شئ
والأشياء التى يفعلها الله شئ آخر

مقطوعة ١٧ : ٢٢ — ١٨ : ١ — ٥

فإن القرد يجلس بجوار الميزان
وقلبه اللسان (الميزان)
وأين يوجد إله عظيم مثل « نحوت »
الكاشف لهذه الأشياء ليصنعها ؟
لا تصنعن لنفسك موازين منقوسة
فإنها ترخر بجيوش عدة بقوة الإله

مقطوعة ٢٤ : ٩ — ١٢

لا تسخرن من أعمى ولا تهزان من
قزم ولا تفسدن مقاصد رجل أعرج
ولا تحفظن رجلا فى يد الله
ولا تكونن عابس الوجه حينما
يكون قد تعدى الحدود

مقطوعة ١٢ : ٥

ويجبى بجواب يستحق الضرب

مقطوعة ١٩ : ١٥ — ١٦

والله دائماً فى فلاحه
والإنسان دائماً فى خيبته

فصل ١٦ : ٩

قلب الإنسان يفكر فى طريقه والرب
يهدى خطواته

فصل ١٦ : ١١

للرب قبان القسط وميزانه . كل معاير
الكيس عمله

فصل ١٧ : ٥

المستهزئ بالمعوز يميّز صانعه والشامت
للمطب لا يتركى

فصل ١٨ : ٦

شفتا الجاهل تدخلان فى الخصام وفه
يدعو إلى التضارب

فصل ١٩ : ٢١

فى قلب الإنسان أفكار كثيرة لكن
مشورة الرب هى تثبت

« سفر الأمثال »

فصل ٢٠ : ٩

من يقول إني زكيت قلبي تطهرت من
خطيئتي .

فصل ٢٠ : ١٩

الساعي بالنميمة يفشى الأسرار
فلا تحالط فاجر الشفتين

فصل ٢٠ : ٢٢

لا تقل أجزي على الشر

بل انتظر الرب فيخلصك

فصل ٢٠ : ٢٣

معيار ومعيار رجس عند الرب وميزان
النش ليس بصالح

تعاليم « أمموبى »

مقطوعة ١٩ : ١٨

ولا تقولن « ليس لى جريمة »

مقطوعة ٢٢ : ١٣ — ١٤

ولا تنشرن أقوالك لآخر
ولا تصاحبن إنسانا يكشف عما
فى قلبه

مقطوعة ٢٢ : ٣ — ٦، ٧ — ٨

ولا تقولن أوجد لى مخلصا
لأن رجلا يكرهنى قد أضربى
وحقا أنك لا تعرف تدابير الله
ولا يمكنك أن تعرف الغد
فاجلس بين يدى الله
ورزانتك ستتقلب عليهم

مقطوعة ١٧ : ١٨ — ١٩

لا تتلاعبن فى كفتى الميزان ولا
تفشن الموازين ولا تنقصن من أجزاء
مكايل الفلال

وإذا كنا لم نلاحظ تشابها دقيقا فى الأمثلة السابقة وما يقابلها فى تعاليم « أمموبى »
فإن الموازنة فيما سنذكره بعد ستسفر لنا عن شبه قوى دقيق يدعو إلى الدهشة . بل سنرى
فصولا بأكملها فى كتاب سفر الأمثال قد أخذت عن تعاليم « أمموبى » بنفس الترتيب
الذى كتبت به .

فصل ٢٢ :

مقطوعة ٣ :

٩ — أسلم أذنك واسمع (الكلمات)

١٧ — أمل أذنك واسمع كلام الحكماء

« سفر الأمثال »

ووجه قلبك إلى على

١٨ — فإنه يلد إذا حفظته في باطنك

وبفيض أيضا على شفيتك^(١)

— ١٩

إني ليكون اتكالك على الرب
علمتك اليوم^(٢)

٢٠ — ها إني كتبت لك حكما جلية
من المشورة والعلم^(٣)

— ٢١

لأعلمك حقيقة أقوال الحق لترد جواب
الحق للذين أرسلوك

— ٢٢

لا تسلب الفقير لكونه فقيرا ولا تسحق
البائس عند الباب

تعاليم « أمموبى »

التي تقال واشحد فكرك لتفسرها

١١ — وإنه لمن الخير أن تضعها في
قلبك

[١٢ — ١٥ ليس لها ما يقابلها في
سفر الأمثال]

١٦ — فإنها ستكون بمثابة وخر
للسانك

مقطوعة ١ : ٧

ليرشده إلى سبيل الحياة

مقطوعة ٢٧ : ٧ — ٨ تأمل لنفسك هذه
الفصول الثلاثين
فإنها تتمتع وتعلم

مقطوعة ١ : ٥ — ٦

ليعرف الإجابة (شفويا) عن سؤال
يلقى عليه

والرد على مسألة لمن يستفسر عنها

مقطوعة ٤ : ٤ — ٥

احذر أن تسلب فقيرا معدا
وأن تكون شجاعا أمام رجل
مهيب الجناح

(١) بحسب « جرسان » و « سلى » هي — أى الكلمات — إذا وعيتها كانت بمثابة وقد لشفيتك .

(٢) ويرى « سلى » و « جرسان » أن يضاف الى هذا « سبيل الحياة »

(٣) واستنادا إلى « سبسن » تقرأ هذه الحكمة :

« ألم أكتب لك ثلاثين فصلا من المشورة والعلم ؟ »

« سفر الأمثال »

— ٢٣

[لا يقابلها شيء في أمنموي]

— ٢٤

لا تصاحب الرجل المنسوب ولا تسير
الإنسان الحق

— ٢٥

لثلاث تعلم سبله وتأخذ لنفسك وهنا

— ٢٦ ، ٢٧

[لا يقابلها شيء في التعاليم]

— ٢٨

لا تزع الحدود القديمة التي وضعها
آباؤك

مقطوعة ٧ : ١٢ — ١٣

لا تزعزعين الحد الفاصل بين الحقول
ولا تحولن موقع خيط القياس

[سيأتي ذكر هذا مرة ثانية تحت الفصل ٢٣ : ١٠]

مقطوعة ٢٧ : ١٦ — ١٧ أما من جهة

الكتاب المدرب في وظيفته
فإنه سيجد نفسه أهلاً لأن يكون
من رجال البلاط

مقطوعة ٢٣ : ١٣ — ١٨

لأننا كلن الخبز في حضرة الشريف
ولا تكن أول من يلوك فمه
وإذا كنت مرثاحاً للمضغ الكاذب
فإن ذلك يكون مجرد تسلية
انظر إلى الوعاء الذي أمامك
واجعله يكتفي حاجتك

٢٩ — أرايت الإنسان الذي يجد في
عمله ! إنه يقف أمام الملوك ولا يقف
أمام الخاملين .

فصل ٢٣ :

١ — إذا جلست تأكل مع ذي سلطة
فتأمل أشد التأمل فيما أمامك
٢ — وضع مسكينا لحنجرتك
إن كنت ذا شره
٣ — لا تشته أطايبها فإنها طعام غرور

« سفر الأمثال »

— ٤ —

لا تتعب لتستغنى

عد عن فطنتك هذه (١)

• (١) انطمح عينك إلى ما لا يكون (٢)

تعاليم « أمنموبي »

مقطوعة ٩ : ١٤ — ٢٠

لا تبجهدن نفسك في طلب المزيد
عندما تكون قد حصلت (بالفعل)

على حاجتك

لأن الثروة لو أتت لك عن طريق
السرقه فإنها لا تمكث معك سواد
الليل

إذ عند مطلع الفجر لا تكون في
بيتك وسترى مكانها ولكنها تختفي
فربما ففرت الأرض فاهما فتأخذها
وتبتلعها

مقطوعة ١٠ : ١ — ٣

وتفوص بها في « تاي » العالم السفلي
أو أنها تعمل لنفسها كهفا كبيرا
بقدر حجمها

ثم تفيض بنفسها في مخزن الفلال

مقطوعة ١٠ : ٤ — ٥

أو أنها تعمل لنفسها أجنحة كالإوز
وتصعد في السماء

مقطوعة ١٤ : ٥ — ٦

لا تقتنصن متاع تابع
ولا تتطلعن لخبزه

• (ب) —

إن الفنى قد صنع لنفسه جناحين
وطار كالنسر إلى السماء

— ٦ —

لا تأكل خبز شرير العين
ولا تشته أطايبه

(١) يدلنا الوزن على أن هناك كلمة محذوفة . إلا أننا نلاحظ أن « سبسن » ذكر هذه الحكمة
بخطه اختلافا تاما ، إذ يقول : « قف عن الاستمداد للقوة » وهو يرى أن الحكمة المشار إليها في وضعها
للألى تؤدي معنى الأسطر ١٦ ، ١٧ ، ١٨ من تعاليم أمنموبي على وجه موزج
(٢) ذكرها « سبسن » بالشكل الآتى : « ألم يعمل مجهودك لنفسه أجنحة ثم أصبح كائن لم يكن »

« سفر الأمثال »

٧ (١) —

فإنه كما نوى في نفسه كذلك يكون

٧ (ب) —

يقول لك كل واشرب وقلبه ليس معك

٨ —

لعمرك التي أكلتها تقيها وتضييع
كلماتك العذبة

٩ —

لا تتكلم في مسمع الجاهل فإنه يستهين
بما في أقوالك من الثقل

١٠ —

لا تزع الحدود القديمة ولا تدخل حقول
الأيام

« تعاليم «أمنموبي» »

مقطوعة ١٤ : ٧ - ٨

والواقع أن متاع التابع شجا للخلق
ومقيء للزور

مقطوعة ١٤ : ٩ - ١٠

وعندما يحصل عليها بالآيمان الكاذبة
تنعكس رغبته ببطنه

مقطوعة ١٤ : ١١ - ١٦

[ليس لها ما يقابلها في كتاب سفر
الأمثال]

مقطوعة ١٤ : ١٧ - ١٨

ولقمتك الضخمة من الخبز تلتهمها
وتقيها
وأنت إذن قد جردت من متاعك

مقطوعة ٢٢ : ١١ - ١٢

لا تفضين بقرارة نفسك إلى كل
إنسان ولا تتلفن بذلك نفوذك

مقطوعة ٧ : ١٢ - ١٥ ، ٨ : ٩

لا ترحزن الحد الفاصل بين الحقول
ولا تحولن موقع خيط المقياس
ولا تطمنن في ذراع واحد من
الأرض

ولا تقذفن بمحدود الأرملة (أي
لا تعتمد عليها)

احترس من أن تغير حدود الأرض
المنزوعة

« سفر الأمثال »

— ١١ —

فإن وليهم مقتدر وهو يخاصم لخصومتهم
ممك

فصل ١١ : ٢٤

أنقذ المسوقين إلى الموت
ولا تخذل القودين إلى القتل

— ٣٩ —

لا تقل كما صنع بي هكذا أصنع به

تعاليم « أمنموبي »

مقطوعة ٨ : ١٠

وإلا يذهب بك الفزع

مقطوعة ١١ : ٦ — ٧

لا تصيحن « جريمة » في وجه إنسان
عندما يكون سبب فراره خفيًا

مقطوعة ٥ : ٢

لأننا لا نرتكب ما ارتكبه

قد تكون الموازنة فيما سنذكره بعد غير واضحة . لكنني أرى أن الأمثال وما يقابلها من تعاليم « أمنموبي » كانت نواة « المهد الجديد » وهي التي نسج عليها الحكماء المبرانيون والصريون مثلهم العليا .

مقطوعة ٥ : ١ — ٦

حرك الدفة حتى يمكن الرجل الخليل
أن يعبر إلينا (؟)

لأننا لا نرتكب ما ارتكبه

أرفمه ومد يدك له

وأسلحه إلى ذراعي الإله

وأملأ جوفه بحبذك

حتى يشبع ويعي

مقطوعة ٢٢ : ٥ — ٦

وحقا أنك لا تعرف تدابير الله
ولا يمكنك أن تعرف الغد

فصل ٢٥ : ٢١

إن جاع مبغضك فأطعمه خبزا
وإن عطش فأسقه ماء

فصل ٢٧ : ١

لا تفتخر بيوم الغد
فإنك لا تعلم ماذا يلد ذلك اليوم

تعاليم «أمموبى»

مقطوعة ١٣ : ١١ - ١٤

لا تصاغرين قونك الأحق على
الرغم منك
ولا تحزن قلبك من أجل ذلك
ولا تقولن له «السلام عليكم» وياه
عندما يكون فى باطنك حقد

«سفر الأمثال»

فصل ٢٧ : ١٤

من بارك صديقه بصوت جهير فى الصباح
مبكرا تحسب بركته لعنة

وأما الفصول الباقية من كتاب «سفر الأمثال» فهي بعيدة عن موضوع بحثنا، إذ
أن التشابه بينها وبين تعاليم «أمموبى» معدوم. وقد عالجها العالم «جرسمان» تأييدا
لنظريته القائلة بأن المدنية والأدب القديم كانا إرثا مشاعا بين الدول المختلفة.

التأملات

إن هذه التسمية وإن كانت تشير إلى موضوعنا إلا أنها لا تنتظم كل نواحيه ، فليس موضوع القطع التي سنعرضها قاصراً على التأمل والتفكير ، بل إنه يرى فوق ذلك إلى غرض اجتماعي عظيم هو إصلاح الحال ، وتدير أمور الناس ، وضبط ما اختل من أصول المجتمع الذي يضم شفتيتهم ويسير بسفينتهم .

وقد أخذ هذا النوع من الأدب يظهر في البلاد على أثر سقوط الدولة القديمة مباشرة ، فقد كانت هذه الفترة مليئة بالاضطرابات ، تتفزع فيها البلاد من وقت لآخر بغزو الأجانب وشرور الثائرين . فلم يأمن الأحياء في بيوتهم أن يسرقوا أو يقتلوا ، ولم يأمن الموق في أهرامهم أن يسلبوا وينهبوا ، حتى عمت البلاد موجة من الذعر والهلع وتطلع الناس إلى يد رحيمة تضمد جراحهم وتسكب عليهم فيضاً من الأمن والطمأنينة ، بهذه الحال تأثرت القلوب فانطلقت الأقلام تصف الكارثة ، وتلتبس في عمية الفوضى مسلكا نيرا يصل بالبلاد إلى مأمنها ، ويغلب عليها الأمل حيناً فتتنبأ بمستقبل باسم ، وتبشر نفسها بمهد سعيد مزهر دائم .

وإذا كانت المصور الحديثة قد علمتنا أن للأدب وحياً ، وأن هذا الوحي تنشره النفوس ويصل إلى موضع الإحساس من القلوب فيدفع بالإنسان إلى الغاية التي رسمها القلم وهدف إليها الكاتب أو الأديب ، فإننا نجد كذلك أن رجال المهد القديم قد أدركوا أن للأدب أثراً فعالاً فاتخذوه وسيلتهم إلى التقويم والإصلاح .

وكما أن شارلز ريد في عصرنا هذا وصل إلى غايته من إصلاح السجون في إنجلترا بقصته Charles Rede, It is Never Too late To mend ، وكما أن قصة كوخ الم «توم» للكاتبة الأمريكية (= Harriette Beecher, "Uncle Tom's Cabin.") حققت هدفها في نصرة زنوج أمريكا ، والسيد عبد الله النديم نجح في تنبيه المصريين إلى حقوقهم المسلوبة من طريق الكتابة والرواية وسحر القلم ، فكذلك كان كتابنا القدامى يلجئون إلى الكتابة كعلاج يسكنون به ما حاق بالأمة من أمراض وأوجاع ، ويلتمسون من نعيمها البرء والشفاء لجسم الأمة المريض المنكوب . ولقد وصل الكتاب المصريون القدامى إلى هدفهم أيضاً ، فبدأ صلاح الحال على يد الملك العظيم « أمنمحات » مؤسس الأسرة الثانية عشرة .

وسنعرض هذه التأملات تباعاً مراعين في سردها الترتيب الزمني لكل منها على قدر ما وصل إليه استنتاجنا .

تعب كلها الحياة فما أعجب إلا من راغب في ازدياد

شجار بين إنسان سُم الحياة وبين روحه

مقدمة

لقد كان من نتائج تدهور البلاد وتمزيق أوصالها في العهد الاقطاعي أن عمت الفوضى ، وساءت الأخلاق ، وفسدت العقائد الدينية إلى درجة يقصر عنها الوصف ، حتى إن الجمل الفقير من الناس وخاصة المتعلمين منهم قد اعتنقوا مذهب التشكك ، فألقوا بتعاليم آبائهم ظهريا ، ورأوا الحياة مسرحا لإشباع الشهوات النفسية وداراً لترك حسن الأحداث بعد الموت . وقد أعقبت هذه الأفكار عند بعض الناس حالة من سوء الظن لا يرجى معها خير ، وساءت الأخلاق ووقع الناس في الإثم إلى الأذقان ، ولم يهتموا بحسن الأحداث التي كانوا من قبل شديدي الاحتفال بها ، كما نشاهد ذلك في أغنية الضارب على العود التي سنوردها في فصل الفناء .

وهذا الموقف الغريب الغامض الذي نشاهده في حالة مصر قد مثل لنا في ورقة هامة محفوظة الآن في متحف برلين ، وهي الوثيقة التي سميتها « شجار بين إنسان سُم الحياة وبين روحه » . ولا يفوتنا أن نذكر القارئ هنا بأن العنوان الأصلي قد فقد بسبب تهشم الورقة ، وقد كان الاعتقاد عند المصريين أن الروح كائن حي مستقل عن جسد الإنسان ويمكنه أن ينضم إليه عند الموت ويمكنه كذلك أن يقف بجانبه موقف إخلاص .

وموضوع هذه المحاضرة العام هو التشاؤم الخيم الذي نتج من الحالة السالفة الذكر واليأس الذي أفضى إلى الموت ، والموت هو المخلص الوحيد من حياة عابثة شقية ، ولا يحفز المصري القديم إلى اختيار مثل هذا الموضوع في عهود التاريخ الأولى إلا إذا كانت الحالة قد وصلت إلى حد الحرج والألم . فهذا الموضوع يدل على الحالة العقلية والتجارب الباطنة التي جربتها شخصية معذبة كانت تتألم مما حاق بها من الظلم وسوء الطالع ؛ وبذلك يعد هذا الموضوع أقدم قطعة أدبية لبابها تجربة روحية وشعور شخص نحو الحياة في تلك العصور البائدة ، وهي في نظرنا تعد أقدم كتاب يمثل لنا صورة من قصة نبي الله « أيوب » المبثلي عليه السلام . وقد كتب هذا المقال طبعا قبل أن تظهر قصته بنحو ألف وخمسةائة سنة .

ومما يؤسفنا أن المقدمة التي تقص علينا أسباب ذلك الاضطراب الروحي قد فقدت مع العنوان الذي سميت به القصة . غير أن بعض الحقائق التي كان يجب أن تحتويها تلك المقدمة والتي كانت تضع أمامنا أسباب تلك المحاورات يمكن استنباطها من المحاورات ذاتها .
والتشائم الذي نحن بصدد (لأننا لم نعرف له اسما) كان رجلا لطيف الروح ، ولكنه قد دهمه الحظ العاثر ولازمه المرض فابتعد عنه أصدقاؤه حتى إخوته الذين فُرض عليهم مواساته في مرضه ، ولم يجد في دنياه خلا وفاقا .

وفي وسط هذه الغمرة التي طوته بين لججها مرق جيرانه متاعه ونسوا ما عمله معهم من صالح بالأمس .

وبالرغم من أنه عرف بالحكمة فقد حيل بينه وبين الدفاع عن حقه وقد حكم عليه ظالما ؛ فلوث اسمه وهو الجدير بالاحترام ، وبدت سيرته خبيثة الرائحة تركم الأنوف ، وإن كانت في حقيقتها نقية طاهرة .

وفي ذلك الوقت العصيب عندما كان يسبح في ظلمات اليأس بدت له بارقة من الراحة في الانتحار ، فراه على حافة القبر وروحه تفر فزعة من الظلمة وتأبى عليه أن تطاوعه في فعلته تلك . ثم ندرك من محاوره طويلة أن ذلك المنكود الطالع كان يتكلم مع نفسه ، ويناجي شخصا جرده من روحه كأنه يتحدث مع ذات أخرى .

وقد كان أول الأسباب التي جعلت روحه تفصيه وتمتنع عن متابعتها إلى الحياة الآخرة خوفها ألا تجد طعاما في القبر بعد الموت .

وقد يظهر ذلك غريبا جدا لأول وهلة من رجل يشك كثيرا في مثل تلك المعدات التي كانت تتمم للمتوفى عند تشييعه إلى آخرته . ولكن غرابتنا تزول إذا أدركنا أن هذا التعليل الذي التمسته الروح ليس إلا حيلة أدبية أراد الكاتب أن يتخذ منها فرصة للتنديد بتلك المعدات الجنائزية التي كان يهتم بها كل مصري ما عاش في دنياه .

والظاهر أن روحه نفسها قد اقترحت عليه الانتحار حرقا ، ولكنها فرت بنفسها من تلك النهاية الفظيعة .

ولما لم يكن من بين الأحياء صديق أو قريب حميم لتلك النفس يقف بجانب نعيش صاحبها ويحتفل بجنازته أخذ يستحلف روحه أن تقوم له بكل ذلك ، ولكن الروح أبت عليه الانتحار بأي شكل كان . ثم أخذت تصف له فظائع القبر : « ثم فتحت روحي فيها وأجابت عما قلته : إذا تذكرت الدفن فإنه حزن ، وذكره تثير الدمع وتغم القلب أسي ، فهو ينتزع الرجل من

بيته ويلقى به على الجبل (أى الجبانة) ولن تخرج قط ثانية لترى الشمس . على أن هؤلاء الذين بنوا بالجرانيت الأحمر الجليل وصاروا مثل الآلهة ترى هناك موائد قربانهم خاوية كموائد أولئك المتعبين الذين يموتون فوق الجسر من غير خلف لهم ، فيبتلع الفيضان ناحية من أجسامهم وتلفحهم حرارة الشمس أيضا ، ويلتهمهم سمك شاطئ النهر ويميث بهم . أصغ إلى ، وإنه لجدير بالناس أن يصغوا . تمتع بيوم السرور وانس الهموم » .

كان ذلك جواب الروح عندما تمثل أمامها منظر الموتى المؤلف . وقد أكد ذلك قول التشائم : « من كان في هرمه ومن وقف أحد الأحياء بجوار سرير موته كان سعيدا ، وقد سعى أن تقوم روحه بدفنه وبتقديم القرابين له وتقف عند القبر يوم الدفن لتجهز السرير في الجبانة » ولكن كان مثله مثل ضارب العود في أنشودته إذ ذكرت روحه قبور المظاء التي خربت ، وموائد قربانهم التي خوت وصارت مثل موائد المبيدات التي ماتوا كالذباب في وسط الأعمال العامة على جسور الرى ، وقد صارت أجسامهم عرضة للحجر اللاصق والسمك الملتهم في انتظار الدفن ، فلم يكن هنالك إلا حل واحد للتخلص من كل ذلك وهو : « أن يعيش الإنسان ناسيا حزنه منغمسا إلى آذانه في السرور ، ويلاحظ أنه إلى هنالك تختلف هذه المحاورة التي تنحصر كل فلسفتها في أن يأكل الإنسان ويشرب وفي أن يكون مرحا في يومه لأنه سيموت في غده ، عما جاء في أغنية الضارب على العود ، ولسكنا بعد ذلك نجدها تأخذ في الخروج والافتراق عن زميلتها بنتيجة خطيرة تتماز بها عن تلك الأنشودة ؛ إذ صارت تستدل على أن الحياة فوق أنها لم تكن فرصة للسرور والملاذ الدائمة ، فإنها عبء ثقيل أثقل من الموت لا يمكن احتمالها . وقد وضع ذلك في أربع مقطوعات شعرية خاطب بها ذلك الشمس روحه ؛ وتلك المقطوعات هي التي تؤلف الجزء الثانى من تلك الوثيقة . ولحسن الحظ نجدها مفهومة بدرجة عظيمة أكثر من الجزء الأول منها . والمقطوعة الأولى تصف لنا مقت العالم بغير حق لاسم ذلك الشمس ، وتكون كل ثلاثة أبيات منها مقطوعة تبتدىء بالمقطع التالى « إن اسمي ممقوت » . ثم يرى الكاتب بعد ذلك أن يقوى ذلك المقطع بذكر شيء ممقوت مما يوجد في حياة الشعب المصرى اليومية ويسمه بسمته المبهضة له وخاصة رائحة السمك النتنة والقاذورات التي كثيرا ما نشاهدها في حياة سكان وادى النيل . وهاك المقطوعة الأولى .

مقت اسمه ظلما

« انظر . إن اسمي ممقوت أكثر من رائحة اللحم النتن في أيام الصيف عندما تكون

السماء حارة . انظر . إن اسمي ممقوت أكثر من مقت صيد السمك في يوم صيد تكون السماء فيه حارة .

انظر . إن اسمي ممقوت أكثر من رائحة الطيور وأكثر من تل الصفصاف المملوء بالإوز . انظر . إن اسمي ممقوت أكثر من رائحة السمك وأكثر من شواطئ المستنقعات عندما يصاد عليها

انظر . إن اسمي ممقوت أكثر من رائحة التماسيح وأكثر من الجلوس حيث التماسيح

انظر . إن اسمي ممقوت

أكثر من زوجة عندما يقال عنها الأكاذيب لزوجها

انظر . إن اسمي ممقوت

أكثر من صبي شديد قد قيل عنه إنه لمن يكرهه^(١)

انظر . إن اسمي ممقوت

أكثر من مدينة

وأكثر من نازر وإلى الأدبار

ومع أن ترديد ذلك الشعر يدل على أن اسم ذلك الرجل قد صار نتفا في أنوف أصدقائه إلا أننا نجده في الشعر الثاني يترك ذكر نفسه ليهم بأولئك الذين كانوا سببا في تماسسته ، فنراه يلقي نظرة على مجتمع أهل عصره فلا يجد فيه فاشيا إلا الرشوة والخيانة والظلم وعدم الإخلاص حتى بين أسرته هو .

وهذا الشعر أيضا هو شكوى مرة كان يستهل كل مقطوعة منه دائما بجملة استفهامية خرج فيها الاستفهام عن معناه إلى التوبيخ أو التحقير ، وهي « لمن أتكم اليوم ؟ » وربما كان يقصد بذلك : أي صنف من الناس هؤلاء الذين أخاطبهم ؟ وقد كان الجواب الذي بمقرب كل استفهام برهانا جديدا لمقاصده . وهاك ما قال في ذلك :

الشعر الثاني

لمن أتكم اليوم ؟ الإخوة شر وأصدقاء اليوم ليسوا جديرين بالحب
لمن أتكم اليوم ؟ الناس شرهون . وكل إنسان يفتال متاع جاره

(١) لا شك يقصد أنه ولد من أم أخرى

لمن أتكلّم اليوم ؟ فالرجل المهذب مات والصفيق الوجه يذهب في كل مكان (١)
 لمن أتكلّم اليوم ؟ فإن من كان ذا وجه طلق أصبح خبيثا وأصبح الخير ممقوتا في كل مكان
 لمن أتكلّم اليوم ؟ فإن الذى يستفز غضب الرجل الطيب بأعماله الشريرة يجعل كل
 الناس يضحكون (٢) حينما تكون خطيئته شنيعة

لمن أتكلّم اليوم ؟ الناس يسرقون وكل إنسان يفتصب متاع جاره
 لمن أتكلّم اليوم ؟ فقد أصبح الرجل المريض هو الصاحب الذى يوثق به . أما الأخ الذى
 يعيش معه فقد صار العدو (٣)

لمن أتكلّم اليوم ؟ لا يذكر أحد الماضى ولن يفعل أحد الخير لمن يسديه إليه
 لمن أتكلّم اليوم ؟ الإخوة شر ، والإنسان صار يعامل كالعدو رغم صدق ميوله
 لمن أتكلّم اليوم ؟ إذ لا ترى الوجوه ، وأصبح كل إنسان يلقي بوجهه فى الأرض
 إعراسا عن إخوانه (٤)

لمن أتكلّم اليوم ؟ والقلوب شرهة والرجل الذى يعتمد عليه القوم لا قلب له
 لمن أتكلّم اليوم ؟ فالصديق الذى يعتمد عليه أمسى معدوما وأصبح يعامل الإنسان كأنه
 رجل مجهول رغم أنه قد جعل نفسه معروفا

لمن أتكلّم اليوم ؟ إذ لا يوجد إنسان فى سلام والذى ذهب معه لا وجود له (٥)
 لمن أتكلّم اليوم ؟ فإنى مثقل بالشقاء وينقصنى خل وفى
 لمن أتكلّم اليوم ؟ فالخطيئة التى تصيب الأرض لا حد لها »

لقد نئحت روح ذلك المتألم عن الموت ثم أخذت تقترح عليه أن يعيش عيشة اللهو
 والملاذ مثل الذى جاء فى أنشودة الضارب على العود . ولما أحس من أعماق قلبه فظاعة الموت
 وأخذ يفهم عدم فائدة العناد المادى المحض لدفع غائلة الموت عنه . نكص على عقبيه مدة
 قصيرة ثم عاد يتأمل فى الحياة . والنظمان اللذان دونهما هنا يصوران لنا ماذا رأى عندما
 رجع لبحث الحياة . أما ما يلى فهو وثبة منطقية تدل على أنه ليس هناك أى بصيص من

(١) تكرر هذا البيت فى التحذيرات

(٢) يسخر الناس من الرجل الطيب عندما يستفزه الخبيث

(٣) قد يعنى بما أن أقاربه قد هجروه فانه لم يعد له صديق الآن إلا من كان فى حالة سيئة

(٤) أى أنه لا يوجد إنسان يواجه إنسانا آخر وجهها لوجه

الأمل في الحياة مع الاقتناع التام بأن الموت هو الخلاص الوحيد من ذلك البؤس الذي صار مغموراً به .

والنظم الثالث أنشودة قصيرة في مدح الموت . غير أنها ليست بحثاً سامياً في فوائد الموت مثل الذي نطق به أفلاطون بعد ألف وخمسة سنة من ذلك العهد في قصة موت سقراط ، كما أنه لا يمكن قياسه بمقيدة التشاؤم الفلسفية التي جاء ذكرها في سفر ابتلاء « أيوب » النبي صلوات الله عليه ، ولكنها تعد أقدم صيغة ذكرت عبرها الإنسان الذي عذب ظمناً عن الموت وأول صرخة من متالم يرى . وصل إلينا صداها من عهود ذلك العالم القديم . وهي بحق تعد ذات فائدة فريدة قد لا تخلو من جمال بما احتوته من حرارة نفسية خلابة

وغما بلغت النظر أنها لا تحتوى على أية فكرة عن الإله ، بل هي تبحث عن التخلص السار من آلام الماضي التي لا تحتل دون أن تتطلع إلى المستقبل ، وقد كان من خصائص العصر والجو الذي نشأ فيه ذلك النظم ، ظهور ذلك التخلص السار في شكل صور محسوسة مأخوذة من الحياة اليومية لسكان وادي النيل الأقدمين . وهاك ما قاله في ذلك :

الموت خلاص سار « إن الموت أمامي اليوم كالمرض الذي يقدم على الشفاء وكالذهاب إلى حديقة بعد المرض

إن الموت أمامي اليوم كرائحة بخور المر وكأنسان يقعد تحت الشراع في يوم شديد الريح
إن الموت أمامي اليوم كرائحة زهرة السوسن وكما يقعد الإنسان على شاطئ السكر
إن الموت أمامي اليوم مثل مجرى النهر الصغير ومثل عودة الرجل من سفينة حربية إلى داره

إن الموت أمامي اليوم كسماء صافية ومثل رجل يصطاد طيوراً لا يعرفها
إن الموت أمامي اليوم كمثل رجل يتوق لرؤية منزله بعد أن مضى سنين عدة في الأسر »
وبالرغم من أن تلك الصور مأخوذة من الحياة الدنيا المتوغلّة في القدم فإن معظمها غير مألوف لنا إلا أنها لم تفقد كل تأثيرها في أنفسنا ، إذ نجد فيها الحياة مشبهة بمرض طويل يشقى بالموت مثلاً يدخل الناقه حديقة جميلة ، والموت مثل عبير المر تحمله ريح النيل العذب ، ومثل المسافر يجلس تحت الشراع الذي تزجيه الريح ، وأوبة المحارب المهوك القوى الذي كان يسير في المياه البعيدة ثم يقترب من وطنه أو مثل السرور الذي يحدث في نفس الأسير العائد من المنفى النائي إلى الوطن السعيد . فتلك الصور لها تأثيرها الكبير في نفس كل

إنسان في أى عصر وفي أى جو .

وموضوع النظم الرابع هو النظرة العاجلة إلى المستقبل النهاى الذى لم تتعرض لذكره الأنشودة السابقة ، ونجد كلا من مقاطعه الثلاثة يبتدىء بقوله : « إن الذى هنالك » وهى جملة عادية ، وبخاصة لأنها قد وردت بصيغة الجمع : « إن الذين هنالك » ويقصد بهم الأموات ، وهم الذين رأيناهم مذكورين فى النصيحة الموجهة إلى « مريكارع » و « إن الذى هنالك » سيكون نفسه إلهها « ويوقع عقاب الشر على مرتكبه » لا على البرىء كما هو الحال فى حياة ذلك التمس الذى نحن الآن بصدده « وإن الذى هنالك ينزل فى السفينة السماوية مع إله الشمس وسيرى أن أحسن القربان تقدم لمعابد الآلهة ولا تصرف (عبثا) فى الرشوة أو يسلبها السارق من الموظفين »

و « إن الذى هنالك » هو حكيم محترم لا بطرد عندما يشكو إلى الموظفين الفاسدين ، بل يوجه شكايته إلى إله الشمس (رع) ويهيب له تلك الفرصة بوجوده يوميا مع الإله . وقد أعلن ذلك التمس فى بداية شجاره مع روحه أنه مقتنع ببراءته فى عالم الآخرة . ثم هو يعود مرة ثانية إلى ذكر ذلك الاقتناع فى النظم الرابع الذى هو خاتمة تلك الوثيقة المهمة . وبذلك تكون مختمة بحل يوافق الحلول التى كان أدركها نبي الله « أيوب » عليه السلام ، وهى الالتجاء إلى العدالة فى الحياة الأخروية — ولو أن « أيوب » عليه السلام لم يتخذ من صراره مبررا لطلب الموت — وهو بذلك قد جعل الموت طريقا إلى الدخول فى قاعة المحاكمة الإلهية ، ولذلك كان سعيه إلى بلوغ تلك النهاية سعيًا سريعًا لا هوادة فيه ، فيقول :

الميزات السامية للقائنين هنالك (يعنى فى الآخرة)

إن الذى هنالك سيقبض على المجرم كأنه إله ويوقع عقاب الإجرام على من اقترفه
إن الذى هنالك سيقف فى سفينة الشمس ويجعل أحسن القرابين هنالك تقدم للمعابد
إن الذى هنالك سيكون رجلا عاقلا غير منبوذ مصليا (لرع) حينما يتكلم .

ولما كان هذا التمس يتوق للخلاص السار الذى يهيئه له الموت ، وكان يظهر عليه أنه قد استعاد بعض الثقة بما كان سينعم به من الميزات السامية فى عالم الآخرة ، فإن روحه تستسلم له فى النهاية فيدخل فى ظلال الموت ويسير فى طريقه ليكون مع أولئك الذين هنالك على أننا نحن بدوئنا نرتب بشيء من الإحساس المرفف هذا الرجل المجهول الاسم

الذى يعد أقدم روح بشرية معروفة لنا يذهب إلى تلك الحجرات الداخلية في عالم الآخرة .
وقبل أن نختتم كلامنا عن هذه الوثيقة نقول إن بعض من كتب عنها يرى أن فيها ما يمثل
رجلين : أحدهما يرى أن الموت هو الخلاص الوحيد للإنسان إذ يعيش بعده في عالم سلام
وأمان . والثاني رجل شهوة يرى أنه من الواجب على الإنسان أن ينسى كل أحزان الحياة
وآلامها وأن يجعل السرور وحده يسيطر على حياته .

المصادر :

المصادر الهامة التى يعتمد عليها فى درس هذا المقال ما يأتى :

(1) Pieper " Die Agyptische Literatur " pp. 26. ff.

(2) Peet, " A Comparative Study of the Literatures of Egypt, Palestine
and Mesopotamia " pp. 114 ff.

(3) Breasted, " The Dawn of Conscience, " pp. 168. ff.

(4) Erman, " The Literature of the Ancient Egyptians, " pp. 86. ff.

(5) A. Mekhitarian, " Chants de Détresse et d'Amour, " pp. 4. ff.

وقد طبع الأصل المصرى القديم الأستاذ إرمان فى :

Erman, " Abh. der Berliner Akademie in 1896. ~

« شكوى خمخبر رع سنبل »

هذه الوثيقة الأدبية واحدة من سلسلة المقالات التي كتبها مؤلفوها يشكون فيها الحالة التي وصلت إليها البلاد من التدهور الأخلاق والانحطاط الأدبي والفوضى الشاملة في المهد الإقطاعي . والظاهر أن كاتبها عاش في عهد الملك « سنوسرت » الثاني كما يستدل على ذلك من اسمه . لأن لفظة « خمخبر رع » هي اللقب الرسمي الذي كان يحمله « سنوسرت » الثاني ، وكلمة « سنبل » معناها الصحة ، فيكون معنى اسم كاتبها « خمخبر رع في صحة » . وهذه طريقة في التسمية للأعلام نجدها منذ الدولة القديمة ، فيقال مثلاً « خفرع عنخ » أي « خفرع عايش » وهكذا .

وهذه الوثيقة رغم أنها تنسب إلى الدولة الوسطى فإنها كغيرها وصلت إلينا مكتوبة على لوحة تلميذ من عهد الأسرة الثامنة عشرة ، وكان أول من عني بحل رموزها الأستاذ « جاردنر » ، والورقة محفوظة الآن بالمتحف البريطاني . على أن مجرد وجود هذه الوثيقة مكتوبة على لوحة تلميذ بعد تأليفها بعدة قرون لا كبر دليل على أنها كانت من القطع الأدبية المختارة التي كانت تعتبر نماذج للأسلوب الراق وطلاوة العبارة . ولا غرابة في ذلك ، فإن مؤلفها كان يبحث وراء الأسلوب الجميل والكلمات الحكيمة ليمر عن مقصده ، ولذلك جعل عنوان مقاله : « جمع الكلمات ، وقطف الحكم ، والبحث وراء التعابير ، ومناجاة القلب التي ألفها كاهن عين شمس . . . » « خمخبر رع سنبل » الذي يسمى « عنخو » أيضاً . ومن غريب الاتفاق أن اسم هذا المؤلف قد جاء ذكره بين أسماء أعلام الكتاب الذين كانت لهم شهرة عظيمة في الأدب المصري ، ومن كان يضرب بهم المثل في عهد الرعامسة عند التحدث على المؤلفين الذين بقيت كتاباتهم خالدة .

على أن مقال هذا الكاتب العظيم له أهمية خاصة ، إذ يدلنا ما جاء في أوله على أمثال أولئك المؤلفين الذين كانوا يعيشون في المهد الإقطاعي شاعرين في قرارة أنفسهم بحاجتهم إلى الوثوب ، مفكرين في توجيه جديد لحالتهم ، وأنهم قد أقلموا عن التلطف التقليدي الذي كانت تتميز به نصائح آبائهم . ويفتح كاهن عين شمس هذا مقاله القصير بما يأتي : « ليتني كنت أعرف صيغاً للكلام لا يعلمها أحد ، وأمثالا غير معروفة أو أحاديث جديدة لم تذكر (يعني من قبل) خالية من التكرار ، لا الكلام الذي تحدث به من زمن بعيد

مضى ، وهو ما تكلم به الأجداد . . . » لقد تحدثت بحسب ما رأيت مبتدئا بأقدم الناس إلى أولئك الذين سيأتون بعد . . . »

« إن العدالة قد نبذت في حين أن الظلم قد أخذ مكانه في وسط قاعة المجلس وخطط الآلهة قد انتهكت حرمتها ، وأهملت نظمها ، والبلاد صارت في هم ، والحزن عم كل مكان ، وصارت المدن والأقاليم في عويل ، وكل الناس صاروا على السواء يرزحون تحت عبء الظلم . . . »

« أما الاحترام فإن أجله قد انتهى . . . »

« وعندما أريد أن أتحدث عن كل ذلك تنوء أعضاء جسمي بحمله ، وإني من أجل قلبي الحزون . وإنه لألم أن أهدى روعى من جهته . إذ لو كان قلب آخر لاثني (ولكن) القلب الشجاع في الملمات يكون رفيقا لسيده ، ليت لي قلبا يتحمل الألم . فعندئذ كنت أطمئن إليه . . . »
« تعال إذن لأنكلم إليك يا قلبي . لتجيبني عن كلامي ، ولتفسر لي ماهو كائن في الأرض . . . لآني أفكر فيما قد حدث .

« إن المصائب تقع اليوم ، ومصائب الغد لم تأت بعد ، فكل الناس لاهون عن الندم مع أن كل البلاد في اضطراب عظيم ، وليس إنسان خاليا من الضر فانه يصيب جميع الناس على السواء والقلوب بالحزن مفعمة . فالأمر والمأمور صاروا سواسية ، وقلب كل منهما راض والناس عليه (يعنى الضر) يستيقظون في صباح كل يوم ، ولكن القلوب لا تنبذه ، ولا تزال اليوم على ما فعلته بالأمس ، ولا يوجد إنسان عاقل يدرك ولا إنسان غاضب يتكلم ، والناس تستيقظ في الصباح كل يوم لتتألم ، وإن مرضى لثقل وطويل ، والرجل الفقير ليس له حول نفسه ولا قوة ليتخلص ممن هو أشد منه بأسا

« وإنه لمؤلم أن يستمر الإنسان صامتا عن الأشياء التي يسممها ، وإنه لمؤلم أيضا أن يجيب الإنسان الرجل الجاهل . »

ففي ذلك المقال نجد إنسانا قد تحركت نفسه من أعماقها لأنها أثرت بما شاهدته من الفساد ، فهو يتأمل في هذا المجتمع وينظر إليه نظرتة إلى أسرة مرتبطة متساندة ، ويؤله ما يراه من قيود تكبل هذا المجتمع ، وتنحو به نحو الشقاء ، كما يؤله قصور المجتمع عن إدراك شقائه ، وعجزه عن إصلاح حاله إن أدرك شيئا من هذا الشقاء .

ولقد تحدث عن نفسه في كل ما ذهب إليه ، وإن كان يعنى بما قال مجتمعه الذي يعيش فيه .

على أن كثيرا من تلك الأفكار يمكن أن نجد لها مكانتها الآن عند بعض الناقدين الاجتماعيين في عصرنا هذا ممن امتازوا بحاستهم الخلقية المرهفة . وصدور مثلها في هذا الزمن القديم يدل على الوقت الذى استيقظ فيه القوم لأول مرة في تاريخ البشر وشعروا فيه شعورا عميقا بما أصاب المجتمع البشرى من الانحطاط الخلقى .

ويعود سبب هذه الحالة الجديدة التى وصل إليها أولئك المفكرون الاجتماعيون إلى وجود إدراك خلقى حساس آخذ فى النمو ، وإلى بعض العوامل التى ساعدت على عدم انخداعهم بالظواهر :

فهؤلاء المفكرون كانوا قد تأثروا تأثرا عميقا بتدبرهم الحياة البشرية الاجتماعية فوق الأرض ، والمصير الإنسانى فيما بعد الموت — فأنكشفت لهم تلك الحقيقة المزنة ، وهى عدم فائدة العوامل المادية المحضة التى كانوا يمولون عليها لضمان سعادة الروح فى الدار الآخرة . فهذه الأمور المادية التى كانت تؤدى تقليدا للأجداد ويرجع تاريخها إلى أزمان غابرة ، قد انهدمت ، وبانهيارها ذهب معها كل ما كان معتبرا لضمان حياة الإنسان فى عالم الآخرة فيما بعد الموت .

ومن المحتمل أن تقهّم التقليدية المتينة فى فطنة أجدادهم كانت قد انهارت من أساسها انهياراً عنيفاً . وإذا كانت تلك حالتهم فى تجاربهم التقليدية الموروثة فيما يختص بالحياة فى عالم الآخرة . فإن حالتهم فى تجاربهم عن الحياة الدنيوية كانت أسوأ مآلا . فقد قام فى فترة ألف سنة (أى منذ عهد مينا) نظام قومى ثابت الأركان فى البلاد المصرية القديمة كان يمثل ويحافظ عليه الفرعون بصفته نائبا عن الله فى الأرض ، وكان اسم ذلك النظام « ماعت » أى (الصدق — الحق — العدالة) .

ولكن هذا النظام كذلك قد أخذ بدوره ينهار ، فقد وجد فى النصيحة الموجهة إلى « مريكارع » بالفعل أن الأمة قد انقسمت قسمين ، مملكة فى الشمال وأخرى فى الجنوب ، وأن الملك كان هم منصرفا إلى تحصين مملكة الشمال من خطر الغزاة الأجانب . إذ قد انحلت تدريجاً قوة الأمة النظامية التى دامت عليها موحدة مدة طويلة حتى كشف الغزاة الأجانب عن مواطن الضعف فى البلاد التى كانت فى يوم ما مؤلفة من أمة عظيمة ذات نظام ثابت الأساس ، فتدفق الغزاة الأجانب إلى الدلتا من جهة آسية شرقا ، ومن جهة لوبيا ، وهكذا سادت الفوضى فى البلاد تماما ، ولا بد أن تلك التكبىة هى التى وصفها لنا كاهن عين شمس « خمخبر رع سنبل » .

المصادر :

أهم مصادر هذا المقال ما يأتي :

- (1) Writing-board, British Museum, No. 5645.
- (2) Pieper, "Die Agyptische Literatur", p. 49.
- (3) Peet, "A comparative study of the Literatiures of Egypt, Palestine and Mesopotamia", p. 120.
- (4) Gardiner, "The Admonitions of an Egyptian Sage", p.p. 95. f.f.
- (5) Breasted, "The Dawn of Conscience", p.p. 178 f.f.
- (6) Erman, "The Literature of the Ancient Egyptians", p.p. 108 f.f.

« تحذيرات منبى يدعى اپور »

هذه الوثيقة محفوظة الآن ضمن كنوز متحف « ليدن » الأثرى بالقسم المصرى وتعرف باسم ورقة « ليدن » رقم (٣٤٤) . وقد ضاع أولها وهشم آخرها وبها فجوات كثيرة في وسطها ، ولذلك كان من الصعب الاهتداء في أول الأمر إلى موضوعها الحقيقى ؛ وكان المفهوم منها جملة أنها ورقة تعليمية ، وقد بقيت الحال كذلك إلى أن طالع العالم الأستاذ « لنجة » الأثرى الدانماركى بمقال كشف فيه عن مضمونها الحقيقى ، إذ قال إنها تنبؤات حكيم مصرى ، وذلك في عام سنة ١٩٠٣ . وقد سهل ذلك الحل الطريق إلى علماء الآثار لدرس هذه الوثيقة . ولم تمض بضعة سنين حتى قام الأستاذ « جاردنر » بدراسة وافية ، علق عليها بشروح علمية ولغوية بقدر ما سمحت به حالة الوثيقة الملهلة وما بها من الأخطاء التى لا بد قد ارتكبتها ناسخها . ويدل ما جاء في هذه الوثيقة من الوصف والإشارات البعيدة التاويخية على أنها تُصور لنا عهداً خاصاً كانت فيه البلاد في حالة فوضى وارتباك يقصر عنه كل وصف من الوجهتين السياسية والاجتماعية^(١) . على أننا إذا طبقنا ما جاء فيها من وصف الحوادث والمحن على التاريخ المصرى فلا نجد لها شبيهاً إلا عهد العصر الإقطاعى حينما تمزقت أوصال البلاد شر ممزق . ولأجل أن يفهم القارىء مضمون هذه الوثيقة ويطبقها على هذا العصر سنتبع في دراستها طريقة خاصة ، وذلك بأن نصف له حالة البلاد بعد سقوط الدولة القديمة وهو العصر الإقطاعى ، ثم نتناول بعد ذلك تحليل ما جاء في هذه الوثيقة مستشهدين بمقتطفات منها في وصف الحالة العامة للبلاد وما أصابها من خراب ودمار في جميع مرافقها السياسية والاجتماعية بحيث يمكن للقارىء أن يرى أمامه صورة واضحة منطقية لذلك العصر ، وذلك لأن حكيمنا قد أفزعته الحالة التى وصلت إليها البلاد من الانحطاط فكان ينتقل من وصف موضوع إلى آخر دون أن يكون هناك أى رابطة بين ما وصفه أولاً وما انتقل إليه ثانياً ، مما يدل على أن كل شيء

(١) وتاريخ هذه التحذيرات يمكن تحديده تقريباً من قترين وردتا فيها وقد ورد ذكرهما أيضاً في مقالات أخرى قديمة ، إحداها جاءت في الشجار الذى قام بين إنسان سُم الحياة وروحه وهى في موضعها المناسب في المناقشة أكثر من موضعها . فى مقالنا هنا . أما الفقرة الثانية فهى على العكس من ذلك لأنها لأسباب خاصة تنتمى من غير شك إلى كتابنا على حين أنها قد وجدت في التعاليم المنسوبة لامنمعات ولقد حُصرت فيها بشكل قلقى مشوه ، ومن ذلك يستنتج أن « تحذيرات لاپور » قد جاءت بعد شجار بين إنسان سُم الحياة وبين روحه وأنها أقدم من التعاليم المعزوة « لامنمعات » .

قمامه في البلاد كان قد هوى إلى الحضيض . وبعد ذلك سنضع أمام القارى نص الوثيقة كما وجدت في الأصل فيستطيع القارى الأديب أن يفهم بنفسه نفسية هذا الفيلسوف عند ما كان يضع تلك الصورة البشعة عن حالة مصر بعد سقوط الدولة القديمة .

سقوط الدولة القديمة والثورة الاجتماعية

لقد كانت سلطة الفرعنة في الأسرة السادسة آخذة في التدهور شيئاً فشيئاً وبخاصة في عهد « يبي الثانى » الذى حكم البلاد أكثر من ثلاثة أجيال ، وقد انتهى الأمر بعده بالحلل البلاد وتفشى الثورة فيها مما قلب الأمور رأساً على عقب كما سيأتى شرحه . ويرجع السبب في ذلك إلى أمرين هامين :

الأول إغارة الأجانب من البدو على البلاد من جهة والحروب الداخلية من جهة أخرى . وتفصيل ذلك أن البدو رغم الهزيمة النكرة التى لحقت بهم في عهد « يبي الأول »^(١) لم يفقدوا الأمل في غزو البلاد المصرية التى كانت في تلك الفترة تزخر بالثراء والغنى . وقد صنعت لهم الفرصة في عهد الملك يبي الثانى^(٢) لنيل مآربهم إذ كانت الأحوال مهيأة لهم . وقد كان كل حاكم من حكام المقاطعات الوراثيين منهمكاً في المحافظة على مقاطعته التى كانت تعد بمثابة مملكة صغيرة مستقلة .

أما في الوجه البحرى الذى كان فيه مقر الملك فيحتمل أن القوم كانوا ملتفتين حول الملك بعض الشيء . ودافعوا عن بلادهم . غير أنه ليس لدينا وثائق تاريخية تحدد لنا الموقف بالضبط . وعلى أية حال كان موقف الحكومة المصرية في هذا العهد يرثى له ، حتى إن الشعب انتهز هذه الفرصة وقام بثورة اجتماعية طاحنة تشبه الثورة التى قام بها البلاشفة ، امتد لهايها أكثر من خمسين من الزمان كانت البلاد تروح فيها تحت عبء ثقل من الفوضى والخراب ، إذ كان سلطان « فرعون » قد زال وأملاكه قد اختفت ، ولا أدل على ذلك مما ذكره لنا « مانيبتون »^(٣) من أنه قد حكم البلاد في عهد الأسرة السابعة سبعون ملكاً في مدة سبعين يوماً . أما الحقوق الدينية والدينية فقد تولاها كل من كان في قدرته أن ييسط يده عليها . وأخذ كل شخص يتجر على ما يستطيع أن يصل إليه ، ضارباً بكل نظام وقانون عرض الحائط . وقد كان من

(١) انظر تاريخ مصر القديمة جزء أول ص ٤٠٧

(٢) انظر تاريخ مصر القديمة ص ٤٠٦

(٣) انظر تاريخ مصر القديمة جزء أول ص ٤٠٨

جاء امتداد هذه الفوضى أن ساد البلاد الخوف وانتشر القحط وعم الانحلال الخلقي وعصم المبالاة بالتقاليد الدينية والمعتقدات الموروثة . وليست لدينا وثائق تاريخية تنير لنا الطريق خلال هذا العصر المظلم اللهم إلا معلومات ضئيلة جدا ، ولكن من جهة أخرى قد أسفنا الوثائق الأدبية الشعبية بشيء مما يزيد ، إذ الواقع أن أزمة هذا العصر طال أمدها فأثرت على أذهان القوم وبخاصة على أفكار الحكماء وأهل الفكر وعلى خيال القاصين ، فزاهم يصورون ما حاق بالبلاد من ضنك وشدة وما قامت من ويلات وخراب بمباراة مؤثرة جدا خارجة من الأعماق .

وقد كان هناك في ذلك العصر مفكرون اجتماعيون قد أحسوا الحاجة إلى وجود حاكم عادل ، فكان من بين الحكماء الذين يتطلعون إلى وجود مثل هذا الملك العادل - الحكيم « ابور » وهو أحد المتنبئين الاجتماعيين الذين كانوا يعيشون في ذلك العصر ، وقد ألف مقالا في شكل تمثيل مؤثر ، ولم يقتصر على اتهام أهل تلك الأزمان بحرارة غضب . بل وصى قلمه بمقالة ذاك بالإصلاح وتطلع من وراء القيام بذلك إلى إيجاد نهضة جديدة يقوم بها المجتمع كما كان ينتظر أيضا وجود عصر ذهبي يحلّقه هذا الإصلاح المنشود . وتلك الوثيقة المذكورة تعد من أهم الوثائق التي تلفت النظر من بين كل تلك المقالات الاجتماعية والخلقية التي كتبت في ذلك العهد الإقطاعي ، ويصح لنا أن نسميها « تحذيرات المتنبئ ابور » . ومما يدعو إلى الأسف أيضا أن بداية هذه البردية قد فقدت ، وهي الجانب الذي كان يحتوي على الأحوال التي دعت ذلك الحكيم إلى الإدلاء بتحذيراته المذكورة في هذه الوثيقة ، وإن كانت تلك الأحوال في ظواهرها الرئيسية واضحة . ويمكن تلخيص تلك الوثيقة فيما يأتي : يقوم الحكيم « ابور » بإلقاء اتهام طويل مفعم بالغضب على حالة عصره أمام حضرة ملك [لم يعرف اسمه بالتحقيق للآن] وشهده بعض الناس الذين يحتمل أنهم كانوا حاشية ذلك الملك مجتمعين عنده في ذلك الوقت ، ثم ينتهي بإسداء النصيحة لقومه فيحذرهم الإهمال ويدعوهم إلى الإصلاح ، ثم يلي ذلك رد قصير من جانب الملك ، ثم ينتهي المقال بتعقيب للحكيم المذكور على الرد الملكي . وقد سلخ الخطاب الرئيسي الذي ألقاه ذلك الحكيم نحو ثلثي ذلك الاتهام الطويل .

فهذا الخطاب يتألف منه معظم المقال المذكور لأنه يقع في نحو عشر صفحات من الأربع عشرة صفحة التي يحتويها المقال . على أنه لا يظهر في ذلك الاتهام أي ترتيب منطقي في عناصره بالرغم من ظهور الجهد في ترتيب أقوال ذلك الحكيم ، لأنها موضوعة على هيئة مقاطع مقفأة ، وكل مقطوعة منها تبتدى بنفس العبارة السابقة لها ، وهذا يطابق شعر الرجل التمس وروحه .

وسنحاول في الفقرات التالية أن نلخص أهم محتويات ذلك الاتهام في شكل مواضع مقتبسة باختصار يبدو منها نوع الكلام الذي أفضى به ذلك الحكيم .

ولما كانت هذه البردية ممزقة كما أسلفنا ، ولقتها عويصة صعبة ، كانت ترجمتها ترجمة متصلة من الأمور المستحيلة حتى ولو توفرت الشروح التي تكفل إزالة هذه الصعوبة .

ونرى فيها ذلك الحكيم يخلق بنظرة ثاقبة مشرعا على الحياة المنظمة لأهالي وادي النيل في ذلك الوقت ، فيجد أن كل شيء قد آل إلى الفوضى ؛ فالحكومة قد وقفت بالفعل حركتها وقوانين قاعة العدل قد ألتى بها ظهريا فصارت تدوسها الناس بالأقدام في الحال العامة . والفقراء يفضونها على قارة الطريق^(١) .

ويرجع السبب في سوء النظام هذا إلى حالة الهياج والحروب الدائرة في داخل البلاد « فالرجل يذبح أخاه من أمه فما العمل في ذلك ؟ »

« انظر ! إن الرجل يذبح بجوار أخيه فيتركه وحيدا لينجي نفسه .

« والرجل ينظر لابنه نظره لمدوه يذهب الرجل إلى الحرث والزرع وهو مسلح بدرعه »

ويضاف إلى سوء النظام أيضا وإلى الثورة الداخلية أهوال الغزوات الأجنبية المتعدية على البلاد ، فإن أملاك مصر بعد أن صارت فريسة لسوء النظام والفتنة الضاربة أطنابها بالبلاد قد صار رجالها أيضا غير قادرين على صد غزوات الآسيويين عن حدود شرق الدلتا لبلاد المصرية ؛ وبذلك وقف سير الحركة الاقتصادية .

« انظر ! لا صانع يعمل والمدو يحرم البلاد حرفةها ... »

« انظر ! إن من حصد المحصول لا يعرف عنه شيئا . ومن لا يحرث لنفسه

يملأ مخزنه وإن الحصاد يحدث . ولكن لم يذكر عنه شيء . والكاتب

يجلس في مكتبه ولكن يداه لا تعملان شيئا ... !!

« انظر ! إن الماشية قد تركت ضالة سبيلها ولا إنسان يجمعها ويلبس شعما .

(١) لقد كانت هذه فلة شنعاء في نظر النظام المصري ؛ إذ كان سحب الكتابات والوثائق من الصالح العامة للاستعهاد بها أو للاطلاع عليها من الأمور المنظمة تنظيما دقيقا . فالقواعد التي كانت تحدد وظيفة

الوزير قد بقيت لنا . (انظر Breasted Ancient Records Vol II P. 276)

فكل إنسان يذهب ويأخذ لنفسه منها ويسمها باسمه (أى يعلمها) ... والحروب الداخلية لا تدفع ضريبة فما فائدة بيت مال بدون دخل ؟ »

« والتجارة الخارجية تنحط وتختفى في مثل تلك الأحوال التى كانت عليها داخلية البلاد » فأصبح الناس لا يسيحون إلى « جبيل » اليوم . وإذن ماذا نصنع ^(١) للحصول على خشب الأرز اللازم لمومياتنا ؟ فالكهنة يدفنون بمستخرجاتها والأمراء حتى بلاد كفتيو (كريت) يحنطون بزيتها ، فهى لا ترد بعد قط (الأخشاب) . ووقوع مثل تلك الأحوال كان محتملا لأن الأمن العام والتجارة قد اختفى أثرها . وبالرغم من أن الطرق كانت محروسة فإن الناس كانوا يرصدون فى الأحرار حتى يمر السائح الذى دهمه الليل فيسلبوه ما يحمل ويجردوه ممامعه ويضرب بالعصى ويذبح ذبحا شنيعا . وفى الحق لقد أصبحت الأرض تدور كمجلة صانع الفخار . ونظام البلاد قد قلب رأسا على عقب . فمن كان لصا صار رب ثروة . والغنى صار إذ ذاك إنسانا منهوبا .

وهكذا انقلبت أوضاع كل الأشياء طبقا لما يدل عليه مفهوم تشبيهها بمجلة صانع الفخار ، فالشئون الاجتماعية انقلبت انقلابا تاما .

وإننا نجد فى أطول مجموعة من فقرات تلك الوثيقة — التى أنشئت على وتيرة واحدة — أن ذلك الحكيم يضع أمامنا تغير تلك الأحوال بالنسبة لأفراد طبقات الشعب ، فهو فى فقرة واحدة يضاهى بين ما كان عليه الماضى وبين ما يجرى فى ذلك الوقت إذ نراه يقول :

« انظر ! إن الذى لم يكن يملك زوجا من الثيران أصبح يملك أزواجا . ومن لم يكن فى مقدوره أن يحصل على ثيران للحرث أصبح يملك قطعانا .

« انظر ! إن الذى لم يكن يملك حبة أصبح الآن يملك أجرانا . ومن كان يبحث لنفسه عن صدقات من القمح أصبح الآن يخرج من مخازنه ويجعلها توزع »

(١) وكانت ييلوس (جبيل) فى ذلك العهد أعظم ثمر تجارى فى فينيقية

ونجد في ذلك الخراب الشامل الذى حاق بالبلاد . فالأنحطاط الخلقى قد أخذ مأخذه غير أنه لم يكن ظاهرا ظهور ذلك البؤس العام الذى يصفه فيقول :

« والمتحل بالفضائل يسير وهو محزون ، ويقول الرجل الأحمق : إذا عرفت أين يوجد الإله فاني أقدم له قربانا ، وفي الحق كانت (العدالة موجودة في الأرض باسمها فقط ، وما يعملها الناس حينما يلتجئون إليها هو العسف) » .

فلا محب إذن من وجود ذلك البؤس الشامل :

« وفي الحق قد مات السرور ولم يعد يحتفل به بعد ولا يوجد في الأرض إلا الأنين المزوج بالمويل » .

حقا فقد أصبح كل من العظيم والحقير يقول :

« ليتني كنت ميتا ؟ والأطفال الصغار يقولون كان يجب عليه ألا يجملى على قيد الحياة » ...

« حقا فإن قلوب كل الماشية صارت تبكى والقطمان تنذب حالة البلاد » .

على أنه لم يكن في مقدور ذلك الحكيم أن يشاهد كل ذلك دون أن تثور عواطفه ، إذ كان بدوره متأثرا تأثرا عميقا لتلك الكارثة العامة .

فترأى يطلب من الله أن يجعل لتلك الحال نهاية ! إذ يقول :

« ليت آخر الناس يكون قد حل فلاحل ولا ولادة ؟ ليت العالم يتخلص من الفوغاء وتنفض المشاحنات » .

على أن ذلك الحكيم كان يقرع نفسه لأنه لم يسع من جهته لإنقاذ ذلك الموقف من قبل . فيقول أيضا :

« ليتني رفعت صوتي في ذلك الوقت حتى كنت أقتذ نفسي من الألم الذى آتاه فيه الآن . فالويل لى لأن البؤس عم في هذا الزمان » .

فتلك هي الصورة المظلمة التى رسم لنا ألوانها ذلك الحكيم المصرى القديم . ويجب أن تعتبر تلك الشكاية التى سبق ذكرها ، والتى تشغل نحو ثلثي الوثيقة كما حفظت لنا ، أنها قد وصفت لنا الحالة عند قدماء المصريين في عهد معين . هذا إلى أن العلاقة المتينة بين ذلك

المقال والمقالات الأخرى التى من ذلك العهد الإقطاعى من حيث اللغة والفكر ووجهة النظر لا تدع للشك مجالا فى تحديد تاريخ عهدها بالضغط .

وحالة مصر السيئة التى صورها لنا ذلك الحكيم ، هى ظواهر الحالة التى أعقبت انهيار نظام الحكومة والاعتداء على البلاد الذى جاء على أثر سقوط الدولة القديمة ، أى فى نهاية عصر الأهرام وانحلال اتحاد البلاد كما ذكرنا . على أن « إپور » لم يشأ أن يترك أهل الجيل الذى عاش فيه فى تلك الحال الموثسة التى صورها لنا ، بل رأى هناك أسبابا تدعوه إلى أن يأمل ويطمئن إلى حسن المستقبل .

ثم بعد ذلك تصادفنا فجوة كبيرة فى تلك البردية يعقبها فى النهاية أهم فقرة فى مقال ذلك الحكيم وهى تعتبر أروع ما دون فى كل الأدب الفرعونى . إذ فى هذه الفقرة العظيمة يتطلع ذلك الحكيم إلى المستقبل متوقفاً لإعادة الإصلاح فى البلاد على أن يكون ذلك بلا نزاع نتيجة طبيعية للنصائح الإصلاحية التى كان قد فرغ من غرسها فى قلوب مواطنيه .

فهو يرى الحاكم الأمثل والملك الأمثل اللذين يتوق إلى ظهورها مجتمعان فى الحكم الذى كانت عليه مصر فى يوم من الأيام فى صورة « إله الشمس » .

ولما كان ذلك الحكيم يرى فى عهد سلطان إله الشمس العصر الذهبى فإنه يوازنه من جهة أخرى بالحكم الفاسد الذى تزعج تحت عبثه البلاد فى عصره إذ نراه يقول :

« فهو يجلب البرودة إلى اللهب (الحريق الاجتماعى) ويقال عنه إنه راعى

الإنسانية ولا يحمل فى قلبه شرا . وحينما تكون قطعانه قليلة العدد فإنه يصرف

يومه فى جمع بعضها إلى بعض وقلوبها محنومة (من الحزن) وليته عرف أخلاقها

فى الجيل الأول ، فعندئذ كان فى مقدوره أن يضرب الشر وكان فى قدرته أن

يعد ذراعه ضده (يعنى الشر) وكان فى مقدوره أن يقضى على بذرتهم هناك وعلى

وراثتهم . فأين هو اليوم ؟ هل هو بطريق المصادفة ينام ؟ انظر ! إن بأسه لا يرى »

فنجد فى ذلك صورة الملك الأمثل وهو الحاكم العادل الذى لا يحمل فى قلبه شرا ، وهو

الذى يجول بين رعيته كالراعى يجمع شتات قطيعه المتناقص الظمآن . وذلك الحكم العادل

الذى كان لحكم نبي الله « داود » عليه السلام ، قد حدث ويمكن أن يحدث ثانية .

على أن عنصر الأمل بظهور الملك الصالح المنتظر كان أقرب إليه من حبل الوريد ، إذ كان

محققا عنده كما تدل الكلمات الختامية التي وردت بالفقرة السابقة عند قوله :

« أين هو اليوم ؟ هل هو بطريق المصادفة ينام ؟ انظر إن بأسه لا يرى »

على أن الأهمية الخاصة التي نستنتجها من تلك الصورة تنحصر في أن المثل العليا كانت على أقل تقدير في الاجتماعيات إن لم تكن تحتوى بالفعل في النهج الاجتماعي على الحاكم الأمثل الذي يتصف ببطهارة الأخلاق وبالمقاصد الخيرية والذي يمز عشيرته وبمجملها ويسحق الأشرار . وسواء نسباً بظهور هذا الحاكم أم لا ، فإن رؤية أخلاقه وأعماله قد كشف لنا النقاب عنها ذلك الحكيم القديم . وقد كشف النقاب عنها في حضرة الملك الموجود إذ ذاك وفي حضرة أولئك الذين اجتمعوا حوله حتى يقتبسوا شيئاً من بهائه . وذلك بطبيعة الحال هو عين التبشير بالمسيحية قبل أن تظهر بين العبرانيين بما يقرب من ١٥٠٠ سنة .

وقد أدت تلك الموازنة الخفيفة التي كانت تجول في ذهن ذلك الحكيم المصري القديم ، بين الحاكم الذي يمثل الملك الأمثل وبين الفرعون الحاكم الذي يقف بمحضته ذلك الحكيم إلى أن ينطق الحكيم بأقصى الاتهامات ضد مليكه ، فكان مثله في ذلك مثل البلاشفة حينما قضوا على نير حكم الملكية الظالم . فلقد وضع الحكيم المسئولية فوق مائق الملك ، إذ يقول للملك : « إن الأمر الملكي والمعرفة والعدالة (يعنى ماعت) في قبضة يدك . ولكن

ما تصنعه في البلاد هو النزاع وصوت القلاقل . . . ولقد فعلت هكذا لتشتد علينا هذه الأمور . لقد نطقبت زوراً وبهتاناً » .

وعندما انتهى ذلك الحكيم من خطابه الطويل ، أجابه الملك بنفسه على أقواله ، غير أنه ليس في وسعنا أن نصل إلى ما قاله الملك في إجابته على الحكيم مما بقي لنا من تلك التفتت الفتنة من الصفحة المزقة التي دونت عليها تلك الإجابة ، وسنظل كذلك في شوق إلى ذلك الجواب إلى أن يكشف لنا عن نسخة تامة من هذه الوثيقة .

وقد وصلت تقريمات ذلك الرجل الحكيم إلى قتها في قوة التعميرات اللفظية الموجهة إلى أخلاق ذلك الفرعون التقليدية فهدمتها ، وهي التي كانت تشمل الأمر الملكي والمعرفة والعدالة (يعنى ماعت) أى النظام الإداري والخلق القديم الذي سار عليه ملوك الاتحاد الثاني مدة ألف سنة وهو الذي قد حلت الآن محله الفوضى .

فواضح الآن تماماً من ذلك أن حالة سوء النظام الشاملة التي وصفها في أقواله (إبور) قد ظهرت في فترة من المهد الذي جاء بعد سقوط تلك الدولة القديمة . ويستحيل علينا

الآن أن ندرك موقف ملوك « أهناس » الذين أنتجوا مثل تلك المقالات المثالية المدهشة ، أو نحدد علاقتهم بالنسبة إلى انهيار نظام الحكم . فهل كان احتذاؤهم المثل الأعلى في مثل ذلك العصر ، سببا من أسباب ضعفهم السياسي ؟ فقد لاحظنا أنه في وسط ذلك الخراب القوي الذي صور لنا بتلك الطريقة من غير تحفظ ، أن الحكيم « ابور » كان ولا يزال يحمل في نفسه بعض الأمل طمعا في التخلص من ذلك الخراب .

فهل كان يبقى في ذهنه شيء عن بعض الرجال المروفين بقوة الشكيمة ممن أبقي عليهم الدهر من أسر الأمراء القدامى ؟ على أنه من الجائز أن آماله كانت موجهة إلى قائد كان بأسه لا يرى . وسنرى ذلك في تنبؤات « نفر وهو » .

نص المتن

يشمل فقرات نثرية وست قصائد شعرية ، وهذه تكون نواته الحقيقية . وابتدىء كما وصلنا بأن نرى الحكيم قد أخذ فعلا في تصوير مصيبة البلاد : فيقول حراس الأبواب : « فلنذهب لنذهب » . والفصال يتنحى عن حمل حمله . وصائدو الطيور قد جهزوا أنفسهم للواقعة ، وآخرون من الدلتا يحملون الدروع . وقد نار القوم حتى أصحاب أهدأ الحرف كبائى الحلوى وصاننى الجمعة ، وأصبح الرجل ينظر لابنه نظره إلى عدو والرجل الفاضل يذهب بملابس الحزن بسبب ما حاق بالأرض وأصبح الأجانب مصريين^(١) في كل مكان .

الشعر الأول

يعنى بصفة خاصة باللبؤس العام — السرقة ، والقتل ، والتخريب ، والتحط ، وقد طرد الموظفون ودمرت الإدارة ، والتجارة الخارجية قد قضى عليها . وانتشر الأجانب في البلاد واحتل عامة القوم مراتب عليتهم .

وكل بيت من هذه القصيدة يبتدىء بكامتين يمكن ترجمتهما إلى العربية هكذا : « حقا لقد » أو « وفي الحق » التى تدل على إثبات شيء لا يمكن تفنيده . « حقا لقد شحب الوجه . . . والأجداد قد تنبؤوا . . . »

(١) كل ما يقصد هنا هو أن الأجانب العديدين الذين سكنوا مصر في ذلك الوقت قد تبحروا على أن يضعوا أنفسهم موضع المصريين في هذا الانقلاب العام .

وبعد كسر طويل بعض الشيء نقرأ :
 حقا فإن . . . (والبلاذ) ملأى بالمصائب ويذهب الرجل ليحرق ومنه درعه .
 حقا فإن الخجول يقول : . . . (مهم) .
 حقا فإن الوجه قد شحِب ، وحامل القوس أصبح مستعدا ، والمجرمون في كل مكان ،
 ولا يوجد رجل من رجال الأُمس^(١)
 حقا إن الناهيين في كل مكان . . .
 حقا إن النيل في وقت الفيضان ، ومع ذلك لا يحرق أحد من أجله . وكل إنسان يقول
 « لا نعرف ما حدث في أنحاء البلاذ »^(٢) .
 حقا لقد صارت النساء عاقرات ، وانقطع الحمل وأصبح الإله « خنوم » لا يسوى الناس
 يجد بسبب حالة الأرض^(٣) المضطربة .
 حقا لقد أصبح المعوزون الآن يمتلكون أشياء جميلة ، ومن كان يخفض نعليه فيما مضى
 أصبح صاحب ثروة .
 - حقا إن أرقاء الرجال أنحت قلوبهم في حزن^(٤) وأصبح المظلاء لا يشاطرون
 عليهم أفراحهم (٥) .
 حقا إن القلب لثائر . والوباء قد انبث في كل الأرض ، والدم صار في كل مكان . . .
 وحقائق الموميات تتكلم ، وإن لم يقترب الإنسان منها .
 حقا لقد دفن رجال عديدون في النهر ، فأصبح النهر قبرا ، وصار المكان الطاهر^(٥) مجرى .
 حقا لقد أصبح الحزن يملأ (قلوب) أصحاب الأصل الرفيع ، أما الفقراء فقد امتلأوا
 سرورا ، وأنحت كل بلدة تقول : فلنقص القوى من بيننا .
 حقا لقد أصبح منظر الناس كمنظر طير « جم »^(٦) ، والقاذورات منتشرة في كل البلاذ ،
 ولا يوجد امرؤ بملابس بيضاء في هذا الوقت .

- (١) أى لا يوجد رجل كان محترما بالأُمس .
- (٢) أى أنه ليس لأحد ثقة كافية ليفلح الأرض في هذه الأوقات الحرجة .
- (٣) أى أن اخنوم أعرض الآن عن هذا العمل غير المجدى .
- (٤) أرقاء الأغنياء الجدد .
- (٥) مكان التعنيط . كانت الجثث من الكثرة بحيث أصبح دفنها متعذرا ، ولذا فإنها ألقيت في الماء
 ككلاشية الميتة .
- (٦) نوع من الطير المائى له سيقان طويلة ورقبة طويلة كذلك ويظهر أنه طير قذر .

حقا لقد أصبحت الأرض تدور كمجلة صانع الفخار . وصار اللص صاحب ثروة (ثم يأتي بيت ممزق) .

حقا لقد تحول النهر دما . فهل يشرب الإنسان منه ؟ إنه يعافه بوصفه آدميا (لأن الإنسان يظلم للماء .

حقا إن (البوابات) والعمد والجدران قد التهمت النيران (ومع ذلك) فإن حجرة (؟) قصر الملك لا تزال باقية ، وواقفة ثابتة .

حقا لقد أصبحت سفينة الجنوب^(١) شاردة (؟) ، ودصرت البلاد ، وصار الوجه القبلي صحراء خاوية (؟)

حقا لقد أصبحت التماسيح في تخمة بما قد سلبت ، إذ يذهب الناس إليها عن طيب خاطر وحالة البلاد أصبحت سيئة ويقول القوم : لاتدوسوا هنا ، ولكنهم يدوسون هناك كأنهم هناك سمك ، لأن الرجل الجبان ينقلب غايه في الغباوة من الرعب .

حقا لقد أصبح الناس قليلين . على أن من يدفن أخاه في الأرض يرى في كل مكان^(٢) وبعد أن يتكلم المرتل يهرب على الفور .

حقا لقد أصبح ابن سلالة المجد لا يعرف (؟) وأصبح ابن زوجته ابن خادمتها^(٣) (؟)

حقا لقد أصبحت الأرض الحراء^(٤) منتشرة في كل البلاد . وخربت المنازل . ونزل قوم أغراب من الخارج إلى مصر^(٥) . «البيت التالي ينتهي» : «ولارجال في أى مكان»^(٦)

حقا إن الذهب واللازورد والفضة والياقوت والكرنيليان والبرز والمرس و . . . تحلى جيد الجوارى . والهيئات النبيلات (؟) يمشين في طول البلاد وربات الخدور يقلن : ليت

عندنا بعض الشيء لنا كل^(٧) ،

(١) يحتمل أنه يقصد بذلك مصر العليا .

(٢) أى أن حفارى القبور يرون في كل مكان .

(٣) لم يعد هناك أى تمييز بين ابن ربة البيت (الزوجة) وبين ابن الخادمة .

(٤) أى الأراضي الأجنبية يقرنها بالأرض السوداء (مصر) وهذه التعبيرات مأخوذة من

الأراضي الصفراء والسوداء . والمعنى المقصود هو أن الإنسان أصبح يلتقى الأجانب في كل مكان .

(٥) هذا التعبير يظهر أنه لا يدل على غزو معاد .

(٦) أى أن المصريين لا يرون الآن (وذلك لأن كلمة «رمت» أى الرجال كانت تستعمل للمصريين

فقط وما سواهم كانوا متوحشين) .

(٧) يستجدين .

حقا فإن . . . أعضاء السيدات في حالة يرثى لها إذ يرتدين الحرق البالية . وقلوبهن تنفطر حينما يُحْيَيْن (١) .

حقا فإن صناديق الأبائوس تكسر . وخشب « سسنم » الثمين يقطع قطعاً للأسرة (٢) .
حقا لقد أصبح بناءو (الأهرام) عمالا في الحقول ، والذين كانوا في سفينة الإله أصبحوا تحت نير واحد (٣) . ولا يسيح الناس إلى « جبيل » اليوم (٤) . وإذن ماذا نصنع للحصول على خشب الأرض اللازم للموميات ؟

فالكهنة يدفنون بمستخرجاتها والأمراء حتى بلاد كفتيو (كريت) (٥) يحنطون بزبيها ، فهي لا ترد بعد قط ، والذهب قلّ وال . . . الذي كان يستعمل في كل الحرف قد انتهى . . . ولم يظهر للإنسان عظيما عند ما يأتي إليه أهل الواحات حاملين محصولاتهم من نبات وطيور .
حقا فإن « إلفنتين » و « طينة » (٦) وهما من ممتلكات الوجه القبلي أصبحتا لا تؤديان الضرائب بسبب الحروب الداخلية . وهناك حاجة إلى الفاكهة والفحم وكل أنواع التجارة ، وكل ما ينتجه الصناع . . . فما فائدة وجود بيت مال بدون دخل ؟

ولاشك في أن قلب الملك يسر عند ما يقف على الحقيقة (٧) . فقد دخلت (البلاد) كل مملكة أجنبية ، وهذا ماؤنا : وهذه سعادتنا . . . ولكن ما العمل ؟ وكل شيء ينحدر إلى الدمار !
حقا لقد قضى على الفرح ، ولم يعد يقام ، بل الحزن هو الذي يتمشى في طول البلاد ممزوجا بالأسى .

حقا فإن الأموات أصبحوا مثل الأحياء (٨؟) ومن كانوا مصريين أصبحوا أجنب (٩) ؟
حقا لقد سقط شعر كل إنسان ؟ وأصبح لا يميز بين ابن الرفيع وبين ابن من لا والد له . . . والجلبة لم تكن غير متوفرة في سنى الجلبة ولا نهاية للضوضاء .
حقا فقد أصبح كل من العظيم والحقير يقول : « ليتني كنت ميتا » ! والأطفال الصغار

(١) المعنى أنهم يخجلون حينما يشاهدون في حالة بؤسهن

(٢) أى أن مهندسى وريان السفن الملكية (وهى التى يقصد بها سفن الإله) يشتغلون عمالا عاديين

(٣) ميناء لبنان الذى منه يجلب خشب الأرض وزيت

(٤) كريت التى كانت تحت السيطرة المصرية منذ عهد قديم

(٥) أصبحت هذه التجارة الحظيرة مما تروح إليه النفوس بعد أن قضى على كل أنواع

التجارة الواسعة

(٦) قد يعنى بذلك الحقيقة التى لم يخبر بها الملك

يقولون : « كان يجب عليه ألا يحملنا على قيد الحياة » .

حقا فقد أصبح أولاد الأمراء يضرب الناس بهم عرض الحائط — وأطفال الشهوة يلقون على قارعة الطريق ^(١) . وأصبح الإله « خنوم » يئن تعباً حقاً فإن الذين كانوا في « المكان الطاهر » قد أقوا على قارعة الطريق ، وأصبح سر المنطيين جهراً ^(٢) .

حقاً فإن ما كان لا يزال يرى حتى الأمس قد دمر وهجرت الأرض لآلامها كما يقتلع الإنسان الكتان ^(٣) (من أصوله)

حقاً فإن الدلتا بأجمعها أصبحت غير محمية (كما كانت) والاعتماد على أرض الشمال أصبح (الآن) طريقاً معبداً ^(٤) . وماذا يفعل الإنسان ؟ . . . وسيقول الناس حقاً : لمن المكان الوعر ! ولكن انظر فقد أصبح الآن ملكاً على السواء لمن يجهلونه ومن يعرفونه ، وأصبح الأجانب مهرة في صناعات الدلتا .

حقاً فإن المواطنين قد ألقي بهم على أحجار الطواحين . وهؤلاء الذين كانوا يرتدون الكتان الجليل أصبحوا يضربون . . . واللائي لم يشاهدن نور النهار قد خرجن ^(٥) . . . واللائي كن على أسرة أزواجهن ، أصبحن ينمن على مضاجع مقضنة . . . وأصبحت السيدات يتألن مثل الإماء ، ومغنيات الخدور أصبحت أغانيهن للإلهة الغناء أنشودة جزن ، والقاصون . . . يجلسون على أحجار الطواحين ^(٦)

حقاً فقد أصبحت الخادومات من الإماء يوجهن ألسنتهن حيث شئن ^(٧) ، وعند ماتكلم سيداتهن فإن ذلك يكون ممللاً لإمأتهن

(١) الحاجة اضطرت القوم إلى إلقائهم

(٢) مومياء عليه القوم قد انتزعت من المقابر

(٣) حينما يقتلع الكتان لا يترك منه شيء قط في الأرض

(٤) أي أن مستنقعات الدلتا وبحيراتها التي كانت تعد أداة دفاع طبيعية أصبحت فليقة الجدوى ، إذ دخلها الأجانب في عصابات واشتملوا بحررفها . ولا يخفى على الذهن أن الدلتا كانت في أواخر العصور القديمة وخلال القرون الوسطى مركزاً للصناعة والتصدير ، ومن الجائز أن الحالة كانت كذلك في هذا العصر القديم

(٥) ربما يريد الكاتب . كما في الجملة التالية أن سيدات الطبقة الراقية اللائي كن يسكن في البيوت أصبحن مرغمات على العمل الشاق في الخارج في حرارة الشمس

(٦) يقصد بذلك المغنيات والقاصين الذين كانوا يسلون ربات الخدور

(٧) أي يقلن ما يرغبن

حقاً . . . وسيقول الناس حينئذ يسمعونها : « لقد أتلف الفطير لمعظم (؟) الأطفال ،
وليس هناك طعام لأجل ... ، فما طعم هذا اليوم ؟

حقاً فقد أصبح الحكام جوعاً وفي بؤس

حقاً فإن الرجل الأحمق يقول : « إذا عرفت أين يوجد الإله فاني أقدم له قرباناً » (لقد
أصبح الصدق كذباً في الأرض ، والحصاد قد اغتصب كل متاعه)

حقاً فإن كل قلوب الماشية تبكي والقطعان تندب حالة البلاد

حقاً لقد أصبح أبناء الأمراء يضرب بهم القوم عرض الحائط ، والأطفال الذين كانوا
محبوبين قد ألقى بهم على قارعة الطريق . . . والإله « خنوم » يشكو بسبب إعيائه ^(١) .

بيت مبرهم :

حقاً لقد . . . عمت الوقاحة (في كل البلاد) عند كل الناس ^(٢) . والرجل يقتل أخاه
من أمه . فما العمل في ذلك ؟ . . .

حقاً لقد أصبحت الطرق . . . والشوارع تحرس ^(٣) والناس يختبئون في الأعشاب
حتى يأتي المسافر في ظلام الليل ليسلبوا منه حمله . وما عليه يسرق ، ويضرب بالمصا حتى
ينقطع نفسه ثم يذبح ظلاماً

وفي الحق لقد دُمر ما كان صرثياً بالأمس ، وقد تركت الأرض لتاعبها ، كما يقتلع
الإنسان منها الكتان ^(٤) ، والفقير . . . في شجى . . . ليت آخر الناس يكون قد حلّ ، فلا
حمل ولا ولادة ! ليت العالم يتخلص من الغوغاء وتنفض المشاحنات !

وفي الحق لقد أصبح القوم يعيشون على الحشائش ويشربون الماء . وقد أصبحت الطيور
ولا فاكهة ولا أعشاب تأكل منها . وقد أصبحت القاذورات تحتطف من أفواه الخنازير
دون أن يقال (كما كان يقال في الزمن السالف) « هذا أحسن لك مما هو لي » لأن
القوم صاروا جوعاً ^(٥)

(١) وذلك لأن التعب الذي لاقاه بسبب تسويته بني الإنسان قد ظهر له أنه تعب ضائع . وهذا
البيت من الشعر قد ورد ذكره فيما سبق

(٢) هذه الجملة مأخوذة عن الشجار بين إنسان سُم الحياة وبين روحه مما يدل على أن هذا المقال
قد كتب بعد مقال الشجار بين إنسان سُم الحياة وبين روحه

(٣) أي بالصوص

(٤) قد ورد ذكر هذه الجملة آنفاً

(٥) أي أن القوم أصبحوا يأكلون ما كانوا يطعمون به الدجاج والخنازير

وفي الحق قد انعدمت الغلال في كل مكان ، وجرّد القوم من الملابس والمطر والزيت وصار كل إنسان يقول : « لم يبق شيء » . وصار المخزن خلوا ، وحارسه قد أصبح ملق على الأرض ، وإن ذلك ليس بالأمر السار لقلبي . وليت في مقدوري أن أرفع صوتي في هذه الآونة حتى كان يخلصني من الألم الذي أنا فيه الآن^(١) !

وفي الحق لقد سلبت كتابات قاعة المحاكمة الفاخرة ، وأصبح المكان السري مكشوفاً . . وفي الحق لقد أذيع سر التعاويذ السحرية ، وصارت لا أثر لها (؟) لأن القوم قد حفظوها في أذهانهم^(٢) .

وفي الحق لقد فتحت الإدارات العامة ، ونهبت قوائمها . وصار المبيد أصحاب عبيد^(٣) وفي الحق لقد ذبح الموظفون وسلبت قوائمهم . فتصمّأ لي بسبب البؤس في مثل هذا الزمن ! وفي الحق لقد دمّرت دفاتر كتاب الحقيقة ، وأصبحت غلال مصر ملكاً مشاعاً^(٤) . وفي الحق لقد وضمت قوانين قاعة المحاكمة في البهو . وصار القوم يطئونها في الطرقات ويمزقها الفقراء في الأزقة .

وفي الحق لقد وصل الفقير إلى مرتبة الآلهة التسعة ، وإجراءات بيت الثلاثين قد أفضيت^(٥) .

وفي الحق لقد أصبحت قاعة العدل العظمى مكتظة^(٦) . ، والفقراء يروحون ويحيثون في البيوت العظيمة^(٧) .

وفي الحق لقد أصبح أولاد الحكام يلقون في الشوارع . ومن كان صاحب معرفة يقول : نعم ، والجاهل يقول : لا ، . فالذي لا علم له يظهر ذلك عنده حسناً^(٨) .

(١) هل يقصد بذلك أن النبي يؤنب نفسه لأنه لم يأت متقدماً في الوقت المناسب ؟

(٢) لقد أصبحت عديمة الجدوى لأنها صارت معروفة . ويجب أن يلاحظ أن التعاويذ السحرية كانت تعد ملكاً ثميناً للحكومة

(٣) كانت نتيجة ضياع القوائم أن أصبح الإنسان لا يعرف من كان عبداً

(٤) محصول الغلال الذي يعيش عليه كل الناس أصبح الآن تحت رحمة أي فرد لأن الوثائق التي ينظم على أساسها توزيعه قد فقدت

(٥) أي أنه لم يعد للثلاثين موظفاً الذين كانوا يتولون أعلى المناصب في البلاد أي تأثير على القوم الذين صاروا كآلهة

(٦) أي أن القاعة أصبحت مزدحمة

(٧) أي أن الرعايا أصبحوا يدخلون الآن البيوت الستة العظمى (المحاكم العليا القديمة) بدون

خوف ولا وجل .

(٨) قد حصر هذا البيت بطريقة مشوهة في تعاليم « أمنمحات »

وفي الحق أصبح أولئك الذين كانوا في « المكان الطاهر » يلقون على قارعة الطريق .
وصار سر المحنطين مكشوفاً^(١) .

[الشعر الثاني]

إن المصائب التي يتحدث عنها هذا الشعر تفوق بمراحل تلك التي كان يُستكى منها فيما سبق ؛ إذ دمرت الملكية وأصبح الشعب هو القابض على زمام الأمور تماماً . وقد نوه مراراً بأن سفلة القوم أصبحوا من أهل اليسار ، على حين أن أُنْ عليّة القوم قد انحطوا إلى حضيض البؤس .

وكما أن الشعر الأول يبتدىء كل بيت فيه « حقاً فقد » . أو « وفي الحق » ، ليصور لنا حقيقة معلومة قد وقعت ، فإن الشعر الثاني يبتدىء بتكرار كلمة « انظر » ليضع أمامنا بجلاء حوادث قد حدثت في الحال أو لا يزال جارياً وقوعها .

انظر ! إن النار قد اشتعل لهيبها عالياً ، ويندلع شررها ضد أعداء البلاد .

انظر ! لقد حدثت أمور لم تحدث منذ زمن بعيد مضى ، إذ اختطف الفقراء الملك^(٢) .

انظر ! إن الذي دفن كصقر^(٣) أصبح يرقد على نعش ، وما خبأه الأهرام^(٤) قد أصبح خلواً .

انظر ! لقد تجاسر بمض الخوارج فخرموا البلاد الملكية .

انظر ! لقد آل الأمر إلى أن يُظهر الناس العداء للصل^(٥) (حامى ؟) رع الذي جعل

الأرضين في سلام .

انظر ! إن سر الأرض الذي لا يعرف أحد حدوده^(٦) قد أفضى ، وأصبح مقر الملك رأساً

على عقب في لحظة .

انظر ! إن مصر قد أصبحت تصب الماء ، ومن كان يصب الماء على الأرض وقد

قبض على الرجل القوى ، وهو في بؤس (صب الماء كان يقوم به الفقراء من الناس)

(١) قد ورد ذكر هذا البيت آنفاً

(٢) يقصد بذلك نهب القبر الملكي

(٣) أى الملك

(٤) التابوت

(٥) صل الملك وإله الشمس (رع) وهو الثعبان الذي يوضع في مقدمة التاج الملكي لينفث السم

في وجه كل من يريد أن يقترب من الملك بسوء

(٦) الأمور السرية التي لا يعرفها أحد غير الملك

انظر ! إن الحية « كرحت »^(١) قد أخذت من وكرها . وبذلك أفشى سر ملوك الوجه القبلي والبحرى .

انظر ! إن مقر الملك خائف لاحتياجه . وال وسيحدث الاضطراب وليست هناك مقاومة .

انظر ! إن الأرض ملأى بالمصابات ، والرجل القوى يغتصب التمساء متاعه^(٢) .

انظر ! إن الحية « كرحت » . . . المتعبين^(٣) . ومن لم يكن فى مقدوره أن يصنع لنفسه تابوتا أصبح يملك قبرا^(٤) .

انظر ! إن أبواب المقابر^(٥) (المكان الطاهر) قد ألقى بهم على قارعة الطريق . وذلك الذى لم يكن فى مقدوره أن يصنع لنفسه كفنا أصبح الآن صاحب ثروة (؟)

انظر ! لقد حدث هذا بين الناس ؛ فمن لم يكن فى قدرته أن يقيم حجرة أصبح الآن يملك فناء مسورا

انظر ! إن قضاة البلاد قد طردوا فى طول الأرض . . . طردوا من بيوت الملوك

انظر ! إن العقيلات الشريقات يرقدن على الفراش الخشن ، والأمراء ينامون فى الخزن . ومن لم يكن ميسورا له أن ينام على الجدران أصبح صاحب سرير

انظر ! إن الرجل الغنى أصبح يمضى الليل وهو ظمآن ، ومن كان يستجدى منه الخثالة أصبح يملك الجعة القوية^(٦) .

انظر ! إن أولئك الذين كانوا يملكون الملابس أصبحوا فى خرق بالية ، ومن كان لا ينسج لنفسه أصبح الآن يملك الكتان الجميل .

انظر ! إن الذى لم يكن قط لنفسه قاربا أصبح الآن يملك سفنا ، وأصبح صاحبها ينظر إليها ، ولكنها لم تعد ملكه بعد .

(١) حية تسكن الأماكن المقدسة (القصر فى هذه الحالة) ملاكا حارسا

(٢) أى أن الفرد الذى كان لا يزال قويا حتى الآن أصبح الرعاع ينهبونه وهم يجتمعون عصابات .

والآيات التالية توضح هذا

(٣) الموتى

(٤) قد سرقه لنفسه

(٥) يقصد بذلك الموتى

(٦) أى الجعة التى تسكر

انظر ! إن الذى لم يكن يملك ما يظله من حرارة الشمس أصبح يملك ظلا ، وهؤلاء الذين كانوا يملكون ما يأويهم أصبحوا الآن عرضة لزعازع العاصفة^(١) .

انظر ! إن من كان يجهل الضرب على العود أصبح يملك عودا ، ومن كان لا يفتى له أحد أصبح الآن يفتى على إلهة الفناء

انظر ! إن الذين كانوا يملكون موائد شراب من النحاس أصبح لا يُحلى إناء^(٢) واحد لفرد منهم (؟؟)

انظر ! إن من قد نام أعزب بسبب الحاجة أصبح الآن يجد السيدات (؟) ...

انظر ! إن من كان لا يملك شيئا أصبح ذا ثروة ، وأصبح الرجل العظيم^(٣) يمدحه

انظر ! إن فقراء الأرض أصبحوا أغنياء ، ومن كان يملك متاعا أصبح لا شيء عنده .

انظر ! إن الذين ... أصبح لهم طائفة من الخدم ، ومن كان رسولا أصبح يرسل غيره

انظر ! إن من كان لا يملك الخبز أصبح يملك جرينا ، وما يملأ به مخزنه هو متاع غيره

انظر ! إن الأصلع الذى كان لا يستعمل الزيت أصبح يملك أوانى المطور الزكية

انظر ! إن من كانت لا تملك صندوقا أصبحت تملك صوانا ، وتلك التى كانت تشاهد

وجهها فى الماء أصبحت تملك مرآة

[بيت ترك ناقصا]

انظر ! إن الرجل يصبح سعيداً حينما يأكل طعامه . أنفق مالك فى سرور دون أن

تقل يدك ! فإنه خير للرجل أن يأكل طعامه ، فإن الله يمنحه من يمدحه^(٤)

انظر ! إن من كان يجهل إلبه أصبح يقدم له قربانا من بخور آخر ...

انظر ! إن السيدات النبيلات والسيدات المظلمات اللاتي كن يملكن متاعا حسنا

أصبحن يقدمن أولادهن إلى الأسرة^(٥) .

انظر ! إن من اتخذ سيدة زوجة أصبح والدها يحميمه ...

(١) أى أنهم أصبحوا بدون مأوى معرضين لحرارة الشمس اللافحة والزعازع

(٢) المتن هنا مشوه ، وقد يكون هذا إشارة إلى عادة وضع أزهار حول أوانى الخمر

(٣) أو الموظف الكبير ؛ وقد كان عليه أن يقدم الخضوع للمحدثين

(٤) يظهر أن هذه الجملة مقتبسة من كتاب قديم ، غير أن موضعها هنا ليس ملائما أو أننا

لا نفهم مناسبتها هنا

(٥) هل معنى هذا أنهم أصبحوا طاهرات ؟

انظر ! إن أولاد رجال البلاط أصبحوا في خرق بالية وماشيتهم صارت متاع الناهيين .

انظر ! إن القضاين يذبجون الماشية للفقراء ...

انظر ! إن من لم يذبح لنفسه قط أصبح الآن يذبح ثيرانا . . .

انظر ! إن القضاين يذبجون الإوز الذي يقدم للاله بدلا من الثيران^(١) .

انظر ! إن الجوارى . . . يقدمن الإوز . . . السيدات . . .

انظر ! إن السيدات الشريفات يهربن . . . وأطفالهن ، ويلقى بأطفالهن خوفا من الموت

انظر ! إن رؤساء البلاد يهرولون دون أن يكون لهم أى عمل بسبب الحاجة ...

انظر ! إن الذين كانوا يملكون الأسرة أصبحوا يرقدون على الأرض . وذلك الذى كان

ينام فى الأوساخ أصبح يملك الآن سيرا

انظر ! إن السيدات الشريفات قد أصبحن جائعات ؛ ولكن القضاين أصبحوا

فى كِطْطَة متخمين من الشبع بما يملونه^(٢) .

انظر ! فإن الوظائف ليست فى موضعها الصحيح مثل القطيع المذعور الذى لا راعي له .

انظر ! إن الماشية قد تركت تفضل سيبلها ولا إنسان يجمعها ويلبشعها . فكل إنسان

يذهب ويأخذ لنفسه منها ويسمها باسمه (أى يُملئها)

انظر ! إن الرجل يذبح بجوار أخيه فيتركه وحيدا لينجى نفسه

انظر ! إن من كان يملك زوج ثيران أصبح يملك أزواجا . ومن لم يكن فى مقدوره أن

يحصل على ثيران للحرث أصبح يملك قطعانا

انظر ! إن الذى لم يكن يملك حبة أصبح الآن يملك أجرا . ومن كان يبحث لنفسه

عن صدقات من القمح أصبح الآن يخرج من مخازنه ويجعلها توزع

انظر ! إن من كان لا يملك أتباعا أصبح رب عبيد . ومن كان من عليه القوم أصبح

الآن ينفذ أوامر غيره

(١) المعنى المحتمل هو أن الأغنياء المحدثين يفضلون أن يقدموا الإوز قربانا للآله بدلا من الثيران

التي يأكلونها

(٢) أى أنهم يأكلون لحوم الحيوانات التي يذبونها (راجع Blackman. Journal of Egyptian

انظر ! إن عظماء الأرض أصبحوا ولا أحد يخبرهم عن حالة عامة الشعب . وكل شيء آيل للخراب !

انظر ! لا صانع يعمل ، والعدو يحرم البلاد حرفها .

انظر ! إن من حصد المحصول لا يعرف عنه شيئا . ومن لا يحرق لنفسه يملأ مخزنه ... وإن الحصاد يحرق ، ولكن لم يذكر عنه شيء ، والكاتب يجلس في مكتبه ، ولكن يديه لا تعملان شيئا ؟ ؟ ...

[الشعر الثالث والرابع]

(بعض أبيات ناقصة وممزقة كل منها يتبدى بكلمة « مدمر » وفي الفقرة التي قبل الآخر يمكن أن تفهم ما يأتي) . الرجل الفقير يستيقظ عند ما يفتش نور النهار عليه دون أن يخافه ، وإنها لخيام قد صنعوها مثل التوحشين .

(والبيت الأخير) : لقد أتلّف تنفيذ ما أرسل من أجله الخدم بأمر من أسيادهم ، فإنهم أصبحوا غير جليين .

انظر ! إنهم كانوا خمسة رجال^(١) . وهم يقولون : اذهبوا أنتم على الطريق الذي تعرفونه . أما نحن فقد وصلنا (إلى موطننا)
(وتتبع ذلك فقرة منفردة)

إن الدلتا تبكي وتخزن الملك أصبح ملكا مشاعا لكل فرد . ولا ضرائب تجبي للقصر كله ، ومع ذلك فإن له قانونا شعيرا وقجا ودجاجا وسمكا ، يملك المنسوج الأبيض والتيل الجليل والنحاس والزيت ، ويملك الحصر والبُسْط .. وعقبة وكل المحاصيل الجميلة ... فإذا لم يعلن ذلك إلى الآن في القصر فحينئذ ...

أما الشعر الرابع الذي لم يبق منه إلا نصف ستة أبيات التي يحتويها يتبدى كل منها : دَمَرُ أعداء المقر الملكي العظيم ، (ومن ذلك يستنتج أنه يحتسب بلا شك على الأمر بمقاومتهم)

وقد نعت هنا مقر الملك بصفات مثل صاحب الموظفين المتفوقين ، وصاحب القوانين العدة ، وصاحب الوظائف العدة ، وفي البيت الأول يمكن قراءة الكلمات الآتية : المشرف على العاصمة . يخرج بدون شرطة

(١) كانت هناك عصابات مكونة من خمسة رجال ولم يعودوا يكلفون أنفسهم مشقة القيام بمهمات . بل انتظروا أن يقوم بها الرؤساء أنفسهم

[الشعر الخامس]

نجد فيه ثمانية أبيات أو أكثر تبتدىء بكلمة « تذكر » ، وهي خاصة بعبادة الآلهة ، وكيف كانت تعبد فيها مضي ، وما سيؤول إليه أمرها في المستقبل .
وكل ما يمكن أن يقال عن البيت الأول أنه يذكر فردا في ألم ويذكر كذلك إلهه تذكر . . . كيف يضمنخ بالبخور ، والماء يقدم من إبريق في فلق الصبح .
تذكر كيف تجلب الإوز سمينة ، ويُقَرَّبُ الإوز والبط والقرايين الإلهية إلى الآلهة تذكر كيف كان يعضغ النطرون^(١) ويجهز الخبز الأبيض في اليوم الذي يبلى فيه الرأس^(٢) .

تذكر كيف كانت تنصب الأعلام^(٣) ، وتنقش ألواح القربان ، وكيف كان الكهنة يطهرون المعابد ، ويبيض بيت الله كاللبن ، وكيف كان يعطر الأفق^(٤) ويخلد القربان من الخبز .
تذكر كيف كانت ترى الأنظمة ، وتوزع أيام الشهر ، ويمزل الكهنة الأشرار (؟) .
تذكر كيف كانت الثيران تذبح . . .

[وفي الأبيات الختامية الممزقة نقرأ من بين ما جاء فيها] : وُضعت الإوز على النار [طبعا ضحية] .

يتلو ذلك فقرة طويلة فيها يخاطب الحكيم نفسه أولاً ثم أشخاصا كثيرين ، ولم يفهم مما حفظ إلّا « انظر . أين يبحث هو ليسوى البشر ؟ دون أن يُميز الرجل الخجول من الرجل الأحق وهو يجلب البرودة إلى اللهيب ، ويقال عنه إنه راعي الإنسانية ولا يحمل في قلبه شرا ، وحينما تكون قطعانه قليلة العدد فإنه يصرف يومه في جمع بعضها إلى بعض وقلوبها محومة (من الحزن) »

« وليته عرف أخلاقها في الجيل الأول فعتدّها كان في مقدوره أن يضرب^(٥) الشر وكان

(١) كان الكاهن يطهر له بماء النطرون

(٢) المعنى غامض

(٣) عند مدخل المعبد . والفقرة تشير إلى استعادة المعابد الحربية

(٤) المعبد

(٥) يحتفل أن هذا لإعلاء إلى الخرافة التي تقص أن « رع » حينما حكم العالم في الزمن الأول لم يدمر الإنسانية جملة كما تستحق بمخودها . ويحتمل أن يكون المعنى أيضا : ليت رع قد فطن في ذلك المهد إلى أن الناس لا يمكن ردعهم عن الخطايا وأنه يجب محفهم .

في قدرته أن يمد ذراعه (يعنى الشر) ، وكان في مقدوره أن يقضى على بذرتهم هناك وعلى وراثتهم . فأين هو اليوم ؟ هل هو بطريق الصدفة ينام ؟ ^(١)

انظر ؟ إن بأسه لا يرى

إذ عند ما نلقى في الحزن فاني لم أجذك ، ولم أناد ...

[وبعد عدة فجوات طويلة يصير المتن ثانيا مفهوما]

« إن القيادة والفطنة والصدق معك ^(٢) ، غير أن ما تبشه في طول البلاد هو الفوضى وغوغاء الذين يتخاصمون . انظر ! إن الفرد يرى الآخر ... وإذا سافر ثلاثة رجال على طريق واحد فلا يوجد منهم إلا اثنان ؛ إذ أن العدد الأكبر يذبح العدد الأصغر . أيوجد راع يحب الموت ؟ ^(٣)

« ولكنك ستأمر أن تجاب ... فالأكاذيب تتلى عليك ، والبلاد قش ملتهب ، ^(٤) والناس لا يعتمدون على الشجار ، وكل هذه الأعوام ارتباك . فالرجل يقتل على سطح بيته حينما يكون مراقبا في حدود منزله . ولكن إذا كان قويا فانه ينجى نفسه ويبقى حيا [والناس يرسلون خادما لرجل فقير فيمشى على الطريق إلى أن يرى الفيضان (؟) (ثم يسرق هناك ؟) فيقف مبتئسا (؟) ويسرق ما عليه ثم يضرب بالعصا إلى أن ينقطع منه النفس ويذبح ظلما ^(٥) ليتك تذوق بعض هذا البؤس بنفسك وعندئذ يمكنك أن تقول ... »

[الشعر السادس]

[وصف للوقت السفيد الذي يحفظه المستقبل]

« على أنه من الخير عند ما تسير المراكب جنوبا ...

[بيت مرثم]

على أنه من الخير أن تنصب الشباك وتمسك الطيور ^(٦) ...

(١) من المؤكد أن الربان النائم هو الملك

(٢) أى أنك تحرز الصفات اللازمة للملك ولكنك لا تنفع بها

(٣) بين قطيعه

(٤) حرفيا (كاكا) وهي نبات يحترق بسهولة

(٥) ورد ذكر هذا البيت آنفا

(٦) يقصد بذلك صيد الطيور بالشباك

[بيت بمثل أنه خاص بالطرق]

على أنه من الخير أن تشيد أيدي الناس الأهرام ، وتحفر البرك ، وتنشئ للآلهة
مزارع فيها أشجار .

على أنه من الخير أن يكون الناس سكارى ، وأن يشربوا ... (١) فرحى القلب .

على أنه من الخير أن يكون السرور في أفواه القوم ، وحكام المراكز يقفون وينظرون
إلى الأفراح في بيوتهم (؟) وهم مرتدون جميل الملابس ...

على أنه من الخير أن تكون الأسرة وثيرة ، ووسادات (٢) العطاء محمية بالتعاويد ،
ورغبة كل إنسان تحقق بسرير مظلل خلف باب مغلق ، (فلا يحتاج ؟) إلى النوم في الأعشاب .

على أنه من الخير عند ما ينشر الكتان الجليل في يوم رأس السنة (؟)

[وبعد سلسلة فجوات في ورقة البردي تأتي فقرة لا بد أنها كانت تحتوى على جواب
الملك الذى يجيب عليه الحكيم بعد ذلك . وفيما حفظ من هذه الفقرة يظهر أن ذكر
« المقترعين » قد جاء وأن الشباب قد ثار وهاجم مصر كالأجانب . ثم أراد أهل الجنوب أن
يأخذوا بناصر مصر التى هى بمثابة الأخ والأخت] .

... ولا يوجد أحد يقف لحمايتها ... وإذا كان أى إنسان يحارب من أجل أخيه
فإنه يحمى نفسه (٣) .

والسود يقولون : « سنكون حامين لكم . دع القتال يعظم ليُقْصَر » شعب القوس .
وإذا كان فيهم « تحو » فعندئذ نמיד الكرة »

وقوم « التاو » المصادقون لمصر (يقولون ؟) : كيف يمكن أن يكون هناك رجل
يريد أن يقتل أخاه ؟

والجنود الذين نجدهم لنا أصبحوا من شعب القوس الذين أرادوا أن يدمروا المكان الذى
نبعوا منه ، وهم يظهرون للبدو حالة البلاد ، غير أن كل البلاد الأجنبية خائفة منهم ...

[وبعد فجوة طويلة] : يقول المقترعون ...

(١) نوع خاص من الضراب

(٢) الوسادات الخشبية التى يستند عليها الرأس عند النوم . وكان القوم يميلون إلى تزيينها بأشكال
الأرواح الشهيرة التى يظن أنها تحمى النائمين

(٣) هل هذا نداء مصر طلبا للمونة من الشعوب الجنوبية ؟

[الباقي كله مرسوم]

وهذا ما قاله « اپور » عند ما أجاب جلالة رب العالمين ... على أن تكون جاهلا به (١)
فإن ذلك أمر يسر القلب . ولقد عملت ما هو صالح في قلوبهم ، وقد جمعت الشعب يحيا
بينهم (٢) ، غير أنهم لا يزالون يسترون وجوههم خوفا من الغد .
واتفق أن وقف مرة رجل مسنّ أمام الموت ، وكان ابنه لا يزال طفلا لا إدراك له ...
ولم يفتح بعد فاه ليتكلم إليك . وقد اختطفته بموت محتوم (٣) ...
[وهناك كلمات مفردة لا تزال موجودة تدل على أن الموضوع الذي تحت البحث كان
مستمرا في سرد حال البلاد : — البكاء ، واقتحام مقاصير القبور وإحراق التماثيل]

المصادر :

المصادر التي اعتمدنا عليها في درس هذا المقال ما يأتي :

- (1) Leyden Papyrus, No. 344.
- (2) Pieper, "Die Agyptische Literatur", p.p. 23 f.f.
- (3) Peet, "A Comparative study of the Literatures of Egypt, Palestine and Mesopotamia", p.p. 118 — 119.
- (4) Breasted, "The Dawn of Conscience", p.p. 194 f.f.
- (5) Erman, "The Literature of the Ancient Egyptians", p.p. 92 f.f.
- (6) Gardiner, "The Admonitions of an Egyptian Sage"

(١) قد يعنى بذلك المستقبل

(٢) أى بين المصريين

(٣) ماذا تعنى هذه القصة ؟ هل هو يقصها لفرض الإيضاح أو هل هى مقدمة لكل الكارثة ؟

« نبوءة نفر روهو »

عثر الأستاذ « جولتشف » على بردية موجودة الآن بمتحف « لنجراد » وهى تحتوى على نبوءات كاهن مرتل اسمه (نفر روهو) . وهو يدعى أنها أُلقيت فى حضرة الملك « سنفرو » الذى ينسب إلى أوائل الأسرة الرابعة ، أى قبل العصر الإقطاعى الذى نحن بصددده بما يقرب من ألف سنة

والواقع أن ذلك هو مجرد وضع تمثيلى ليسبغ على كلمات « نفر روهو » الهامة قوة التأثير . ومن حسن الحظ أن كاتبها آخر من عهد الدولة الحديثة ممن عاشوا فى القرن الخامس عشر قبل الميلاد قد ظهرت له أهمية ذلك المقال حتى إنه لما لم يجد لديه بردياً أبيض ينقله فيه أخذ بعض أوراق أخرى مستعملة فى تدوين حساباته هو ، ونقل تلك النبوءات على ظهرها . وبذلك بقيت نبوءات « نفر روهو » فى تلك الصورة التى وصلتنا عفواً بما تحتويه من غموض بسبب أغلاطها الكثيرة التى حدثت عند نقلها بطريق المصادفة كما ذكرنا

والوثيقة تبتدىء بمنظر مألوف فى كل عصور التاريخ المصرى حتى فى النقوش الرسمية ويصور مقدمة للموضوع . فيجلس الملك مع حاشيته يتشاور فى أمر أو تقص عليه الحاشية حكاية ، أو كما نجد فى غير هذا المكان أن الملك لحب استطلاعها إلى أمور الغيب تتوق نفسه لسامع شيء لم يكن يعرفه

فيقول : « والآن اتفق فى عهد جلالة الملك « سنفرو » وهو الملك المحسن فى كل هذه الأرض أن موظفى الحاضرة دخلوا يوماً القصر ليقدموا للملك تحياتهم ^(١) . ثم جاءوا ثانية ليقدموا تحياتهم مرة أخرى كما كانت عادتهم اليومية . وعندئذ قال الملك لمستشاره الذى كان بجانبه : « اذهب وأحضر إلىّ موظفى مقر الملك الذين خرجوا من هنا اليوم ليقدموا تحياتهم ، فدخلوا عليه وسجدوا وانبطحوا على بطونهم أمام جلالته مرة أخرى

وقال لهم جلالته : « يا إخوانى . لقد أمرت بطلبكم لتبحثوا لى عن ابن من أبنائكم يجيد الفهم أو أخ من إخوتكم بارع ، أو صديق من أصدقائكم قد أنجز بعض عمل شريف ، أى فرد يتحدث إلىّ بكلمات جميلة وألفاظ مختارة عندما تسمعها جلالتي تجد فيها تسلية » .

(١) يقصد « بتقديم التحيات » الأنباء اليومية عن كبار الموظفين وكانت تقدم أولاً إلى الملك ثم إلى الوزير وغيره من رؤساء الأقسام

وعندئذ سجدوا منبطحين على بطونهم في حضرة جلالته مرة أخرى وقالوا في حضرة جلالته : « يوجد مرتل عظيم للإلهة « باست » ^(١) يأيها الملك يا مولانا ، واسمه « نفر روهو » ، وهو شعبي قوى الساعد وكاتب حاذق الأنامل ، وهو شخص مسود أغني أقرانه . ليتة يشاهد جلالتك !

فقال جلالته : « اذهبوا وآتوني به » وأدخل عليه في الحال ^(٢) وسجد على بطنه في حضرة جلالته . وقال جلالته : تعالى الآن يا « نفر روهو » يا صاحبي وحدثني ببعض كلمات جميلة ، كلمات مختارة حينئذ أسممها ربما أجد فيها تسلية . فقال المرتل « نفر روهو » : هل ستكون الكلمات من الأمور التي حدثت أو مما سيحدث يأيها الملك يا مولاي ؟ فقال جلالته : لا . مما سيحدث ، إذ أن الحاضر قد دخل في الوجود ويمر الإنسان به

ثم مد يده إلى صندوق مواد الكتابة وأخذ قرطاسا وقلما ومدادا ودون « كتابة ماتحدث به الكاهن المرتل » « نفر روهو » حكيم الشرق التابع للإلهة « باست » ابن مقاطعة « عين شمس » حينئذ كان يفكر فيما سيحدث في الأرض ، ويفكر في حالة الشرق حينئذ يأتي الآسيويون بقوتهم ، وحينئذ يعذبون قلوب الحاصدين وينتصبون ماشيتهم وقت الحرث .

إن الإشارة للملك « سنفرو » في هذه المقدمة لتنبؤات « نفر روهو » بعبارات تلفت نظر المؤرخ المحقق والأديب الفطن قد أبرزت لنا شخصية هذا الملك وميزته عن فراعنة مصر . إذ الواقع أن الأوصاف المعاصرة التي خلفها لنا التاريخ عن هؤلاء الملوك لا تفيد المؤرخ الباحث أو الأديب الناقد في كشف النقاب عن شخصية أي « فرعون » في صورة واضحة جلية . ولما لنرى في هذه الأوصاف والنموت عقود مدح رسمية متشابهة متوارثة محفوظة عن ظهر قلب ، وقد غالى في نظمها وتديبها الحاشية الملتفة حول الفرعون ، وهي تلك التي نقرأها في أول كل وثيقة ملكية منقوشة على الأحجار أو مدونة على البردي . وقد تدرجت تلك النموت في النلو والصعود بصفات الفرعون حتى جعلوه مؤلهاً وجعلوا صفاته تخرج عن دائرة بنى البشر عامة . على أن هذه المغالاة في الأوصاف لم تقتصر في مصر على عهد الفراعنة

(١) « باست » هي إلهة الفرح . رأسها رأس قطة وتعبد في تل بسطة من أعمال الدلتا وهي (الرفايق الحالية)

(٢) هذا الاصطلاح عادي في القصص التي من هذا النوع . ولا يجب الأخذ به حرفياً لأن تل بسطة على بعد تسعين كيلو مترا على الأقل من حاضرة « سنفرو »

بل تجدها في كل عصور تاريخها ، فالحاكم فيها ولو كان خصياً أو ممتوهاً أو جاهلاً كان يوضع في مرتبة أعلى من مرتبة البشر الذين حوله ، وتلك حالة نلاحظها متأصلة في كل بلاد الشرق عامة . فلا غرابة إذاً إذا وجدنا في مصر أن اسم الملك كان يطفى على كل من حوله من الشخصيات العظيمة فيجعلها مغمورة الذكر ، وربما كان لبعضها الفضل في نهوض البلاد وإصلاحها اجتماعياً ، أو كان لبعض قوادها الفضل الأكبر في إحراز النصر على الأعداء .

وقد بقيت الحال كذلك طوال عهد التاريخ المصري القديم من البداية إلى النهاية ؛ على أن هذه الحال كانت نتيجة في نظر المؤرخ عكسية بالنسبة للملوك ، إذ ليس في مقدوره أن يصل إلى حقيقة ما قام به كل منهم فعلاً وذلك لتشابه أعمالهم وصفاتهم التي كانت شبه ورائة . من أجل ذلك استرعى نظرنا ما قرأناه في وثيقتنا عن « سنفرو » عند ما يقول المتن إنه كان ملكاً محسباً ثم عند ما يخاطب أحد رجال رعيته بقوله : « يا صاحبي » ، وحينما يوجه الكلام إلى رجال حاشيته مخاطباً إياهم بقوله : « يا إخواني » ، وعند ما نراه ينزل عن عليائه الإلهية ويقوم بعمل كاتب ، فبدلاً من أن يأمر كاتبه بإحضار الدواة والقلم ليكتب ما يلقى عليه ، يقوم هو بنفسه ويأخذ القلم والقرطاس والدواة ويكتب هو ما يلقى عليه أحد صغار رعيته . كل هذه المشاهد لم نرها تحدث في بلاط فرعون من فراعنة مصر . وإن ملكاً يتصف بهذه الصفات ويتحدث إلى رجال شعبه بهذه الوداعة والألفة لخليق بأن يعد أول ملك شعبي في العالم . ولا غرابة إذاً في أن نرى الشعب المصري قد قابل هذه الروح الديمقراطية بطاعة وإخلاص ، فبادل « سنفرو » الحب بالحب والاعتراف بالجميل ، وأصبح هذا الحب لذلك الفرعون العظيم ينتقل من جيل إلى جيل طوال التاريخ المصري ، ولا أدلّ على ذلك من أننا لا نجد فرعوناً من فراعنة الدولة القديمة الذين ألهمهم الشعب وقدسهم قد استمرت عبادته باقية منتشرة أكثر من الفرعون « سنفرو » الذي استمرت عبادته في أكثر من مدينة مصرية حتى عهد البطالسة ؛ هذا إلى أننا نجد اسمه قد رُكب في اسم كثير من المدن المصرية تركيباً مزجياً ، وما ذلك إلا لعظم تقديسه واحترامه .

على أنه لا يمكننا أن نعد الأحداث التي وصلت إلينا عن طريق التقاليد القومية الموروثة معياراً صحيحاً نحكم به على أخلاق الفرعون « سنفرو » ولكن من جهة أخرى قد يكون من الصعب علينا أن نعتبر تلك الميزات التي أبرزت لنا شخصية « سنفرو » — وهي في ذاتها خارجة عن حد المألوف في أخلاق فراعنة مصر — على غير أساس من الصحة . وعلى أية حال فإن التقاليد الشعبية الموروثة إذا لم تصل إلى منزلة الحقائق التاريخية فإنها تحتل بغير شك

المنزلة التي تليها . ولعمري هل كان يقصد حكيمنا « نفر روهو » هنا أن يصف لنا « سنفرو » بهذه الصورة المحببة لقلوب الشعب ليضرب مثلاً للحاكم الذي كانت تتطلع إليه البلاد وقتئذ ، كما سيجيء بعد في وثيقتنا ليحذو الملك حذوه في معاملة الشعب بالرحمة والرأفة والحب ، ويكون ديمقراطياً في معاملتهم بعدما رأى من احتجاب الفرعون في قصره في حين كان الخراب والدمار يعم أرجاء البلاد^(۱)

ثم يصف لنا بعد هذه المقدمة التاريخية التي تنسب لذلك المقال كما أوضحنا ، الخراب والفوضى اللذين كانا يحيطان به ، ومثله في ذلك مثل خمخبر رع سن .
إذ يتكلم مع قلبه فقراء يقول : « أنصت يا قلبي وابع تلك الأرض التي منها نشأت . . .

المتن :

لقد أصبحت تلك البلاد خراباً فلا من يهتم بها ، ولا من يتكلم عنها ، ولا من يذرف الدمع . فآية حال تلك التي عليها البلاد ؟ لقد حجبت الشمس فلا تضيء حتى يبصر الناس . وقد كان من نتيجة تعطيل أعمال الرى المظيمة العامة أن أصبح نيل مصر جافاً فيمكن للإنسان أن يخوضه بالقدم ، وصار الإنسان عندما يريد أن يبحث عن ماء (يعني النهر) لتجري عليه السفن وجد طريقه قد صار شاطئاً ، والشاطئ صار ماء ، وكل طيب قد اختفى وصارت البلاد طريقحة الشقاء بسبب طعام البدو والذين يغزون البلاد ؛ وظهر الأعداء في مصر فأنحدر الآسيويون إلى مصر . . . وسأريك البلاد وهي مغزوة تتألم . وقد حدث في البلاد ما لم يحدث قط من قبل . . . فالرجل يجلس في عقر داره مولياً ظهره عندما يكون الآخر يذبح بجواره . . . وسأريك الابن صار مثل العدو . والأخ صار خصماً ، والرجل يذبح والده ، وكل فم ملؤه أحببني [صياح المتكفف ؟] وكل الأشياء الطيبة قد ذهبت والبلاد تحتضر . . . وأملك الرجل تغتصب منه وتُعطي الأجنبي . . . وسأريك أن المالك صار في حاجة والأجنبي في غنى . . . وأن الأرض قد نقصت ، وقد تضاعف حكامها ، وصارت الحياة شحيحة مع أن المسكيال صار كبيراً ، وتكال الحبوب (أى بجاني الضرائب) حتى يطفح الكيل . سأريك البلاد ، وقد صارت مغزوة تتألم . وإن منطقة « عين شمس » لن تصير بعد مكان ولادة كل إله .

وبعد ذلك يتحول « نفر روهو » من غير تردد أو شك عن تلك الصورة التي يصف فيها القحط الذي وقعت فيه البلاد مناديا بالكلمات التالية الهامة داعيا لظهور الملك الذي سيخلص مصر مما حاق بها ، إذ يقول : « سيأتى ملك من الجنوب اسمه « أمينى » ، وهو ابن امرأة نوبية الأصل ، وقد ولد في الوجه القبلى وسيتمسك التاج الأبيض وسيلبس التاج الأحمر فيوحد البلاد بذلك التاج المزدوج ، وسينشر السلام في الأرضين (يعنى مصر) فيحبه أهلها . . . وسيفرح أهل زمانه . وسيجعل ابن الإنسان يبقى أبداً الأبدى . أما الذين كانوا قد تأمروا على الشر ودبروا الفتنة . فقد أخرجوا أفواههم خوفاً منه . والأسويون سيقتلون بسيفه ، واللوبيون سيحرقون بلهيبه ، والثوار سيستسلمون لنصائحه ، والمصاة إلى بطشه ، وسيخضع المتمردون للصل الذى على جبينه . . . وسيقيمون (سور الحاكم) حتى لا يتمكن الأسويون من أن يغزوا مصر ، وسيستجدون الماء حسب طريقهم التقليدية لأجل أن تردأ أنعامهم . والعدالة ستعود إلى مكانها ، والظلم ينفي من الأرض . فليتهج من سيرها ومن سيكون من نصيبه خدمة ذلك الملك » . فظهور الملك المخلص للبلاد بالفعل ومحيطه كان هو الأمل الذى ينشده الحكيم « إپور » ثم عرف ذلك الملك « نفر روهو » بالاسم ورسم كتابة الاسم « أمينى » الذى استعمله « نفر روهو » وهو اختصار مشهور للاسم الكامل « أمنمحات » وهو بالبداية المؤسس العظيم للأسرة الثانية عشرة ، والمصلح الذى أعاد توطيد سلطان مصر فى العهد الإقطاعى خوالى ٢٠٠٠ سنة ق . م . وقد ذكر عنه فى نقش تاريخى بعد ذلك العصر بثلاثة أجيال بشكل بارز : « أنه قد محا الظلم لأنه أحب العدل كثيراً (يعنى « ماعت »)^(١) وقد كان عرفنا هنا واثقاً من أن بطله « أمنمحات » سيستولى على التاجين اللذين يرمزان لحكومة البلاد المتحدة مصر السفلى ومصر العليا وأنه سيفتح عصرأ جديداً ، غير أنه يرجئ الإصلاح العظيم على وجه عام إلى المستقبل . وذلك يضع أمامنا سؤالاً جديداً وهو : هل هذا التأكيذ القوى مجرد نبوءة ، عن حادثة قبل وقوعها ؟ وهل كان ذلك إعلاناً ينم عن الظفر بلقاء بطل منتصر قد نجح نجاحاً عظيماً فى إصلاح مصر العليا ، حتى إن انتصاره النهائى وإصلاحه لكل مصر كان متوقعاً حدوثه ؟ . أو هل كان « نفر روهو » « مراسلاً من قبيل » « أمنمحات » إلى مصر السفلى ليعلم قدومه إليها ؟ أو هل كان كأي شخص من أنصار « أمنمحات » قد عظم إصلاحاته فصوره بصورة تبرزها إذا قامها بما صارت إليه البلاد من الدمار والخراب قبل مجيئه ؟

ولأنه لمن المستحيل أن يعطى الإنسان جوابا شافيا عن تلك الأسئلة ، ولكن يظهر أنه يوجد سبب قوى يدعوننا إلى الاعتقاد بأن « نفر وهو » كان حقيقة محاطا في زمنه بالخراب الذى صورته لنا بصورة حقيقية ، وأن تاريخ حياة « أمنمحات » الذى كان رائده النجاح فى مصر العليا قد جعل الأمل بنجاحه فى إعادة وحدة البلاد إلى ما كانت عليه ، وإرجاع مجدها القديم متوقعا . ومن المدهش حقا أن « نفر وهو » يذكر لنا هنا صراحة أن الفرعون الجديد ليس من سلالة البيت المالك القديم ، ولا شك فى أنه كان هناك مطالبون بالعرش فى البلاد أو مدعون له كثيرون ، فظهر مطالب آخر مثل « أمنمحات » ليس بالأمر الغريب . على أن تسمية « أمنمحات » (ابن الإنسان ^(١)) كما ذكر ذلك فيما سلف على لسان ذلك المتنبئ يلفت نظرنا كما يوحى إلينا فى الحال بوجود علاقات بين هذه التسمية والتسمية التى تطلق على المسيح عليه السلام . إذ أن ذلك التعبير قد استعمل فى النصيحة الموجهة إلى « مريكارع » ليندل على « ابن رجل ذى أهمية » ، وقد جرى فى بلاد بابل القديمة استعمال تعبير مشابه لذلك التعبير . وذلك الإعلان الذى أعلنه ذلك المتنبئ يشمل القيام بعملين يتمهد بإنجازها ملىكه ، وهما من الأهمية للشعب البائس فى مصر الطريحة بمكان ، وهذان المملان هما :

أولا — القضاء على المغيرين وأخذ العدة لدفع الغارات المقبلة .

ثانيا — إصلاح النظام الداخلى .

(فسور الحاكم) الذى سبق ذكره كان قلعة قديمة لحماية الدلتا الشرقية ، وكان واقعا على التخوم الآسيوية . وقد بنى لحراسة الطريق من آسيا إلى مصر فى عهد بناء الأهرام ، وقد أعلن « نفر وهو » أن الملك سيعيده كما كان من قبل .

والصور التى رسمها لنا ذلك المتنبئ عن الحالة التى نتجت عن دخول الآسيويين تذكرنا بما ورد فى الرواية العبرانية الخاصة برحلة دخول أجدادهم إلى مصر .

أما إعلان الإصلاح الذى حدث فى النظام الداخلى فإنه يسترعى الأنظار لقصره وبساطته إذ يقول : « إن العدالة ستعود إلى مكانها — والظلم سينبذ بعيدا — » فكانت إذن « ماعت » القديمة هى التى سيعيدها الملك الجديد فى شكل نظام ثابت يكون رقيقا ومهيمنًا على حياة الشعب المصرى الاجتماعى .

وقد رجع إلى « ماعت » — وهي ذلك النظام القديم الذى مكث ألف سنة مرشداً ومهيمناً على الحاكم وحكومته — سلطانها مرة أخرى من جديد .
ومن المحتمل أن الابتهاج الذى يظهره ذلك المتنبيء العتيق كان يعنى المثل العليا القديمة للأخلاق الفاضلة والسعادة القويمة . غير أن تلك الحالة كانت — مع الأسف — بعيدة عن الحقيقة الواقعة ؛ فإن « أمنمحات » — وهو من كبار الإداريين فى العالم القديم ، وكان قد وهبه الله فطنة عظيمة حتى أعاد بلا نزاع ذلك النظام القديم بقدر ما سمحت له الأحوال — قد حتمت عليه الظروف أن يتخير عماله وموظفيه لإدارة شئون البلاد من بين أولئك الرجال الذين ترعرعوا ونشئوا فى عهد ذلك الانحطاط الذى جاء عقب عصر الأهرام وأشربت قلوبهم حب الفوضى والفساد ، مما أدى إلى قتله ونصحه لابنه بدم موته ألا يعتمد على أحد كما فصلنا من قبل (انظر ص ١٩٨) .

المصادر :

أهم المصادر التى يرجع إليها فى دراسة هذا المقال ما يأتى :

- (1) Papyrus Petersburg No. 1116 B (recto).
- (2) Pieper, "Die Agyptische Literatur", p. 15.
- (3) Peet, "A Comparative Study of the Literatures of Egypt, Palestine and Mesopotamia", p.p. 120 f.f.
- (4) Breasted, "The Dawn of Conscience", p.p. 200 f.f.
- (5) Erman, "The Literature of the Ancient Egyptians", p.p. 110 f.f.
- (6) Gardiner, "The Journal of Egyptian Archaeology", Vol. I p.p. 100 f.f.
- (7) Gunn, "The Journal of Egyptian Archaeology", Vol. XII (1926), p.p. 250 f.f.

المدارس واللغة

إن من ينظر بإمعان إلى نظام الكتابة المصرية القديمة منذ نشأتها وإلى التطورات التي مرت بها يجد أنها كانت في بادئ الأمر بسيطة سهلة التداول ثم أخذت تتعقد بمضى الزمن وازداد تمقدها حتى أصبح هجاء الكلمات من أصعب الأمور ، ولا أدل على ذلك من أننا لم نجد في عهد الدولة القديمة ولا في عهد الدولة الوسطى ما يشير إلى اهتمام التلاميذ بهجاء الكلمات بالدرجة التي وجدناهم عليها في عهد الدولة الحديثة حينما كان كل من التلميذ والمعلم يصرف معظم همهم في تعلم هجاء الكلمات الصعبة ؛ فقد عثر على كومات من قطع الخرف وشظيات الحجر الجيري المساء (ويطلق عليهما لفظة استراكا) وعلى أوراق البردى التي كتب عليها التلاميذ تمارينهم تطبيقا على دروس الهجاء وحفظ قطع الأدب المختارة . ولا غرابة في ذلك فقد أصبح نظام الكتابة معقدا في ذلك العهد كما عرفت ، وزاد على ذلك أن دخل اللغة ألفاظ أجنبية كثيرة كان يجمل كتابتها التلاميذ والكتاب أنفسهم . من أجل ذلك كان الاهتمام عظيما بتقوية التلاميذ في الإملاء وفي حفظ قطع الأدب ؛ ولهذا فإننا مدينون بمخالص شكرنا لنشاط هؤلاء الصبية القهري ذلك النشاط الذي وضع أمامنا مجموعة عظيمة من الكتابات التي أنتجتها مدارس الدولة الحديثة . ولا إخال القارئ إلا متشوقا ليعلم شيئا عن نظام التعليم الذي خلف لنا كل هذا الإرث .

ومما يؤسف له أنه لم تصل إلينا معلومات معينة عن المدرسة ونظامها في الدولة القديمة ولا في الدولة الوسطى . غير أننا نجد من وقت لآخر إشارات بعيدة تدل على وجود هذه المدارس وبخاصة في الألقاب العدة التي تركتها لنا الدولة القديمة . ففي مقبرة من مقابر تلك الدولة وجدنا لقب « معلم أولاد الملك » ويرجح أن مدارس تلك الدولة كانت ضمن مباني المعبد^(١) أو في عاصمة الملك . أما في عهد الدولة الوسطى فقد أخبرنا « خيتي » صراحة أن المدرسة كانت في مقر الملك^(٢) .

والظاهر أن المدارس في عهد الدولة الحديثة كانت على درجتين . فالأولى وهي التي تتلوه بوجه عام ما نسميه نحن (المدرسة) ويسمونها المصريون (بيت الحياة) وفيها كان يعلم

(١) وقد ذكرت جملة في تعاليم « آني » تشير بأن المدن كان فيها مدارس .

(٢) انظر تعاليم « خيتي » لابنه .

الأولاد الكتابة والأدب القديم . وقد استعملوا لكتابة تمارينهم كما ذكرنا قطعا من الخرف
وشظيات الحجر الجيري التي كانت لا تكلف شيئا بدلا من صحائف البردي الباهظة الثمن .
وقد أسدنا الحظ ببعض معلومات عن واحدة من هذه المدارس وقد كانت تابعة للمعبد الذي
بناه « رمسيس الثاني » للاله « آمون » في الجهة الغربية من « طيبة » وهو الذي يطلق
عليه الآن اسم « الرمسيوم » ، وقد كانت ضمن المباني العظيمة الخاصة بالإدارات المحيطة بالمعبد
من جهاته الثلاث ، وقد عثر في هذا المكان على عدد عظيم من (الاستراكا) يسترعى النظر
وبخاصة ما وجد منها على كومة صغيرة من الأوساخ . وتدل ظواهر الأمور على أن مدرسة
المعبد كانت قائمة في هذا المكان ويبدو أن التلاميذ عندما كانوا ينتهون من كتابة بعض
هذه (الاستراكا) كانوا يلقون بها في هذه البقعة ، وبدرس هذه القطع التي كان ينسخها
التلاميذ وجدنا أنها فوق احتوائها على بعض الموضوعات الإنشائية التي تنتمي لمصر الدولة
الحديثة ، تتألف من ثلاثة كتب عثر منها على مقتطفات عدة مكررة ، وهي تعاليم الملك
« أمنمحات » وتعاليم « خيتي » بن « دواوف » وأنشودة النيل ، وكلها تنسب إلى عهد
الدولة الوسطى . ومما يسترعى النظر أن هذه القطع الأدبية الثلاث عثر عليها جميعا على ورقتين
من البردي تدل الظواهر على أنهما ترجعان إلى أصل « منفي » ، ولا شك في أنهما كانتا
تؤلفان الموضوع الرئيسي المتباد لنهاج المدرسة ، وقد وجدت مدونة بأكملها على هاتين
الورقتين . أما ما وجد على قطع (الاستراكا) فكان يشتمل على مختارات قصيرة من هذه
الموضوعات ومن كتابات أخرى لعطاء الكتاب . ومما يلفت النظر أننا نجد باستمرار في
معظم الأحيان نفس المختارات معادة ، ولا يبعد أنها كانت القطع المنتخبة المقررة التي كان لزاما
على كل فرد متعلم أن يحفظها . وحينما كان يتخطى التلميذ هذا الدور الابتدائي من التعليم
كان يقيد كاتباً في إدارة ما ثم يستمر في تحصيل العلم هناك على يد موظفين كبار ، ويجوز
أنهم كانوا رؤساءه المباشرين . وفي الدولة القديمة نجد أن الأب هو الذي كان يستمر في
تلقين ابنه العلم إذا كان من كبار الموظفين ، ولا أدل على ذلك من « بتاح حتب » حينما
طلب إلى « الفرعون » أن يسمح له بأن يعلم ابنه ليخلفه في وظيفته ، وكان على الطالب أثناء
تلقيه هذا التعليم العالي أن يستمر في كتابة نماذج إنشائية لا تقف عند نقل بعض سطور ،
كما كان يفعل من قبل ، بل تشمل قطعاً كبيرة . وقد وجدنا أن طالبا قد كتب ثلاث صحائف
في يوم واحد . وقد لوحظ أن خطأ التلميذ يصححه معلمه على هامش البردية ، ولكن
لسوء حفظنا لم يكن يعنى المعلم كثيراً بما كتبه الطالب من الألفاظ التي تفسد المعنى ، بل جعل

معظم عنايته لشكل الحروف ، فكان درسه أقرب إلى تجويد الخط منه إلى دراسة اللغة وتحقيقها .
وتدل معظم النسخ الخطية المدرسية بوضوح على الأغراض الحقيقية من التعليم عندهم ،
فكان الفرض منه أولاً التربية ، وثانياً التمرين على الأعمال التجارية وحسن الخط . والواقع
أن موضوع الإملاء لم يكن بالأمر الهين كما ذكرنا . إذ أن نظام الكتابة المهيروغليفية
أكثر استعداداً لقبول الأغلاط ، ولا يبدل في ذلك نظام آخر في العالم . لذلك كانت العناية
بهذا الموضوع عظيمة جداً . ولدينا كتاب يدلنا على عناية القوم وحرصهم على كتابة
الكلمات الفردية كتابة صحيحة . ولا بد أن هذا الكتاب كان شائع الاستعمال في المدارس ،
وقد وضعه كاتب كتاب الإله في بيت الحياة (« أمنموني » بن « أمنموني ») ، وقد عثر
منه على ثلاث نسخ .

وقد اتخذ كاتب هذه الوثيقة لنفسه دور الكاتب الذي أراد أن يعلم التلاميذ العلوم كافة ،
فذلك يحمل كتابه عنواناً مطولاً . إذ يقول : « التعاليم التي تجعل الفرد أريباً ، وتعلم الجاهل
علم كل كائن ، وكل ما صنعه « بتاح » وما سجله « تحوت » والسماء ونجومها والأرض
وما عليها وما تخرجه الجبال وما تجود به البحار وماله علاقة بكل الأشياء التي تضيئها الشمس
وكل ما ينمو على الأرض » . ولا جدال في أن هذا العنوان له رنة عظيمة في الأذان ، إذ يجعل
للمستمع ينتظر معلومات ضخمة تكشف له الفطاء عن علوم هؤلاء القوم ، غير أن الأمر
أهون من ذلك ؛ فالكتاب في خد ذاته لا يخرج عن مجموعة كبيرة من أسماء وألقاب بعضها
متداول معروف ، وبعضها نادر غير مألوف ، وقد وضعت بنظام مرتب ترتيباً منطقياً لا بأس
به ، فيذكر لنا أولاً السماء وما فيها : السماء ، والشمس ، والقمر ، والنجوم ، والجوزاء ،
واللب الأكبر ، والقرد ، والمارد ، والخزيرة ، والسحاب ، والمصفة ، والفجر ، والظلام
والضح والنوء . . . وأشعة الشمس . ثم يتلو ذلك أشكال المياه الموجودة في الطبيعة ،
فيذكر النهر والبحر والبركة وخزان المياه ، ثم ينتقل إلى موضوع الصور الأرضية والنباتات
والثروة ، ثم يذكر في ست مجاميع الألفاظ التي تدل على الكائنات الحية ، فيذكر العالوية
منها أولاً ، وهي الآلهة والإلهات والأرواح الذكور منها والإناث ، ثم يمدد لنا المخلوقات
البشرية مرتبة حسب مراتبهم في المجتمع ، فنجد أولاً الملك ، ثم الملكة ، ثم يذكر لنا بعد
ذلك كبار الموظفين ، فرؤساء رجال الدين والعلماء ، ويلي ذلك السواد الأعظم من صغار
الموظفين وأصحاب الحرف ، وبعد ذلك يضع أمامنا التعابير التي يعبر بها عن بني البشر
والجنود وأسماء الشعوب الأجنبية والأماكن المختلفة ، ثم ينتقل إلى ذكر أسماء ست وتسعين
مدينة مصرية واثنين وأربعين اصطلاحاً للبيان وأجزائها ، ومسميات للأراضي والمقول . ثم

يعدّ لنا كل ما كان يأكله الإنسان أو يشربه ، ويدخل في ذلك ثمانية وأربعون نوعا من اللحم الطبوخ ، وأربعة وعشرون نوعا من الشراب ، وثلاثة وثلاثون نوعا من اللحم النيء . وفي الجزء الختامى الذى وجد محطها ، كان قد كتب عليه مسميات عن مختلف الطيور وعدد عظيم من أسماء الماشية وغير ذلك من الأسماء التى جمعها « أمنموى » بعناية ليضع أمام العالم صورة عن كل كائن ، شاكرًا للآلهين « بتاح » و « نحت » . ولا شك فى أن غرضه من جمع تلك المسميات وترتيبها تعليم تلاميذه كتابة المفردات كتابة صحيحة . وكما أسلفنا كانت كتابة الكلمات الأجنبية الكثيرة والأسماء الغريبة التى اندمجت بوفرة فى اللغة المصرية الجديدة عقبة كثودا حتى للطلبة المتقدمين ، ولذلك كانت تبذل عناية خاصة لتعليمها ؛ فمن ذلك أن تلميذا من الأسرة الثامنة عشرة يضع كل همه فى أن يكتب على لوحة أسماء فى « كفتيو » (كريت) وسنرى فيما بعد أن نماذج الخطابات التى أوردناها فى هذا الكتاب هى من هذا النوع ، فتشتمل على كلمات وأسماء ليتعلم منها التلميذ كتابة الكلمات الأجنبية كما كان يتعلم من وثيقة « أمنموى » .

والواقع أن قائمة « أمنموى » هذه لا يمكن أن تعد فهرسا لسرد أسماء وحسب ، وإن كان هذا هو مدلولها العملى كما يظهر لنا من ترتيبها وتنسيقها ، ولكن إذا أمعن الإنسان فى النظر إلى كتبها بعين فاحصة وجد أنها الخطوة الأولى نحو فكرة تأليف قاموس ، إذ نجد أن الترتيب الذى وضعت به يبعث عن ترتيب منطقي مميز فى داخل كل مجموعة . كما نلاحظ علاقة ظاهرة بين كل لفظة وماسبقها ؛ وأعنى بذلك أن الكاتب رغم أنه لم يعطنا إيضاحا عن تلك الألفاظ أكثر مما كنا نعرف إلا أنه مكنتنا من أن نفهم علاقة الكلمة بسابقتها من مركزها فى القائمة ، فأهمية هذه الوثيقة لفهم اللغة المصرية عظيمة جدا لنا . ويظهر مقدار ذلك جليا إذا علمنا أن الفهارس بمعناها الحقيقى معدومة كلية فى اللغة المصرية . حقا إن لدينا بعض قوائم لأنواع الكلمات على « الاستراكا » كما توجد فى متون مشهورة مثل أسماء البلاد السورية التى ذكرها كاتب ورقة أنستاسى الأولى أو قوائم أسماء المدن التى استولى عليها فراعنة مصر فى عهد الدولة الحديثة^(١) ، والتى نقشوها على جدران معبد الكرنك وغيره ،

(١) راجع :

- List of Thothmes III, (Karnak), Sethe, Urkunden der 18 dyn. p. 805.
- List of Amenhotep III (Soleb), Lepsius, "Denkmaler", Vol. III, 889.
- List of Seti I. (Karnak), Lepsius, "Denkmaler", Vol. III, 129.
- List of Rameses II (Abydos), Mariette, "Abydos", Vol. II, Pl. 3.
- List of Rsmeses III (Medinet Habw), Daressy, Recueil de Travaux Relatifs a la Philologie et a l'Archaeologie Egyptienne et Assyriennes", Vol. XX, p. 113. f.f.
- List of Seshonk I (Karnak), Lepsius, "Denkmaler", Vol. III, 252.

وكذلك القوائم التي ذكر فيها أسماء الأمم والأخشاب (والأشياء التي صنعت منها) وعلى الاستراكا . على أن كل هذه القوائم وحتى وثيقة « جلنشيف » التي نحن بصدها الآن لا يمكن أن تقاس بالفهارس الحقيقية البابلية .

وليس من الصعب أن يعرف الانسان السبب في وجود هذه الفهارس في بابل وخلو مصر منها ، وذلك أن المصري قد اخترع الكتابة بنفسه لنفسه ليمبر عن لغته ، وقد نميا سويا في موطن واحد بعيدين عن التأثير الخارجي ، ولكن في بلاد النهرين أي (بابل) كان للسومريين كتابة خاصة بهم ، غير أن قوما من الساميين الذين لا يعرفون الكتابة غزوا هذه البلاد ، ولما أقاموا فيها رأوا الفوائد التي تمود عليهم لو اقتبسوا منها نظام الكتابة ، فأخذوه عنها واستعملوه في التعبير عن لغتهم فنقلوا أولاً الكتابة السومرية الأصلية كما شاهدوها ، ولكنهم قرءوها بما يقابلها في لغتهم « الأكادية » ، وتعلموا بعد وقت أن يضعوا للكلمات السومرية ما يقابلها في لغتهم ، ومن ذلك ألقوا لأنفسهم فهرسا باللغتين ، وقد دفعهم إلى هذا حاجتهم الملحة للتفاهم بينهم وبين القوم الذين غزروهم . ولكن مصر لم تكن في يوم في حاجة إلى ذلك ، وكذلك نجد أن اللغة الإغريقية التي تعد من أعرق اللغات لم تأخذ في وضع قاموس للغتها إلا بعد انقضاء العصر « الكلاسيكي » فيها .

ومما سبق نعلم أن المصري كان يضع مثل هذه القوائم لإعداد التلميذ لإتقان فن الإملاء ولإعطائه نظرة عامة بكل ما يحيط به ، وكان أعظم من كل ذلك عناية الأستاذ بتعليم تلميذه الأسلوب الصحيح والتعابير المختارة لكتابة الرسائل .

من أجل ذلك كان التلميذ ملزما بنقل نماذج رسائل من كل نوع ، حقيقية كانت أو إنشائية ، ونقل النصائح والتحذيرات التي كانت تصلح لهذا النوع من التعليم ، إذ كان يكتبها في شكل رسائل ، ولذلك كان يطلق على ما يسطره التلميذ على ورق البردى اسم (تحرير الرسائل) وفي غالب الأحيان كان يضع التلميذ اسمه في الخطابات الشخصية واسم معلمه كأنما هما يتراسلان ، فنجد التلميذ يكتب لنفسه أنه كسلان وفاسق وعاهر ، وأنه يستحق مائة جلدة . ويدل ما لدينا من الوثائق على أن بعض الموظفين من مختلف الطبقات كانوا يستقلون بتعليم تلاميذهم ، فنجد كاتب خزانة فرعون ورئيس سجلات الخزانة وكاتب مصنع فرعون وغيرهم لهم تلاميذ يتعلمون عليهم . وسيرى القارئ في المناقشة الأدبية (ورقة أنستاسي الأولى) أن الموظف وإن كان في الاصطبل الملكي كان في قدرته أن يكون معلما ماهراً .

ولقد كانت مهنة التدريس متفائلة في نفوس الموظفين الذين يحسنون الكتابة لدرجة أنهم كانوا يباشرونها في وسط أعمالهم . إذ نجد أن أحد الموظفين الذين كانوا يشرفون على

نحت قبر « رعمسيس التاسع » في صحراء وادى « أبواب الملوك » لم يطلق صبرا على ترك مهنة التعليم حتى فى ذلك المكان المنزل القفر ، فكان يكتب مساعده أو تلميذه أشياء مختلفة بمثابة تمارين على شطيات كبيرة من الحجر الجيرى المتخلفة من النحت ، وقد عثرنا منها على نموذج خطاب وقصيدة قديمة « لرعمسيس الثانى » وصلوات جميلة لشخص اضطهد ظلماً^(١) ونرى يد المعلم قد تناولتها بتصحيح بعض الأخطاء .

ولما كانت معظم كتابات هذا المصر قد تحولت إلى صور رسائل إنشائية وحقيقية وجدنا أنه من الضرورى أن نفرّد فصلاً خاصاً للرسائل وتاريخها منذ نشأتها والتطورات التى صرّت بها ، ثم نورد بعد ذلك بعض الأمثلة من كل نوع ليقسها القارىء برسائلنا وليعلم مقدار ما وصلت إليه مصر فى هذا النوع من الأدب وسنضطر أن نقصر أمثلتنا على الدولة الحديثة لأنه لم يصلنا حتى الآن رسائل أدبية أو تعليمية من الدولتين القديمة والوسطى^(٢) إلا التزوير اليسير .

المصادر :

- (1) Erman, "The Literature of the Ancient Egyptians", pp. 185 ff.
- (2) Pap. Hood, Maspero, "Etudes Egyptiennes", II, 1. ff.
- (3) Glanville, "Journal of Egyptian Archaeology," Vol. XII, pp. 171. ff.

الرسائل

إن أقدم ما وصل إلينا من الرسائل التى كان يتبادلها أفراد الشعب المصرى القديم ، وتصدرها أو تتلقاها المصالح الحكومية فى داخل البلاد وخارجها ، يرجع تاريخها إلى الدولة القديمة ، غير أنه لم يصل إلى أيدينا إلا عدد يسير جداً من هذه الدولة . أما الدولتان الوسطى والحديثة فقد عثر على مقدار لا بأس به من الأولى وعدد عظيم من الثانية . وإذا تتبعنا هذه الرسائل من أول ظهورها حتى أواخر الدولة الحديثة ، وجدنا أن لكل

(1) Zeitschrift für Agyptische Sprache, Vol. XXXVIII, p. 19. ff.

(٢) اشترى الأستاذ ولس عددًا قليلاً من « الاستراكا » حوالى عام ١٩٢٩ — ١٩٣١ ويدل الفحص الذى قام به أنها من الدولة الوسطى وأنها كانت من الاستراكا التى كان يستعملها التلاميذ لكتابة تمارينهم المدرسية وتحتوى على رسالة تنم عن الأدب ، وقد وجد ملاحظة مدرس على واحدة منها . وعلى أية حال يقول إننا سنعلم الكثير عن رسائل الدولة الوسطى حينما نعلم نتيجة فحص « الاستراكا » التى وجدها متحف متروبوليتان والتى يرجع عهدها إلى الدولة الوسطى . راجع Wilson. « Melanges » Maspero, » Vol I. pp. 901 ff.

عصر أسلوباً منفرداً وذوقاً خاصاً . هذا إلى أن رسائل كل عصر كانت تتأثر بسابقتها ، ويظهر ذلك جلياً في رسائل الدولة الحديثة التي ورثت كثيراً من خصائص رسائل الدولة الوسطى ، وبخاصة ما نشاهده من الأثر الذي تركته رسائل أبو غراب في رسائل الأسرة التاسعة عشرة (راجع K.P., Vol. I, p. 91).

طبقات الرسائل :

وصل إلينا ثلاثة أنواع رئيسية من الرسائل المكتوبة على البردى أو على قطع الخرف وهي :

(١) رسائل شخصية حقيقية .

(٢) مراسلات تعليمية أو موضوعات إنشائية أدبية يرجع أصلها إلى خطابات حقيقية أو إنشائية كان المقصود منها أن تستعمل نماذج للتعليم .

(٣) خطابات نموذجية كان التلميذ يتمرن عليها أو مسودات لرسائل حقيقية ، وكان النوع الأخير يكتب عادة على قطع الخرف .

والرسالة الحقيقية كانت تتألف من العناصر التالية : (١) الصيغة الافتتاحية وتشمل اسم المرسل ثم اسم المرسل إليه . (٢) الديباجة ، ومن الجائز أن تكون مطولة عملة لدرجة يضعف معها الغرض الأصلي من الرسالة . (٣) موضوع الخطاب . (٤) الصيغة الختامية . (٥) عنوان الرسالة^(١) .

وهذه العناصر للرسالة المحبوكة الأطراف لا نجد لها مجتمعة إلا في عهد الدولة الحديثة على وجه عام .

أما رسائل الدولة القديمة فإنها حسب رأيناه في العدد الضئيل الذي وصل إلينا كانت بسيطة في تركيبها ، إذ كانت تتألف من صيغة افتتاحية ثم ينتقل بعدها الكاتب إلى موضوع الرسالة مباشرة ثم العنوان . انظر J. E. A. *Smithers, an Old Kingdom Letter* Vol. 28 P. 16 ff.

ولكن في حالات أخرى كان يبتدئ الخطاب بالتاريخ ثم الصيغة الافتتاحية ويعقبها مباشرة موضوع الرسالة . راجع J. E. A. *Gardiner*, Vol. XIII, P. 75.

وهذه الرسالة الأخيرة تلفت النظر لأنها لا تحمل في سطورها اسم المرسل أو اسم المرسل

(١) ونجد في الخطابات النموذجية أن الصيغة الافتتاحية والديباجة والعنوان قد حذفت .

إليه ، وقد عرّف الأول بلقبه . راجع كذلك رسالة « يبي الثاني » « لخرخوف »

Breasted Ancient Records Vol I. P. 159.

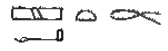
وقد كانت عناصر الرسالة في الدولة الوسطى تماثل الدولة الحديثة التي سنبحثها فيما يلي :
إن عناصر الرسالة الخمسة التي ذكرناها آنفا لا توجد دائماً مجتمعة في رسالة واحدة ،
وجودها مجتمعة أو إغفال بعضها كان يتوقف على مكانة المتخاطبين وعلى نوع الرسالة ،
وعلى مقدار المادة التي يريد الكاتب أن يضمنها رسالته . فنجد أن الرسائل الحقيقية التي
كتبت على البردى قد كتبت عناونها على ظهر البردية التي كانت تطوى على هيئة حزمة
صغيرة ثم تربط بخيط وتختتم^(١) .

أما الرسائل الحقيقية المكتوبة على قطع الخرف فليس لها عنوان مستقل ، بل كان ضمن
الصيغة الافتتاحية ويمكن رؤيته ، لأن الكتاب مفتوح ، بخلاف البردية المطوية التي كان
لا بد من تسجيل عنوان على ظهرها .

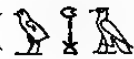

سميات الرسائل الحقيقية :

لقد كان المصري دقيقاً غاية الدقة في تحديد مسميات الرسائل الشخصية التي يتبادلها
أفراد الشعب والرسائل الرسمية التي كانت تجري بين كبار موظفي الدولة أو التي كان يأمر
بكتابتها الفرعون وبخاصة في عهد الدولة الحديثة ، ففي الدولة القديمة كان المصري يستعمل
كلمة « محات » للدلالة على كلمة « رسالة » ، غير أن هذه التسمية قد فقدت معناها الأصلي ،
وأصبحت تدل على « بردية » أو كتاب أو « وثيقة » على وجه عام في عهد الدولة الحديثة .
ومنذ الدولة الوسطى حتى باكورة الأسرة التاسعة عشرة كان المصري يستعمل كلمة « سش »
للدلالة على معنى كلمة « رسالة » (انظر Cairo No. 58053) .

هذا إلى أن المعنى العام لهذه الكلمة « وثيقة مكتوبة » .

أما في عهد الدولة الحديثة فقد كانت كلمة « شعت »  (راجع Cairo 58058, 1—2 & Amarna 2, 15) تعني « رسالة » شخصية . وأقدم مثال لها بهذا المعنى
وجد في ورقة إبرس (Pap. Ebers, 4001)

(١) وقد جاء في صصح الأعشى جزء ٦ : ثم للناس في صورة الطي طريقتان الأولى : أن يكون لفة
مدورا كأنوبة الرمح وهي طريقة كتب الفرق من قديم الزمان . والطريقة الثانية : أن يكون طيه
مبسوطا في قدر عرض أربع أصابع مطبوعة والأصل فيه أن يبتدىء باسم المكتوب منه ثم باسم المكتوب
إليه وهو الترتيب الذي تشهد به العقول (ص ٣٥٠) .

أما الرسالة التي كانت تصدر عن الفرعون أو ولي عهده أو أحد كبار موظفي الدولة فكانت تسمى « وخا » () والعبارة التالية توضح لنا استعمال الكلمتين : « عندما يصل إليك « وخا » الملك (أى رسالة الملك) يجب عليك أن تكتب « شعت » (رسالة شخصية) إلى كاتبك » ، راجع (Gardiner, L. E. M. P. 46, 15—16) . والظاهر أن كلمة « وخا » حسب قاموس برلين ، لم تستعمل قبل الأسرة التاسعة عشرة . وهناك كلمة أخرى كان يعبر بها عن الرسالة الرسمية وهى « وستن » () غير أنها كانت تستعمل فى رسائل أخرى (راجع De Morgan. Cat. des Mon. III, 119) .

تدوين الرسائل :

كانت العادة المتبعة أن تكتب على ورق البردى الرسائل الرسمية ، أو التي كانت تتبادل بين صرءوس ورؤيسه ، وكانت الرسالة تدون على وجه الورقة (أى البردية) الذي تكون فيه الألياف أفقية ومكونة زوايا قائمة مع اتصالات أجزاء البردية . على أن معظم الرسائل التي حفظت لنا نجد فيها أن القلم كان يجرى على الألياف العمودية ، وسبب ذلك أن الكاتب حينما يأخذ فى تسطير رسالة كان يقبض على الورقة عموديا ويكتب عليها عرضا ، بدلا من أن يمسكها أفقيا كما كان يفعل عندما يدون كتابا .

ونجد أحيانا أن بعض الرسائل قد كتب على بردى قد محيت كتابته الأصلية بنفسها ثم استعملها ثانية لغلاء البردى . أما عرض^(١) الورقة التي كانت تدون عليها الرسالة فيختلف بين أحد عشر سنتيمترا واثنين وأربعين سنتيمترا . والخط الذي كان يستعمل هو الخط الفيراطيقى الذي يقابل عندنا خط الرقعة مسطورا بعداد أسود ، وكان الكاتب يخط بقلم من الفيراج أو بفرجون وعند استعمال القلم فإنه كان يقط بميل ثم يفلق .

وقد استعمل المداد الأحمر^(٢) فى الرسائل النموذجية ، وقد تكلم كل من العالم « شوبارت » و « لوكاس » عن مواد الكتابة بإسهاب فمن أراد المزيد فليراجع ما كتبه^(٣) : وكان الكاتب عند فراغه من تدوين الرسالة يطويها بحيث تكون الكتابة فى

(١) انظر كتاب صبح الأعشى الجزء السادس ص ٣١٣ حيث يناقش هذا الموضوع بإسهاب عند العرب .

(٢) وكان المداد الأحمر يستعمل فى الأجوبة الى تم عن الفر كا سنى بعد .

(٣) راجع (1) Schubart, "Einführung in die Papyruskunde," P. 36 ff.

(2) Lucas, "Ancient Egyptian Materials & Industries,"

الداخل^(١) . وبعد ذلك كان يُثنى الخطاب نصفين ، ثم يربط بخيط ثم يحتم بقطعة من الطين يطبع عليها خاتم المرسل . وقد كان يكتب اسم المرسل إليه وعنوانه على ظاهر الرسالة ، وأحيانا كان يدون اسم كاتب الرسالة والرسول ، وذلك بعد إتمام حزم الرسالة وأحيانا قبل الطية الأخيرة .

ولم يصلنا بطبيعة الحال إلا عدد يسير من الرسائل بأختامها سليمة ، وما وصلتنا على هذه الحالة هي سلسلة موجودة في ليدن (Leyden, 360, 363, 364, 365, 366, 367) ، وقد نشرها نشرها العالم « ليمان » بأختامها ثم سلسلة في برلين (Berlin 10487 — 9) وقد نشرها الأستاذ « إرمان » ("Ein Fall abgekürzter Justiz," P. 15) . ففي رسائل « ليدن » نجد أن الكاتب الذي كتب الرسائل رقم ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ كان اسمه « مرى اتف » ، وأن الخاتم الذي وجد على ثلاث منها كان واحدا أيضا ، وكان عليه طابع يمثل (خرطوش) « تحتمس الثالث » بين جناحي جعجل منتشرين (انظر أمثلة لهذا الطابع في Hall, "Cat. of Egyptian Scarabs", Vol. I, Nos. 767, 779.)

وكان هذا يقوم مقام خاتمه ، ورغم أن هذا الخاتم يحمل اسم الفرعون « تحتمس الثالث » الذي عاش في عهد الأسرة الثامنة عشرة ، فإن الرسالة التي نحن بصدددها يرجع تاريخها للأسرة التاسعة عشرة . ولم يكن من الأمور النادرة أن نجد جعارين من هذا العصر ومن عصور متأخرة تحمل (خرطوش) « تحتمس الثالث » ، وذلك لأن اسم هذا الملك كان يعتبر بمثابة تعويذة قوية الأثر لما كان له من بطش وقوة خلفها بعده في نفوس القوم .

أما الخاتمان ٣٦٠ ، ٣٦٣ من مجموعة ليدن فيشبهان أختام عهد الهكسوس في رسومها غير أنهما قد استعملتا هنا (راجع J. E. A., Vol. II P. 221) بعد عصرهما بما يقرب من ٤٠٠ سنة بدلا من خاتم المرسل .

المكاتبات على الاستراكا

الظاهر أن الحسابات والتمارين المدرسية ومسودات الرسائل الهامة ، والرسائل النموذجية والمكاتبات الحقيقية التي كان يتبادلها أفراد من مرتبة واحدة ، أو من درجات مختلفة كانت

(١) انظر صبح الأعشى جزء ٦ ص ٣٥٦ حيث الكلام على صور الختم الثلاث . ثم كذلك ما كتب على الخاتم من المبارات . أما عن الرسول الذي كان يحمل الكتاب فانظر ص ٣٥٨ الخ .


في العادة تكتب على قطع من الخزف ويستعملها الأشخاص الذين يمجزهم غلاء ثمن البردى خاصة .

وكانت « الاستراكا » كما أسلفنا من قبل على نوعين : شظيات من الحجر الجيري الأبيض اللساء والحصول عليها ميسور من أى بقعة يقام فيها بناء . وقطع من الخزف للتخلفة من الفخار المشتم ، وكانت أقل استعمالا من سابقتها لأن لونها كان في معظم الأحيان قاتما من الاستعمال ، ووجهها الخارجى الأملس هو الذى كان يستعمل في الكتابة . ولا كانت شظيات الحجر الجيري تستعمل عادة في الكتابات القليلة الأهمية فإنه كان من الجائز أن تدون عليها الرسائل الرسمية التي كانت تتبادل محليا . على أن استعمالها لم يقتصر على أفراد الطبقة الدنيا (راجع Inst. Français. Cat. ostr 129) حيث نجد رسالة من حامل المروحة « خى » إلى رئيس العمل « نب نفر » ، وهي مدونة على شظية من الحجر الجيري الأبيض .

والدليل على أن الاستراكا كانت تعتبر أقل قيمة من البردى ما نجده من الاعتذارات المتعددة في الرسائل القبطية التي كانت تكتب على هذه المادة . مثال ذلك ما كتبه المرسل **تثلا** : معذرة لأنى لم أجد برديا في تلك اللحظة ليتناسب مع مقام قداستكم . راجع (Crum. "Epiphanius", I. P 187) ، وقد كانت طريقة الكتابة على الاستراكا هي نفس الطريقة التي كان يتهجها الكاتب على البردى عدا العنوان الذى كان يكتب على ظاهر البردية فقد أغفل على الاستراكا ، يضاف إلى ذلك أن الصيغة التقليدية التي كان يُسنون بها المکتوب كانت تختصر أو تغفل لصغر رقعة الاستراكا كما كانت تحذف أحيانا عند متكون الكلفة مرفوعة بين المتراسلين .

البريد

الواقع أن وجود عنوان على الرسائل المصرية يعد في ذاته برهانا على قيام شخص معين بتوزيعها يقابل في عصرنا ساعي البريد . ولو كان الأمر مقصورا على حمل رسالة واحدة لما احتاج الأمر إلى كتابة عنوان ، إذ كان في قدرة حاملها أن يحفظه عن ظهر قلب .

وأول وثيقة عرفنا منها لفظ « ساعى بريد » رسمى يرجع تاريخها للأميرة السادسة ، وكان ذلك في رسالة شكوى جاءت فيها لفظة « ساعى بريد » مرتين . راجع Gardiner, J. E. A. Vol. XIII P. 75 . والكلمة الدالة على ساعى البريد هي  (أرى مجات)

في عهد الدولة القديمة ، وبذلك تكون أقدم مظهر للبريد في العالم^(١) .

أما في الدولة الحديثة فنعرف أن حامل البريد الرسمي كان يسمى « حامل الرسالة الرسمية » (فاى وخا) (راجع 5 126. ; 12, 62, P. L. E. M., Gardiner) ، ونعرف مما جاء في ورقة «أبوت» أن رجال الشرطة^(٢) كانوا يكلفون توزيع وثائق رسمية . أما ما يختص بالرسائل الشخصية فالظاهر أنه لم يكن لها بريد منظم كما نفهمه الآن ، بل كانت الرسائل تعهد إلى أشخاص مسئولين يكونون مسافرين إلى الجهة التي يقطن فيها المرسل إليه . ويمكن استنباط ذلك من اللمتسات التي كانت تكتب في الرسائل ويطلب فيها من المكتوب إليه إرسال أخباره « وأن تعطى الرسالة أى شخص يكون حاضرا من عنده » (راجع Gardiner, J. E. M., P. 5, 10) ، وكذلك كانت الرسائل الخاصة ترسل مع خادم المرسل الخاص (راجع Leyden 364; 7 etc) أو على يد أى إنسان معروف للتراسلين (راجع Cairo Cerny. L. R. L., 58059. etc) أو يحملها أحد رجال الشرطة مع الرسائل الرسمية (راجع Cerny. L. R. L., 33, 4 — 5; 48, 2 — 4; 64, 6 — 8; 70, 3 — 4)

وكان من الجائز أن يحمل حامل البريد الرسمي رسائل شخصية إذا اتفق أنه ذاهب إلى مكان المكتوب إليه (Cerny L. R. L. 62, 12 — 13) ، وقد عثر على رسالة شخصية عهد بها إلى رئيس رامي النبال ليسلمها إلى المكتوب إليه (راجع Cerny, L. R. L., P. 125, 15 — 16)

ولدينا وثيقة تبرهن على وجود مصلحة خاصة لنقل البريد الرسمي في عهد الدولة الحديثة (راجع Smithers, J. E A. Vol. 25, P. 103 & Gardiner, L. E. M. P 31, 32) . أما في عهد الدولة الوسطى فكان يذكر اسم الرسول الذي فرض أنه سيوصل الرسالة على ظاهر الخطاب . ويكتب ذلك في العادة على الجانب الذى يوجد فيه اسم المرسل فيكتب « أحضره فلان » .

أما في عهد الدولة الحديثة فكان يندر كتابة اسم الرسول في العنوان . غير أنه كان من الجائز ذكره في صلب الرسالة أو في نهايتها . وعندما كان المرسل يريد ذكر اسم الرسول فإنه كان يكتب في عهد الدولة الوسطى جملا كالآتية « سأرسل إليك لأعلمك على يد فلان » أو « إني عهدت بهذا الخطاب لعناية فلان . . . لأخبرك » (Cerny, L. R. L., 33, 4—5)

(١) قد تكلم صاحب صبح الأعشى في الجزء الرابع عشر صفحة ٣٦٦ عن معنى كلمة بريد لغة واصطلاحا ثم تكلم بعن ذلك عن أول من وضع البريد في الجاهلية وما آل إليه أمره في العصور الإسلامية . (٢) ولدينا وثيقة يفهم منها أن البريد كان يحمل إلى البلاد الأجنبية بواسطة الجياد التي كان لها محاط خاصة لتفجيرها في الطريق وقد استعملت طبعاً في خلال الدولة الحديثة والظاهر أن مصر كان لها قصب السبق في ذلك على أمم العالم القديمة قاطبة (The Chester Beatty Papyri No. I P. 29) .

Gardiner, L. E. M, 68, راجع 48, 2—4) أو « إن خطابي يصلك على يد فلان » . راجع 11—12 أو « تأمل لقد أرسلت خطابا » ليكون دليلا لديك على يد فلان » . راجع (Cerny, L. R. L., 70, 3—4) ففي كل حالة من هذه الأحوال قد كتب اسم الرسول .

العنوان

إن المفروض في عنوان الرسالة أن يكون اسم المرسل إليه هو المهم . ونجد في الرسائل المكتوبة على البردى أن اسم المرسل إليه وعنوانه كانا يكتبان على ظاهر الرسالة المطوية المختومة ، وأحيانا نجد كذلك اسم المرسل واسم الرسول . وفي خلال الدولة القديمة نعرف مما وصلنا حتى الآن أن اسم المکتوب إليه هو الذي كان يكتب في العنوان فقط . راجع (J. E. A., Vol. 28, P. 16, 17.) وفي حالة أخرى وجدنا أن الرسالة لا تحمل عنوانا رغم أن الوثيقة كانت بلا نزاع رسالة حقيقية . راجع (J.E.A. Vol. 13 P75-6) .

أما في عهد الدولة الوسطى فنجد في العنوان اسم المرسل والمرسل إليه ، ونجد أحيانا مع ذلك التاريخ واسم الرسول . راجع (Griffith, K. P. Vol. I, P.P. 72. Pap. I. 7 & P. 74, Pap. VI. 4)

وفي عهد الدولة الحديثة كنا نجد أحيانا أن اسم المرسل إليه الذي في العنوان لا يتفق مع الاسم الذي ذكر في صيغة الخطاب الافتتاحية (Cerny. L. R. L. No. 35. P. 54) ، وفي هذه الحالة يجب أن نفرض أنه كان لزاما على المرسل إليه أن يسم الرسالة إلى الشخص الذي ذكر في الصيغة الافتتاحية .

وقد جرت العادة أن يكون العنوان مختصرا بقدر المستطاع ؛ لذلك كانت ألقاب المرسل إليه تحذف أحيانا على أنها كانت تذكر كاملة في الصيغة الافتتاحية . راجع (ibid, L. R. L., P. 44) أما في الرسائل المكتوبة على الاستراكا فإن الصيغة الافتتاحية كانت تقوم مقام العنوان . وعند ما يذكر اسم المرسل والمرسل إليه في العنوان كان يفصل بينهما إما بكتابة العنوان قبل الطية الأخيرة من الخطاب بصورة تجعل اسم المرسل على جهة من ظاهر الخطاب واسم المرسل إليه على الجهة الأخرى مع العنوان (وهذا ما كان يحدث في عهد الأسرة الثامنة عشرة وبداية الأسرة التاسعة عشرة) أو كان يفصل بين اسم كل من المرسل والمرسل إليه هكذا — وإذا حذف اسم المرسل فإن العنوان يسبق بخط أفق كالسابق يأتي بعده اسم المرسل إليه . راجع (Leyden No. 365, 367) وهذا الخط الأفق يعادل كلمة إلى . أو كان العنوان يسبق

بكلمة « هو (أى الخطاب) يرسل إلى . . . » ويأتى بعد ذلك اسم المرسل إليه . راجع
(Cerny, L. R. L. 7, 15, 29; Berlin 8523)

الصيغة الافتتاحية

إن الصيغة التى تفتتح بها الرسالة تختلف فى تركيبها باختلاف رتب المتراسلين ومادة الرسالة التى يكتبون فيها ، وبهذه المناسبة يجب أن نذكر هنا أن اسم المرسل كان يسبق اسم المرسل إليه إلا فى حالات قليلة . وعلى مر الأيام وجدنا أن بعض الصيغ كان شائع الاستعمال ، ولكن الصيغة التى كانت سائدة هى : « فلان يكتب إلى فلان » . وأهم الصيغ الافتتاحية التى عثر عليها حتى الآن ما يأتى :

أولاً — فى خلال الدولة القديمة كانت الصيغة الافتتاحية على ما يظهر غاية فى البساطة فكان يكتب « المرسل فلان يقول » . راجع — Gardiner, J. E. A., Vol. 13, P. 75
6; & Smithers J. E. A., Vol 28 P. 16, 17.

ونجد فى الرسالتين الملكيتين إلى « سنزم لب » (الأسرة الخامسة) وإلى « حرخوف » (الأسرة السادسة) أن الصيغة الافتتاحية فى الأولى هى « أمر ملكى إلى » . راجع
Breasted, "Ancient Records Vol 1, P. 122.

وفى الثانية « مرسوم ملكى إلى » . راجع (ibid, P. 160)
أما فى الدولة الوسطى فكان يكتب : « المرسل فلان يقول إلى المرسل إليه (داعياله)
بالسعادة والصحة » . راجع (Griffith, K. P. PP. 67 ff)

أما فى عهد الدولة الحديثة فكانت تكتب الصيغ الآتية : « المرسل فلان يكتب إلى فلان المرسل إليه » . راجع (Gardiner L. E. M. 8,10 ff) أو « المرسل فلان يسأل عن حالة فلان (المرسل إليه) » . راجع (Brit. Mus 1010 7, & Gardiner, ibid, 67, 11 ff)
أو « المرسل فلان يقول حينئذ يسأل عن حالة فلان المرسل إليه » . راجع (Inst Francais Ostracon No. 322, 19 Dyn) أو « فلان يقول لفلان » . راجع (Cairo, 58053 etc)
وأخيراً كان يكتب باختصار : « فلان إلى فلان » .

وأحياناً كان يضاف إلى ذلك عبارات منمقة مثل « لأجمل القلب سعيدياً » أو « لتكون مسروراً » على أن مثل هذه الصيغة عندما توضع تمهيداً للدخول فى موضوع الخطاب كانت تشير بأن ما يأتى بعدها يريد به الكاتب خبراً ساراً ، ولكنها أصبحت فيما بعد عبارة ثابتة فى الخطابات

حتى أسيء استعمالها ، فترى الخبر الذى يأتى بعدها أحياناً يكون سيئاً مما يدل على أنها فقدت معناها الأصلى . راجع (Urk IV, 138, 12) . والصيغة «لأجعل قلب سيدى سعيداً أو مسروراً» تستعمل فى الكتابة إلى رئيس ، وبذلك لا تجدها فى الرسائل الحقيقية التى كتبت على الاستراكا لغير الرؤساء . اللهم إلا إذا كان ما يكتب مذكرات قصيرة محلية . وإذا لم تظهر هذه الصيغة على الاستراكا فإن ذلك يدل على أحد أمرين ؛ أن يكون الخطاب نموذجاً أو مسودة لخطاب حقيقى .

والصيغة « فلان يسأل عن حالة فلان أو عما يحتاج إليه فلان » تشعر باهتمام المرسل ، وكذلك يلحظ فيها ألفة وود بين المتراسلين . لذلك تجدها فى رسائل متبادلة بين أعضاء الأسرة الواحدة . راجع (The two Amarna Letters, Bologna, 1086, Cairo 58056) أو بين أصدقاء أو أشخاص فى منزلة اجتماعية واحدة . راجع (Brit, Mus. 10103, Gardiner L. E. M. 5, 13 ff.) وكذلك تجدها فى رسائل من سيدات . راجع (Gardiner L. E. M., 6, 15 ff; 9,3 ff; 88, 17 ff) على أننا لا نجدها فى الكتابة إلى مصر وسين ، ولا توجد إلا نادراً على الاستراكا . وقد أخذت هذه الصيغة تختفى تدريجاً حتى أغفلت كتابتها بحلول الأسرة العشرين .

أما الصيغة « فلان يقول لفلان » فكانت تستعمل فى الرسائل الرسمية ومكاتبات الماملات وفى الخطابات التى كان قد حذف منها قصداً عبارات التهنة المنمقة .

وقد عثر على خطاب مكتوب على الاستراكا من ابن لوالده ، وقد استعملت فيه هذه الصيغة ولكن وجودها بهذه الصورة قد يمزى إلى صفر رقعة الرسالة التى تحت تصرف الكاتب . راجع (Inst Français, 328. 19 Dyn)

وقد ذكرنا فيما سبق أن الصيغة الافتتاحية قد اختصرت حتى أصبحت فى صورتها تشبه العنوان « فلان إلى فلان » وقد ظهرت هذه الصيغة كثيراً على أوراق البردى . راجع (Cerny L. R. L. etc) . غير أننا نجدها قد اختصرت فى الاستراكا حتى أصبحت « إلى فلان » أى بحذف اسم المرسل . راجع (Berlin Ostraca Nos. 10627—8) وهذه الصورة لم تستعمل قط فى الرسائل المكتوبة على البردى .

وفى عهد الأسرة العشرين عثرنا على أمثلة قد قلبت فيها هذه الصيغة فنقرأ « المرسل إليه المرسل » بدون أى علامة فاصلة ، وقد استعملت فى مخاطبة الرؤساء (Cairo Ostraca No 25744) . وفى مثل هذه الحالة يمكن معرفة شخصية المرسل إليه ببعض فقرات

في صلب الخطاب (راجع Cerny L. R. L. pp. XXII, XXIII). وهذه الصيغة مجدها في الرسائل النموذجية المكتوبة على البردى في عهد الأسرة التاسعة عشرة. ولكننا لا نجد الصيغتين « فلان إلى فلان » أو « إلى فلان » قبل الأسرة التاسعة عشرة.

الديباجة

إن ديباجة الرسالة كانت توضع بعد الصيغة الافتتاحية وقبل موضوع الخطاب. ولكننا نجد في الرسائل التي وصلتنا من الدولة القديمة أن الديباجة لا وجود لها وكان موضوع الخطاب يأتي مباشرة بعد الصيغة الافتتاحية.

أما في رسائل الدولتين الوسطى والحديثة فقد وجدنا أن الديباجة تنقسم قسمين: أولها عبارة يذكر فيها أسماء الآلهة الذين يتضرع إليهم ليرعوا المرسل إليه. وثانيهما يذكر فيه الإحسان الذي يلتمس منهم، وهذان يتألف منهما ديباجة كاملة، غير أنه يندر وجودها على الاستراكا، وذلك لضيق رقعتها من جهة ولأن الموضوع الذي كانت تحتويه مختصرا فلا يحتاج إلى ديباجة من جهة أخرى.

والآلهة التي كان يتضرع إليها في عهد الدولة الوسطى تتوقف على المكان الذي أرسلت منه الرسالة. إذ جرت العادة أن التضرعات توجه إلى الآلهة المحلية. ولا أدل على ذلك من أننا وجدنا في رسالات ورق اللاهون أن الآلهة التي كان يتضرع إليها الكاتب هي الآلهة المحلية لهذه الجهة. فمثلا نجد أن الإله « سبك » (التمساح) قد ذكر سبع مرات بنعوت مختلفة. ولا غرابة إذا وجدناه يذكر هنا بكثرة في رسائل اللاهون فإنها تقع في المقاطعة التي كان يعتبر فيها هذا الإله من أعظم الآلهة عبادة (الفيوم) ونجد كذلك ذكر الإله « حور » والآلهة « حتحور ».

ونجد في خطابات اللاهون كذلك أن الآلهة الآتية كان يتضرع إليها لرعاية المرسل إليه وهي الإله « منتو » (سيد طيبة) والإله « آمون » (رب عرشى الأرضين) وكل الآلهة (راجع Griffith, K. P. P. 80).

أما في الدولة الحديثة. فكانت الآلهة التي يتضرع إليها هي صور الإله « آمون » المختلفة وألوه أي (آمون)، والآلهة (موت)، وهي الأم، والإله « خنس » وهو الابن. وكذلك كان يتضرع للإله « بتاح » والإله « آتون » (رب الأرضين في عين شمس) والآلهة « حتحور » (سيدة الغرب) وغير أولئك من الآلهة.

وفي خلال الدولة الحديثة نلاحظ أن البركات والنعم التي كان يلتبسها المرسل من الإله للمكتوب إليه في الديباجة ، كان يعبر عنها بصيغ مختلفة . ففي عهد الأسرة التاسعة عشرة كان المرسل يتمنى لمن يرسل إليه .

(١) « أن يكون في خير » (٢) أو « أن يعيش » (٣) أو « أن يسعد » (٤) أو « أن يعود إليه الشباب » (٥) أو « أن يكون في حظوة الإله » ؛ فثلا يكتب « أتمنى أن تكون بخير ، وأتمنى أن تعيش ، وأتمنى أن تكون سعيدا ، وأن تكون في حظوة الإله . . . » راجع (Leyden 360, 5—6) .

وفي الديباجات المطولة تذكر تمنيات من جانب المرسل يتمنى تحقيقها للمرسل إليه . فيقول مثلا : « أتمنى أن أراك بخير ، وأن أضمك إلى صدري » . راجع (Leyden 361, 3) . غير أن هذه الصيغة الأخيرة لا تجدها في خطابات قبل الأسرة الثامنة عشرة . وأسلوب التضرعات الذي يبتدىء بتمنى الصحة من خصائص الأسرة التاسعة عشرة .

أما الذي يبتدىء بالصيغة الفعلية فنجد في الأسرتين العشرين والحادية والعشرين مسبقا بلفظة التمني : فيكتب أرجو لك (١) الحياة (٢) السعادة (٣) الصحة (٤) حظوة الإله . . . أو الرئيس . . . (٥) أو حياة طويلة (٦) أو عمرا طويلا مباركا . كل هذه التعبيرات نجدها في صور مختلفة ، إذ نجد أن الكاتب قد اختار بعضها ووضعها في رسالة واحدة أو صاغها في تراكيب مختلفة .

وفي الرسائل النموذجية من عهد الدولة الوسطى نجد في الديباجة التعبير التالي ، « أرجو أن تنال حظوة الملك . . . وكل الآلهة كما يتمنى لك الخادم هناك (أنا) »^(١) . راجع (Griffith. K. P. Vol I, PP. 67. Letter I. P. 69, Letter 5) أو « أتمنى أن تكون في حظوة الملك . . . المنفور له كما يحب لك الخادم هناك » . راجع (Ibid 169, Letter 4) أو « أن تسكون في حظوة الإله . . . كما يحب لك الخادم هناك » . راجع ibid P. 68, Letter 2; P. 69.

ونجد في بعض الحالات أن هذه الصيغ يأتي بعدها : « إنها رسالة إلى السيد (داعيا له)

(١) هذا التعبير (الخادم هناك) هو مايعبر عنه في اللغة العربية (بالمبد الفقير) عندما يتكلم شخص عن نفسه ، وهو تعبير كان شائعا في خلال الدولة الوسطى ، ثم أخذ في الاختفاء فلم نجده إلا نادرا في عهد الدولة الحديثة .

ibid, P. 67. راجع الرسالة .
Letter I; P. 6. 8, Letters 2; 69 4, 5, 6, 7; P. 70 letters 9.

وفي حالات أخرى نجد أن هذه الجملة الأخيرة تكون بمفردها بمثابة ديباجة للرسالة حقيقية أو إنشائية فتأتى مباشرة بعد الصيغة الافتتاحية . راجع (ibid., P. 69. Letter 3; P. 80, راجع Pap. VI 9; Pap V, I)

وهذه الصيغة قد ظهرت أكثر من مرة في صلب الرسالة إلا أنها كانت تستعمل في هذه الحالة بداية لفقرة جديدة تبدأ موضوعاً جديداً في الرسالة نفسها . راجع ibid, . P 69 Letter 3; P. 71, Pap I, 7 ete . وأكثر الصيغ استعمالاً في هذا العصر الصيغة التالية « إنها رسالة إلى السيد في حياة وسعادة وصحة غيرة إياه أن كل أحوال السيد (فلان) « داعياً له » بالحياة والسعادة والصحة سليمة ونامية في كل أماكنها ، وذلك برعاية الآلهة (. . .) ، وكل الآلهة المحلين الذين يحبونك ، لما تفعله كل يوم أى من يوم ولادتك إلى يومنا هذا ، أو برعاية كل الآلهة كما يتمنى لك الخادم هناك (أنا) » . راجع (K. P. Pap I 7; P71.) وأكبر دليل على أن هذه الصيغة كانت تقليدية ، وقد فقدت مدلولها الأصلي ، ما نجده في رسالة امرأة قد استعملتها في الكتابة إلى رجل ذاكرة له أخباراً سيئة (راجع K. P S. 75) ، وقد ورد في الدولة الحديثة ما يشابه ذلك من إساءة استعمال مثل هذه الصيغ حيث يقول الكاتب : « موضوع آخر يسر سيدي الخ » ، ثم يذكر بعد ذلك أن ثلاثة من عبيده قد هربوا .

أما في عهد الدولة الحديثة فكان أكثر الصيغ شيوعاً في الديباجة ما يأتى : « أتمنى أن تمنح الحياة والسعادة وطول الأمد والعمر الطويل المبارك ، وأتمنى أن تمنح الخطوة في كنف الإله أوفى كنف سيدك » . راجع Cerny L. R. L. P. 13, 4 — 4; L. R. L. 5. 7; L. R. L. 29, — 8 — 9

أما في عهد الأسرة الثامنة عشرة فكانت التبركات يعبر عنها بما يأتى « أتمنى أن يمنحك هو أو هم الخطوة . »

الديباجة في الصيغ الحربية :

نجد في بعض الرسائل النموذجية ومسودات الرسائل الحقيقية في عهد الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين أن الديباجة كان يعبر عنها كالاتى : « أتمنى أن يحفظ الفرعون سيدنا » . راجع (Gardiner; L. E. M. 66, 11 ff etc) . غير أنه قد لوحظ أن المتراسلين في

مثل هذه الرسائل كانوا من رجال الجيش الذين هم في درجة واحدة أو كان المرسل أقل درجة من المرسل إليه . غير أن هذه لم تكن قاعدة متبعة . راجع (Cerny. L. R. L. 41, 11 ff).

الصيغة الختامية

لم نجد فيما وصل إلينا من خطابات الدولة القديمة ما يدل على وجود صيغة ختامية للرسائل . ولكننا من جهة أخرى نجد معظم الخطابات الحقيقية وبعضها من الخطابات النموذجية التي تمرى إلى الدولة الوسطى لها صيغة ختامية تختلف في تركيبها حسب مراتب المتراسلين وحسب موضوع الخطاب . وأقدم هذه الصيغ الختامية « أتمنى أن يكون ما تسمعه حسنا » (راجع Scharff. A. Z. 59, 20 — 51., Griffith, K. P. Vol. I. PP. 67. ff.) .

ولدينا ورقة مفيدة في بابها عثر عليها في اللاهون (راجع K. P. P. 76) وهي تحتوي على خطاب والجواب عليه ، وكلاهما طريف في أسلوبه لأنه هجاء لا مدح وقد يكون المقصود منهما هجاء حقيقيا أو مداعبة من صديقين ، فالخطاب قد كتب بالمداد الأسود وجاء فيه : « رسالة يخبر فيها العبد الفقير السيد في حياة وسعادة وفلاح ؟ ليأتى إلى بلدة » عنخ سونسرت « في اليوم العاشر من الشهر الرابع من فصل الحصاد ، أنت يأبها الخبيث المضاعف » أتمنى أن تأتى في حياة وخير » . وقد رد المرسل إليه على تلك الصيغة الختامية الفذة في بابها بالمداد الأحمر : « أرجو أن يكون كل كلامك خبيثا برعاية الإله سبك » (رب رهن) وكل من يرى بك إلى الدمار برعاية روحه ، وعلى ذلك فإن روح الكاهن « حكاك بي » قد أرسلتك إلى جهنم أبد الآبدين « أرجو أن يكون ما تسمعه ضارا وطاعونا »

فترى من تلك الخاتمة أنه بدلا من استعمال « أتمنى أن يكون ما تسمعه حسنا » استعمال « أتمنى أن يكون ما تسمعه ضارا وطاعونا » . ويلاحظ هنا أن الرد كان بالمداد الأحمر ، وذلك علامة على الشر لأن اللون الأحمر يمثل الإله « ست » . ومما يبرهن على ذلك ما جاء في كتاب تفسير الأحلام فإن تفسير الأحلام الدالة على الشر قد كتبت بالمداد الأحمر . راجع (Gardiner, "Hieratic Papyri in the British Museum", Vol. I. P. 9.) على أننا نجد في ورقة اللاهون رقم ٣ (راجع K. P. III, 4) أن الصيغة الختامية هي صيغة مختصرة من ديباجة الرسالة وهي : « هذه رسالة إلى السيد له الحياة والسعادة والصحة لأخبره أن كل أشغال السيد له الحياة والسعادة والصحة (نامية) » . راجع (Griffith. K. P. P. 677) وقد عثر على الصيغة الختامية « أتمنى أن يكون ما تسمعه

حسنا» في عهد الأسرة التاسعة عشرة ، غير أن هذا الاستعمال يعتبر قديما . (راجع Leyden Letter. No 361) . وفي هذه الحالة نجد مستعملا بين أشخاص من درجة واحدة . أما الاستعمال الذي قد حل محله في الدولة الحديثة فهو «أتمنى أن تكون في صحة جيدة» ، وكان يستعمل حينما يكون الكاتب والمكتوب إليه من درجة واحدة أو يكون المرسل إليه أعلى درجة .

وهذه الصيغة نجدها في الرسائل التي تشتمل على ديباجة كاملة بقطع النظر عن صورة الصيغة الافتتاحية التي تحتويها الرسالة على وجه عام . ولدينا رسالة نموذجية من أوراق « شستر بيتي » (راجع Chester Beatty V verso 2, 1 — 6) تحتوى على ديباجة كاملة ، وقد كان المنتظر أن نجد الخاتمة المعتادة وهي «أتمنى أن تكون في صحة جيدة» . ولكن لما كانت الرسالة من رئيس إلى مرءوس فقد وجدنا أن الخاتمة قد عبر عنها بعبارة « خذ علما بها » . وفي رسالة أخرى خاصة بمعاملات محضة نجد أن الكاتب قد اعتبر صيغة « أتمنى لك صحة جيدة » عبارة تقليدية توضع قبل خاتمة الرسالة الحقيقية التي يعبر عنها : بعبارة « خذ علما بها » . (راجع Chester Beatty V. verso 1, 9 — 2, 5)

على أن هذه الصيغة قد نجدها في وسط الرسالة ، ولكن في هذه الحالة تكون نهاية الفقرة والخطاب يستمر بعدها . وفي هذه الحالة (راجع Cerny L. R. L. 15 13, 38, 8, 21, 24) يلاحظ أن كل فقرة من الرسالة تعتبر كأنها وحدة منفصلة وتكون لها اجزاؤها الخاصة المكونة لها ، أى تكون لها صيغة افتتاحية مبتدئة بعبارة « كلام آخر » بدلا من اسم المرسل وديباجة وموضوع وخاتمة .

ونجد أحيانا أن صيغة « أتمنى لك صحة طيبة » يتبعها « في بيت آمون » ملك الآلهة (راجع Gardiner L. E M, 10, 12) أو « في حضرة آمون » (راجع Berlin Ostraca No. 10628, 10630) .

ونجد على وجه عام أن الرسائل المكتوبة على « الاستراكا » قد حذف منها الصيغة الختامية ، وذلك طبعاً لضيق رقعتها كما أسلفنا ، ولأنها تعتبر بطاقات صغيرة تتبادل داخلها وقد شذ من ذلك رسالتان كتبتا على الاستراكا . راجع Berlin Ostraca No. 10628, 10630 وأحيانا نجد أن الخاتمة « أتمنى لك صحة جيدة » تعقب الجملة « إني مرسل إليك لأعلمك أو إني مرسل اليك لأعلمك بمكاتبة الملك على يد حامل البريد الرسمى فلان » . راجع

(Cerny, L. R. L, 49, 7 & Gardiner, L. E M., 126, 5 — 6)

ويقابل هذه الصيغة صيغة أخرى كانت تستعمل بوجه خاص في عهد الأسرة التاسعة عشرة ، وهى بلاشك صيغة ختامية ترجع جزئيا إلى الدولة الوسطى وتم عن أدب في التعبير وهى « إنها رسالة لأحيط سيدى علما » . ويلاحظ هنا أنها كانت تستعمل في مخاطبة من هو أعلى مكانة . وقد ذكر التاريخ مع هذه الصيغة الختامية في رسالتين . راجع Anastási (1) IX, Vs. 3 & L. E. M. 56.1 . أما في الدولة الوسطى فنجد الصيغة الختامية : « إنها رسالة لذلك السبب (الذى وضع في الخطاب) (K. P. L VI, 1 V. s & VI. 9 . Griffith K. P. PP. 82, 80)

غير أنها لم تكن تختم بها الرسالة عادة في هذا العهد . بل إنها تستعمل أحيانا بمثابة خاتمة لفقرة من الرسالة (راجع ibid Pap VI 4, K. P. P 74) . وفي نفس أوراق اللاهون (Pap. VI. 5 Griffith K. P. P. 81) نقرأ : « إنها رسالة لذلك » ويعقبها : « أرجو أن يكون سيدى في حياة وسعادة وصحة ، حسن الاستماع » . وفي رسائل المعاملات نجد أن الصيغة الختامية كانت « خذ علما بذلك » (أى محتويات الرسالة » .

وفي خلال الأسرة الثامنة عشرة نلاحظ أن الرسائل لم يكن لها خاتمة معينة كما كانت الحال في عهد الدولة القديمة .

وقد لوحظ أنه توجد مساحة بيضاء قبل الصيغة الختامية سواء أكانت « أتمنى لك صحة جيدة » أم « خذ علما بذلك » . وذلك في رسائل الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين . غير أن هذا الفراغ لم يرقط في الرسائل النموذجية . وخلاصة القول أن الصيغتين : « أتمنى لك صحة جيدة » و « خذ علما بذلك » كانتا الصيغتين الأساسيتين لختام المراسلات في عهد الدولة الحديثة . أما الصيغة : « إنها رسالة لأعلم سيدى » فإنها كانت خاصة بالأسرة التاسعة عشرة

تاريخ الرسائل :

كان تاريخ الرسالة كما ذكرنا آنفا يوضع في أول الرسالة في خلال الدولة القديمة . أما في عهد الدولة الوسطى فكان يوضع على ظاهر الرسالة عند نهاية العنوان ، غير أنه كان يسبق اسم الرسول (Griffith, K, P. P72, 74, 77) . أما في عهد الدولة الحديثة فكان يوضع عادة في

نهاية الرسالة (Ghurab, ibid. P, 91; Gardiner L. E. M. 84, 4.)

أسلوب تحرير الرسائل

لا شك في أن موضوع الرسالة كان يُصَب في عبارات ومصطلحات تنتخب وفق قواعد وعوامل لا بد من مراعاتها ، تتفق والمصر الذي كتبت فيه الرسالة ، ومرتبة كل من المرسل والمرسل إليه ، والملاقة التي تربطهما ، ثم الموضوع الذي كان يتناوله الكاتب ، وهذه النقاط قد تكلمنا عنها فيما سبق وبخاصة فيما يتعلق بالصيغة الافتتاحية والديباجة والصيغة الختامية وكذلك أساليب موضوع الرسالة ومحتوياتها .

بعض أساليب خاصة بالرسائل :

هناك أساليب خاصة نجدها مكررة في الرسائل كما ذكرنا ، غير أنها تختلف باختلاف الموضوع الذي يتناوله الكاتب .

الأمثلة : لقد وصلنا جواب من عهد الملك « اسيسي » أمر بتحريره إلى أحد أشرف حاشيته « سنزم اب » ردًا على رسالة له وقد ابتداء بما يأتي : « إن جلالتي قد شاهدت رسالتك هذه التي أرسلتها لي لتخبرني » . . . وكذلك الجواب الخاص بالجريمة المنسوبة إلى النبيل « سابني » من عهد الدولة القديمة فإنها كانت جوابا على رسالة سابقة وقد قال فيها بعد الصيغة الافتتاحية « إني أنا أخوك قد وجهت عنايتي الخاصة للموضوع الذي أرسلت لي عنه (راجع Smithers, J. E. A, Vol 28, P. 16) . ومما يؤسف له أن قلة الوثائق في هذا العهد لا تمكننا من معرفة الطريقة التي كان يفتح بها موضوع الرسالة في ذلك العهد ، على أن الجواب الذي أرسله « يبي الثاني » إلى « حرخوف » يبتدىء بأسلوب مشابه للجواب الملكي السابق ، إذ يقول : « لقد علمت موضوع خطابك هذا » . راجع Breasted, "Ancient Records," Vol. I P. 160 . ونجد أن الكاتب وهو يتكلم عن بعض ما جاء في تلك الرسائل الملكية يستعمل أمثال الجمل الآتية :

« لقد قلت في جوابك هذا » و « لقد قلت لجلالتي » الخ

أما في عهد الدولة الوسطى فلدينا رسالة تبتدىء بهذه العبارة : « حقا فإنه بخصوص ما قد أرسلت لي عنه » . (راجع Griffith, K. P. Vol, I, P. 72) وفي صلب الرسالة نجد « لقد سمعت بالأشياء التي ترسل عنها » (راجع Pap XII, I, ibid, P. 79)

أما في عهد الدولة الحديثة فنقرأ في أجوبة الرسائل التعبير الآتي « لقد سمعت كل الأشياء

التي أرسلت لي عنها » وحرفيا « القول الذي عملته أو الرسالة التي عملتها قائلا :
ثم يأتي بعد ذلك اقتباس من الرسالة الأصلية ، وينتهي هذا الاقتباس بالجملة التالية :
« هكذا قلت » ، وهذه الصيغة كانت تستعمل عادة في نهاية عصر الرعامسة . راجع
(Cerny, L. R. L. 9, 10 ; 34, 11.)

ونجد أحيانا أن الكاتب يختصر صيغة الاعتراف بوصول الرسالة في جوابه بقوله :
« لقد سمعت » . Gardiner L. E M. 123, 8. وهذه الصيغة قد تكتب كذلك في صلب
الجواب حينما يذكر المرسل إليه أشياء أخرى قد وصلته في رسالات سابقة .

تعليمات :

نجد في الرسائل أن الكاتب كان يعبر عن الأوامر التي يريد إرسالها بطرق مختلفة
تناسب مع المرسل إليه ، فنجد مثلاً في الدولة الوسطى أن الأوامر قد صيغت في رسالة واحدة
كالآتي : « يجب أن ترسل إلى رسالة بخصوصها » ، « إنه يجب عليك أن ترسل لي رسالة » ،
« يجب أن ترسل لي بخصوصها » . راجع (Griffith, K. P, P. 74 Pap. IV, 4.)
وكذلك كان يكتب : « مر بأن يحضر إلى » . راجع (K. P P 78) وفي أخرى « مر
بأن يؤتى إلى » و « مر بأن يحضر إلى » . راجع (ibid P. 82) ، وهذا الأمر الأخير هو
من رئيس لمروسة .

أما في عهد الدولة الحديثة ، فقد كان الكاتب يتجنب الأوامر المباشرة ، ويمطى تعليماته
كما يأتي « حينما تصل إليك رسالتي ينبى أن تفعل كذا وكذا » . راجع (Amarna
Letters II, 15, Cairo No, 58058)

الطلبات :

كانت اللمتسات في رسائل الدولة القديمة يعبر عنها بطريقة طبيعية مباشرة كما يشاهد في
جواب « حرخوف » ، ولكن بظهور الدولة الوسطى ظهرت عبارات مختارة كالآتية : « إن
الخادم هناك (العبد الفقير) يرسل رسالة بخصوص أن يأمر (سيدى) بأن يعطى » . راجع
(Griffith, K. P., P. 75, Pap IV, 6.)

وكذلك نجد التعبير التالى « إن الخادم هناك يرغب أن يعرف ... » . راجع Griffith
K. P. P77. أو « إنها رسالة إلى سيدى له الحياة والصحة والسعادة قصد أن يجعل قلبه يهتم
بى . . . » . راجع (ibid, P. 72, 79)

أما في عهد الدولة الحديثة فكان يعبر عن الالتماس كما يأتي « واجعل التفاتك إلى »
وكان ذلك التعبير يستعمل عند ما يريد الكاتب أن يطلب إلى المكتوب إليه تنفيذ شيء في
أدب . راجع (Cerny L. R. L. 14, 4, 20, 17) ، وكذلك وجدنا التعبير التالي « لا تكن
متوانياً في » راجع (ibid 14, 11).

الاهتمام المرسل بالمرسل إليه :

كان يعبر عن هذه العاطفة في عهد الدولة الوسطى بالطريقة الآتية « إنها رسالة إلى
السيد له الحياة والسعادة والصحة ليأمر بالكتابة للخادم هناك (العبد الفقير) فيما يختص
بحياة وسعادة وصحة سيدي (الذي أرجو له الحياة والسعادة والصحة) . راجع Griffith, K. P, P. 75, Pap. L, VI
ومن الطريف أننا نجد في رسالة أخرى أنه قد ذكر بعد الصيغة
السابقة « لأن قلب الخادم هناك (العبد الفقير) يكون فرحاً عندما يسمع بحياة وسعادة
وصحة سيده ، الذي أرجو له الحياة والسعادة والصحة » . راجع (ibid, P. 81) . والواقع أن
مثل هذا الاهتمام والدعاء نجده في المكاتبات العربية غير أنه يوضع في صورة مترادفات أخرى .
أما في عهد الدولة الحديثة فنقرأ « لا تتوان في أن ترسل إلى عن حالتك » . راجع
Cerny L. R. L. 15, 12 — 13.

وقد يضاف إلى ذلك « لأنني مشغول البال من جهتك » (Gardiner, L. E. M, 68, 1—2)
وكان الرد على ذلك « لا تشغل قلبك من جهتي » . راجع (ibid 7, 4.) أو « إنني في
صحة اليوم . أما الغد ففي يد الله » . راجع (ibid 16, 3) ، وفي رواية أخرى لهذه الصيغة
من الأسرة التاسعة عشرة نقرأ « نحن بصحة اليوم غير أننا لا نعرف ما ستؤول إليه حالنا
في الغد » . راجع (Leydén, No. 360).

ردوس فقرات جديدة في الرسالة :

كان الكاتب المصري عند ما يريد أن يبتدىء موضوعاً جديداً في صلب رسالته يستعمل
لذلك ألفاظاً وأساليب خاصة ، ففي الدولة القديمة كان يستعمل لفظة «والآن» أو «وبعد»
أو «فضلاً عما ذكر» . راجع Smithers, J. E, A Vol. 28, P. 16, Gardiner J E, A. Vol B P.75
أما في عهد الدولة الوسطى فإن التعبير الذي ذكرناه فيما سلف وهو
« إنها رسالة إلى سيدي له الحياة والسعادة والصحة » كانت غالباً يستعمل في بداية فقرة

جديدة كما كان يفتح به الرسالة (Griffith, K. P. PP. 67, ff راجع) ونجد في بعض الرسائل من ذلك العهد أن الرسالة كانت تفتح بكلمة « تأمل ». راجع (ibid P. 71,—75) أما في عهد الدولة الحديثة فكانت تستعمل العبارات التالية (١) « كلام آخر » . راجع Cerny L. R. L. 36, 11 (٢) « رسالة أخرى لسيدي » Anastasi IX, 1 (٣) « إنها رسالة لأحيط بها علم سيدي » وهذه الصيغة الأخيرة نجدها في الرسائل النموذجية من عهد الأسرة التاسعة عشرة وفي رسالة من عهد الأسرة العشرين . راجع Gardiner, L. E. M. 115, 13 (٤) « لقد أحضرت إليك هذه الرسالة المكتوبة قائله... » وهذه الصيغة أصبحت لا تستعمل في عهد الأسرة العشرين راجع Cairo No 58055, 2

تعبير كاتب الرسالة عن نفسه :

كان الكاتب يعبر عن نفسه في تواضع بالمعارة الآتية « العبد هناك » بدلاً من كلمة « أنا » وهي ما تقابل في التعبير العربي (العبد الفقير) وقد كان ذلك خاصاً بالدولتين القديمة والوسطى كما سبق ذكره

أما في الدولة الحديثة فقد كان نادر الاستعمال (راجع قصة المخاصمة بين حور وست) على أنه لدينا رسالة من عهد الدولة الوسطى من رجل إلى امرأة لم يستعمل في مخاطبتها هذا التعبير ، وقد يرجع سبب ذلك إلى أن الرجل كان لا يستعمله عند مخاطبة المرأة أو إلى أنها كانت أقل منه درجة في الهيئة الاجتماعية (راجع Griffith, K. P, pp. 72, 73) وقد استعمل الكاتب في رسالته المعارة التالية متكلماً عن نفسه « الشريف هنا » وفسرها بعد ذلك في صلب الخطاب بلفظة « أنا » وهذا يدل بطبيعة الحال على أن الرسالة كانت من رئيس عظيم إلى مرءوس صغير . (راجع Ibid P. 82, Pap. LXV, 1)

هذه نظرة عامة عن الرسائل المصرية من أول نشأتها حتى نهاية عصر الرعامسة وقد توحيها في ذلك الاختصار حتى لا نخرج عن الغرض الذي نرى إليه وهو أن نضع أمام القارئ صورة موجزة عن تاريخ هذه الرسائل بقدر ما وصل إلينا من المعلومات ، وسنورد فيما يلي بعض النماذج من هذه المراسلات . وسنوجه عنايتنا فيما سنورده هنا إلى الرسائل التعليمية والنماذج الإنشائية التي كان يهتم بها المصريون في عهد الدولة الحديثة، وسنضرب صفحاً عن رسائل المعاملات والرسائل الأخرى المملة التي لا يستفيد منها القارئ إلا شيئاً من الوجهة

الاجتماعية . وسنتكلم عن ذلك في موضعه من تاريخ مصر القديمة وبخاصة في عهد الدولة الوسطى . هذا إلى أننا قد استعنا بما وصل إلينا من كل المصور في الشرح الذى وضعناه بين يدى القارئ ، والذى يمكن تطبيقه على الأمثلة التى سنورها هنا . والأمثلة التى سنضعها أمام القارئ تنقسم خمسة أقسام وهى :

- (١) تعاليم وتحذيرات للتلاميذ
- (٢) رسائل حقيقية استعملت نماذج لإنشائية للتلاميذ
- (٣) رسائل نموذجية من إنشاء المعلمين
- (٤) تهنئات إلى المعلمين والرؤساء
- (٥) منافسة أدبية

الحياة فى المدرسة^(١)

ينصح الوالد فى هذه الرسالة ابنه بعد أن أدخله المدرسة أن يثابر على تحصيل العلم ليكون كاتباً ، والكتابة أعظم الحرف فى كل زمان ومكان فى مصر القديمة ، إذ بها يمكن الإنسان أن يرتفع إلى أعظم المناصب الحكومية ، ثم نراه يضع أمام ابنه القواعد التى يجب أن يسير على نهجها حتى يصل إلى غرضه ، ثم هو يحذره التراخى فى اتباع نصائحه وإلا كان العقاب الجثمانى جزاءه فيقول :

إنى أضعتك فى المدرسة مع أولاد المظاء لأرييك ولأجعلك تتعلم هذه الحرفة التى تمظم صاحبها .

انظر إنى أقص عليك كيف يكون حال الكاتب حينما يكون . . . استيقظ ، فى مكانك ، إن الكتب قد وضعت أمام زملائك . ضع يدك على ملابسك وانظر إلى نعليك (؟)
وعندما تأخذ (فرضك) الزوى . . . ، لاتكن كسلان . . .^(٢)

. وقرأ بجد فى الكتاب . ولا تدع كلمة تسمع عندما تحسب فى صمت (أى حساب عقلى)

اكتب بيدك ، وقرأ بعينك . واستشر من هم أبه منك (؟) ، ولا تراخ ولا عض

(١) راجع Pap Anastasi V. 22 6 ff.

(٢) يحتمل أن تكون التريثان الحساوية هى موضوع الفقرة التى حذفت .

يوما في الكسل ، أو يلحق الويل أعضائك ! واعمل على فهم طريقة أستاذك واصنع إلى نمائمه

... انظر إلى معك كل (يوم ؟) احذر أن تقول : . . . ؟ »

كن مجتهدا

وهنا يحثه على الاجتهاد ، وبغيره بما ينتظره من المستقبل إن اجتهد ، ويخوفه المقاب إن أهدأ ، وكفى عن أثر الضرب المفيد في التعليم كناية ظريفة فجعل أذن الولد مركبة في ظهره ، وضرب له الأمثلة على أن التلميم أصبح يصل إلى الحيوان والطيور ، والإنسان لاشك أجدر به منهما قال :

(٢) [كره مجتهدا]^(١) يأبها الكاتب لاتكن كسلان ، لاتكن كسلان ، وإلا فإنك ستعاقب عقابا صارما . ولا تجعل قلبك ينغمس في الملامى ، وإلا فصيرك الخراب ، واكتب بيدك واقرا بفمك واستشر من هم أعلم منك .

وحصل لنفسك وظيفة حاكم حتى يمكنك أن تصل إليها عندما تصير مسنا . والكاتب الذى ينبغ فى حرفته سعيد فهو أستاذ تربية . وثابر كل يوم ، وبذلك ستفوق فيها (الكتابة أو معرفة الكتابة) . لا تمض يوما في الكسل أو تضرب . وإن أذن الولد على ظهره فهو يسمع حينما يضرب . واجعل قلبك يصنى إلى كلماتي ؛ فأنها ستكون نافعة لك . وإن « الكارى »^(٢) يعلم الرقص ، والخليل يكبح جاحها ، والحدأة^(٣) (؟) توضع فى عش (؟) وجناحا الصقر يشدان^(٤) (أى لأجل أن يصير مدربا) . ثابر فى طلب النصيحة ولا تهملها لا تملن الكتابة . دع لبك يضغ إلى كلماتي وستجدها مفيدة .

وفى هاتين الرسالتين يبين أنه بذل المستطاع لتعليمه ، وجلب له معلم صبيان بالليل وآخر بالنهار حتى يقوى على الدرس والتحصيل ، فبدا أنه أقل استعدادا من الأسود فى ترويضها ، والطيور فى تعليمها ، والخليل فى تدريبها ، وأن النصيحة غير مجدية فيه ، والضرب لا يردعه عن تهاونه . فثله مثل الحمار العنيد أو العبد الغفل الذى لم يصقله الثقاف ولا التهذيب . قال :

(١) راجع Pap. Anastasi III. 3. 9. ff.

(٢) حيوان أنثوي

(٣) إذا تمكن شخص من تدريب هؤلاء فمن الممكن أن يعمل المثل معك

(٣) [كلمة مجتهداً] ^(١) لا تسكن رجلاً غيبياً لا علم عنده .

ففي الليل يدرس لك واحد ، وبالنهار يفعلك آخر ، غير أنك لا تصنى إلى التعليم ، بل تعمل حسب ميولك . إن « الكايرى » يصنى إلى الكلمات حينما يجلب من « أثيوبيا » والأسود تدرب ، والخيل يكبح جماحها ، ولكنك لا يشابهك إنسان في كل الأرض . أرجو أن تفطن لذلك .

(٤) [كلمة مجتهداً] ^(٢) إن قلبي قد سئم إعطاءك دروساً (أكثر مما أعطيتك) ، ويمكننى أن أضربك مائة ضربة ، ومع ذلك فإنك تلقى بها جميعاً ظهرياً . وإن مثلك عندي كحمار قد ضرب ولكنه عنيد (؟) . . . ، وكذلك مثلك عندي كمثل عبد أسود يزجر . قد أحضر مع الجزية ^(٣) إن الحدأة توضع في العش ، وجناحها يوثقان . وإني لجامعك تلعب دور الرجل يأبى الولد الردى . أرجو أن تفطن لذلك .

ونرى الوالد في هذه الرسالة يزهد ابنه في معاقرة الخمر ومخادنة الحسان ، ويصور لابنه حاله عندما يكون ثملاً مترنحاً يخيف الناس ، ويخرج عن جادة العقل فيقصص ويلهو ويتمرغ في التراب ويتمسح بالقيان ، ويصدق مع الصادحات ، ويذهب بوقاره ما يصدر عنه من لغو ومن تأثيم ، فتراه يقول له :

(٥) [الجمعة والعزائى] ^(٤) لقد حدثت أنك هجرت الكتابة وأنتك أسلمت نفسك (؟) للبلاد ، وأنتك تتسكع من شارع إلى شارع حيث رائحة الجمعة . إلى التلف ؟ إن الجمعة تفرغ الناس (منك) وتودى بروحك إلى الدمار (؟) ومثلك كمثل سُكَّان السفينة المكسورة الذى ينقاد إلى كلا الجانبين ، وكالمقصورة من غير إلهتها ، وكالبیت من غير خبز . وقد وجدت تتسلق جداراً وتكسر ال . . . وقد فر الناس من أمامك لأنك تنزل بهم جروحاً . فليتك كنت تعلم أن الخمر إثم ، وأن تقسم ألا تشرب « الشدة » ^(٥) وألا تسلم قلبك للزجاجة (؟) وأن تنسى شراب « ريلك » ^(٦)

(١) Pap. Bologna 1094. 3. 5. ff.

(٢) Pap. Sallier I, 7. 9. ff.

(٣) العبد الذى جلب حديثاً ولا علم له باللغة المصرية فهو يزجر

(٤) Pap Anastasi IV 11. 8 ff. & Pap Sallier. 1, 9. 9ff.

(٥) شراب حلو مسكر

(٦) كلمة أجنبية لوع من الشراب

لقد عُلِّمَتْ كيف تَفْنَى على القيثارة وتضرب على الأرغول . وتَفْنَى على كتنور (المود) مترنماً . وتَفْنَى على النَزْخ^(١) وتجلس في البيت وتحيط بك البنات ، ثم تقف وتعمل . . . أنت . . . وتقدم أمام قَيْئَنَة ، وترش بالطور وتيجانك المصنوعة من زهر « أَشْت بنو » تتدلى حول نحرِكَ ، وتطبل على جوقِكَ ، وبعد ذلك تسقط على بطنك وتلطح بالأوساخ . . . وهنا يُرى الوالد ابنه أن من حام حول الحمي يوشك أن يواقعه ، وأن التسكع في الطرقات يجر إلى الزلل ، ويضرب له الأمثال على أن من عانى التعليم في صغره يدرك ما تصبو إليه نفسه في كبره ، فقال :

(٦) [التعميد في الأرغول]^(٢) « لقد سمعت أنك تنقسم للملاذ . لا تولين ظهرك إلى كلماتي . هل تسلمن عقلك لكل أنواع الأشياء الصماء ؟ . . . سأجمل قدمك تزل (؟) حينما تنزل إلى الشوارع (أى تتسكع في الشوارع) وستضرب بسوط من جلد فرس البحر .

ومهما يكن من أمر فإنني رأيت كثيراً من أمثالك قد جلسوا في قاعة الكتابة ، ولم يقولوا « بالله » (من غير أن يقسموا) : « بأن الكتب (لا تساوى) شيئاً مطلقاً » ، ومع ذلك فإنهم صاروا كتاباً ، وذكر الواحد (الملك) أسماءهم ليرسلهم في مهمات .

وإذا نظرت إلى حينما كنت صغيراً مثلك وجدني مضطرباً وقتي والأغلال في يدي ، وقد شدت أعضائي بها ، وقد مكثت بها مدة ثلاثة شهور ، وسجنت في المبد في حين أن والدي ووالدتي وأخي كانوا في الأرياف ، ولما فككت عني (الأغلال) وأصبحت يدي طليقة فقت ما كنت عليه فيما مضى ، وكنت أول زملائي وتفوقت عليهم في الكتب .

افعل ما أقول وسيكون جسمك سليماً وستجد في الصباح^(٣) ألا أحد يملو عليك . (المتن هنا مضطرب غامض ، ويظهر من خلاله أن الوالد يضرب لابنه الأمثال على تحبضه في حياته ، وعلى أن نتيجة مثل ذلك الخيبة والفشل) . قال الوالد :

(١) كلها كلمات أجنبية ؛ كتنور هي قيثارة أجنبية ، وكذلك يحتمل أن « نزخ » مثلها . أما لفظة انن فيجوز أن معناها الترنم

Pap. Anastasi V. 17. 3 ff (٢)

(٣) كتب التلميذ كلمة الصباح خطأ ومصححها معمله بكلمة شهر خطأ أيضاً (وهناك تضاهيه بين كلمة صباح وشهر في الكتابة)

(٦) [كن مجرماً] ^(١) « حدثت أنك تهجر الكتابة ، وأنتك تسافر وتهرب . وأنتك تهجر الكتابة بقدر ما تستطيع قدامك من السرعة ، وأنتك في هذا كحصانين . . . (ومن يقرأ هذا التعبير يثب إلى ذهنه « فرسا رهان » التعبير العربي ، ولكن لم يكن في مصر في ذلك الوقت سباق للخيل إذ كانت الخيل تجر العربات فقط) وقلبك يرفرف . وإنك لكالطير المسمى (إخى) ، أذنك . . . وإنك لكالحمار حينما يضرب . وإنك لكالغزال الشارد .

ولكنك لست بصائد الصحراء ولا « ماتوى » الغرب .

ولكنك لست بالأصم الذى لا يقدر أن يسمع فيكلمه الإنسان باليد (بالإشارة) وإنك مثل رفيق ربان ماهر فى السفينة ^(٢) حينما ينوب عن زميله فى قيادتها ويقف فى المقدمة (؟) وهو لا يلتفت إلى الرياح العكسية ، ولا يبحث عن الموجة (أى لا يلتفت إلى التيار) فإذا ما انقلبت الحبل الخارجى الد . . . الحبل يعلق حول رقبتة وعندما يشد الحبل . . .

كل الكلام الآتى مبهم ، ونعلم أنه يقطف الأزهار على الشواطىء ، ومن الجائز أن هناك وصفا مضحكا لللابسه : شعره المستعار بخصلته المجددة التى تضرب إلى قدميه من صنع « أتوبي » الخ .

والخاتمة هى : وله أذن صماء فى يوم ^(٣) الحمار ، وهو مجداف محرك فى يوم السفينة ، وسأفعل كل ذلك له ^(٤) إذا ولى ظهره إلى حرفته .

وفى الرسالة الآتية يرغب الوالد ابنه عن الفلاحة بذكر الجوائح التى تجتمع على الفلاح فتجرمه ثمار كده من قاذح الضرائب ومختلف الآفات ، ومن ضروب الاهانات التى تقع عليه ، ولا يسلم منها زوجه وبنوه ، ثم يرغبه فى الكتابة ويزين له الاشتغال بها فيقول :

(٧) [لاتسكهم فمومها] ^(٥) « لقد أخبرت أنك تهجر الكتابة وتسترسل فى الملاذ ، وأنتك قد صممت على العمل فى الحقل وحولت ظهرك عن كلمات « الله » ^(٦) . ألم تفكر كيف تكون

Pap. Koller 2. 3. ff. = Pap. Anastasi IV. 2. 4. ff. (١)

(٢) يجوز أن المقصود هنا نوتى يضع نفسه موضع ربان السفينة ثم يخيب فى محاولته .

(٣) معنى ذلك أن التلميذ لا يسمع ، والجملة التى فيها تعود على ما سبق ذكره عن الحمار والسفينة .

(٤) ليس فى الجملة أى تهديد له ويجوز أن فى الكلام المبهم تهديداً ولكن لم نفهمه .

Pap. Sallier 1. 5. 11 = Pap. Anastasi V, 15. 6. ff. & Journ. of Egypt. Archelogs (٥)

Vol 27. p. 19. ff.

(٦) الكتابة الهيروغليفية والمتون الفديعة .

حال القلاح حينما يسجل الحصاد^(١) . وقد أكل الدود نصف الغلة والتهم فرس البحر ما تبقى . وعندما يزخر الحقل بالفيران ، والجراد يجتاحه ، والماشية تلتهم ، والمصافير تسرق ، فالويل للفلاح وقتئذٍ (؟)

والبقية الباقية في الجرن يأتي المصوص على آخرها . . . من النحاس محطمة .
والحصانان يموتان في الدرس والحراث .

والآن يرسو الكتّاب إلى الشاطئ ، يأخذ في تسجيل المحصول والحراس يحملون عصيا والمبيد يحملون جريد نخل . ويقولون : « هات غلة » « ليس هناك غلة » وعندئذٍ يطرح أرضا ويضرب ، ثم يوثق ويلقى في التربة ويفمس في الماء منكسا ، وزوجه توثق أمامه وتوضع أطفاله في الأغلال (؟) وجيرانه يولون الأدبار ، وبعد ذلك تطير غلّتهم . أما الكتّاب فإنة يدير عمل كل الناس . وليس عليه ضريبة لأنه يدفع جزيته بالكتابة ، وليس عليه جزية . أرجو أن تفطن لذلك » .

وفي هذه الرسالة الآتية يرفع من شأن الكتّاب كمادته مبينا نفوذه ومنزلته ، ويفض من شأن الجندي فيكشف عما يلاقيه من عنت الرؤساء ، وهم كثيرون يتدرجون في الرتبة ويتباينون فيها ، وإن اتفقوا على تكليف الجندي بشاق الأعمال ، وهو لذلك ينأى بابه عن أن يتخذ الجندي حرفة له .

(٨) [لا تسكن منبرا]^(٢) « ضع الكتابة »^(٣) في صدرك حتى تبقى نفسك أي عمل شاق ، وتكون حاكما ذائع الصيت . ألا تذكر الفرد الغامل المغمور الاسم ؟ إنه سيحصل كالحجار ، حينما يقف أمام الكتّاب الذي يعرف قيمته (؟)

تعال ، ودعني أخبرك سوء حال الجندي بالنسبة لمرؤوسيه المديدين — القائد ، فقائد الرديف ، « والسكت الذي على رأسهم » ، وحامل العلم ، وضابط الصف ، والكتّاب ، وضابط الخمسين ، وقائد عساكر « أدای » (الذين يستخدمون خاصة في الخارج) وهم يروحون ويندون في حاشيتهم في القصر الملكي . ويقولون : « دعهم ؟ يعرفوا ؟ العمل » .

ويستيقظ بعد مضي ساعة (من نومه) ويساق كالحجار ويشغل إلى أن تغيب الشمس

(١) أي عند ماؤخذ منه الضرائب .

(٢) Ostrakon in Florence; (Erman, A. Z. Vol, XVIII P. 96. & Blackman J. E. A. XI PP. 291.

(٣) يقصد بالكتابة هنا المتون القديمة والكتابة المقدسة .

تحت ظلام الليل . فيصير جوعان وجسمه . . . ، وكأنه ميت ولا يزال حيا » .
وفي الرسالتين التاليتين مقابلة بين الكاتب والجندى رفع فيهما منزلة الكاتب وهوى
بمنزلة الجندى ، وبين ما يلحقه من عنت وإرهاق وأذى واحتقار فقال :

(٩) [لا تكن منهيا]^(١) « آه . ماذا تعنى بقولك : « إنه يظن أن الجندى أسعد حالا
من الكاتب ؟ » . دعنى أحدثك عن حال الجندى الذى يضرب غالبا ، حينما يؤتى به وحينما
لا يزال ... طفل ، ليحبس فى المسكر (؟) . ثم إنه يضرب ضربة موجعة على جسمه وضربة
مخبطة على عينيه وضربة تكبته على جبينه ، ورأسه يشج بجرح ، وهو يطرح أرضا ويضرب
كوثيقة (كما تضرب ورقة البردى عند صنمها ؟) وهو يكسر ويجرح بالجلد . تعال . دعنى
أخبرك كيف يذهب إلى سوريا ، وكيف يسير على الجبال . وخبزه وماؤه على كتفه كحمل
الحمار . ويحملون رقبته مثل . . . مثل رقبة الحمار . وفقرات ظهره قد حنيت . وشربه ماء
آسن . وإذا أعفى من السير كُلف بالحراسة . وعندما يصل إلى الأعداء يكون كالطائر فى
الأحبولة ، وليس فى جسمه قوة . وإذا عاد إلى مصر كان كالخشب الذى نخّر بتأثير السوس ،
فهو مريض طريح الفراش ، ويؤتى به ثانية على حمار وملابسه تسرق وخادمه يولى الأدبار .
يأبها الكاتب إننا (٢) لا نعتقد أن الجندى أسعد حالا من الكاتب » .

(١٠) [لا تكن منهيا]^(٣) « ولّ وجهك شطر الكتابة نهارا ، واقرأ ليلا لأنك تعلم
ماذا يفعله المليك فيما يحس كافة لإجراءاته . فكل رعاياه تعرض ويؤخذ أحسنهم . فالرجل
يصير جنديا والشاب يصبح مقترعا . والولد يربى فقط لينتزع من حضن أمه ، وإذا بلغ
أشده حطمت عظامه .

هل أنت حمار يساق لأنه لا عقل له فى جسمه ؟ .

اكتسب لنفسك هذه الحرفة العظيمة ، مهنة الكاتب ، فإن دواتك وقرطاسك
يكونان مبتهجين ومفعمين بما عليك . وتكون فرحا كل يوم . أرجو أن تظن لذلك » .
وهنا حمل الوالد على الفارس الذى يسوس جياد العربات مينا كدحه فى سبيل أداء واجبه ،
وما ينقده ثمنا للعربة والمجلات ثم سوء ما يلاقيه من الجزاء بعد إنفاق القوة والوقت والمال .
ومن المدهش أن هذه كانت أشرف مهنة فى خلال الدولة الحديثة ، وبخاصة فى عهد الأسرتين

Pap. Anastasi IV. 9. 4 ff. = ibid III 5. 6. (١)

(٢) اسم التلميذ الذى نسخ هذا الخطاب

Pap. Sallier. I. 3. 6 ff. = Pap. Anastasi V 10. 3 ff. (٣)

الثامنة عشرة والتاسعة عشرة . إذ كان لا يحترفها إلا أولاد عليّة القوم وأهل اليسار ، وذلك لأن الخليل كانت قد جلبت للبلاد حديثا ، وكان لا يستعملها إلا الملوك وأولادهم وأصحاب النفوذ ، ولا أدل على ذلك من أن «تحتس الثالث» كانت له اصطبلات خاصة لتربية الخليل وتعليم ابنه «امنحوتب الرابع» سياستها وتدريبها ، والغريب في كل ذلك أن القوم كانوا لا يعتطون ظهورها ، بل كانوا يستعملونها في جر العربات وحسب .

(١١) [لا تكلم فارسا] ^(١) « وطن نفسك على أن تكون كاتباً حتى يمكنك أن تدير جميع الأرض . تعال ودعني أحدثك عن حرفة نعمة ، وهي مهنة فارس العربية (الخيال) . فانه يوضع في الاصطبل (الملكي) بواسطة والد أمه (لأنه من أسرة طيبة) ومعه خمسة عبيد ، رجлан منهم يساعدانه (؟)

وهو يهرول ليحضر جيادا من الحظيرة في حضرة جلالاته . وحينما يحصل على خيل جبيلة يصير فرحا مراحا ، ويأتى بها إلى بلده ويطؤها بالقدم (المدينة) بلذة . وما أسعده حين يطؤها بالقدم . . . غير أنه لا يعرف للآن ما قدر له . وهو ينفق ماله الذى ورثه من والد أمه ليحصل على عربية ، عجلتها تكلفه ٣ دين ، والعربة نفسها تتكلف ٥ دين ^(٢) ، ثم يسرع ليشى بالقدم من عليها ، ثم يعد نفسه ليلبس حذاء . . . ثم يأخذ نفسه ويضع رجله في نعلين (؟) ثم يرى بها (العربية) في الغابة وتجرح قدماء بالنملين (؟) ويمزق الشوك جلبابه .

وعندما يأتى (الملك) ليستعرض الجنود فانه يكون معذبا عذابا ألما (؟) ويضرب وهو على الأرض مائة جلدة .

ولا يزال صاحبنا هنا يعيد ويبدى في الكتابة . ففي هدفه الذى يسمى ليصل ابنه إليه . فلا غرابة إن رفعها على أنقاض الحرف الأخرى ، وخص بهجومه في هذه المرة الجندى والكاهن والخباز ، وإن لم يسلم منه أضرابهم من أصحاب المهن الأخرى . قال :

(١٢) [لا تكلم جنديا ولا كهنا ولا خبازا] « كن كاتباً تنج من السخرة وتُصن من كل عمل . فهو معنى من المزعق بالقأس ، وليس عليك أن تحمل الممثل . إنها تخلصك

(١) Pap. Anastasi III 6. 2. ff.

(٢) أى يكون ذلك ٢٧٣ و ٤٥٥ جراما من الفضة (إذا كان المقصود هنا هي الفضة) ، وذلك

(مهنة الكاتب) من الجدف بالمجداف ، وإنها خالية من الكدر . وليس فوقك عدة رؤساء ولا جم غفير ممن هم أرق منك .

وسرعان ما يخرج الرجل (غير الكاتب) من فرج أمه حتى يطرح أرضاً أمام رئيسه . فالولد يصير تابعا للجندي ، والشاب يصبح مقترعا ، والرجل الكهل يصير فلاحا ، والمدني يصبح سائسا ، والأعرج (١) — يصير بوابا ، والقصير النظر ؟ يطعم الماشية . ، والدجاج يذهب على الـ . . . والسمك يقف في البلل . وملاحظ الإصطبل يقف عند العمل ، على حين أن جياده تترك في الحقل (٢) ، ويرعى بالفة إلى زوجه وبنته على الشاطئ (٣) ، وإذا تركته جياده وهربت فإنه ؟ يجند في فرقة « أوأي » (الرحالة) (٤) .

والجندي حينما يذهب إلى سوريا يذهب من غير عصا ولا نعلين . ولا يعلم إذا كان سيموت أو يبقى حيا بسبب الأسود المتوحشة (٥) ، والعدو يرقد مختبئا في عشب أو يقف مستعدا للمركة ، والجندي يمشي ويتضرع لربه : « تعال إليّ وخلّصني ! »

والكاهن يقف هناك كالفلاح ، والكاهن المطهر يشتغل في التربة (٦) . . . ويبذل في النهر ، ولا فرق عنده بين الشتاء والصيف أو إذا كان الجو عاصفاً أو ممطراً . والخباز يقف ويمجن وعند ما يمس رأسه في الفرن ليضع الخبز على النار يكون ابنه ممسكا بقوة على قدميه ، وإذا اتفق أنه أفلت من يد ابنه سقط في اللهب . أما الكاتب فإنه يدير كل عمل في هذه الأرض .

والوالد في هذه المرة يريد أن بضمن لابنه نوما من الترف لا يجده إلا عند الموظفين ، فالوظف سيد يقدم له الماء ويصنع له الخبز ، وليس عليه إلا أن يأمر فيطاع ، فهو قطب المجالس وعماد الدوائر ، ولذلك يزين لابنه أن يكون موظفا حتى يقضى وقته بين الدفاتر والمحابر ، وينجو من الأعمال الأخرى الشاقة المرهقة .

(١٣) [كمن موظفا] (٧) « لا تدعن قلبك يهتز كورقة أمام الريح ... ولا تُسلمن قلبك للملاذ ؛ فإنها بكل أسف لا تفيد ولا تؤدي للإنسان أي خدمة ... وحينما يشتغل (بيده)

(١) علمه أن يفتش العمل في الحقل . وما يأتي بعد لابد أن يعنى أنه عند اشتغاله بذلك لا يكون في قدرته أن يلتفت إلى شئون أسرته

(٢) ربما يقصد أنه خلال خلوه من الأعمال الحربية إذا فقدت جياده فإنه يضم إلى الرحالة

ليجد بينهم عملا

(٣) حتى الكاهن كان لا يفي من السخرة

Pa: Sallier I, 5. 4. ff. (٤)

وكان من نصيبه أن يخدم مجلس الثلاثين^(١) حرم القوة والاستجمام^(٢). لأن العمل الشاق لا ينقطع عنه ولا خادم يقدم له الماء ولا امرأة تصنع له الخبز. على حين أن إخوانه^(٣) يعيشون كما يرغبون، وخدمهم يشتغلون بدلا منهم^(٤). ولكن الرجل الذي لا إحساس عنده يقف هناك ويشقى، وعيناه تنظران حسدا إليهم^(٥). من أجل ذلك تبصر أيها الولد الشقي، أيها العنيد الذي لا يريد أن يصني حينما يتحدث إليه؛ أمرع إلى تلك الحفرة بسرور...^(٦) لأنها هي الصناعة التي تدير كل مجالس الثلاثين^(٧) ورجال حاشية الدائرة الملكية.

أرجو أن تفطن لذلك .

وهنا أيضا يحاول الوالد أن يجذب ولده إلى الكتابة وينحيه عن الملاذ فيقول له :
(١٤) [قطعة] ^(٨) « لقد حدثت أنك هجرت الكتابة وأسلمت نفسك للملاذ، وأنتك أدت ظهرك إلى كلمات « الله » وفرت من صناعة « تحوت ». إن قلبك لا يعرف أنك ... لتقود الآخرين ... »

(موضوع القطعة التالية لهذه يحتمل أن يمدد ويلاط الجندي)

وهنا يخلع صاحبنا على الكتابة كل ما يحب ابنه فيها ويخوفه الجندية وحياتها . قال :
(١٥) [كن لاتبنا] ^(٩) « واستعمل قلبك فإنها صناعة أنفع من أية صناعة ، وكل إنسان يحترم بوظيفته ، فاجتهد في الحصول عليها لنفسك ، وضع كلماتك في أذنك حتى تصبح رجلا ، وتتمكن من أن تكون ذا حيثة لأن المؤلم أن تعمل جنديا يساق كالخمار ، وإذا أرسل للجيش في سوريا أو إلى السودان وترك وراءه أولاده وملابسه في بيته ، كان طعامه كلاً الحقل كالسائمة ، وإني أرجو أن تفطن لذلك ! »

(١) جامعة كبار الموظفين

(٢) لا يمكن أن ينام ويستريح

(٣) وهم الذين أصبحوا كتابا

(٤) يشتغلون بدلا منهم في الواجبات المنزلية أو أعمال السخرة في جسور النيل

(٥) إلى زملائه أيام المدرسة الذين أصبحوا كتابا

(٦) مهنة الكاتب

(٧) وعلى ذلك يظهر أنه كان هناك عدة مجالس من هذا النوع

(٨) Pap. Anastasi V. 6. 1. ff.

(٩) «The Hieratic Papayri in The British museum,» Vol. I P. 47.

وفي الخطاب التالى نجد الكاتب أسعد حالا من الفلاح والخدام والفسال والبحار ، وفي هذا الخطاب يحاول الكاتب التهمك على الحرف ، ولكن قلته يقصر عن بلوغ ذلك . فإن تشبيهاته فقيرة وفيه نقط غير مفهومة .

[كم فابتا] ^(١) « وأسلم قلبك لها (أى صناعة الكاتب) حتى تخلص نفسك من أن يكون عليك رؤساء كثيرون ، وحتى يمكنك أن تصير كفتا في القند ، فكل حرفة عليها ضريبة ، وكذلك كل أجير ، فالذين في الحقل يحرثون ويحصدون ويخزنون ويدرسون في الجرن . والخدم تسلق التين ، والفسالون على شاطئ النهر وينزلون الماء والبحار — كما يقولون — إن التماسيح تقف هناك ، على حين أن القارب وهو مدينته يعموم (؟) لأن البحار قد أنهلك والمجداف في يده ، والسوط على ظهره ، وجوفه خال من الطعام ، ولكن الكاتب يجلس في حجرة السفينة وأولاد العطاء ميجدفون له ، وليس عليه حساب يدفعه ، والكاتب ليس عليه ضرائب يؤديها . فافطن لذلك » .

وهنا أيضا يحذره أن يكون جنديا ويعدد له متاعب الجندية ومخاوفها ، ويلبس الكاتب نوبا براقا من السرور والثراء والهيمنة على شئون العباد .

(١٦) [كم فابتا ولاتكم منبريا] ^(٢) « تعال ودعنى أصف لك حالة الجندي ذلك الفرد الذى يمتدب كثيرا يوم أن تدعى طيبة لإقامة الأفراح في الهواء الرطب في الشهر الثانى من الشتاء ، فالمرء (أى الجندي) يكون في موقف مؤلم عندما يتعمد في طريقه من غير حذاء ، والحلفاء تموق طريقه ، والحشائش تكون كثيفة مشتبكة ، والأعشاب منيعة ، والضباط من خلفهم بالمصى ، ويضربون ثم يضربون ، ويكون عطشان . على أن شرب الماء لا يتغلب على القيقظ والعرق ، و" ، في وقت ظهور الفرعون بفخامته في أول يوم الاحتفال بالتتويج ، وهو اليوم الذى تز.ن فيه « عين شمس » بإقامة الأعياد . تعال ودعنى أخبرك بنزوله (أى الجندي) إلى سوريا ومشيه على قمم التلال . وخبزه وماؤه على كتفيه مثل حمل الحمار ، وهو يشرب الماء الآسن ، ولا يقف عن السير إلا وقت الحراسة بالليل . فهل أنت حمار سيسوقه الإنسان ؟ هل الجسم خلو من الفهم ؟ اعتنق الحرفة التى يحترفها الحكام ، وإن أدوات كتابتك تغدق عليك السرور والثراء ويكون قلبك فرحاً كل يوم . فافطن لذلك » .

ولدينا فقرة كتبت في شكل خطاب ولكنها في الواقع تكاد تكون مقتطفات من نصائح « آنى » جاكها الكاتب بمهارة وهي :

(١٧) [اتخذ لنفسك زوجة ^(١)] « وأنت لا تزال فتى وعلمها لتكون امرأة (أى رحيمة) حتى تنتج لك أولادا وأنت صغير السن وحتى يكون لك خلف . والواقع أن الرجل المنتج يحترمه الناس لخلفه . تأمل فإني أعلمك طريقة الرجل الذى يجد في تأسيس بيت له . فاصنع لنفسك حديقة وحوط لنفسك بقعة من الخيار فضلا عن حقلك ، واتخذ لنفسك الأزهار التى تراها عينك لأن الإنسان قد يشمر بالحرمات منها كلها ، وإنه لحسن إذا لم يحرمها للإنسان . فافطن لذلك » .

[خطابات حفيظة نموذجية للتوبيخ]

وتكشف ديباجتها عن مرسلها وعن دعوات طيبة المرسل إليه ، ثم ينتقل كاتبها إلى تعرض من الرسالة :

(١٨) [اقتضاء أثر عبد هارب ^(٢)] إن قائد رديف « زكو ^(٣) » كاكور يكتب إلى قائد رديف « آنى » وإلى قائد الرديف « بكنبتاح » (داعيا لها) بالحياة والفلاح والصحة وأن يكونا في حظوة « آمون رع » ملك الآلهة . وفي حظوة حضرة الملك « سبتى الثانى » سيدنا الطيب ^(٤) : « وإني أقول « لرع — حاراختى » : « احفظ فرعون » سيدنا الطيب في صحة ^(٥)) ودعه يحتفل (بملايين) الأعياد الثلاثينية . ونحن كل يوم في حظوته » .

وبعد : فقد أرسلت من قاعات القصر الملكى وراء هذين المبدئين في اليوم التاسع من الشهر الثالث في فصل الصيف وقت المساء ، ولما وصلت إلى حصن « زكو » في اليوم العاشر من الشهر الثالث من فصل الشتاء علمت أن الأخبار من الجنوب تقول إنهما قد صرّا ذاهبين يوم من الشهر الثالث من فصل الصيف ، ولما وصلت إلى القلعة أخبرت أن السائس قد صر من الصحراء (وأعلن) أنهما تخليا الحدود شمال حصن (مجدول) ^(٥) « سبتى » حتى . . . مثل « ست » (الإله) .

ibid. P. 50 (١)

Anastasi V. 19. 2. ff. (٢)

بلقة على الحدود بالقرب من البحيرات المرة (٣)

يعنى متمنيا أن يصله الخطاب وهو في حياة وصحة الخ (٤)

حصن بلقة كنعان (٥)

وعندما يصل خطابي إليكم اكتبوا إلى بكل ما حدث عندكم . أين وجد أثرها ؟ وأى حارس عثر عليه ؟ ومن هم الرجال الذين اقتفوه . اكتبوا إلى بكل ما عمل من أجلهما . وكم رجلا اقتنى أثرهما . ولتميشوا سعداء ؟ »

وفي الرسالة الآتية يظهر حزم الأمر واستعلاؤه وتهديده المستور .

(١٩) [أمر بإنجاز عمل] ^(١) « يقول كاتب الملك وقائده «راموزا» إلى البناء «أورى» لقد أحضر لك هذا الخطاب .

وبعد : ف عندما يصل إليك خطابي ، عليك أن تذهب إلى بلد . . . « رع » في بوسطة (تل بوسطة) وعليك أن تنفذ كل أمر ، ثم عليك أن تحضر وتقدم إلى تقريراً ، تبصر فيه ثم اعثن ، واحترس لنفسك ! ولا تتوان بأية حال ! وسيصلك خطابي على يد الكاهن « رع موزه » وقد (كان ؟) حاضرا حينما جئت إلى بجوار التربة وضربتك وقتئذ قائلا لك « كيف تهمل عملي ؟ سأجعلك تستغل في التربة » أرجو أن تفطن لذلك .

وهذه رسالة إخبارية تتبدى بالدعاء للسيد المرسل إليه ، ثم ينتقل كاتبها إلى ذكر بعض الأشياء التي تهتم المرسل إليه لأنها تتعلق بمصالحه ويسردها سردا .

(٢٠) [أشغال مختلفة الأنواع] ^(٢) « إن الكاتب « باوحم » يسر سيده « أتخورخ » داعيا بالحياة والفلاح والصحة . قد كتب هذا لأحيط علم سيدي . ولأمر آخر يسر سيدي . لقد سمعت الأمر الذي أرسله لى سيدي لأعطي خيل الإصطبل الكبير الذى يملكه « رعشميس » محبوب « آمون » علفا وكذلك خيل العظيم اصطبل « برع » محبوب « آمون » ^(٣) التابع للحاضرة .

أمر آخر يسر سيدي وهو أنه قد هرب ثلاثة من فلاحى أملاك الفرعون التى فى عهدة سيدي من ملاحظ اصطبل الخيل المسمى « نفر حتب » وذلك بعد أن ضربهم ، والآن انظر . إن حقول ضياع الملك التى فى عهدة سيدي قد أهملت ، وليس هناك من يفلحها وقد حرّر هذا ليعلم به مولاي .

وفي الرسالة الآتية يقدم كاتبها بين يدي ملتزمه دعوات حارة بالحياة وطيب العيش يرجو من ورائها أن يتوسط صاحبه في تخفيف الضريبة عنه لأنها لا تتناسب مع ثروته وعمله

Pap. Anastasi V 21. 8. ff. (١)

Pap. Bologna 1094. 2. 7 ff. (٢)

(٣) هو « مهنتاح » الملك الحاكم فى ذلك الوقت (١٢٣٠)

وحملها يثقل كاهله ، ويرى أن إجابة طلبه من الأمور الميسورة لصديقه لأنها ضئيلة بالنسبة إلى همته الكبيرة فيقول :

(٢١) [التماس للمساعدة في موضوع ضرائب ^(١)] « إن » راحب « كاهن معبد « سوتخ » يسأل عن مدير البيت « سيتي » داعيا له بالحياة والفلاح والصحة وأن يكون في حظوة « آمون رع » ملك الآلهة ؟ إلى أقول « لرع — حاراختي » و « لست » ، ولنفتيس ولكل الآلهة والإلهات « بنوزم » ليتك تفلح ، وليتك تعيش ، وأتمنى أن أراك ثانية في أمان وأضمك إلى صدري . وبعد ، فقد سمعت بالأشياء الحسنة العدة التي عملتها لسفينتي ، وذلك أنك أرسلتها إلى . أرجو أن يكافئك « منتو » وأرجو أن الشمس ربك الطيب ^(٢) يكافئك ؟

وعندما يصلك خطابي يجب عليك أن تذهب مع حامل العلم ^(٣) « بتاح ممنو » ، ويجب أن تعلن الوزير بأمر الفضة الكثيرة التي يقول عنها الخادم « إناي » « سلها » ؛ وإن كانت ليست ضريبتى قط ، وخذ نسخة من الفضة (الضريبة) ومن الموائد كتابة إلى الجنوب ^(٤) وضعها أمام الوزير وأخبره ألا يفرض على « ضريبة خاصة بالناس (المال) لأنى « شخصيا » ليس لدى أناس ، ولأنى مسئول عن السفينة وعن بيت « نفتيس » ^(٥) . وانظر إلى العدد العظيم من المعابد التي في المركز ، فليس ذلك مريحا لي ولأنى تمس جدا بل في منتهى التمس بسبب ما عمل لي ^(٦) .

والآن تأمل وتكلم مع شخص آخر من جهة العمل الإدارى المضنى الذى قد وضع على عاتق نحو معبد « سوتخ » وأملك الفرعون التى فى عهدتى ضريبة على . انظر ! إن هذا بالنسبة لك أمر صغير فلا تحذف منه شيئا أنت وحامل العلم « بتاح ممنو » ومع السلامة .

(٢٢) [استعومات ^(٧)] « إن الكاتب « پوحم » يسر مولاه « محو » كاتب مصنع الفرعون فى حياة وفلاح وصحة . قد حرّر هذا ليعلم مولاي . وشيء آخر ليُسّر مولاي :

(١) Pap. Bologna. 1094. 5. 8. ff.

(٢) أى الملك (٣) أحد الضباط

(٤) الوزير سيكون فى طيبة

(٥) لا يمكن أن أدفع الضريبة بنسبة عدد الأفراد الذين يفتلون عندى فهم يؤدون عملا فى أملاك الحكومة التى — لسوء حظى — يجب على أن أديرها .

(٦) ولأنه لأمر خارج عن طائفتى بسبب ظروف الشخصية أن أجبر على ملاحظتها كلها .

(٧) Pap. Bologna. 1094. 4. 10 ff

لقد أرسل الوزير ثلاثة أولاد قائلاً: « نصبهم كهنة في معبد » « مرنبتاح » في بيت « بتاح » (ولكن) الملك قد وضع يده عليهم وأخذهم وقال: « إنهم سيكونون جنوداً » . فأرجو أن تسرع وتمرنهم وتكتب لي عن حالهم . وكذلك انظر إذا كان التاجر قد عاد من سوريا .

وكذلك لا بد أن تمر على « منف » ، إن قلبي غير منشرح ولا يمكنني أن أكتب لك (في ذلك) . أرجو أن ترسل إلى الخادم « تنانا » وأكتب إلى عن حالك مع أي فرد يكون قادماً من عندك . مع السلامة ! »

(٢٣) [خطاب أسرى] ^(١) « إن الكاتب « أمنموسى » يسأل عن والده قائد فرقة الرديف « بكتبتاح » داعياً له بالحياة والفلاح والصحة وأن يكون في حظوة « آمون رع » ملك الآلهة . أقول و (أتضرع) إلى « رع حار اختي » وإلى « آتوم » وإلى « التاسوع » متمنياً أن تكون في صحة يومياً .

وبعد أرجو أن تكتب لي عن صحتك مع أي إنسان يكون قادماً إلى هنا من عندك لأنى أرغب في أن أسمع أخبارك كل يوم . وأنت لا تكتب إلى لا خيراً ولا شراً ، ولا أحد ممن ترسل يربى ليخبرني كيف حالك . أرجو أن تكتب لي عن حالك وعن حال خدمك من جهة أشغالهم لأنى في غاية الشوق إليهم .

وبعد : لقد أحضرت لك خمسين رغيفاً كيلستس طيبة فقط ، لأن الحال ردى منها ثلاثين قائلاً : « إنى مثقل أكثر مما يجب » ولم ينتظرني لأحضر له خضراً من الخزن (؟) . على أنه لم يخبرني في أى مساء سيحضر إلى . وإنى مرسل لك طبقيين من الدهن للدهان . مع السلامة ! »

وهنا تهنئة بمنصب رفيع وإظهار لشعور الكاتب نحو صديقه ، ودعوات للفرق بالتوفيق الدائم ، ويختم المهني رسالته برغبته في أن يقف على حال الصديق وحال أسرته ، ويطمئنه على نفسه وعلى ضياع الملك :

(٢٢) [نهاية] ^(٢) « من قائد الرديف وملاحظ البلاد الأجنبية « بنامون » إلى قائد الرديف « بحرى بيد » في حياة وملاح وصحة ، وفي حظوة « آمون رع » ملك الآلهة ، وحضرة الملك « سبتى الحسانى » ^(٣) ! إنى أقول (إنى أدعو) « رع — حار اختي » :

Pap. Anast asi V. 20. ff. (١)

(٢) Pap. Anastasi V. 11. 7. ff. راجع

(٣) سبتى الثانى الذى خلف مرنبتاح « على عرش مصر »

احفظ الفرعون سيدنا الطيب في صحة . وأتمنى أن يحتفل بآلاف آلاف الأعياد ، وأنت^(١) في حظوته كل يوم .

وبعد ، فقد سمعت بما كتبت وقلت فيه . إن الفرعون ربى الطيب قد أظهر ميوله الطيبة نحوى . فقد عيننى ضابطاً أولاً لرديف البئر^(٢) هكذا قد كتبت لى .

لأنه لتمطط طيب من « رع » أن تكون الآن محل والدك . « مرحا » ؟ أرجو لك مثل ذلك مرة ثانية ؟

ولما وصلنى الخطاب فرحت جد الفرح . أتمنى أن « رع — حاراختى » يمنحك حياة طويلة وأنت تملأ مركز والدك ! ، وأتمنى أن يعطف عليك فرعون مرة أخرى ! وأتمنى أن تصبح أكثر قوة وتكتب لى عن حالك وعن حال والدك مع أحد رجال البريد الذين يأتون إلى هنا من عندك . وبعد : فإن أحوالى تسير على ما يرام ، وكذا أحوال ضياع الملك^(٣) . لا تشغل نفسك من جهتي . مع السلامة .

وهنا توبيخ لموظف كبير تجاوز حدود عمله ، وتصرف على غير ما بهوى أميره فقرعه وأوعده شرا مستطيرا ، وأضاف ذنباً آخر إلى ذنبه الأول هو إهماله فى الاستعداد للزيارة الملكية لعين شمس ، وينكر عليه تقصيره ، ويأمره بإصلاح ما أفسد .

(٢٣) [تفريع مرفف كبير] ^(٤) « إن هذا الأمر الملكى أحضر إليك .

مأعلاقك « بتكتن » التابع لإقليم الواحة حتى ترسل كاتبك هذا ليفصلهم من جنودهم (تياو^(٥)) ؟ والآن إذا . . . « رع » و « بتاح » لم يسمحا لنا أن نصفى لأى شىء من هذه الإشاعات التى يسمعها الإنسان . وبعد ذلك يكتب هذا الأمير قائلاً :

« يجب عليك أن تمحضر إلى هنا « التكتن » الذى يمكنه أن « يتجسس » فإلى أين تولى وجهك ؟ وإلى بيت من ستذهب ؟ فهو ينصب فوق رأسك مثل تل من الرمل ، ثم تساق وتوضع هناك . . . ذلك إلى جانب غلطتك الأخرى الشنعاء التى ارتكبتها : بأن

(١) هو الشخص المرسل إليك

(٢) إحدى المحطات المحصنة المجهزة ببئر على الطريق إلى فلسطين

(٣) وهى الأرض التى يديرها الكاتب

(٤) Pap. Anastasi IV. 10. 8 & ibid V

(٥) التكف وتيا وهم متوحشون من جنسين وقد كانوا يوصون فى الصحراء الغربية بنبأية حراس

جعلت فرعون يأتى لينذهب إلى عين شمس دون أن تستحضر آلات للمصنع استعدادا وراء سيدك ألم تعين فى مكان ملاحظين آخرين لبيت المال قد تنحوا عن سحب (أخذ) جندى تكثن من « نياو » (أى من فرقته) ، وأنت تفعل هذا فقط ؟

وعندما يصلك قرار فرعون عليك أن تكتب خطابا إلى كاتيك الذى قد أرسلته إلى أرض الواحات قائلا : احذر ! : تخل عن أخذ جندى من « التكثن » ، وإلا عد ذلك جريمة منك تعاقب عليها « بالموت » ويجب عليك أن تعطى خطابك تابعا من أتباعك وترسله مع بريد^(١) بكل سرعة .

(٢٤) [السامرة فى مله منزل]^(٢) هذا خطاب خاص لضابط أجبر على إقامة مبانٍ على الحدود بدلا من الذهاب إلى فلسطين . غير أنه لم يكن فى مقدوره أن يأتى بأى عمل ، بل كان فى مقدوره أن يعطى معلومات عن الكلاب والحمل فقط ، وكل عبارة الخطاب بالطبع تهكمية .

« إني أقيم فى كنفكتاوى^(٣) ، وليس لدى عدة . وليس هناك أناس لصنع اللبن ، وليس فى البقعة تب^(٤) .

أين هم الذين يحضرون إلى ؟ . . . أليس هناك حمير ؟ . إنها سرقت . إني أمضى اليوم متأملا ما فى السماء كأنى أسطاد طيور . وعينى تنظر خلصة إلى الطريق لأذهب إلى فلسطين . وإني أمضى الليل تحت أشجار لا تحمل فاكهة (؟) للأكل .
أين بلحها ؟ ليس فيها بلح (؟) لأنها لا تحمل .

والخملة موجودة هناك وقت السحر ، والخملة « زوت » عند الظهيرة . . .

وهى تمتص كل شريان

وإني أسير مثل العظام المتحركة ، وأخترق الأراضى على قدمي^(٥)

وإذا فتح إنسان زجاجة ملأى بجمعة (كدى) وهجم الناس على . . . القدح فى

(١) ساعى البريد الذى كان يقوم بتبادل الرسائل مع الواحات

(٢) Pap Anastasi IV. 12. 5. & Pap Anastasi V.

(٣) مكان مجهول والاسم معناه « جلد مصر » ويحتمل أن ذلك من باب التنكيث

(٤) وهو لازم لصناعة الطوب

(٥) أى يشكو عدم وجود حمار ليركبه

الخارج^(١) ويوجد هنا مائتا كلب كبير ، وثلاثمائة كلب من نسل الذئب ومجموعها خمسمائة^(٢) ، وهي تقف كل يوم على باب البيت مستعدة في أى وقت أخرج فيه لأنها تمت السبر^(٣) عندما فُتح الإناء . ومع ذلك (؟) أليس عندي في البيت (الكلب الصغير) المستدب ملك « تهرهو » كاتب الملك (؟) فهو يخلصني منها . وفي أى وقت أخرج فيه فإنه يكون معي دليلا في الطريق ، فبمجرد ما ينبج أمرع إلى إغلاق الباب^(٤) .

و « أشب » اسم كلب مستدب ، أحمر ، طويل الذنب .

فيذهب ليلا إلى حظائر الماشية ويتدى بأكبرها^(٥) أولا لأنه لا يُميز حينما يكون مفترسا . والله^(٦) ينجي من يشاء من هذه النار التي هنا والتي لا ترحم^(٧) (؟)

وزيادة على ذلك ... فإن معي هنا كاتبا وكل شريان من شرايين وجهه ... المرض قد استفحل في عينيهِ والدود يعمث في سنه . وإني لا يمكنني أن أتركه بأثسا وفرقتي سائرة إلى الأمام . لذلك دعه يُعطَ طعامه هنا حتى يمكنه أن يستريح في جهة « كنكنتاوى » .

وفي الرسالة الآتية تصوير شعري لشوق الكاتب إلى « منف » :

(٢٥) [الشوق الى منف]^(٧) « تأمل ! إن قلبي قد ذهب خلسة ، وإنه ليسرع إلى مكان يعرفه ، وإنه يسبح منحدرا مع التيار ليرى (منف) ... ولكني أجلس هنا منتظرا (رسولا) ليخبرني عن حال (منف) ، ولم تصلني أية رسالة ولذلك يخفق قلبي في مكانه . تعال إلى « بتاح » لتأخذني إلى (منف) ودعني أنظر إليك على عجل .

إني أمضى اليوم وقلبي في حلم (؟) وإن قلبي ليس في جسمي ، وكل أعضائي ... وعيني متعبة من النظر^(٨) وأذني لا ... وصوتي ... وحتى إنه يقول كل الأشياء معكوسة . كن رحيمًا بي واسمح لي أن أصمد^(٩) إليهم .

(١) هل المعنى أن الإنسان يكون مسرورا حتى إذا أمكنه أن يستحسن شربا كهذا في الخارج ؟

(٢) يقصد بذلك كلاب الشوارع

(٣) يستدل من كتابة الكلمة على أن هذا نوع من الشراب أو ما يشبهه

(٤) يحتمل أن يكون المعنى — هذا الكلب يمنعني من الخروج (٥) أى الماشية

(٦) والإله (هنا الملك) لئنه يجعلني أذهب من هذا المكان

(٧) Pap. Anastasi IV. 4. 11 ff. ومن الجائز أن هذا الخطاب إنشائي لا حقيقي

(٨) في انتظار رسول

نماذج خطابات إنشائية

(٢٦) [مدح في المدينة الجديدة المسماة بيت رعمسيس ^(١)] بيت رعمسيس هو اسم لحاضرة الفرعون « رعمسيس الثاني » التي أنشأها حديثا وتقع على أنقاض ، وقد كانت تعد مركزاً لامبراطورية تشمل فلسطين ومصر . ومن المحتمل أن الخطاب قد أُلِف على أساس قصيدة تشبه التي سنذكرها فيما بعد احتفالاً بقدوم الملك إلى هذه المدينة :

« إن الكاتب » بيبس « يرحب بسيدته الكاتب » أمنموني « ^(٢) في حياة وفلاح وصحة ! قد حُور هذا ليكون سيدى على علم به .

ترحيب ثان بسيدى : لقد وصلت إلى مدينة بيت رعمسيس — « محبوب آمون » ووجدتها غاية في الازدهار ، وهى عرش (؟) جميل منقطع النظير ، وهى على طراز طيبة وإن « رع » هو الذى أسسها بنفسه ، فهى المقام الذى تلذ فيه الحياة .

حقلها مملوء بكل ما طاب ، ولديها مؤن وذخيرة كل يوم ، بركها تزخر بالسّمك وبحيراتها بالطيور ، حقولها يانعة بالبقل وشواطئها عملة بالبلح ... ومخازنها مفعمة بالشعير والقمح ، وهى تناطح السماء فى ارتفاعها . وفيها الثوم والكراث للطعام وخس ال ... جنينة وفيها الرمان والتفاح والزيتون ، والتين من البساتين . وخمر كنسمة ^(٣) اللذيذة التى تفوق الشهد حلاوة . وفيها سمك « وز » الأحمر من قناة ... ، وسمك « بَن » من بحيرة « نهر » ، ... ^(٤) وسيهور ^(٥) تنتج الملح ويستخرج من بحيرة « هر » النثرون ، وسفنها تروح وتفسد إلى الميناء وفيها المؤن والذخيرة كل يوم ، وينشرح الإنسان بالمقام فيها ولا أحد يقول لها : « ليت كذا » ! والصغير فيها مثل العظيم ^(٦) . تعال ، ودعنا نحتفل بأعيادها السماوية ^(٧) وأوائل فصولها السنوية

(١) راجع Pap Anastasî III 1. 11 ff.; Pap. Rainer. & J. E A. V P. 185 & ibid Vol.

XI pp 293 ff

(٢) هو المدرس و« بيبس » هو التلميذ

(٣) كرم يذكر كثيرا ربما كان موضعه بجوار بيت رعمسيس

(٤) يأتى بعد ذلك خمسة أنواع من السمك من برك مختلفة وكلها ليست معروفة لدينا

(٥) رقعة الماء التى تكون حد مصر وقد ذكرت فى العهد القديم أيضا : فرع النيل البورى ومن

هنا يستخرج الملح

(٦) الرجن الوضيع هنا يهيش كالرجل العظيم فى مدن أخرى

(٧) الأعياد التى تحدد بحدوث فى السماء (الهلال وطلوع القمر الخ) تميزها لها من الأعياد

التقليدية مثل عيد رأس السنة وعيد أول يوم فى الشهر الخ

على أن مستنقعات « زوف » تنبت لها البردى و « سيهور » تمدّها بالبراع ، وغرائس العنب تأتى إليها من البساتين ، وتيجان الأزهار من السكروم . وتجلب إليها الطيور من الماء البارد ... والبحر فيه سمك حج وسمك أد والمستنقعات تهدي إليها وشباب « عظيمة الانتصارات »^(١) يلبسون حلل العيد كل يوم ، ورءوسهم (مضمخة) بزيت ذكى الرائحة فى الشعر الرجل حديثا . ويقفون بجوار أبوابهم وأيديهم مثقلة بالأزهار ؟ والنبات الأخضر من بيت « حتحور » وبالكثان من بحيرة « حر » ، فى اليوم الذى يدخل فيه رعمسيس ، فهو « منتو »^(٢) فى — كلتا الأرضين صبيحة عيد كيهك . وعندئذ يدلى كل إنسان وزميله كذلك بملتمسه ونسيم « عظيمة الانتصارات » حلو ، وشرابها « تبي »^(٣) مثل (الفاكهة) « شاو » وشرابها « خيو » طعمه كطعم الفاكهة « إنو »^(٤) فهو يفوق الشهد حلاوة . وجمة « كدى » (سيلسيا) (ترد) من الميناء والنيذ من السكروم .

والروائح العطرة يؤتى بها من مياه « سجين » وتيجان الأزهار من الـ ... جنيئة . أما مقنيات « عظيمة الانتصارات » ذات الصوت العذب فقد تعلمن الفناء فى « منف » اسكن (هناك) سعيدا وامش مرحا ولا تفادرها يا « وسرمارع » — المختار من « آمون » يا « منتو » — فى الأرضين . يا رعمسيس — محبوب « آمون » أنت أيها الإله ! وترى فى هذه الرسالة حاكما يستنهض همه تابعه فى أن يرسل إليه الجزية المفروضة وأن يزيد فيها بما يبرهن على حذقه وكفايته وإخلاصه فى عمله ولملكه ، ويحذره التقصير ، وغضب الفرعون .

(٢٧) [رسالة حاكم الى تابع]^(٥) إن حامل المروحة اليمنى للملك وضابط الرديف وملاحظ الأراضى الأجنبية الأثيوبية « باسر »^(٦) يخاطب حامى قومه^(٧) . هذا الخطاب قد أرسل اليك .

(١) اسم لبيت رعمسيس

(٢) إله الحرب

(٣) نوع من الشراب

(٤) نوع من الفاكهة

(٥) Pap. Koller 3. 3 ff. & Gardiner Hieratic Texts P. 40

(٦) أحد حكام أثيوبيا بهذا الاسم كان يعبد فى عهد « رعمسيس الثانى » وآخر فى عهد الملك « آى »

(٧) من المحتمل أنه حاكم نوبى صغير

وبعد : فعندما يصل إليك خطابي ، يجب عليك أن تدفع الضريبة^(١) مع كل ما يتعلق بها من ماشية ومن عجول وثيران ذات قرون قصيرة ومن غزلان وتيتل وأوعال ونعام . وإن قوارب حملها وسفن نقلها مستعدة في الحال (؟) وبحارتها وملاحوها مجهزون للسفر . وتدفع ما عليك من ذهب كثير قد صيغ أطباقا ، وذهب صاف بالكيال . وتبر حسن (؟) من الصحراء موضوع في حقيبة من الكتان الأحمر ، وكذلك تدفع ما عليك من العاج والأبنوس وريش النعام وثمر النبق مثل وخبز النبق وشكر كايا ومينخيس وبهلك وشسا^(٢) التي تشبه جلد الفهد . ومن الصمغ وحجر الدم وحجر اليشب الأحمر والجشت والبلور ومن قطع من « ميو » وقردة ونسانيس ... وعدد عظيم من قبيلة « أرمي »^(٣) يمشون أمام الجزية وبمصيهم إبرز مطعمة بالذهب ...^(٤) ورجال طوال القامة من « تيرك » في ... ملابس ، ومراوحهم ذهبية لابسين ريشا طويلا ، وأساورهم مشغولة بالنسيج (؟) وعبيد كثيرون من كل الأنواع

زد جزيتك كل عام ، وحاذر على رأسك ، وتخل عن الخول ... حافظ عليها والتفت وكن على حذر ! أذكر اليوم الذي تحضر فيه الجزية ، حينما تمر أمام الفرعون تحت النافذة^(٥) والمستشارون مصطفون على الجانبين أمام جلالتهم ، ورؤساء كل البلاد وسفراؤها يقفون هناك مظهرين دهشتهم وهم يشاهدون الجزية وأنت خائف ... ويدك تفيض ، ولا تعرف ما ينتظرك من الموت أو الحياة . ولديك القوة فقط لتدعو آلهتك : « نجوى » ، « هبوا إلى النجاح هذه المرة وحسب ! »

[استعراة لسباعة ملكية]^(٦) إن الكاتب « أمنموي » يقول إلى الكاتب « بيبس » هذه الرسالة أرسلت بك . أما بعد : اتخذ العدة لتقوم بكل الاستعدادات أمام فرعون ربك الطيب بنظام جميل ممتاز ، ولا تجلبن اللوم لنفسك . فانظر إليها والتفت وكن على حذر ولا تكن متراخيا .

(١) التي تدفع إلى الملك

(٢) من المحتمل أن تكون كلها أسماء فاكهة . ويلاحظ أن الكاتب يضع الكلمات الأجنبية مترجمة

(٣) قبيلة أجنبية

(٤) سلسلة كلمات همجية ربما تشير إلى حلى القوم

(٥) نافذة القصر العظمى التي يطل منها الملك في أوقات الاحتفالات

(٦) Pap Anastasi IV. 13. 8 ff.

قائمة بكل ما يجب أن تعدّه : استحضر ما يلزم لصنّاع السلات من قصب وقش ، وكذلك
أبجز صنع عشر سلات مفرطحة للأكوام ، ومائة سلة مستديرة للعرض ، وخمسة سلة
لمواد الأكل (١) ؟

قائمة بالأشياء التي تعمل لأجلها (السلات) : أنواع مختلفة مشتملة في النهاية على ألف
ومائتي رغيف أسبوي متنوعة ، ثم كعك في سلات وأقداح ، وعلى مائة سلة من اللحم
للقدد ، وعلى مائتين وخمسين حفنة من (الكرشة) ، وستين كيلا من اللبن ، وتسعين كيلا
من الزبد ، هذا إلى مائة كومة من الخضر ، وخمسين إوزة ، وسبعين كبشا ، وعناقيد من
العنب ورمان وتين وأزهار وتيجان ... الخ وخشب للوقود ونخم .

تأمل ! إلى أكتب إليك لأعلمك قواعد إعداد الموالي (٢) . وهي التي يجب أن تنفذها أمام
الفرعون سيدك الطيب . وبهذا لا تنقصك نصائح تحتاج إليها ، ولا تدعن نفسك في
حاجة للفهم ... ولا تدعن نفسك في حاجة للنشاط في الاستعداد . (ثم تأتي بعد ذلك
ملاحظة إضافية عن الشهد والكرات الخ)

وفي الرسالة الآتية قائمة بالمعدات التي يطيب لها قلب جلالة الفرعون ، وتلزمه في رحلته ،
وقد نسب كل نوع إلى الجهة التي تشتهر به :

(٢٩) [موسمرام للملك] (٣) اتخذ المدة لعمل الاستعدادات أمام فرعون سيدك
الطيب بنظام حسن ممتاز بالخبر والجمّة واللحم والفطير ... وكذلك بالبخور والزيوت المطر
(هذا يتلو سبعة أنواع مختلفة من الزيت تحمل أسماء أجنبية من محالك «أرسا» و«خاني»
و«سنجار» و«عامور» و«نخيس» و«النهرين») وكثير من زيوت الميناء لتدليك رجالاته
وخِيَّالته ، وبالثيران ، والثيران القصيرة القرون الجيدة الخضاء من القرب ، وبالمجول
السمينة من الجنوب ، وكثير من الطيور السمينة من مستنقعات القصب (يتلو ذلك اثنا عشر
نوعا من السمك ، مع ذكر أسماء الجهات التي نشأت فيها) ، ثم سمان سمين وحمام من فصل
الحصاد (٤) ، وزيادة على ذلك شهد وزيت للأكل ودهن أوز وزبد ولبن وعدس الخ الخ ، وأوان
ملأى بشراب «بور» للخدم (٥) وجعة من «كدي» ونبيد من سوريا وفول في كومات

(١) إعداد الموالي معروف لدينا من عهد «نختمس» الثالث إذا كان يعمل سنويا

(٢) Pap. Anastasi IV. 15. ibid III. 8. f. ff.

(٣) التي قد سميت في الحقول

(٤) أي أنه شراب من نوع رديء

وزجاجات (٩) وأقداح من فضة وذهب^(١) توضع مصفوفة تحت نافذة القصر وعبيد من أرض « كركي » وشبان ، الجماعة منهم تلو الأخرى ، ليكونوا ساقين لجلالته ، على أن يستحموا ويدلكوا ويكسوا ؟ ب . . . حيناً يعمرون تحت النافذة . والرجل الذى يكون بينهم يخصص للطبخ ويجهز جمعة « كدى » للقصر . . . وعبيد كنعانيون من سوريا ، وشبان حسان ، وسود خسان من أثيوبيا يخصصون لحمل المروحة ويجب أن يفتعلوا بنمالة بيضاء ويرتدوا (٩) ب . . . وأساورهم فى معاصمهم .

ثم يتلو ذلك كل أنواع الأثاث الذى يحتاج إليه الملك
أولاً : طيب من أرض « إمر » التى تصنع عصيها من خشب « مري » مطعمة بشغل أرض قليقيا (سليسيا) .

وثانياً : عربات جميلة من خشب « يري » التى تلمع أكثر من اللازورد ، (وقد عدد من أجزائها أحد عشر جزءاً ، وفى كل حالة تذكر السادة التى صنع منها هذا الجزء ، والقطر الذى يجلب منه) وزيادة على ذلك : أقواس وجعب السهام . . . وسيف وحرية ومدية وأسلحة حسنة لجلالته وأسواط جميلة من خشب « ساجا » وسيورها من التيل الأحمر : وعصى طويلة لجلالته مزينة بمقايضها بالذهب الخ الخ (كلها تحتوى على كلمات أجنبية وأسماء عدة بقدر المستطاع) .

وأكوام عدة من الدقيق ، وأكوام من دقيق القمح والفلو وتين سوريا والرمال والتفاح وأخيراً الفحم . . . وأرغفة كبيرة حسنة الصنع مخصصة لطعام الأمراء . . . وأرغفة أسبوعية متنوعة مصنوعة من القمح لأجل طعام الجنود موضوعة أكواماً تحت نافذة الجهة اليمنى وسبائك عدة من نحاس غفلة ، وأباريق من . . . ، والتى تحضرها أطفال « أرسا » (قبرص) على رقابهم هدايا لجلالته ، والقرون التى يسكونها فى أيديهم ملأى بزيت . . . وجياد جميلة ربيت فى « سنجار » وعجول من أحسن نوع من أرض « خاني » وأبقار من « أرسا » (قبرص) قد أحضرها أمراؤها الذين يقفون فى المناء تحت النافذة . . .

وتصف لنا هذه الرسالة عربية الحرب ، وما يجب أن يعد لها ويلزمها من الأدوات ويلزم راكبيها من الطعام والمرافق .

(٣٠) [اعمراء عربية حرب]^(٢) وبعد . التفت تماماً لتعد زوج الخيل للذهاب إلى سوريا

(١) يظن أن وثيقة أخرى تبتدىء هنا وتصف تقديم الجزية

(٢) Pap. Koller I. 1 ff. & Gardiner Hieratic Texts P. 36.

ومعهم رجال اصطبلهما وسائسهما ، وكسوتهما تكون . . . ، وأن يشبعا^(١) بالملف والتبن وأن يحسحا مرتين تماما . وحقائبهم (أى الرجال) ملأى بخبز « كلستس » ، وكل حمار مفرد يحمل المؤن بين رجلين^(٢) . أما العربات فإنها من خشب « برى » ومفعمة بالأسلحة ، وعلى أن يكون فى جعبة السهام ثمانون سهما . ويوجد . . . الحربة والسيف والمديعة . . . والسوط المصنوع من خشب « ساجا » فيكون مجهزا تماما بالسيور (؟) وكذلك عصي العربة وهراوة الحارس ، وحربة أرض « الخاقي » . . . أسنانها^(٣) من برز من سبيكة مركبة من ستة معادن منقوشة . . . ودروعهم موضوعة بجانبهم . والأقواس . . .

تهانٍ للمعلمين والرؤساء

(٣١) [الى المدرس]^(٤) . « لقد ربيتنى صغيرا حينما كنت معك ، وقد ضربت ظهري ولذلك دخل تعليمك أذنى . وإنى كالجواد الشارد ، فلا يأتى النوم نهارا إلى قلبى ، ولا يأخذنى ليلا لأنى أريد أن أكون مفيدا لسيدي كالخادم النافع لصاحبه .

وإنى أحب أن أقيم لك قصرا جديدا على أرض مدينتك مغروسا بالأشجار على كل جانب من جوانبه . والخطائر الداخلية تزرع بالماشية ومخازنه مفعمة بالشعير والقمح ، وتكون الثلة فيها و . . . الفول والعدس . . . الكتان والخضر . . . و « تفاح الحب »^(٥) الذى يكال بالسلات .

وقطيمك تضاعف ظهورها (عددها) وأبقارك للولادة ملقحة . وسأزرع لك خمسة أفدنة حديقة خضراء فى جنوى مدينتك مملوءة بالخيار و . . . كثير فى عدده كالرمال ، وسأجمل السفن تأتي لتنزلها على ظهورها ، وبذلك يمكنك أن تعرف ماذا تقدمه إلى « بتاح نفرحر » حتى ينجز لك رغبتك » .

وفى هذه الرسالة اعتراف بمنزلة المدرس وتقدير له يظهران من هذه الآمال التى يرجوها الكاتب له ، ويدعو الله أن يحققها بما يكفل للمدرس حياة طيبة سعيدة . وظهور هذه العاطفة

(١) زوج الحبل (٢)

(٢) أى أن الحصانين مصحوبان بصف من الحمير يحمل المؤن للذين كلفوا بحملتهما

(٣) الأسلحة

(٤) Pap. Anastasi IV. 8. 7 ff. V J. E. A. XI P. 293.

(٥) فاكهة يرد ذكرها كثيرا فى أشعار ذلك الوقت وترجمتها « تفاح الحب » أى الطهاطم (؟)

في مثل هذا العصر القديم يدل على ملاحظاتها من عقل سليم واعتداد بالثقافة :

(٣٢) [إلى المدرس]^(١) « ليت آمون يمنحك السرور في قلبك ، وليته يهبك عمراً طويلاً حسناً حتى تعيش عيشة سميحة ، وحتى تبلغ العلا ، وتكون شفتك في صحة ، وأعضائك نامية وعينك تبصر على بعد .

وترتدى التيل الجليل ، وتركب الجياد^(٢) (التي في العربية) ، ويبدك سوط ذهبي ، ويكون لك ... جديد ، والسرج من صنع سوريا . والمبيد تجرى أمامك ، وتنفذ كل ما تريد أن تفعله ، وتنزل في سفينتك المصنوعة من خشب الأرز والمجهزة بالمجاديف من المقدمة إلى المؤخرة ، وتصل إلى قصرك الجليل الذي قد بنيته لنفسك .

وفك مفعم بالنبيد والحمّة والخبز واللحم والفطير ، وتذبح الثيران ، وتفتح أواني الخمر ، وأمامك الفناء الحسن .

ورئيس المدلكين يدلكك ببطر (كى) ، ومدير بركك يحمل تيجان الأزهار ، ورئيس فلاحيك يحضر الطيور وسماكك يقدم السمك .

وسفينتك تأتي من سوريا محملة بكل ما طاب ، وحظيرتك ملأى بالمجول وقطيعك (؟) يتكاثر وتخلّد . أما عدوك فيفنى ، ويهلك كل من يسىء إليك بكلام ، وتدخل أمام تاسوع الآلهة ، وتخرج ظافراً^(٣) مُبرهاً » .

ولقد حظى الموظف أيضاً بشيء من التقدير يقارب إلى حد ما ما ورد في الرسالة السابقة عن المدرس .

(٣٣) [إلى الموظف]^(٤) « إنك تعيش وتفلح وتصح . إنك لست تمسا ولا تمنى أى بؤس . . . أنت تخلّد كالساعات^(٥) وتبقى نصيحتك مدى عمرك ، وكلامك ممتاز ، وعينك ترى كل جميل ، وأنت تسمع كل لذيق . . . أنت الراعى الذى وهبه الإله ، وتهتم بالكثيرين فتمد يدك للبائسين ، وترفع من هوى .

وإنك تخلّد . أما عدوك فقد فنى ، ولقد هلك من أساء إليك .

إنك تدخل أمام تاسوع الآلهة وتخرج مظفراً » .

Pap. Anastasi IV. 3 ff. (١)

(٢) تسوق عربتك (٣) بعد الموت

(٤) راجع Pap. Anastasi V. 14. 6 ff & Verst Pap. Anastasi ii

(٥) التى تكرر بدون انقطاع

والرسالة الآتية أمان يرجوها أصحابها للمدرس ودعوات له بالصحة والنضارة :
 (٣٤) [للمدرس] ^(١) سيدى الطيب . إنك ستبقى ، وسيكون لديك طعام كل يوم
 بجانبك ، وستكون فرحاً سعيداً كل يوم وممدوحاً مرات يخطبها العد .
 والفرح والسرور يضمن نفسيهما إليك وأعضائك تتم عن الصحة .
 وكل يوم تزداد شباباً ولا شيء مضر يتسلط عليك .
 وسيأتى عام فيه يذكر الإنسان جمالك ، ولن يوجد مثلك ، عيناك براقتان كل يوم ،
 وأذنانك مرهفتان (٢) ولديك سنين عدة جميلة . وشهورك (تمضيها) في فلاح ، وأيامك في
 حياة وساعاتك في صحة . إلهتك مرتاحة إليك مسرورة بكلماتك . أنت تقصى عنك القرب
 الجليل ^(٢) ، ولن تصبح مسنناً ، ولن تكون مريضاً وستعمر مائة سنة بعد العاشرة على
 الأرض . وأعضائك قوية كحال من بنى عليه مثلك ، عندما يكافئه إلهه .
 وبعد ذلك يملكك رب الآلهة وديعة عند أبواب الجبل الغربى ^(٣) . وتقدم لك طاقات الزهر
 فى أبى صير ^(٤) ، وماء بارد فى الجنة . وتخرج روحك (من القبر) لتجول حيث تشاء ^(٥) .

(١) راجع ٤. ٤. ٤. Pap. Anastasi III.

(٢) لما كان الغرب هو عالم الأموات فيقصد من ذلك : أنك تؤخر يوم الموت

(٣) عندما يرسل الإله الموت إليك أخيراً

(٤) بلغة « أوزير » المقدسة فى الدنيا

(٥) رغبة الميت كانت : أن يكون فى قدرته أن يخرج من قبره ويعود إليه كما يشاء

مساجلة أدبية

مقدمة

تمد هذه الوثيقة من أروع ما كتب في الأدب المصرى القديم في عهد الدولة الحديثة . وتدل الشواهد على أنها كتبت في النصف الأول من الأسرة التاسعة عشرة . فقد وجدنا أن رعمسيس الثانى قد ذكر فيها عدة مرات . وقد عثر على عدة « استراكا » وقطع من البردى كتب عليها أجزاء من هذه المناقشة . وتاريخها كلها لا يتخطى منتصف الأسرة العشرين . على أن مجرد الاقتباس منها في هذا العصر لدليل ناطق على انتشارها في مدارس عهد الرعامسة .

ومن يقرأ تاريخ الأدب في هذا العصر يسهل عليه أن يعرف السبب في شيوعها . فنلاحظ أولاً أن الموضوع الذى تدور حوله المناقشة هو حرفة الكاتب ، وهو الهدف الذى كان يرمى إليه بخاصة كل تلميذ في عصر الرعامسة ، إذ كانت تمد أعظم المهن وأشرفها ، فالمناقشة التى نحن بصدها الآن تمد من جهة نوعاً من الكتابات التى كانت تفيض بها كتب هذا العصر لحث التلميذ على الجد في الوصول إلى حرفة الكاتب ، ومن جهة أخرى تمد نموذجاً للأسلوب الحسن ولتعليم الإملاء ، لما ظهر فيها من غزارة المادة وتنوع المفردات . يضاف إلى ذلك أن استعمال الألفاظ الأجنبية بكثرة والتفاخر بالعلم واستعراض أسماء البلاد الأجنبية غير المألوفة أحياناً يتفق مع ما نعرفه عن ميول هذا العصر الأدبية . وأخيراً نرى التهمك اللاذع منقشاً في نواحي هذه الوثيقة ، ويرجع منشؤه إلى حب الأجوبة المسكتة عند المصرى وميله إلى التهمك ، ونرى ذلك واضحاً في المحاورات القصيرة التى نجدها مدونة فوق المناظر المصورة على جدران المقابر وفي الصور الملونة والنحت وفي الصور الهزلية التى بقيت لنا من رسومهم وكذلك الشأن في أدبهم^(١) . غير أننا لم نجد في كل هذه المصادر ما يشفي الغلة في باب التهمك والنكت مثلاً بدا في وثيقتنا هذه .

ولكن مما يؤسف له أن الوثيقة في صورتها التى وصلت بها إلينا لا يمكن ترجمتها ترجمة

(1) Pap. Bibl. Nat. 198, 2 Spiegelberg Correspondences du Temps des Rois pretres p 68—74

مرضية إلى أية لغة حديثة ، حتى ولو كنا أكثر تمكنا من مفرداتها مما وصلنا إليه الآن .
والوثيقة كما هي غامضة في كثير من جملها ، وذلك لجهلنا لكثير من مرادفات الكلمات الحقيقية .
وقد زاد الطين بلة تعدد الفجوات التي في الورقة والأغلاط التي في المتن نفسه .

ولكن على الرغم من كل هذا سيجد القارىء الشرقى في هذه المناقشة لذة لا يشعر بها
القارىء الغربى الذى لا يمكنه أن يتذوق تماما ما فيها من النكات والمداعبات ، فضلا عن أنها
تمرض أمامنا سلسلة صور هامة عن العالم المتمدين في هذا العصر وبخاصة في موضوع الرحلة
في فلسطين ، وإن بولغ في تصويرها ووصفها .

وقبل سرد ملخص هذه الوثيقة يجب أن نعرف هنا أن مؤلفها يدعى « حورى » وأن
خصمه يدعى « أمنموبى » وقد اتفقت جميع النسخ التي وقعت تحت أيدينا على هذه التسمية .

ملخص المناقشة :

كان الكاتب « حورى » من حملة الأقلام ، وكان موظفا في الإسطبلات الملكية ،
وقد كتب لصديقه « أمنموبى » كتابا تخنى له فيه الفلاح والحياة السميدة في الدنيا والآخرة .
وقد رد عليه « أمنموبى » مظهرا أسفه لمهبط مستوى كتابته صديقه ، مع عجز « أمنموبى »
عن الانفراد بالرد عليه ، واستماتته بكثير من المساعدين .

وعندئذ قام « حورى » بذوره بصلى مساجله « أمنموبى » قوارص الكلام ولاذع
التهكم ، مصرحا بمجزه صرة ، ومكنيا أخرى ، متتبعا ما عاجله « أمنموبى » من الأمور ،
ومظهرا ما فيه من النقص . ولم يكن « أمنموبى » بالكاتب المتحفظ الذى يلتزم أدب التراسل
والمساجلة ، فإنه حذف السلام العاذى من صدر رسالته ، وعبر عن احتقاره لقدرة « حورى »
وتمكنه من مادته ، فإما كان من هذا الأخير إلا أن تهكم عليه ما وسعه التهكم ، وسرد أمثلة
عدة لأناس وصلوا إلى أعلى المراتب مع ما فيهم من نقص عقلى وجسمى ، وفى ذلك تعريض
« بأمنموبى » الذى وصل إلى مرتبة سامية على غير كفاية رزقها . واندفع « حورى » يرد
هجمات « أمنموبى » بقسوة لا ذعة وطلب أن يحكم بينهما الإله « أنوريس » ، وتابع تحديه
لزميله بأن ينفرد بحل مسألة حسابية تتناول بناء مطلع ، أو نقل مسلة ، أو إقامة تمثال ضخم
أو غزوة لبلد أجنبى وما تتطلبه من المؤن والذخائر .

وعندئذ ادعى « أمنموبى » أنه يحمل لقب « ماهر » فالتخذ « حورى » من هذا الادعاء
مادة لإثبات عجز منافسه وجهله ، فسرد على « أمنموبى » عددا عظيما من بلدان شمال سوريا

التي يجعلها ، وصور له التابع التي سيتعرض لها في حياته بعمله هذا اللقب ، ثم سأله ساخرا من ضالة معارفه عن بلاد فينيقية ، والبلاد التي إلى الجنوب منها ، وبلاد أخرى كان يختلف (الماهر) إليها ، ثم تصور « أمنيوني » في صورة خيالية يقاسى فيها تجارب الحياة التي يسببها له هذا اللقب ، فيتعرض لاختراق أقاليم جبلية ، ولخاطر الحيوان المفترس ، ولتحطيم عربته ثم وصوله إلى يافا ، وإصلاح العربية وابتداء رحلة جديدة .

ولم يكتف بذلك « حورى » بل واصل استجواب صديقه عن أسماء الأماكن التي تقع على الطريق العام الموصل إلى غزة فيتضح جهله كذلك بها .

وإلى هنا قد وصل « حورى » إلى هدفه من إظهاره فوقه على مناظره ، وبأخذ في الإجهاز عليه بأن يقف منه موقف الناصح الخبير ، فيسأله ألا يفض ، ويطلب إليه أن يستمع في هدوء حتى يتعلم ، ويستطيع التحدث عن البلاد الأجنبية ، ويقص حوادث السياحة .

هذا ما حدث بين الأديبين ، ويؤسفنا أننا لم نصل أحيانا إلى الكنه الحقيقي لبعض الأساليب ، لأن لكل أمة في لغتها طريقها الخاصة في التعريض والتلويح والتلميح والرمز والإشارة ، وما إلى ذلك مما يكسب الكلمات معنى مجازيا قد يكون بينه وبين المعنى الحقيقي مناحل واسعة .

١ — (مناقشة أدبية^(١)) ورقة أنستاسى الأولى

[أثر القربة المتأثرة] . الكاتب ذو التفكير المختار الرزين في المناقشة (؟) والذي ينشرح الناس من ألفاظه عند سماعها ، المُتَفَقِّه في كلمات الله^(٢) ، وليس هناك شيء لا علم له به . وهو بطل في شجاعته وفي عمل « سشات »^(٣) ، وخادم رب « هرموبوليس » (الآشورين) في مدرسة كتابته ، وأستاذ المدرسين المساعدين في دار الكتب . وأشهر زملائه والمتفوق على قرنائه ، وأمير معاصريه ، والمتقطع القرن . وهو الذى يظهر فضله في كل الصبية^(٤) ؟ نشيط اليد ، وأصابه يحمل الطفل عظما ، وهو نبيل حاد الذكاء حاذق

(١) محفوظة بأكملها في ورقة « أنستاسى » في لندن وقطعة في ورقة توريو وقطع متفرقة على ثمان قطع من الخرف . وأول من بحث في موضوعها هو شاباس سنة ١٨٦٦ وقد عرف موضوعها أرمن سنة ١٨٨٥ ثم كتب عنها الأستاذ « جاردنر » كما سيأتى بعد .

(٢) الكتابة والكتب المقدسة

(٣) إلهة الكتابة

(٤) لصله

في العلم ، وهو بذلك محدود ، وحامى نفسه بصفاته الحسنة . محبوب من قلوب الناس دون أن يقاوم (١) ويرغب الناس في مصاحبته دون سامة . سريع في كتابة الصحف البيضاء . ممتلئ شبابا ، فائق الرقة حلو الرشاقة ، وهو القى يشرح القطع الصعبة كأنه هو الذى ألفها (٢) وكل ما يخرج من فمه مقموس في الشهد ، وبه تشفى القلوب كأنه دواء . وهو سائس جلالاته (٣) الذى يصحب الملك ويسوس أمهار الملك ؛ ومرب غيور للاصطبل (٤) ، والمسئ الذى يعمل مثله يشغل ومن يحمل الثير ، . . « حورى » بن « ونفر » من المارية المدفونة إقليم الصالحين (٥) ، والذى ولده أمة « توزرع » في مقاطعة « بارست » (٦) معنى « باست » في حقل الإله (٧) .

(٢) [برسل نحيات لصاحب القاب أمنوى] إنه يسأل عن صحة صاحبه ، وأخيه الممتاز ، والكاتب الملكى قائد الجيش الظفر ، وصاحب الذوق السليم ، والخلق العظيم ، والحكيم الفهم ، المنقطع النظير في الكتابة ، والعزیز عند الناس أجمعين . وإن رشاقة جماله لمن ينظر إليه كجمال نبات البردى في قلب الأجانب (٧) ، وهو كاتب في كل معنى ، فهو لا يفوته عرفان شيء . والناس تبحث عن أجوبته لسدادها ، نبيه رحيم القلب ، محب للناس ، ويسر للعمل الحق ويؤتى ظهره للصف . كاتب الجياد (٨) . . . « أمنوى » بن مدير البيت « موسى » المرحوم (٩) .

(٣) [مقدمة الخطاب] (٩) « أتمنى أن تحيا وتفلح وتكون في صحة جيدة يأخى العزيز ، وأن تكون مثرى متين الحال مدركا كل ما تتمناه (؟) . وأن يكون عندك ما يحتاج

(١) في الكتب جل غامضة ، وقد أبدى الكتاب في كل مكان رغبتهم في فهمها كما التمسوا هذه الرغبة عند إلههم « تحوت »

(٢) هذه وظيفته الفعلية وهو يعطى تعليمه كهوية . ولما كانت المهارى في ذلك الوقت أثمن مقتنيات الملك لم تكن وظيفة حورى وضعية بالرغم من أنه لم يكن بالتأكد من أسرة رفيعة

(٣) عامل مجد

(٤) مدينة « أوزير » إله الموت

(٥) بلدة في الدلتا وهي بليس الحالية

(٦) إقليم تل بسطة

(٧) يظهر إليهم هذا النبات المصرى العادى شيئا غريبا

(٨) ومن هنا نعلم أن والده قد توفى .

(٩) هذه الفقرة مقصود أن تكون جملها مبالغا فيها

إليه طول الحياة من ذخيرة ومثونة ؛ وأن يجتمع السرور والفرح في طريقك . . . ليتك ترى أشعة الشمس وتغمس نفسك فيها ، ليتك تُعْطَى مدة حياتك ... وألهتكَ مرثاة إليك وليست غضبي . ليتك تتسلم مكافآت بعد عمر طويل وجبك في قلوب أهل العدل^(١) ليتك تدخل قبرك في الجبانة وتختلط بالأرواح الصالحة ؛ ليتك تحاكم بينهم وتبرأ ساحتك في « بوسير » أمام « ونفر »^(٢) ، وتسكن في العرابة بجوار « شو أوتوريس »^(٣) ليتك تعبّر « بكر »^(٤) في ركاب الإله . ليتك تحترق إقليم الإله (؟) في ركاب « سوكاريس »^(٥) ليتك تنضم إلى نواتي القارب « نشمت » من غير أن تمنع . ليتك ترى الشمس في السماء حينما تفصل العام^(٦) .

ليت « أنويس » يضل رأسك بمظامك^(٧) . ليتك تخرج من المسكان الخفي دون أن تتلف . ليتك ترى نور الشمس في العالم السفلي حينما تمر بك^(٨) . ليت بحرا عظيما يفيض في بيتك^(٩) ليقيم طريقك ، وليته يملو بارتفاع سبعة أذرع بجوار قبرك . ليتك تقعد على شاطئ النهر في ساعة راحتك تفصل وجهك ويدك . ليتك تتسلم القربان ، وليت أنفك يستنشق النسيم . ليتك تريح حنجرتك ... ليت إله الفلال يطعك خبزا « وحتحور » جمعة ، ليتك ترضع ندى البقرة « سخايت » وليت أحسن المطور (؟) تفتح لك (؟) . . . ليت تماثلك المجاوب^(١٠) يساعدك ويحمل رملا من التل الشرق إلى التل الغربى . ليت جيزتك^(١١) تبلل حنجرتك دون أن تتلف ، وليتك تصد أعداءك ، وليتك تكون قويا على الأرض ، وليتك تكون مشرقا ، وليتك تحول نفسك إلى أى شيء تريد مثل

(١) كل التنبأت التالية تشير إلى الحياة بعد الموت

(٢) اسم لأوزوريس

(٣) أوتوريس اسم للإله « شو » وبهذا الاسم كان يعبد في العرابة المدفونة

(٤) مكان في العرابة لعب دورا في احتفالات أوزير

(٥) إله الموتى في منف

(٦) في يوم رأس السنة

(٧) كما فعل لأوزير

(٨) تفرح الأموات حينما تمر بهم الشمس أثناء الليل في العالم السفلي

(٩) يحتمل أن يكون المعنى : ليتك لا تحتاج إلى ماء في قبرك

(١٠) وهي التماثيل الصغيرة المفروشة فيها أن تقوم بالعمل (الزراعة) في الآخرة بدل الميت . وقد ذكر هنا لهذه المناسبة « نقل الرمل » ولو أننا لا نعرف ماذا يقصد به . وربما يقصد به حفظ جسم الميت من التلف .

(١١) هي الشجرة التي منها تخرج الآلهة لتعطى الميت الطعام والشراب ولذلك حرم قطعها في أيامنا هذه

« الفنكس » ، وإلى كل شكل يماثل صورة الإله .

(٤) [كيف تسلم الخطاب] . وبعد تسلمت خطابك في ساعة فراغ (؟) وأخذت رسالتك ، وأنا قاعد بجوار الجواد الذى فى عهدتى ، وكنت سعيدا وممتلئا فرحا وعلى استعداد للإجابة . ولما دخلت حظيرتى لأخص^(١) رسالتك وجدتها خالية من المدح والذم ، وعباراتك مضطربة ، وكل كلماتك مقلوقة ، ولا روابط بينها . وكل تخيلاتك وتخلط الفث بالسمين ، والحسن بـ وكلماتك ليست (؟) بالعذبة ولا بالرة فهى نبيذ مخلوط بشراب عفن « بور »^(٢) .

(٥) [لم تكتب خطابك بمفردك]^(٣) . أكتب إليك لأساعدك كما يساعد الصديق المتعلم الأكبر منه ليصبح كاتباً نابهاً . وعندما تكتب سأجيب على كتابتك : تأمل فإن كلماتك ليست إلا كلاما بارداً وإنك تعمل مثل إني لم أقف مرتاعاً منك ، لأنى أعرف طبيعتك . وقد خيّل إلى أنك ستجيب عليه بنفسك فى حين أن حمائك (مساعديك) يقفون وراءك ، إنك تحصل لنفسك على عدة . . . بمثابة مساعدين كأنك تتطلب الحكم لعقد جلسة (؟) ، وكأنى بك ونظراتك مضطربة عندما تقف هناك متملقا المساعدين (؟) قائلا : تعالوا معى ومدوا إلى يد المساعدة ، وتقدم إليهم الهدايا كل على حدة ، ويقولون لك : « تشجع سنتقلب عليه^(٤) » ، وأنك تقف هناك مضطربا و . . . ويقعد سبعة الكتاب يفكرون ، وإنك تسرع معهم . . . وتكلف^(٥) كل واحد (من سبعة الكتاب) بفقرتين (من الإجابة) حتى تتمكن من إتمام رسالتك المؤلفة من أربع عشرة فقرة (فواحد ؟) يؤلف مدائح ، واثنان يهجون ، وآخر يقف ويلهم القواعد ، والخامس يقول : لا تسرعوا (؟) تأنوا (؟) واجعلوه نموذجاً ، والسادس يسرع ليقبس التربة بالذراع لأجل أن تحفر ليجعلها تسلم ، والسابع يقف عن كسب يتسلم أرزاق الجند و . . . أرزاق^(٦) إن أوامرك مرتبكة ، ولم يعبر عنها بطريقة صحيحة (؟) وإن (خروف)^(٧) يلعب دور الرجل الأصم

(١) لأقرأ رسالتك (٢) شراب ردى ،

(٣) على حسب المعنى يجب أن تبدأ هنا فقرة جديدة

(٤) ولهذا قد طالت هذه المناظرة وقتاً

(٥) راجع Melanges Maspero I P. 330.

(٦) ليسلها لهورى

(٧) من المحتمل أنه رئيس مخزن العلال ، فهو لا يسلم العلة نظراً لتلك التعليقات التى لا تنم عن صراحة . ونحن بدورنا نعرف رئيس مخازن العلال الذى يحمل هذا الاسم وعلى أكثر تقدير يكون جداً للشخص الذى نتكلم عنه الآن

فلا يسمع شيئاً ، ثم يحلف « يتتاح » عينا قائلاً : إني لا أسمع للختم أن يوضع على مخزن الغلال^(١) ويخرج غضبان . فكم (جالونا ؟) تنقصك وكم (هن) ناقصة من كل كيل^(٢) انظر ! إنك كاتب تصدر الأوامر إلى الجيش ، والناس يصفون لما تقوله ، ولست محقراً . وإنك كاتب ماهر وليس هناك شيء لا تعرفه ، ومع ذلك فإن رسالتك موضوعة وضماً رديئاً فوق ما يتصور لتجعل الإنسان يصنى إليها . . .

خاتمة الفقرة غير مفهومة ؛ فنجد « أمنوبى » يتكلم عن شيء ما : يوضع على أصابع كورقة البردى على رقبة رجل مريض^(٣) . . . فلا تصير متعبة وتربط بخيط خاتمي^(٤) (٦) [جرابى سيكونه أمسى به رسالتك] . إني أجيبك كذلك برسالة جديدة من أولها (٩) الخ (٩) وهى ملأى بتعابير من شفتى قد صفتها بنفسى منفرداً ، ولم يكن أحد آخر منى . أقسم بروح (كا) (إلهى ؟) تحوت ، أنى ألفتها بنفسى دون أن أطلب أى كاتب^(٥) ليساعدنى .

وإني سأعطيك أكثر (أكتب خطاباً أطول) فى عشرين فقرة وأكرر لك ماقلت (واضماً) كل فقرة فى مكانها من الأربع عشرة فقرة (المؤلف منها) خطابك^(٥) . أقبض على القرطاس لأخبرك بأشياء عدة ، ولأفيض عليك كلمات مختارة كأنها نيل^(٦) وصل إلى أقصى فيضانه ، مياهه مضطربة اللمان فى فصل الفيضان ، حينما يفر كل الحقول (٩) إن كل كلماتى عذبة حلوة . . . وإني لن أفعل فعلك ، لأنك تبتدىء بذى فى أول فقرة ، وفى فاتحة رسالتك لم تسأل عن صحتى . وكل ما تقوله^(٧) بعيد عنى ولا يؤثر فى ، لأن إلهى « تحوت » و « رع » لى ، وإني أقسم بقوة « بتاح » رب الصدق . . . انظر ! إن

(١) من الجائز أن ملاحظ الغلال كان يحتم المخزن بعد كل عملية تسليم فإذا تركه دون ختم اعتبر ذلك دليلاً على ارتباك الأمور

(٢) تيمية

(٣) الأختام قديماً كانت تعلق بخيط حول العنق

(٤) أى كما فعلت أنت

(٥) المقصود من ذلك أن حورى عارم على كتابة عشرين فقرة ١٤ منها ستكون خاصة بالفقرات التى تتألف منها رسالة « أمنوبى » وفى الحقيقة أن الخمس أو الست فقرات التى تعتبر كقدمة قد أتت بأربع عشرة فقرة أخرى ، وهذه تحتوى كل المناقشة الحقيقية

(٦) من البلاغة

(٧) قد تكون إهانة « أمنوبى » فى خطابه وخاصة كما يظهر فيها بلى — عند ما أظهر رغبته فى أن يبقى بدون لحية

ماقلته ربّما لا يحدث ، وإن كل ما خرج من فيك قد ينقلب على عدو آخر ! ومع ذلك سأدفن في العرابية المدفونة في مقر والدي (لأنّ) ابن رجل مستقيم في مدينة رب الحق (؟) وسأدفن بين عشيرتي في تل «تاجسر» (الجبانة) .

في أى شيء كنت قد أسأت إليك في قلبي حتى تهاجمني كذلك ؟ ولن ذكرك بشر ؟ لقد كتبت إليك كتابا يشبه المداعبة اللذيذة التي تسلي كل إنسان^(١)

(٧) [الرجاء على هجو «أمنوي»] لقد قلت عني إنني مكسور الجناح^(٢) خائر القوى ، وقد حقرتني كاتباً وقلت .. «هو لا يعرف شيئاً !» هل أمضى وقتي بجانبك متملقاً وقائلاً : «كن حامياً لي إذا اضطهدني شخص آخر ؟» فبحكم الرب المظفر صاحب الاسم العظيم ، والذي ترتكز قوانينه على أساس متين مثل قوانين «تخوت» إني أنا نفسي نصير كل أقاربي^(٣) . . .

ولسكني أعرف عدة أناس تعوزهم القوة^(٤) ، مكسوري الجناح ومقطعين إرباً لإرباً ، ومع ذلك فإنهم أغنياء ، في بيوتهم الطعام والمؤن ، ولا يقولون عن أى شيء «آه : إذا كنت أملك ؟» تعال . دعني أحدثك عن حال الكاتب «روى» الذي يدعى «محورنار» صاحب مخزن الفلال ، فهو لا يتحرك ولم يجز منذ ولادته ، وهو يمقت عمل الرجل النشط ولا يعرفه ، وإنه قد ذهب فعلاً إلى الغرب^(٥) ، رغم أن أعضائه كانت لا تزال في صحة ؛ وهو لا يخاف الإله الطيب^(٦) .

وإنك لا أكثر تفصيلاً من «كسا» حاسب الماشية^(٧) ... أسرع فساخبك بشكله ... ولا شك في أنك قد سمعت عن اسم «آمون — واح — سو» وهو أحد رجال الخزانة المسنين فهو يمضي حياته مراقباً في المصنع بجوار الحداد^(٨) .

(١) لن تؤول مداعبي البريئة بفأن خطابك تأويلاً جدياً !

(٢) كناية عن الضعف

(٣) فلست في حاجة إلى حمايتك

(٤) الخول الذي تصفى به موجود في آخرين والموظفون الحاملون الذين يتحدث عنهم سيكونون

من المؤكد أصدقاء معروفين لأمنوي

(٥) كاليت (٦) الملك

(٧) نعرف شخصاً بهذا الاسم كان المراقب على الماشية واسمه مكتوب على آنية للأحقاء موجودة

بمتحف برلين . ويحتمل أن يكون هو الشخص المقصود لأن اسم هذا الشخص نادر الوجود

(٨) ويعني بذلك أنه بدلا من القيام بواجباته كان يجلس دائماً ويتكلم في مصنع كأنه هو الموظف

الأكبر الذي بيده السلطة هناك

تعال كي أحدثك عن « ناخت » صاحب مخزن الحجر^(١) ، فإنه أحسن لك عشر مرات من هؤلاء . وإنى أحدثك عن ضابط الرديف الذي كان في « عين شمس » وقد أصبح الآن من كبار رجال القصر . فهو أصغر من قط تام النمو وأكبر من فرد^(٢) ! إنه مثر في بيته ... على حين أنك ستكون هنا في الحظيرة إلى الأبد... ؛ ولقد سمعت باسم « كسب » ... الذي يتحرك على الأرض دون أن يلتفت إليه ، وهو غير مرتب الملابس وموثق القباط (؟) وإذا نظرت إليه عند المساء في الظلمة فإنك تقول : « إنه طائر يمر » ضعه في كفة الميزان لتعرف وزنه ؛ فهو وزن نحو عشرين « دبسا »^(٣) وإذا نفخت بجواره حينما يمر سقط من حلق كأنه ورقة غصن .

وإذا حدثتكم عن « واح » صاحب حظيرة الماشية ، فإنك تمطين مقدار وزني ثلاث مرات من خالص النضار^(٤) . إنى أقسم بربي « هرمبوليس » و « بنحم أوابت »^(٥) أنك قوى الذراع وستغلب عليهم^(٦) . دعهم يفحصوا أولئك وهؤلاء حتى أضربهم بذراعي ولن يفلت من يدي أحد منهم .

يا سيدي الطيب ويا صديق الذي لا يعرف مايقول . انظرا إنى أحل لك مصاعبك الأليمة وأجعلها لذينة لك^(٧) .

(٨) [إنك تلعب دور الحكيم] لقد أتيت مزوداً بأسرار عظيمة . وتجبرني بمثل من أمثال « حردادف »^(٨) على أنك لا تعلم إذا كان حسناً أو رديئاً . فأخبرني ماهو الفصل الذي يسبقه (المثل) [وما الذي يأتي بعده] ... إنك رجل عالم على رأس إخوانه^(٩) وعلم الكتب^(٩) منقوش على قلبك ؛ ولسانك سميد (؟) وكلماتك واسعة والمثل يخرج من فيك وزن أكثر من ثلاثة « دين » أرتال . . . عيناى تفهران لما تفعل وأفقر فى عندما تقول : « إنى بوصفى

(١) يحتمل أن يكون السكير
(٢) من الجائز أنه يعنى « أكبر من الفرد عمرا » على أن موضع الفكاهة في هذا التعبير غير واضح .

(٣) ١٨٢٠ جراما

(٤) يقصد من ذلك معنى تهكميا

(٥) تحوت وزوجه وكانا يعبدان في الأشمونين

(٦) تهكم : لا شك أنك الآن ستهاجم بسبب وصف هذا

(٧) تؤدى إلى الفصل الآتى

(٨) ابن « خوفو » وقد ترك بعد وفاته كتابا في الحكم وقد اقتبس « أمنموي » . منه مثلا في

خطابه مع أنه من المحقق أنه لم يقرأ الكتاب البتة (٩) تهكم

كاتباً منغمساً في السماء وفي الأرض وفي العالم السفلي أعرف الجبال بالرطل والهن^(١) ، وإن بيت الكتب مخفي ولا يرى ، وتأسوع آلهته مخبأة وبعيدة عن . . .^(٢) وإني هكذا أجيبك : احذر ألا تقترب أسامبك من كلمات الله^(٣) وعن كل ما يأتي لا تفهم إلا : مثل يجلس ليلعب الترد .

(٩) [ليس صواباً أنه تمك في علمي] لقد قلت لي : « إنك لست بكاتب ، وإنك لست بجندي (؟) لقد كونت نفسك لتكون رئيساً . . . ولست في القاعة » والآن إنك كاتب الملك الذي يجند الجنود والذي أمامه . . . السماء^(٤) مفتوحة أمامك . أسرع حينئذ إلى مكان الكتب حتى يدعوك ترى الصندوق الذي فيه السجلات . وإذا أخذت معك طاقة أزهار إلى هرش^(٥) فإنه سيفتح لك بسرعة . . . وستجد اسمي في القاعة ضابطاً في الاسطبل العظيم « لرعمسيس » محبوب « آمون » . وعندك برهان آخر على رياستي في الاسطبل^(٦) فإن لي مرتب طعام مقيداً باسمي ، وعلى ذلك فإني خدمت جندياً وكاتباً وليس هناك شاب من جيلي يمكنه أن يقرن نفسه بي « دع الرجل يسأل عن أمه^(٧) » ! فأسرع إذن وسل رؤسائي الضباط وهم يخبرونك عنى .

(١٠) [أما ما طلبت مني فأرني أولاً كيف تصمد أنت] ، وقد قلت لي مرة أخرى : إن سلسلة جبال عالية^(٨) تقف أمامك . أدخل في هذه السلسلة الخفيفة ، وإن كنت لا تعرفها^(٩) ادخل أمامي وإني سأقي على أترك ، وعلى أية حال (؟) فإنك لم تدن من حماها ولم تقترب منها . فإذا عثر عليك فيها حينئذ فإني سأذهب هناك أيضاً خلفك . واحذر أن تضع يدك لتجرفني إلى الخارج (؟)

(١١) [أنك في مواهب « حورى » مرة أخرى]^(١٠) لقد قلت لي : « إنك لست بأية

-
- (١) إني أعرف مقدار ما تزن ومقدار ما تسع (٢) مهما يكن سرا فإني أعرفه
(٣) يجوز أن المعنى هو : احترس حتى من عناصر العلم التي لا تفهم منها شيئاً
(٤) لا بد أن يكون هذا تعبير مرشح لحجرة الكاتب
(٥) اسم كاتب السجلات ، أما طاقة الزهور فإنها تكون هدية
(٦) يحتمل أن يكون القرار الصادر بتجديده ضريبة (٧) يجوز أن يكون مثلاً
(٨) يظهر أنه جبل نظفيه غابة وذلك على حسب الكتابة
(٩) قال هذا « أمنموى » طبعاً من باب التشبيه بمعنى قم بالمثل الذي كلفت به
(١٠) يعود « أمنموى » في كتابه مرة أخرى إلى هذه الشكوك . ولما كان « حورى » يعالج خطابه فقرة فقرة كان لا بد له من أن يعالج الموضوع ثانية

حال كاتباً فهو اسم أجوف بارد (؟) (١) ، وإنك تحمل الدواة خطأ » وهكذا تأخذ العدة لنفسك ضدى ثانية ، ولكنها أقوال تجحف بحق ولن يُصنى إليها ، دع رسائلك تحضر أمام « أوزيريس » ليرى أينما بحق حتى لا تنضب (٢).

(١٢) [أضحى لي بومكنه أنه بحسب كما ظهره ذلك في مفر بحيرة وبناء مطلع] موضوع آخر . انظر إنك تأتي وتدل بوظيفتك (٣) . وإنى سأجملك تعرف كيف تكون الأمور معك حينما تقول : « إنى الكاتب الذى يصدر الأوامر للجيش » هب أنك أعطيت بحيرة لتحفرها وقد أتيت إلى التسألنى عن أرزاق الجند : وتقول : « احسبها » فأنت تهجر وظيفتك ، وعلى ذلك فواجب تعليمك لإجهازها يقع على عاتق :

تعال لأخبرك بأكثر مما قلت (٤)

إنى أجملك تخجل (؟) حينما أكشفك بطلب من سيدك ، الذى أنت كاتبه الملكى ، وذلك حينما يؤتى بك تحت نافذة (٥) لأى عمل عظيم ، حينما تخرج من الجبال آثار عظيمة « لخور » رب الأرضين (٦) لأنك تأمل ، أنت الكاتب الماهر الذى على رأس الجند (٧) ؟ (مطلوب) بناء مطلع (٨) طوله ٧٣٠ ذراعاً (٩) وعرضه ٥٥ ذراعاً (١٠) يحوى ١٢٠ حجرة (١١) مملوءة بالقصب وعروق الخشب (١٢) وارتفاعه من القمة ٦٠ ذراعاً ، و ٣٠ ذراعاً فى الوسط و ١٥ ذراعاً و ٥ أذرع وكية اللبن اللازمة له مطلوبة من القواد ، وقد اجتمع الكتاب معاً دون أن يعرف واحد منهم أى شئ ، وكلهم يضمنون

(١) يحتمل أن المعنى : أنك تحمل فقط اسماً بدون لقب

(٢) يقترح الآن فصل الأمر بواسطة الوصى ، وكانت هذه طريقة شائعة فى هذا العصر وفى هذه الأحوال كانت توضع كتابتان أمام الإله : واحدة لإثبات والثانية نفى ، ويفصل الإله بينهما بهزة من رأسه

(٣) من المحتمل أنك تتكلم عنها بمقدار عظيم

(٤) شئ لم يذكر فى خطابك

(٥) نافذة القصر التى منها تصدر الأوامر وما شاكلها

(٦) حينما يأمر الملك بقطع الأحجار التى تستعمل لأغراض البناء

(٧) منبهاً : يجب أن تفهم كل شئ

(٨) لرفع الأحجار الضخمة اللازمة للبناء كانت تعمل منحدرات من الطوب تجر عليها الأحجار

(٩) القدر يساوى ٥١ سم

(١٠) توفيراً للبن كانت تترك حجرات كبيرة ثم تملأ بالرمل

(١١) الحوائط الكبيرة المبنية باللبن كانت تسند بعروق من الخشب والحصير موضوعة بين

تقتهم فيك ، ويقولون إنك كاتب ماهر يا صديقي (١) قرر لنا بسرعة ! انظر . إن اسمك شهير ، دع واحداً يوجد في هذا المكان ليعظم الثلاثين الآخرين (٢) . ولا تجعل أحداً يقول إن هناك شيئاً لاتعرفه . أجب كم عدد البنات اللازمة له ؟

انظر . إن كل مقياساته (٣) ؟ أمامك . وكل حجرة من حجراته طولها ٣٠ ذراعاً ، و ٧ أذرع في العرض (٤) .

(١٣) [كذلك يوضحهم « أضمومي » كيف يقرء وزنه مسد] آه يا سيدي الطيب ، أنت أيها الكاتب اليقظ ، الذي يرأس الجيش ومن يُميّز نفسه حيناً يقف عند البابين العظيمين (٥) ، والذي ينحنى بخضوع تحت النافذة !

وصلت رسالة من ولي العهد في « راکا » لتسرق قلب « حور » المظفر وتهدي الأسد الفاضب ، وتجبره كيف صنعت مسلة جديدة منقوشاً عليها اسم جلالته طولها ١١٠ أذرع وقاعدتها ١٠ أذرع والقطعة التي في نهايتها مقياسها ٧ أذرع من كل جهاتها . والجزء المدبب يبلغ ذراعاً وإصبعاً ، والجزء المرمي يبلغ طوله ذراعاً و . . . مقياسه إصبعين . فاحسب الآن (٦) ؟ حتى يمكنك أن تجلب كل رجل يحتاج إليه لجرها وأرسلهم إلى الجبل الأحمر ، وانظر . إنهم في انتظارهم (٧) .

كن مساعداً لولي العهد ابن الشمس . قرر لنا كم رجلاً يلزم لجرها ، ولا تجعلهم يرسلون إلينا مرة أخرى لأن الأثر ملق على استعداد في الحجر ! . أجب بسرعة ولا تردد ! انظر . إنك تبحث عنها بنفسك (٨) . استمر ! تأمل . إذا نشطت نفسك جعلتك سعيداً .

لقد تعودت فيما مضى أن أجهد نفسي مثلك . وعلى ذلك دعنا نلتحم في المعركة (٩) سويًا (حل المسألة) فإن قلبي ذكي وأصابعي سهلة القيادة وماهرة حيث تفضل أنت . تقدم ولا تبك إن مساعدك يقف خلفك ، وسأجعلك تقول « يوجد كاتب ملكي مع « حور » الثور القوي » (١٠) ، وعليك أن تأمر أناساً ليصنعوا صندوقاً توضع فيه الرسائل (الباقى غير مفهوم)

(١) هل يشنون كلهم لجامعة الثلاثين الذين كثيراً ما يرد ذكرهم ؟

(٢) يلاحظ أن هذه الجملة في غير موضعها . لأنها وضعت الكاتب « حورى » بكل هدوء كما لو كان الإنسان قد نسي في سياق حديثه شيئاً ثم يضعه في النهاية

(٣) بابا القصر

(٤) يقصد بذلك أن ولي العهد قد كتب للملك بأن المسلة جاهزة للنقل

(٥) إنك تجتهد أولاً لتحلها منفرداً ولكن لم تنجح

(٦) معركة المسألة التي اكتسبت منها التجارب لمدة طويلة

(٧) لن تذكر اسمي طبعاً على عادتك ولكنك ستلتفت إلى أن ما كتب قد أصاب الحز

(١٤) [كذلك عند إقامة تمثال ضخم بخطى « أُنموري » الحساب] ، وقد قيل لك :
أَخْلَرِ المخزن^(١) المملوء بالرمل الموجود تحت أثر سيدك^(٢) الذى قد أحضر من الجبل
الأحمر ، ويبلغ طوله ثلاثين ذراعاً ، وهو ممتد على الأرض ، وعرضه عشرين ذراعاً . (من
الجل التالية نعلم فقط أن « المخزن » يشمل عدة أقسام مملوءة بالرمل الجلوب من شاطئ
النهر ، وكلها تبلغ خمسين ذراعاً فى الطول) ، وإليك مكلف الآن أن تجد ، (والأمر الذى
يشغل بال الملك (؟) هو^(٣)) : « كم رجلاً يلزم لهدمه فى ست ساعات » ؟ وإن قلوبهم
مستعدة^(٤) ، ولكن رغبتهم لهدمه ضئيلة لأن الوقت الذى يمطاه الجند للراحة ليأخذوا
فيه غذاءهم^(٥) لم يحسب . دع الأثر ينصب فى مكانه لأن رغبة الملك أن يراه جميلاً .

(١٥) [أُنموري غير قادر على حساب المئونة المؤمنة لمحنة عسكرية] إنه الكاتب
النبيه ذو القلب الذكى — والذى لا يفوته معرفة أى شىء مهما كان ، أيها المصباح فى الظلام
أمام الجحيم الفير ليعطيهم نوراً ! هب أنك أرسلت فى مأورية إلى فينيقيا (؟) على رأس
جيش مظفر لتقهر هؤلاء الثائرين المسمين « نمرين »^(٦) وعدد من تقودهم من الرديف ١٩٠٠
و ٥٢٠ شردانيين^(٧) و ١٦٠٠ كهك (و ١٠٠) ماشوشا و ٨٨٠ من السودان . والكل
٥٠٠٠ عدا ضباطهم .

وقد أحضر أمامك هدية من الخبز والخبز^(٨) . غير أن عدد الرجال كبير (جدا) عليك^(٩)

(١) صومعة الفلال

(٢) تمثال الملك الفخم . هذه الجلة تشير إلى الطريقة التى كانت تستعمل فى مصر لإقامة الأحمال
الثقيلة فكانت تبحر إلى أعلى فوق حجرة (المخزن) مملوءة بالرمل ثم كان يفرغ الرمل من تحت الأثر
تدريجياً حتى ينتهى الأمر إلى أن يستقر الأثر فى المكان المرغوب وضعه فيه

(٣) أى مما يقفل الباب أكثر أنك لا تعرف

(٤) يفهمون عملهم

(٥) المعنى المحتمل (انظر الصفحة التالية) أن عدد الرجال الذين يشتغلون وفقاً لنصيحتك ليس
بكاف لأنك فرضت أنهم سيشتغلون ٦ ساعات متواصلة بدون فترة راحة لأن رغبة الملك كانت متجهة
إلى غص التمثال . وعلى هذا الأساس كان الصرط ست ساعات عمل بدون انقطاع لإنجاز العمل

(٦) محاربون شبان من كنعان

(٧) المبردان قوم ملاحون كانوا فى ذلك الوقت قد تعودوا زيارة مصر ودخلوا فى خدمة
المصريين وكانت الحال كذلك مع قبائل اللوبيين والاشوشا والكهك

(٨) التى أرسلها سكان البلدة

(٩) أن تطعمهم من هذه الهدية

والثونة قليلة جدا بالنسبة إليهم : ٣٠٠ رغيف من القمح ، ١٨٠٠ . . . رغيف ، و ١٢٠ من الماعز المختلفة الأنواع و ٣٠٠ كيل من النبيذ — والعساكر عددهم عظيم والثونة قدرت بأقل منهم (١) . . .

وتسلمت الثونة ، وهي موضوعة الآن في معسكرك . وجيشك مستعد ومسلح ؛ فعليك إذن أن تقسمها بسرعة وتمطى كل رجل نصيبه . والبدو عندئذ ينظرون خلسة (يقولون ؟) « أيها السهريود^(١) » (الكاتب الفطن) . وقد أتى وقت الظهر والمسكر حار (والجند) يقولون : « حان وقت السير » . « لاتفضن يا قائد « الرديف » . لا يزال عندنا كثير لنقطته » ونحن نقول « لماذا لا يوجد إذن خبز ؟ إن مصرا كز معسكرنا الليلة بعيدة جدا ! فما معنى أنك تضربنا أيها السيد الطيب مع أنك كاتب ماهر^(٢) ؟ اقترب لتمطى الطعام على أنه قد تمر ساعة يكون الإنسان فيها من غير كاتب من قبل الحاكم . (فعلى الرئيس أن يقوم مقام الكاتب . على أنك تأخذ على عاتقك أن تضربنا ، فإن ذلك ليس بالحسن أيها الرميل ، لأن (الفرعون) يسمع بذلك ويرسل بعزلك^(٣) .

(١٦) [إنك لا تعرف إلا القليل عن سوريا] . في خمس الفقرات الأخيرة ، وهي التي تبتدىء هنا وجه « حورى » عناية إلى نهاية رسالة قرنه ، والظاهر أنها بوجه خاص قد سلته « بكلماتها الضخمة » ، وفيها لفت « أمنموى » الأنظار إلى أعماله العظيمة وتجاربه في سوريا ، وأعطى لنفسه بكبرياء نعتا أجنيا هو « ماهر^(٤) » أى بطل (وهي كلمة كنعانية) . ونرى أن « حورى » يمتحن هذه القصة ويتبع كل سياحة قرنه من شمال سوريا إلى « تخوم مصر » . ولكنه يصور السياحة بأنها ملأى بمخاطرات قاسية صغيرة وكبيرة ، وقد يجوز أن يكون هذا حقيقيا حسب رأيه ، يضاف إلى ذلك أنه يلجح بواسطة أمثلة حاذقة أن معلومات قرنه قليلة جدا عن البلاد التي زارها ، وأنه لم يشاهد فيها إلا شيئا يسيراً جداً . ولقد كان من الضروري علينا ، لتذوق هذه السخرية أن نعرف قصة « أمنموى » نفسه التي قد حرفها هنا ، غير أنه على الرغم من هذا التحريف يمكننا أن نتذوق الوصف الحى الذى وضعه

(١) كلمة أجنبية

(٢) كان يجب أن تسلم الجند نصيبهم في الصباح قبل بدء السير ولكنهم لم يتسلموه للآن ، ولذلك لم يأخذوا في السير حتى الظهر فاستولى عليهم القلق واشتكوا فضربهم

(٣) سيشكون للملك الذى يعزلك

(٤) وهي كلمة تطلق على الضابط المصرى الذى يرحل في سوريا

أمامنا لفلسطين ، وهى بلاد كان يعرفها « حورى » على ما يظهر جيدا ، وعلى أقل تقدير كان يعرفها أحسن من قرنه المتفاخر بملحه : إن رسالتك مفعمة بالهجمات (؟) وتنفو تحت عبء الكلمات الضخمة . انظر . فإنهم سيكافئونك كالذين يبحثون وراء حمال وسيثقلونك أكثر مما تود^(١) .

أنت تقول مرة أخرى إنى كاتب ، وماهر ، ونحن بدورنا نقول إن كلماتك صادقة . فبرز حتى تمتحن ، فقد أسرج لك جواد سريع كابن آوى مع . . . وكأنه عاصفة الريح حينما ينطلق . وإنك ترخى العنان وتقبض على القوس ، سترى ماذا تفعل يدك ، وسأشرح لك طبيعة « ماهر » وأريك ماذا يفعل . ألم تذهب إلى أرض « خاني » ألم تر أرض « يوب »^(٢) ؟ « وخدم » ، هل تعرف طبيعتها « وإجدى » كذلك أى شئ تشبه ؟ و « سومر » التابعة « لسى »^(٣) على أى جانب منها تقع بلد « خرة » . . . ؟ وماشكل مجرى مائها ؟ ألم تسر إلى « قادش »^(٤) « وتوييخى » ؟ ألم تذهب إلى إقليم البدو مع جند الجيش الرديف ؟

ألم تطأ طريق « مجر »^(٥) حيث السماء مظلمة نهارا ويفزرفيها نحو العليق (؟) والبلوط وأشجار الأرز التى تناهض السماء ؟ . وهناك أسود أكثر من الفهود والضباع ، ويحيط بها البدو من كل جانب . ألم تتسلق جبل « شوى » ؟ ألم تتطأ ويداك موضوعتان على . . . ، وعربتك قد كسرت من الجبال عندما يجرون حصانك^(٦) ؟

أرجوك . دهنى أخبرك عن . . . « برت » . إنك تنفر من تسلقها وتفضل هبور نهرها . . . وسترى ما يكون عليه الإنسان لأجل أن يصير « ماهرا » ، وذلك حينما يحمل

(١) المعنى : لقد أثرتى والتمن مردود لك

(٢) مكان يجوار دمشق . أما عن أحاء الأماكن السكناية التى ستظهر فيما يلى فبعضها معروف لنا من العهد القديم ومن المثلون السكيونوفورية ومن المصادر اليونانية وهذه يمكن أن يكتبها الإنسان بشكلها الصحيح ، أما الأسماء الأخرى فيجب أن يجعلها الإنسان قابلة للناطق ، وعلى ذلك تستعمل طريقة وضع حروف متحركة لها . ومن أراد معرفة الحروف الساكنة التى تتألف منها كل كلمة فعليه أن يرجع للمتن الأسلى

(٣) « سى » هو الاسم المحبوب « لرعميس الثانى » وسومر (فيما بصد زمير) فى فينيقيا ، وإضافة رعميس لها يدل على أن الملك أقام بناءً عظيما هناك

(٤) البلدة الواقعة على نهر العاصى

(٥) من المحتمل أن تكون جزءاً من لبنان

(٦) ومعنى ذلك أن الخيل والعربة كانت تنسلق بصعوبة كبيرة

عربتك على كفتك . . . وحينما تقف عن السير في المساء ترى جسمك كله مهدما . . . وأعضاءك مكسرة . . . وتستيقظ عند ساعة الرحيل في . . . ليل . وأنت وحدك تسرج الحصان ، والأخ لا يأتي لأخيه^(١) ، والمهاربون (؟) قد أتوا إلى المعسكر ، وحل قيد الجواد الـ . . . قد شُهِت بالليل وسرقت ملابسك . وسائسك قد استيقظ بالليل وعرف ما قد ارتكبوه ؟ فأخذ مابق . وانضم إلى صف الخونة واختلط بقبائل البدو وغير نفسه إلى أسيوى ، وقد أتى العدو لينهب سرّاً ، وقد وجدك لا حراك بك . ولما استيقظت لم تجد لهم أى أثر ، وقد أخذوا كل متاعك . وقد صرت « ماهرة » كامل العدة وقبضت على أذنك^(٢)

(١٧) [نحصر فينيقيا] سأحدثك عن مدينة أخرى سرية ، اسمها « جبيل » فأشكلها ؟ وإلتهم ماشكلها^(٣) ؟ ألم تطأها قدماك ؟

تعال ؟ وعلمنى شيئاً عن « بيروت » وعن « صيدا » و « سربتا » وأين نهر « زن »^(٤) وما شكل « وس » ، ويقولون إن مدينة أخرى واقعة على البحر اسمها « صور » الميناء ؟ يؤخذ^(٥) إليها الماء في قوارب ، وهى غنية بالسماك لدرجة أنه فيها أكثر من الرمال . (١٨) [مره موزة] سأحدثك عن بؤس آخر — عبر « سرام » ، وإنك ستقول : « إنه يحرق أكثر من لدغة »^(٦) وإن حال « الماهر » سيء جداً .

تعال وضعنى على الطريق المؤدية إلى الجهة الجنوبية لإقليم « عكا » ، وأين الطريق إلى « اكساف » ؟ بجانب أى مدينة هو ؟

أرجو أن تعلمنى شيئاً عن جبل « وسر » وما شكل قته ؟ وأين جبل « سشم » ؟ ومن الذى سيأخذ . . . ؟ و « الماهر » أين يعمل السياحة إلى « هازور » ؟ وما شكل نهرها ؟

أرشدنى الطريق إلى « حماء » وإلى « دجر » وإلى « دجر إل » ميدان لسب كل « ماهر »

(١) بدون أية مساعدة كما هو واضح من الجملة التالية
(٢) من المحتمل أن هذه كانت إشارة للأسف (كامل العدة) يقصد بها التهم
(٣) إلهة هذه البلدة كانت تمثل عند المصريين بالإلهة « حاتحور » وكانت مبيجة كثيراً عند
(٤) نهر في لبنان يصب في البحر شمالى صور
(٥) كانت هذه الحال مع سكان صور لأن المدينة تقع على جزيرة صغيرة صخرية ونحن نعلم ذلك من مصادر أخرى
(٦) يظن أن هناك تورية في الكلمة الكنعانية « الزناير »

أرجو أن تعلمنى شيئاً عن طريقه ، وأرنى « يان » . وإذا كان إنسان مسافراً إلى « إدم » فأين يُوتى وجهه ؟
فلا تولّ ظهرك عن تعليمنا (١) وأرشدنا إلى معرفتها . (أى بكل ما ذكرت من الأماكن) .

(١٩) [المرحه المؤخرى] تعال ودعنى أحدثك عن مدن أخرى واقعة فوقها (؟) (أى التى ذكرت) . ألم تذهب إلى أرض « تحسى »^(١) و « كفر صهون » و « تمت » و « قاش » و « دبر » و « آزى » و « حارنى » ؟ ألم تر « كراجات أناب » و « بيت صوفر » ؟ ألم تعرف « إدرن » ؟ و « زربت » أيضاً ؟ ألم تعرف اسم « خلز » التى فى أرض « وبى » ، كالثور على تخومها ، وهى ميدان مواقع كل المحاربين^(٢) ؟

أرجو أن تعلمنى شيئاً عن هيئة (؟) « كين » وتعرفنى ما « رهب » فسر لى « بيت — شائيل » ، « كراجات — ثيل » (؟) ، ونهر الأردن كيف يعبر ؟ وأرنى كيف يمر الإنسان إلى « مجدو » الواقعة فى أعلاه^(٣) إنك « ماهر » حاذق فى ضروب الشجاعة العظيمة ! و « ماهر » مثلك عنده من الصفات (؟) ما يجعله يسير (؟) على رأس الجوع ! إلى الأمام يا « مرين »^(٤) « لتصطاد ! انظر . يوجد (؟) ال . . . فى واد عمقه ألفا ذراع مملوء بالحصى والمرو . إنك تلف (؟) وإنك تقبض على القوس ، وإنك . . . على شمالك ، وتدع الرأس^(٥) يرون كل لذيذ لأعينهم حتى تسكل يدك : أبأت كمو آرنى ماهر نام^(٦) (إنك تقتل كالأسد ، يأبها الماهر اللطيف) إنك اكتسبت اسم . . . « ماهر » (بين ضباط مصر . وكذلك أصبح اسمك مثل اسم « كازردى » رئيس « إيسر »^(٧) حينما وجدته الضبيع فى شجرة القار . انظر . إن هناك (؟) مضيقاً قد حفه بالمخاطر البدو الذين يكمنون تحت الأشجار ، بعضهم يبلغ أربع أذرع أو خمسا من الأنف إلى أخمص القدم ، وجوههم متوحشة وقلوبهم غليظة ولا يصفون إلى اللطفة .

- (١) بلاد تذكر كثيراً كانت واقعة فى الشمال
- (٢) مكان واقع على الحدود كثيراً ما قام تنازع عليه
- (٣) تقع مجدو شمالى كرمل
- (٤) تعبير مشابه لماهر وكثيراً ما يرد ذكرها فى أماكن أخرى
- (٥) البربر المخالفون
- (٦) تفسرها هو المحصور بين القوسين . وهى كلمة سريانية ونطقها غير محقق
- (٧) يظهر أنه يشير إلى أسطورة كان يعرفها القارىء المصرى

والآن إنك وحيد ولا مساعد لك ولا جيش خلفك ، ولا تجد دليلا (١) يهديك إلى الطريق لتعبر . وإنك تصر (٢) على السير إلى الأمام ، مع أنك لاتعرف الطريق . فالعدة تستولى عليك ، وشعر رأسك يقف . روحك توضع في يدك (٣) وطريقك مملوءة بالحصى والمرو ، وليس هناك مسلك معبد للسير لأنه قد كسبى بـ . . . الشوك ونبات « نه » ونبات حافر الذئب (٤) . والوادي على أحد جانبيك ، والجبل يشرف على الجانب الآخر . وإنك تسيّر قدما وتقود (٥) عربتك بجانبك وتخاف أن . . . جوادك . وإذا كبا الجواد فإن يدك (٦) تسقط وتترك خالية (٧) . . . و . . . جلد يسقط . وتنزع سرج الجواد لتصلح اليد التي في وسط (٨) المر الضيق ، وإنك لست بماهر في طريقة ربطها ، ولا تعرف كيف تربطها سوا (٩) وال . . . تسقط من مكانها ، وقد كان الجواد مثقلا جدا لتضيفها إلى حملة . وإنك لسقيم القلب ، وقد بدأت تجد السير على القدم والسماء صافية (١٠) (حارة) ، ويخيل إليك أن المدور وراءك ، وحينئذ تأخذك الرعدة . آه ليت لك حجرا . . . حتى يمكنك أن تضعه على الآخر ! والجواد قد أعياء النصب إلى أن تجد مأوى لليل ، عندئذ تعرف طعم الألم . وعندما تدخل « يافا » تجد المراعى نامية خضراء في أوانها (١١) ، وتشق لنفسك طريقا في (١٢) وتجد العذراء الرشيقه التي تحرس الكروم فتأخذك لنفسها صاحباً تعطيك لون صدرها (١٣) . إلا أنك قد عرفت واعترفت (١٤) ؛ وقد وضع « الماهر » تحت التجربة فتبيع جلبابك المصنوع من كتان مصر العليا الجيد (١٥) وتنام كل مساء ، وليس لك لباس إلا خرقة (١٦) من الصوف ولا حراك بك و . . . قوسك . . . مدية وجعبة سهامك قد سرقت وعنانك قد قطع في الظلام .

وجوادك قد ذهب و . . . على الأرض التي تزل القدم عليها . والطريق تمتد أمامك . وتحطم عربتك . . . وأسلحتك تسقط على الأرض وتدفن في الرمل

(١) أى أنت أشبه بالأموات أو نصف ميت (٢) اسم نبات

(٣) أخذ أجزاء العربيه وذلك مثل كلمات أخرى في الجملة التالية غير معروفة

(٤) لا سحب فيها

(٥) أى الفصل الذى تكون فيه أبهى ما تكون

(٦) خلال حائط الكروم

(٧) تسلل لك جمالها

(٨) أى تعرف

(٩) معنى هذه الفقرة أن أهالى يافا يسمحون بدفع غرامة من أجل هذه القملة الضعفاء

إنك تتكف : « أعط طعاما (؟) وماء لأنى وصلت سالما » إلا أنهم يعطونك أذنا صماء ولا يسمعون ، ولا يعبئون بقصصك .

ثم إنك تقصد دكان الحداد والمصنع يلتف حولك ، والحدادون والأساكفة^(١) كلهم يحيطون بك . ويفعلون كل ما تريد ، ويعتنون بمربتك فتكف عن التراخي^(٢) .
ك... قطعت تماما (؟) ... وضعت فى مكانها ، ويضعون جلدا على يدك (جزء من العربية) ويصلحون نير العربية . ويصلحون . . . ، التى نقشت ويمطلون . . . سوطك ويضعون له سيورا (؟) ثم تنطلق مسرعا لتحارب فى ميدان الواقعة لتقوم بجليل الأعمال الدالة على الشجاعة^(٣) .

(٢٠) [محاط المحرود ونهاية الموضع] أيها السيد الطيب والنكاتب المختار و « الماهر » الذى يعرف يده^(٤) وقائد « النمرين » ورئيس « الزابا »^(٥) (الجيش) . لقد وصفت لك الممالك الأجنبية إلى أقصى أرض كنعان . ولم تجبني لا بالحسن ولا بالقيبح ، ولم ترسل إلى أى تقرير . تعال إذن حتى أحدثك بأكثر مما سبق إلى غاية (؟) حصن « ممرات » « حور »^(٦) وسأبدؤك ببيت « سسى » (رعمسيس الثانى) ألم يطأها قدمك قط ؟ ، ألم تأكل سمك ماء . . . ؟ ألم تستحم فيها ؟ تعال دعنى أذكرك « بهزن » . أين قلعها ؟ تعال دعنى أحدثك عن إقليم (بوتو) رعمسيس وعن « ييت — انتصارات » أوسمارع (رعمسيس الثانى) وعن « أسب إيل » وعن « ابسكب » . وسأحدثك عن حال « أنين » ، ألا تعرف قانونها (؟)^(٧) ؟ ثم « نخسى » و « خبرت » . ألم ترها منذ ولادتك ؟ يا « ماهر » أين هما . و « رفح »^(٨) فاشكل جدارها ؟ وكم ميلا تبعد عنها « غزة » ؟ أجب بسرعة !

(١) لتصليح الأشياء المصنوعة من الجلد

(٢) يصلحونها . أما ما ذكر بعد من أجزاء العربية فهو لسوء الحظ غير معروف لدينا

(٣) تهكم بالطبع : إن « أمنوى » قد انتهى تقريبا من رحلته وتعد له العربية ليظهر بها فى

مصر بظهر جميل

(٤) يصيب الهدف جيدا

(٥) كلمة كنعانية بمعنى الجيش

(٦) وهو حصن زارو الواقع عند الحدود المصرية . والأماكن التى ستذكر بعد بعضها محطات فى

الصحراء بالقرب من الحدود

(٨) جنوبى « غزة »

(٧) ما معنى ذلك ؟

قدم لي تقريراً حتى يمكنني أن أطلق عليك اسم « ماهر » ويمكنني أن أغفر باسمك للآخرين ، سأقول لهم عنك إنك « مارين » .

وإنك غضبان الآن مما أقوله لك . إني قلبك في كل الحرف . وقد علمني والدي ماعرفه ، وعلمني صرات يخطئها العد ، وإني أعرف كيف أقبض على العنان أحسن بكثير مما تعرف . ولا يوجد شجاع يمكنه أن يتفوق علي ، وإني حاذق في خدمة « مونتو »^(١) .

إن كل ما جاء على لسانك مضر جداً و . . . ألفاظك جداً ، وإنك وأنت تأتي إلى منغمسا في الارتباك ومحتملاً بأغلاطها ، وإنك تقسم الكلمات كالإنسان الذي يندفع غير مبال ، ولا تعمل من

كن قويا ! وإلى الأمام ! أسرع ! هلاً تنزل من عليائك ؟ . وما معنى أن الإنسان لا يعرف ما قد وصل إليه ؟ . . . إني أتقهقر (؟) انظر . إني قد وصلت (؟) « أنحن » ، وإذا كان قلبك مثقلاً فإنه هكذا قد ركب . لا تفضب^(٢)

. لقد قطعت من أجلك آخر رسالتك وأجبتك عما قلته ، وكل أحاديثك كانت مجموعة على لساني ، وبقيت على شفتي . وإنها لمرتبكة حينما تُسمع ولا يقدر شخص غير متعلم أن يفهمها ، وهي كحديث رجل من الدلتا مع آخر من « الفنتين »^(٣) . حقا إنك كاتب البايين العظيمين (القصر) ذلكم الرجل الذي يكتب التقارير عن كل حاجات البلاد للملك . وإنها لجيدة حسنة لمن يراها^(٤) . لا تقولن : إنك جعلت اسمي تننا أمام الآخرين وأمام الكل . انظر لقد أخبرتك كيف يكون الإنسان « ماهرا » ، وقد اخترقت من أجلك أرض « رتنو » (فلسطين) ووضعت أمامك كل البلاد الأجنبية جماء ، والمدن على حسب ترتيبها (؟)

أحن نفسك أمامنا (اخضع) وانظر إليها (البلاد) بهدوء حتى يمكن أن نصبح قادراً على وصفها^(٥) (في المستقبل) ، وحتى يمكن أن نعدك . . . ناصحا

(١) إله الحرب . وبذلك حفر « أمنموي » أعمال حوري الحرية

(٢) كن مصادقا

(٣) أسلوبك غير مفهوم تماماً لأن الألفنتين يتكلمون بلهجات مختلفة فلا يفهم الواحد منهما الآخر

(٤) ربما كان المعنى ليس من الضروري في درجتك العالية أن تكتب بوضوح لأن ما تكتبه يكون

حسناً في أعين كل من يقرؤه

(٥) لا تفضب بل كن فرحاً حينما تتعلم عنى

فهرس الموضوعات

الأهداء

تمهيد

مقدمة ١

لمحة عن التاريخ المصري ٨ : الدول القديمة - العصر الإهناسي - الدولة الوسطى -
عهد الهكسوس - الدولة الحديثة .

نظرة عامة في الأدب والكتابة المصرية ١٥ : تطور الأدب - عصور الأدب المصري
القديم - الكتاب المتعلمون - المغنون والقصصيون - أوزان الشعر المصري -
الكتابة والكتب - قهنا للمغنون المصرية .

القصص المصري ٣٠

قصص الدولة الوسطى

قصة منوهيت ٣١ : ملخص القصة - دراسة القصة - المصادر - متن القصة .

قصة المفريز ٤٧ : ملخص القصة - دراسة القصة - المصادر - متن القصة .

قصة الفروع الفصيح ٥٤ : ملخص القصة - دراسة القصة - المصادر - متن القصة :

الشكوى الأولى - مقدمة للشكوى الثانية - الشكوى الثانية - الشكوى الثالثة

الشكوى الرابعة - الشكوى الخامسة - الشكوى السادسة - الشكوى السابعة

الشكوى الثامنة - الشكوى التاسعة - الخاتمة .

قصة الراعي : مقدمة - متن القصة .

قصة هموك الانسية ٧١ : ملخصها - دراسة القصة - المصادر - متن القصة .

قصة الملك خوفو والسرة ٧٤ : ملخص القصة - دراسة القصة - المصادر - متن القصة .

قصص الدولة الحديثة ٨٧

قصة الأوبريم ٨٧ : مقدمة - ملخص القصة - دراسة القصة - المصادر - نص القصة .

الأمبر المحمر ١٠٠ : ملخص القصة - دراسة القصة - متن القصة - المصادر .

قصة الملك أبوفيس ورفنزع ١٠٥ : ملخص القصة - دراسة القصة - متن القصة -
المصادر .

قصة الاستبداء على يافا ١٠٩ : ملخص القصة - دراسة القصة - متن القصة - المصادر .

قصة الرئيس والد الشمس رع ١١٢ : دراسة القصة - متن القصة - المصادر .

عن ملك والسر ١١٦ : مقدمة — القصة — المصادر .

قصة عن عشتارت ١١٧ : المصادر

قصة عفریت ١١٨ : المصادر .

التجارة بين الجسم والرأس ١٢١ : مقدمة — القصة — المصادر .

قصة اعمار الصدوق ثم الانتقام له ١٢٢ : ملخص القصة — دراسة القصة — المصادر
من القصة .

قصة المحاصرة بين جود وست ١٢٧ : ملخص القصة — دراسة القصة — فستينا ملخمة

أديبة — موقف أوزير في القصة — موقف الإله رع — موقف إزيس — موقف

الإله ست — موقف الإله تحوت — الموقف التاريخي الذي توضحه القصة —

مجلس الثلاثين — أوزير والمهد الاقطاعي — أسلوب القصة ولقنها وطريقة إنشائها —

المصادر — من القصة .

قصة سياحة ونأموره ١٦١ : ملخص القصة — دراسة القصة — المصادر — من القصة .

الحكم والتأملات ١٧١

مقدمة ١٧١ .

الحكمم والتعاليم ١٧٥ :

أمثال وحكمم بتاح حنب ١٧٦ — ١٨٧ — المصادر .

تعاليم لاجمى ١٨٨ — المصادر .

التعاليم التي كتبت للملك سبطرم ١٩٠ — ١٩٦ — المصادر .

التعاليم المنسوبة الى أفضحت الأول (كتبها خيتي بن دواوف) ١٩٨ — ٢٠١ : مقدمة —

نص التعاليم — المصادر .

تعاليم خيتي بن دواوف لابنه بيبي : ٢٠٧ — ٢١٦ — المصادر .

تعاليم سنب أربع ٢١٧ : مقدمة — المتن — المصادر .

نصائح آني : ٢٢٩ — ٢٣٠ — المصادر .

تعاليم أسخوبى ٢٣١ : مقدمة — المصادر — المصر الذى كتبت فيه التعاليم — المتن

المقدمة — المؤلف — الابن الموجهة إليه هذه التعاليم — الفصل الأول (واجب

التلميذ) — الفصل الثانى (الإنسانية ونصائح متنوعة) — الفصل الثالث (الحزم فى

المنافسة) — الفصل الرابع (الرجل الأحمق والرجل الحليم) — الفصل الخامس

(الأمانة والرزانة في المعبد) — الفصل السادس (التعدي على أرض الغير) — الفصل السابع (البحث وراء الثروة) — الفصل الثامن (لا تقل شراً) — الفصل التاسع (تجنب الرجل الأحمق وسبله) — الفصل العاشر (الإخلاص) — الفصل الحادي عشر (التابع) — الفصل الثاني عشر (الدافع الشريف) — الفصل الثالث عشر (كاتب الحسابات الطيب) — الفصل الرابع عشر (الكرامة) — الفصل الخامس عشر (الإله يموت والكاتب) — الفصل السادس عشر (الموازن المشوشة والمزيفة) — الفصل السابع عشر (كيل الفلال) — الفصل الثامن عشر (تفاقم الهم) — الفصل التاسع عشر — (الكلام في المحكمة) — الفصل العشرون (الأمانة في الوظيفة) — الفصل الحادي والعشرون (الصحت) — الفصل الثاني والعشرون (المحاورة) — الفصل الثالث والعشرون (تجنب أكل السحت) — الفصل الرابع والعشرون (الأمين) — الفصل الخامس والعشرون (احترام المعاهة) — الفصل السادس والعشرون (معاملة من هم أكبر مقاماً في المجتمع) — الفصل السابع والعشرون (الخضوع للمسن) — الفصل الثامن والعشرون (كرم الأخلاق) — الفصل التاسع والعشرون (عبور النهر) — الفصل الثلاثون (الختام).

تعليق على تعاليم أمنموي — التعاليم كتبت شعراً — أمنموي يحمل رسالة خاصة إلى العالم — الآلهة التي ذكرت في التعاليم — سفر الأمثال نقل عن ترجمة لا عن أصل مصري . كتاب سفر الأمثال وتعاليم أمنموي ٢٧١ — ٢٨٠ .

التأملات ٢٨١

سجاريه انسانه ستم الحياة ويوم روم :

٢٨٢ مقدمة — الشعر الأول — (مقت اسمه ظلماً) — الشعر الثاني — الميزات السامية للقائنين في الآخرة — المصادر .

شكوى خفيضة روع سن ٢٩٠ — المصادر .

تحذيرات متنبئ يدهي «أبجر» ٢٩٤ : سقوط الدولة القديمة والثورة الاجتماعية — الشعر الأول — الشعر الثاني — الشعر الثالث والرابع — الشعر الخامس — الشعر السادس — المصادر .

نبوة نفر روهو ٣١٨ : مقدمة — المتن — المصادر .

الممارس واللفظ ٣٢٥ — ٢٣٠ .

الرسائل ٣٣٠

طلقات الرسائل — مسميات الرسائل الحقيقية — تدوين الرسائل — المكاتبات على

الاستراكا — البريد — العنوان — الصيغة الافتتاحية — الديباجة — الديباجة في الصيغ الحربية — الصيغة الختامية — تأريخ الرسائل .
أسلوب تحرير الرسائل ٣٤٦ : بعض أساليب خاصة بالرسائل — اهتمام المرسل بالمرسل إليه — رموز فقرات جديدة في الرسالة — تعبير كاتب الرسالة عن نفسه .

أمثلة للرسائل ٣٥٠ .

(١) الحياة في المدرسة :

كن مجتهدا ٣٥١ — الجملة والعذاري ٣٥٢ — التلميذ في الأغلال ٣٥٣ — كن مجتهدا ٣٥٤ — لا تكن فلاحا ٣٥٤ — لا تكن جنديا ٣٥٥ — لا تكن فارسا ٣٥٧ — لا تكن جنديا ولا كاهنا ولا خبازا ٣٥٧ — كن موظفا ٣٥٨ — قطعة ٣٥٩ — كن كاتباً ٣٥٩ — كن كاتباً ولا تكن جندياً ٣٦٠ — اتخذ لنفسك زوجة ٣٦١ .

(٢) خطابات حقيقية نموذجية للتلميذ :

اقتفاء أثر عبد هارب ٣٦١ — أمر بإنجاز عمل ٣٦٢ — أشغال مختلفة الأنواع ٣٦٢ — التماس المساعدة في موضوع ضرائب ٣٦٣ — استعلامات ٣٦٣ — خطاب أسرى ٣٦٤ — تهان ٣٦٤ — تقرير موظف كبير ٣٦٥ — السأمة في مكان بمنزل ٣٦٦ — الشوق إلى منف ٣٦٧ .

(٣) نماذج خطابات انشائية :

مديح في المدينة الجديدة المسماة « بيت رعمسيس » ٣٦٨ — رسالة حاكم إلى تابع ٣٦٩ — استعداد لسياحة ملكية ٣٧٠ — الاستعداد للملك ٣٧١ — إعداد عمربة حرب ٣٧٢ .

(٤) نراه للمعلمين والرؤساء :

إلى المدرس ٣٧٣ — إلى الموظف ٣٧٤ — للمدرس ٣٥٧ .

(٥) مساهمة أدبية : ٣٧٦

مقدمة — ملخص المناقشة — كيف تتسلم الخطاب — لم تكتب خطابك بمفردك — جوابي سيكون أحسن من رسالتك — الإجابة على هجو أئمنوبي — إنك تلعب دور الحكيم — ليس صواباً أن تشك في علمي — أما ما تطلبه مني فأرني أولاً كيف تعلمه أنت — أشك في مواهب حوري مرة أخرى — أئمنوبي لا يمكنه أن يحسب كما ظهر ذلك في حفر بحيرة وبناء مطلع — كذلك لا يفهم أئمنوبي كيف يقدر وزن مسألة — كذلك عند إقامة تمثال ضخم يخطئ أئمنوبي الحساب — أئمنوبي غير قادر على حساب المئونة اللازمة لحملة عسكرية — إنك لا تعرف إلا القليل عن سوريا — بخصوص فينيقيا — مدن متنوعة — المدن الأخرى — محاط الحدود ونهاية الموضوع .

فهرس الاعلام والاماكن .. الخ

هذا فهرس بأسماء الاعلام والبلدان وغيرها مما جاء ذكره في هذا الجزء من الكتاب وقد حدث في بعضها أخطاء مطبعية ، فتلافيناها هنا بوضع الاسم الصحيح في مكانه وشفعنائه بعلامة (*) وكذلك وضعنا النطق المصرى القديم لبعض الألفاظ بين قوسين ليقرن القارى بين النطق الأفرنجى الحديث ، وبين النطق المصرى القديم ، الذى كتب بحروف سياكنة وحسب .

ونطق الأسماء المصرية التى جاء ذكرها هنا لا يرتكز على أساس لانعدام الحركات فى اللغة المصرية القديمة ، ولذلك نجد كل عالم أثرى ينطق الأسماء والألفاظ حسب تخيله هو ، ولكن النطق العلمى المتفق عليه هو أن تكتب الكلمة بالحروف الهجائية التى تحتوى عليها وحسب .

(١)

- | | |
|---|---|
| آبيس (العجل المقدس) : ٩٧ ، ١٤٧ | ابرس (جورج) (كاتب) : ١٠٠ ، ٣٣٢ |
| أتمور رح : ٣٦٢ | إيسا : ٥٧ |
| آتوم (إله الشمس وقت الغروب) : ٤٢ ، ١١٣ | أيسقب (اسم بركة) : ٣٩٤ |
| آتون (قرص الشمس) : ٢٤٤ ، ٢٦٥ ، ٣٤٠ | إسماتيك الأول (فرعون من الأسرة السادسة والعشرين) : ١٤ |
| أثاى (اسم علم) : ٣٦٣ | إبن العميد (كاتب عربى فى العهد العباسى) : ١٦ |
| أثيوبيا : ٩٩ ، ٣٥٢ ، ٣٧٢ | آبو (زهرة) : ١١ |
| أثيوبى (فتح) : ١٤٠ ، ١٣٢ | أبواب الملوك (وادی) : ٣٣٠ |
| أحمس (ملك) : ١١ | أبو الهول : ١ |
| إخميم : ٢٣٥ ، ٢٦٢ | أبوى (تعبان عدو إله الشمس) : ١٣٦ ، ١٤١ |
| أخى (اسم طائر) : ٣٥٤ | ٢٤٤ ، ٢٦٦ |
| أداى (اسم طائفة من الجنود) : ٣٥٥ | أبوت (ورقة) : ٣٣٦ |
| أدرن (وهى بلدة دورا الحالية فى إقليم يودا الجنوبية بفلسطين) : ٣٩٢ | إمبور (كاتب) : ٢٩٤ — ٣١٧ ، ٣٢٢ |
| إدفو : ١٢٨ ، ١٣٢ ، ١٣٩ | أبو فيس (أحد ملوك الهكسوس) : ٢٠ |
| (*) آدمم (يدمىسى) على الحدود بين بنيامين ويوده بفلسطين : ٣٩٢ | ١٠٥ — ١٠٩ |
| أدنب : ٥٤ ، ٥٣ | إبنى (عطور) : ٥٣ |
| آرامية (لغة) : ٢٧٠ | آبى (مكان إخمى وقد بقى الاسم المصرى القديم فى كفر أبو القريب من إخمى) : ٢٣٥ ، ٢٣٦ |
| ارسا (قبرص) : ١٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ | |
| ارسافيس (إله فى اهناش المدينة) : ٦٤ | |

أرمين (أدولف) : ٣٣ ، ٥٦ ، ٧٢ ، ٧٧ ، ٩١ ، ١٠٥ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢١ ، ٢١٩ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٨٩ ، ٣٣٤ ، ٣٣٩
 أرميا : ٢٣٩
 أرمي (اسم قبيلة) : ٣٧
 (*) أرينار (إقليم) : ٩٠
 أري مجات (ساحل البريد) : ٣٣٥
 أريس : ٢١ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ١١٢ ، ١١٥ — ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٦١ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧
 أزي (مكان مجهول الموقع) : ٣٩٢
 استراكا (قطع خرف للكتابة) : ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٣٠ ، ٣٣٩ ، ٣٣٧ ، ٣٣٤ ، ٣٣٦ ، ٣٤٤
 أسرى : ٥٧
 أسكاف (عكساو) — تقع على الجبال التي تحد الشاطئ الأيسر لنهر القاسمية : ٣٩١
 أسيسي (ملك) : ١٧٦ ، ٣٤٦
 أشب (نوع من السكالب) : ٣٦٧
 أشب بنو (نوع من الزهر) : ٣٥٣
 آشور (بلاد) : ١٧١
 أطفيح : ٥٧
 أفرديتي (إلهة الحب والجمال) : ١١٧
 أفلاطون (حكيم يوناني) : ٧٢
 الأهرام : ١
 الأدب الإغريقي أو اليوناني : ٣ ، ٧
 الأدب البابلي : ٥ ، ٢
 الأدب العبري : ٢ ، ٣ ، ٧ ، ١٨٠
 الإغزاق : ٣ ، ٦ ، ١٥
 الاسكندر الأكبر : ١٤
 الأشعونيون : ٢٥١ ، ٢٦٨ ، ٣٧٨ ، ٣٨٤
 الإلياذة (ملحمة) : ٦ ، ١٢٩ ، ١٣١
 الأقباط : ٢١
 الأقصر (معبد) : ١٢
 الإنباد : ٦
 الحيتا (بلاد) : ١٢
 الدير البحري : ١٢
 الرعامسة : ١٣ ، ١٢٢ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣٣

١٣٥ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٧٢ ، ١٧٥ ، ١٩٨ ، ٢٢١ ، ٣٤٧ ، ٣٤٩ ، ٣٧٦
 العصر العباسي الثاني : ٤ ، ١٦ ، ٢١٩
 العاصي (نهر) : ٣٩٠
 العرابية المدفونة : ٣٨٠
 الفريق (قصة) : ٣٠ ، ٨٩
 ألف ليلة وليلة : ٤٩ ، ٧٤ ، ٨٩ ، ١١١
 الفلاح الفصيح (قصة) : ٤ ، ٧ ، ٣٠ ، ٤٨
 الفنتين : ٤٣ ، ٤٧ ، ٥٠ ، ٧٤ ، ٢٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٩٥
 القاضي الفاضل (كاتب) : ١٦
 السكرتك (الخورنق) معبد بمدينة طيبة (الأقصر الحالية) : ١٢ ، ٤٢ ، ١٧٠ ، ٣٢٨
 اللاهون (ورقة) : ١٤١ ، ٢٦٢ ، ٣٤٨
 اللشت (قرية) : ٤٤
 إله الشمس : ١٦٥
 اما (ماردة) : ١٤٧
 امحوتب (حكيم) : ١٧٣
 المسيح : ٦ ، ٣٢٣
 المصرية الجديدة : ١٧
 الواحد (= الملك) : ٩٧ — ٩٩
 آمو (أمير) : ٣٦ ، ٣٩
 أمور (أرض) : ٣٧٢
 آمون : ١١ ، ١٢ ، ٤٢ ، ١١١ ، ١١٨ ، ١٢٣ ، ١٢٦ ، ١٣٠ ، ١٤٠ ، ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ٣٢٦ ، ٣٤٤ ، ٣٦٢ ، ٣٦٨ ، ٣٧٤
 آمون رع : ١٠٨ ، ١٢٠ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ، ٣٦١ ، ٣٦٤
 آمون - واح - سو : (علم) : ٣٨٣
 امنموي (تعاليم) : ٤ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ٢٣١ — ٢٨٠ ، ٢٨٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧٧ — ٣٩٥
 امنموسي (اسم علم) : ٣٦٤
 امنحوتب الثالث : ١٢ ، ٢٥
 امنحوتب الرابع (اخناون) : ١٢ ، ١٧ ، ٧٥ ، ٣٥٧
 امنمحات الأول : ١٠ — ٣٢ ، ٣٦ ، ١٣٠

إيل (جبال) : ١٢٢

أيوب (النبي) : ١٧١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨

(ب)

با : ١٤٠ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٧

بابل (مملكة) : ٢ ، ٣ ، ٤ ، ١٠٦ ، ١١٢ ، ١٧١ ، ٣٢٩

باني (الله) : ١٣٤ ، ١٤٧

باتا (اسم علم) : ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩١ — ٩٩ ، ١٠٢

باريست (= بليس) : ٣٧٩

باريس (ورقة) : ١٨٨

باست أو باستت (الهة في صورة قطة) : ١٤٧ ، ٢١٨ ، ٣١٩ ، ٣٧٩

باسر (اسم علم) : ٣٦٩

بالامون (بلدة بلون الحالية) : ١٢٦

باتوبوليس (لخم الحالية) : ٢٣٥ ، ٢٦٢

باوحم (اسم علم) : ٣٦٢ ، ٣٦٣

بيس (اسم علم) : ٣٧٠

بيلوس (بلدة) : ١٦٢

بيون (الله) : ١٤٧

بتاح : ٧٧ ، ١٧٧ ، ١١٨ ، ١٣٩ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ٣٦٤ ، ٣٨٢

بتاح - ام - تحوتي (اسم علم) : ١٧٣

بتاح - تاتين (اسم الله) : ١٤٥ ، ٣٤٠ ، ٣٦٥

بتاح - حنب : ٣ ، ٤ ، ٩ ، ٦٣ ، ١٧٣ — ١٧٥

١٧٦ — ١٨٧ ، ١٩٣ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٦٤ ، ٣٢٦ ، ٣٢٨

بتاح منو (اسم علم) : ٣٦٣

بتاح - نفر - حر : ٣٧٣

بتن (اسم مكان) : ٣٦ ، ٣٦٨

بجة (مكان) : ٥٠

بحري - بيد (اسم علم) : ٣٦٤

بدج (ولس) : ٢٣١ ، ٢٣٢

بدر (اسم علم) : ١٦٣

برت (اسم مكان) : ٣٩٠

برجان : ١٢٠

برستد (هندي) : ٥٥ ، ٢٣٢ ، ٣٣٦ ، ٣٣٨

١٨٧ ، ١٩٨ — ٢٠٥ ، ٢٨١ ، ٢٩٤

٣٠٨ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٦ ، ٣٦٩

امنمحات الثالث : ١١ ، ٢١٧

اميني (اسم امنمحات الأول) : ٣٧٢

أمانا : ٨٧

آني (نبات) : ٥٧

احتف النظيم (ملك) : ١٩٠

اندري صهوا (الكتاب الفرنسي) : ٥

انستاسي أو انستاسي (ورقة أولى) : ٤ ، ١٠١

١٢٣ ، ١٤٧ ، ٢٧٠ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩

٣٤٥ ، ٣٧٨ — ٣٩٥

الست (نبات) : ٥٧

اتانا (علم) : ٣٥٦

أتو (فاكهة) : ٣٦٩

اوييس (الله) : ٨٧ ، ٦٩ — ٩١ ، ٩٥

٩٧ ، ٩٨ ، ٣٨٠

افوريس (الله) : ١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٤٧

٣٧٧ ، ٣٨٦

اتهاي (ورقة) : ٢٦٧

آني (نصائح) : ١٠١ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ٢١٩ —

٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٧

٣٦١ ، ٣٧٥

(•) انين (عين) مكان مجهول الموقع : ٣٩٤

اهناس المدينة (انظر هراكليوبوليس) : ١٠

٥٤ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٩٠ ، ١٩١

٢٠٨ ، ٣٠٣

أوليس (صا الحجر الحالية) : ١١٠ ، ١٠٦

١٠٧

أوديسا (قصة) : ٢٣ ، ١٦٢

أوري (علم) : ٣٦٢

أوزير : ٢١ ، ٢٣ ، ٥٨ ، ٧٢ ، ١٢٣

١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٠ — ١٦١

٢٦٣ ، ٢٦٨ ، ٣٧٥ ، ٣٧٩ ، ٣٨١

آي (فرعون من الأسرة ١٨) : ٣٦٩

اياملخوس (كاتب) : ١٢٨

إيبيس (طائر) : ٢٥١ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩

ايثوب (كاتب) : ١٠٦ ، ١٠٧

إيسر : ٣٩٢

ايشان : ٩٠ ، ٩١

تاسوع الآلهة : ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ،
 ١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ٣٦٤
 تانيس : ١٣ ، ١٦١ ، ١٦٣
 تاور (مكان) : ٢٣٥
 تاي (مكان) : ٢٤٤ ، ٢٧٧
 تايته (إلهة) : ٤١
 تبسو (نبات) : ٥٨
 تي (شراب) : ٣٦٩
 تخمس الأول : ١١
 تخمس الثالث : ١١ ، ٢٠ ، ١٠٩ ، ١١٠ ،
 ٣٣٤ ، ٣٣٥
 تحنو (قوم من اللوبيين) : ٣٤
 تحو (واحة الغرافرة) : ٥٧
 تحوت : ٦٢ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٧٥ ، ٨١ ، ٨٣ ،
 ١١٧ ، ١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٤٣ — ١٤٧ ،
 ١٩٤ ، ٢٣٨ ، ٢٥٠ ، ١٥١ ، ٢٥٨ ،
 ٢٦٣ ، ١٦٨ ، ٢٦٩ ، ٣٧٣ ، ٣٢٧ ،
 ٣٢٨ ، ٣٧٩ ، ٣٧٢ — ٣٨٤
 تحوت نخت (اسم علم) : ٥٧ ، ٥٩ —
 ٦٧ ، ٧٠
 تحوتى (اسم علم) : ١١٠ ، ١١١ ، ١١٦
 تحسى (بلاد) : ٣٩٢
 تحيس (مملكة) : ٣٧١
 تحيس (عطر) : ٥٤
 تحنف (أزهار) : ١٨٠
 تحنوت (إلهة) : ٧٣ ، ١٤٤ ، ٢٣٦
 تكتن (قبيلة من الحراس) : ٣٦٥ ، ٣٦٦
 تل العمارنة : ٣٧٠
 تل بسطة : ٣١٩ ، ٣٦٢ ، ٣٧٩
 تحنو (قوم من اللوبيين) : ٣٤ ، ٣٦ ، ٣١٦
 تحنت (مكان مجهول الموقع) : ٣٩٢
 تنانا (اسم علم) : ٣٦٤
 تنقامون (ملك) : ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ،
 ١٦٨ ، ١٦٧
 تنفنت (مغنية) : ١٧٠
 تنسون (الشاعر الإنجليزي) :
 تم (نبات) : ٥٧
 تهر هو (علم) : ٣٦٧

برش (الأثرى) : ١١٨
 برلين (متحف) : ١١٦ ، ٢٢٠ ، ٣٣٣
 بروسست (مارسل) : ٣ ، ٥
 طالسة : ١٢٨ ، ٣٢٠
 بكنيتاج : ٣٦١ ، ٣٦٤
 بكر (مكان مقدس بالعراة المدفونة) : ٣٨٠
 بللوزي (فرع للنيل) : ٣٦٨
 بلوتارخ (المؤلف اليوناني) : ١١٢ ، ١٢٨ ،
 ١٤٥ ، ١٤٧
 بجو (اسم علم) : ٢٦١
 بنامون (اسم علم) : ٣٦٤
 بنت : ٤٢ ، ٥٣
 بنتاور (كاتب) : ١٣ ، ٢٩
 بزع : ٣٦٢
 بفيان (جون) [مؤلف] : ١٢٣
 بور (شراب رديء) : ٣٧١ ، ٣٨١
 بوتو (ابطو الحالية) : ٤٢ ، ٣٩٤
 بوصير : ١٦١ ، ٣٨٠
 بوغاز كوى : ٢٧٠
 بوفرع (أمير) : ٧٩
 بيانكف (الكسندر) (مؤلف) : ٢٠٧
 ببس (اسم علم) : ٣٦٨
 ببلي : ٢٠٧ — ٢١٦
 ببلي الأول : ٢٩٥
 ببلي الثاني : ٢٩٥ ، ٣٣٢
 ببير (ماكس) : ١ ، ٣٤ ، ٩١
 بيت (مؤلف) : ٣٣
 بيت انتصارات وسمارع : ٣٩٤
 بيت - شائيل (قرية من رهب في اقليم الكرمل) :
 ٣٩٢
 بيت صوفر (مكان يقع في الاقليم الجبلى من بلاد يوده
 في جنوب فلسطين) : ٣٩٢
 بيتوبستس (ملك) : ٢٠
 بيعوت : ٣٩١
 بيروقراطية : ١٩

(ت)

تاجسر (جبانة) : ٣٨٢

جولنيشف : ٥٠٠ ، ١٢٠ ، ١٦٢ ، ٣١٨ ، ٣٢٩
جوليس : Jolles : ١٣١
جبنه : ٦

(ح)

حتحور : ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٩٥
١٠٢ ، ١٤٧ ، ٣٤٢ ، ٣٦٩ ، ٣٨٠
حاتتوب (مكان) : ١٤٠
(*) حار-مع-خر (حور ماخر) (اسم علم) : ٢٣٦ ، ٢٦٢
حافر الذئب (نبات) : ٣٩٣
حطب (ملكة) : ١٧٠
حربوخراد (حور الطفل) : ١٤٣ ، ١٤٦
حرحور (ملك) : ١٣ ، ١٦٤ ، ١٦٧
حرخوف (علم) : ٣٣٢ ، ٣٣٨ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧
حردادف (علم) : ٨١ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ١٧٣ ، ٣٨٤

حرشاف (إله) : ٦٤

حروور - رع (إله) : ٤٢

حزقيا (نبي) : ٢٧٠

حزقيا شبننا (علم) : ٢٧٠

حصي (إله النيل) : ٦٢

حكاك بي (كاهن) : ٣٤٣

حككت (إله) : ٨٤

حكنو (عطر) : ٥٣ ، ٥٤

حقل الملح (مكان) : ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧

حماة : ٣٩١

حور : ٢ ، ٢١ ، ٢٦ ، ٤١ — ٤٤ ، ٥٠

٧٢ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١٢٣ ، ١٢٧

١٣٠ — ١٦١ ، ٢٣٦ ، ٢٥٢ ، ٢٦٦

٣٨٦ ، ٣٨٧

حور - حكنو (إله) : ١١٣

حور - مين (إله) : ١١٦

حوري (اسم علم) : ٣٧٧ — ٣٩٠

حوني (ملك) : ١٨٨

(خ)

خاني (ملكة) : ٣٧١ — ٣٧٣ ، ٣٩٠

تويخي [يُحتمل أن تكون بلدة صغيرة في جنوب دمشق ووجدت ببلدة تباخ التي جاء ذكرها في العنبرة] : ٣٩٠

توت عنخ آمون : ١ ، ١٢ ، ٧٢

تورا : ١٧١ ، ١٧٦

تورين (متحف) : ٢٣٣ ، ٣٧٨

توزرع (اسم علم) : ٣٧٩

توزيري (اسم علم) : ٢٦٢

توسري (اسم علم) : ٢٣٦

توم (العم) : ٢٨١

تياو - أو تيا (وم متوحشون من جنسين وقد كانوا

يوضعون في الصحراء الغربية بمثابة حراس) :

٣٦٥

تيتولس (بطل يوناني أخو ملك طرواده وقد منح

الخلود ولم يمض الشباب الأبدى) : ٢٣

تيرك (مكان) : ٣٧٠

(ج)

جاردنر (المؤلف) : ٢٩ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٥٦ ، ١٠٩

١٢٧ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٧٣ ، ١٩٨

٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢٩٤

٣٣٦ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨

٣٤٩ ، ٣٧٨

جب (إله الأرض) : ٧٣ ، ١٣٠ ، ١٤٤

جبيل (بيلوس) : ٣٦ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٤

١٦٥ ، ١٧٠ ، ٢٩٨ ، ٣٠٥ ، ٣٩١

جرسمان : ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٥ ، ٢٨٠

جرفت (علم) : ١٠٥ ، ١١٢ ، ١٣٢ ، ٣٣٧

٣٣٨ ، ٣٤١ ، ٣٤٥ ، ٣٤٧ — ٣٤٩

جرمان : ٩٠

جرم (هيوبارت) : ٢٧١

جزيرة الوسط (مكان) : ١٤٣

جلجاش (كتاب) : ٦

جم (طير) : ٣٠٣

جن (مؤلف) : ٢٠١

جنجنت (نبات) : ٥٧

جو (بلدة) : ٣٥

جورج ملر : ٢٦٦

دجر [مكان مجهول الموقع] : ٣٩١

دجرايل (بلد) : ٣٩١

ددى (علم) : ٨٤ — ٨١

دد - سفرو (بلد) : ٨١

دراما منفية : ١٣٠

دواوف (تعاليم) : ٢٩ ، ١٧٣ ، ١٩٨ ، ٢٠٧

— ٢١٦ ، ٣٢٦

دور (مكان) : ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٦٤

دى بك (أثرى هواندى) : ١٢٣ ، ١٩٨

١٩٩ ، ٢٠٣

ديدور (المؤرخ) : ١٢٨ ، ١٤٧

دير المدينة (معيد) : ١٢٧ ، ٣٩٢

دى روجيه (أثرى) : ١٠٩

ديشو (أثرى) : ١٧٦

(ذ)

ذو الذؤابة (نبت إله) : ٧٤

(ر)

راكا (مكان) : ٣٨٧

راحب (كاهن) : ٣٦٣

راموزا . أو (رع - مس) : ٣٦٢

رتنو العليا (فلسطين) : ٣٦ ، ٣٩٥

(*) رخرع (وزير تغميس الثالث) : ١٩٨

رد - ددت (علم) : ٨٣ ، ٨٧

رع : ٤١ — ٤٥ ، ٥٢ ، ٦٢ ، ٦٨ ، ٧١

٧٣ — ٧٦ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٩٤ ، ١٠٤

١٠٦ — ١١٢ ، ١١٥ ، ١٢٧ ، ١٢٨

١٣٠ — ١٦١ ، ٢٠٢ ، ٢١٨ ، ٢٤١

٢٤٤ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٦

٢٨٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٤ ، ٣٦٢ ، ٣٦٥

٣٨٢

رع - آتوم (إله) : ١٤٥

رع - حطب (علم) : ١١٨ — ١٢٠

رع - حور - أختي (إله) : ٩٣ — ٩٦ ، ١٠٤

١٠٧ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ٣٦١

٣٦٣ — ٣٦٥

رعسيس الثانى : ١٢ ، ١٣ ، ١١٧ ، ١٤٥

خاموس (رئيس كهنة) : ٢٠ ، ١٦٩

خبرت (إقليم فى فلسطين الجنوبية غير معروف) :

٣٩٤

خبرى (إله) : ١١٤ ، ١٤٣

خبر كارع (لقب ملكى) : ٤٠ ، ٤١

خبرور (نبات) : ٥٧

خدم (مكان فى فلسطين موقعه مجهول) : ٣٩٠

خرنوف (علم) : ٣٨١

خسابت (عطور) : ٥٣ ، ٥٤

خعى (اسم علم) : ٣٣٥

خغضبر - رع - سنب : ١٧٣ ، ٢٩٠ — ٢٩٢

٣٢١

خفرع : ٩ ، ٧٧ ، ٨٣ ، ٢٩٠

خلز (مكان مجهول) : ٣٩٢

خنتكاوس : ٨٤

خنتكش (بلاد) : ٤٣

خنتواش (علم) : ٤٣

خنس أر خنسو (إله) : ٣٤٠

خنس أعجب (اسم علم) : ١١٩

خنسحطب (علم) : ٢١٩ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩

خلوم (إله) : ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٨ ، ٩٥ ، ١٤٥

٢١٨ ، ٢٤٦ ، ٢٦٣ ، ٢٦٧ ، ٣٠٣

٣٠٦ ، ٣٠٧

خوفو : ٦ ، ٩ ، ٢٠ ، ٣١ ، ٤٨ ، ٧٤ —

٨٩ ، ١٤٢ ، ١٧٣ ، ٣٨٤

خنوب آتوب (علم) : ٥٦

خيق (حكيم وكاتب) : ١٠ ، ٢٩ ، ٥٤

١٧٣ — ١٦٥ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٧

٢١٦ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦

خيروف (موظف عظيم فى عهد امنموتب الثالث) :

٢٠

خيو (شراب) : ٦٩

(د)

دار مستاد (متحف) : ١١٠

دبر (يحتمل أن تكون بلدة قريبة جداً من قادش) :

٣٩٢

داود : ٣٠٠

ساحو - رع (ملك) : ٨٥
 سا سكوت (نبات) : ٥٧
 ساليه (ورقة) : ١٤١
 ساهوت (نبات) : ٥٧
 سب ايل (مكان) : ٣٩٤
 سيدو (اسم إله في صورة صقر صفت الحنة) : ٤٧
 سيلك (إله) : ٤٧ : ١٤٦ ، ٣٤٠ ، ٣٤٣
 سيهرود (الكتاب القطن) : ٣٨٩
 سبت : ٢ : ٢١ ، ٥٥ ، ١١٢ ، ١٢٣ ، ١٢٧ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٦١ ، ٢١١ ، ٣٤٣ ، ٣٦١ ، ٣٦٣
 سبت - تيفون (إله القمر) : ١٤٧
 سقروف (أثرى روسي) : ٢٠١
 سحبت - أب - رع (لقب أمنمحات الأول) : ٣٦ ، ١٧٥ ، ١٩٨ ، ٢٠٢ ، ٢١٧ ، ٢١٨
 سخايت (إلهة تلعب دور لوزيس) : ٣٨٠
 سغيز (مكان) : ٨٣ ، ٨٤
 سغت حوت (بلد) : ٦٠
 سغمت (إلهة) : ٣٦ ، ٦٢ ، ١١١ ، ٢١٨
 سرام (سرمم) : [مكان في فينقيا] : ٣٩١
 سريتا (مكان) : ٣٩١
 سسم (خشب) : ٨١ ، ٣٠٥
 سسي (اسم مدلل لرعمسيس الثاني) : ٣٩٠
 سش - رسالة : ٣٣٢
 (٥) سشات (الهة الكتابة) : ٣٧٨
 (٥) سسم (سكام) (جبل إبال) : ٣٩١
 سفر الأمثال : ٢٤١ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٨٠ -
 سفينة الملايين : ١٤٨
 سقارة : ١٨٦
 سقنزع (ملك) : ١٠٥ - ١٠٨
 سكب (خشب) : ٧٩
 سلسيا (كليكييا) (اقليم) : ٣٦٩ ، ٣٧٣
 سلن (عالم) : ٢٧٥
 سليان (أمثال) : ٣ ، ٤ ، ١٧١ ، ١٧٦ ، ٢٣٢ ، ٢٧٠
 سميسن (عالم) : ٢٧٥ ، ٢٧٧
 (٥) سمسرو (إله في صورة إنسان له رأس صقر
 وتاج بريشتين) : ٤٢

٣٢٦ ، ٣٣٠ ، ٣٦٢ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٨٥ ، ٣٩٠
 رعمسيس الثالث : ١٣ ، ٧١ ، ٢٠١
 رعمسيس الرابع : ١٤٠
 رعمسيس السادس : ٢٥٢
 رعمسيس التاسع : ١٦٩ ، ٢٥٢ ، ٣٣٠
 رع وسر (علم) : ٨٤ ، ٨٦
 رموت (قصة) : ١٦٢
 رفح (بلد) : ٣٩٤
 ريموثيس : ٢٠
 رمت (نبات) : ٥٨
 رمت (أهل مصر) : ٣٠٤
 رمسيوم (معبد) : ١٣٠ ، ٣٢٦
 رنزي (علم) : ٥٧ ، ٥٥ - ٦١ ، ٦٤ - ٦٦ ، ٦٩ ، ٧٠
 رنفت أورتوت (إلهة الحصاد) : ١١٧ ، ٢١٦ ، ٢٤٣ ، ٢٥٥ ، ٢٦٣ ، ٢٦٧
 رهب (بلد في إقليم الكرمل) : ٣٩٢
 رهننت (مكان) : ٣٤٣
 رزوي (اسم علم) : ٣٨٣
 ريد (شارل) : ٢٨١

(ز)

زازا معنخ (علم) : ٨٠ ، ٨١
 زاكابعل (أمير) : ١٦١ ، ١٦٤ ، ١٦٩ ، ١٧٠
 زدبت [مكان مجهول الموقع] : ٣٩٢
 زدفرع (ملك) : ٩
 زكو (بلدة) : ٣٦١
 زليخا : ٨٩
 زمير (أزمير) : ٣٩٠
 زوت (اسم حفرة) : ٣٦٦ ، ٤٦٩
 زوسر (ملك) : ٩ ، ٧٧ ، ١٧٣
 زيته (عالم أثرى) : ١٧١
 زيوس (إله) : ٢٣ ، ٢٤

(س)

سابني (علم) : ٣٤٦

شستر يتي (ورقة) : ١٢٧ ، ١٢٧ ، ١٢٧ ، ١٩٨ ،
٣٤٤ ، ١٩٩
شطب (بلد) : ٢٦٧
شمليون : ٢٣١
شاهنامه الفردوسي : ١٢٩
شو (إله) : ٧٣ ، ١٢٨ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ،
٣٨٠ ، ٢٣٦
شويارب (أثرى) : ٣٣٣
شوى (جبل) : ٣٩٠
شيشنق (ملك) : ١٣

(ص)

صا الحجر : ١٣ ، ١٠٦ ، ١٤٥
صبح الأعشى : ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٦
صحراء النظرون : ٥٥
صلاح الدين : ٢٠
صور (بلد) : ١٦٤
صومال (بلاد) : ٤٧ ، ٥٣
صيدا (بلد) : ١٦٦ ، ٣٩١

(ط)

طيبة : ١٠ — ١٣ ، ٤٢ ، ١٠٦ — ١٠٨ ،
١٢٦ ، ١٤٠ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ٢٠٨ ،
٣٢٦ ، ٣٦٣ ، ٣٦٠ ، ٣٤٠ ، ٣٦٨
طينة (بلد) : ١٤٤ ، ١٩٠ ، ٢٣٥ ، ٣٠٥

(ع)

عاقنزع (انفار ابو فيس) : ١٠٦
عامور (مملكة) : ٣٧١
عباو (أحجار) : ٥٧
عبد الله النديم : ٢٨١
عرش الأفقيين : ١١٣
عشتارت (إلهة) : ١١٧ ، ١١٨ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ،
١٤٦
عكا (بلد) : ٣٩١
(*) عنات أو أنات (إلهة) : ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٤٦
عنترة العبسي : ٢٠

سمندس (ملك) : ١٣ ، ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ،
١٦٨
سمود : ١٤
سنزم - اب (علم) : ٣٣٨ ، ٣٤٦
سنجار (مملكة) : ٣٧١ ، ٣٧٢
سنوسرت الأول : ١٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٥ ، ٤٠ ،
١٤٠ ، ١٧٥ ، ١٩٨ — ٢٠٥
سنوسرت الثاني : ٢٩٠
سنوسرت الثالث : ١٠ ، ١٣٧ ، ١٨٧ ، ٢٦٢
سنفرو (ملك) : ٤ ، ٣٥ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٣١٨ ،
٣٢١ ، ٣٢٠

(*) سننموت (مستشار حثشبوت) : ٥١ ، ٥٠
سنو (علم) : ٢٦١
سنوت (أحجار) : ٥٧ ، ٢٣٥
سنوهيت : ٤ ، ٦ ، ٣١ — ٤٦ ، ٨٨ ، ١٠١ ،
١٤٢ ، ١٦٢ ، ٢٠٠
سهل (جزيرة بالشلال الأول) : ١٤٥
سوخ (الإله) : ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١١١ ، ١٦٧ ،
٣٦٣

سورة البقرة : ١٨٢
سوكاريس (إله) : ٣٨٠
(*) سومرسسى (بلدة سمر الحالية على نهر السكب) :
٣٩٠

سومرية (كتابة) : ٣٢٩
سبق الأول : ١٢ ، ٧١ ، ١١٦ ، ١٩٨
سبق الثاني : ٣٦١ ، ٣٦٤
سيناء : ٤٧ ، ٥١
سيهور (مكان) : ٣٦٩

(ش)

شاس (عطر) : ٥٤
شاو (فاكهة) : ٣٦٩
شاي (إله القدر) : ٢٤٣ ، ٢٥٥ ، ٢٦٧
شاباس (أثرى) : ٣٧٨
شباكا (ملك) : ٨
(*) شبيجل (أثرى) : ١٤١ ، ١٤٢ ، ٢٦٣
شردانا (جنود مهترقة) : ٣٨٨

قناة السمكدين : ٨٤

قنيت (مجلس) : ١٤٠ ، ٢١٥ ، ٢١٦

(ك)

كا (الفرينة أو الروح) : ١٧٩ ، ٨٢ ، ٤٢ ، ٣٨٢ ، ١٨٢

كا جني (حكيم) : ١٨٩ ، ١٨٨ ، ١٧٥

كا جبو (علم) : ٨٧

كار (ماشية) : ١٢٦ ، ١٢٢

كارس (كاتب) : ١٧٤ ، ١٧٣

كا زردى (علم) : ٣٩٢

كا كا (نبات) : ٣١٥

كا كاي (لقب الملك نزار كارخ) : ١٥

كا موز (ملك) : ١٦

كانخت (علم) : ٢٣٥ ، ٢٦٢

كا هون (اللاهون) [ورقة] : ١٤١

كا و (فاكهة) : ٥١

كا وو (أرواح) : ٧١

كايري (حيوان) : ٣٥٢ ، ٣٥١

كدي (جمعة) : ٣٦٦ ، ٣٦٩ ، ٣٧١ ، ٣٧٢

كدي (إقليم) : ٤٣

(*) كراجلت اناب (قبرات غيب) [مكان يقع في

بلاد يودة الجبلية] : ٣٩٢

(*) كراجات ليل (قبرات ايل) [مكان يقع في بلاد

يودة الجبلية] : ٣٩٢

كرزحت (حية) : ٣١٠

كركي (إقليم) : ٣٧٢٠

كريت (كفتيو) : ٢٩٨ ، ٣٠٥ ، ٣٢٨

كسا (علم) : ٣٨٣

كسب (علم) : ٣٨٤

كفر صردن (كور صردن) [مكان مجهول الموقع] : ٣٩٢

ككو : ٨٥

كلاسيكي (عهد) : ١١ ، ٣٢

كليوباتره : ٩٠

ككي (مصر) : ٣٧٤

كنمان (إقليم) : ١٨ ، ٣٩٤

كنسكة (خمر) : ٣٦٨

كنسكتاوى (بلد) : ٣٦٦ ، ٣٦٧

عنقي (اله) : ١٣٤ ، ١٣٥

عننيو (عطر) : ٥٣

عنخ سنوسرت (علم) : ٣٤٣

عنخو (خمشير - رع - سنپ) (علم) : ٢٩٠

عهد الإقطاع : ١٩٠ ، ٢٠٨ ، ٢٩٤

عيسى : ٥٥

عين شمس (بلد) : ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٩٠ ، ٢٢٠

٢٩٢ ، ٣١٩ ، ٣٢١ ، ٣٤٠ ، ٣٦٠

٣٨٤ ، ٣٦٦

(خ)

غزة (بلد) : ٣٧٨ ، ٣٩٤

(ف)

فتح اثيوبى : ١٤ ، ١٣٢

فتح آشورى : ١٤ ، ١٣٢

فتح الفرس : ١٣٢

فجر الضمير (كتاب) : ٥٥

فرجيل (شاعر يوناني) : ٦

فلرلسا (متحف) : ١٢٠

فلسطين : ١١٢

فنخو (بلاد) : ٤٣

فنكس (طائر) : ٣٨١

فوجلزانج (أثرى) : ٥٦

قيبر (أثرى) : ١٤٧

فيلة (معبد) : ١١٦

قينا : ١١٦

فينقيا : ٣٨٨

(ق)

قادش (موقعة بين رمسيس وملكة الحيثا) : ٣٩٠

قبرص (جزيرة) : ١٠١ ، ١٧٠ ، ٣٧٢

قدي (مكان) : ٣٦ ، ٤١

قفط (بلد بالصعيد) : ١٢٢

قييز (ملك الفرس) : ٢٠

قمر الزمان : ٨٩

قور (جزيرة) : ٣٦

الممتد من المنحدر الغربي لبلاد لبنان حتى البحر

الأبيض : ٣٩٠

مجلس الثلاثين : ١٣٩ ، ٣٥٩

محو (علم) : ٣٦٣

محورت (إلهة) : ١١٤

محور نار (لقب كاتب) : ٣٨٣

مدينت (اسم مكان) : ٥٧

مر نبتاح (ملك) : ١٣ ، ١٠٦ ، ٣٦٢ ، ٣٦٤

مرو (علم) : ٥٧ — ٦١ ، ٦٤ ، ٦٩ ، ٧٠

مري انف (اسم علم) : ٣٣٤

مريكارع ملك : ٢٨ ، ١٧٥ ، ١٩٠ — ١٩٦

٢٢٣ ، ٢٩٢ ، ٢٨٨

مري (صفة لإنسان) : ٣٩٢

مزامير : ١٧١

مسخت (إلهة) : ٨٤ ، ٨٥ ، ٢١٦

مكر (إقليم) : ١٦٤

مكي (اسم رجل) : ٤٣

ملحمة : ١٣١

ملخيت (حجر) : ٨٠

ملر (جورج) : ٢٦٦

ملوى : ١٤٠

ممرات حور : ٤٤ ، ٣٩٤

ممتاني (كاتب) : ٥

منقو (إله) : ٣٩ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٣٤٠ ، ٣٦٣

٣٦٩

منتوحتب (منتوحتب) : ١١٩

منتوكا (علم) : ١٢٠

منجبت (اسم قائد سوري) : ١٦٣

منخبروع (لقب تحتشم الثالث) : ١١١

منديس (بلد) : ١٤٠ ، ١٤٤ ، ١٤٥

١٤٧

منف : ٤٤ ، ٧٧ ، ١١٦ ، ١٣٠ ، ١٤٣

١٩٠ ، ٣٦٤ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٨٠

منكاورع : ٩ ، ٨٣

منوس (علم) : ٤٣

موت (إلهة) : ٣٤٠

مور (نوع من الرقص الديني) : ٤٢

موسى (علم) : ٨٠ ، ١٠٩ ، ١١٥ ، ٣٧٩

كهك (قبيلة) : ٣٨٨

كيري (حيوان) : ٢٢٩

كيس (الأستاذ) : ١٤٠

(*) كين [قبن] (مكان بالقرب من مجدو) : ٣٩٢

(ل)

لاكو (الأثرى) : ١٤

لوفر (متحف) : ١١٠ ، ١٢٠

لوكاس (كياوي) : ٣٣٣

لنجا (أثرى) : ٢٣٢ ، ٢٩٤

ليزج (متحف) : ١٤٧

ليدن (متحف) : ٢٦٢ ، ٢٩٤ ، ٣٣٤

ليدن (ورقة) : ١٩٤ ، ٣٣٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤١

ليسيرس (ملك) : ١٠٦ ، ١٠٧

ليمان (أثرى) : ٣٣٤

لينجراد (ورقة ومتحف) : ٢٨ ، ٤٥٠ ، ١٩٠

٣١٨

(م)

ماترخ (لوحة) : ١٢٨ ، ١٣٠

ماتوي (اسم علم) : ٣٥٤

ماسبرو : ٣٤ ، ٩١ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٨

١٠٩ ، ١١٢ ، ١٢٠ ، ١٢١

ماشوشا (جلس من الناس) : ٣٨٨

ماعت (العدالة) : ١٩٢ ، ٢٩٢ ، ٣٠١

٣٢٢ ، ٣٢٣

ماكس مولر (أثرى) : ٧٢

مانيتون (مؤرخ) : ٨ ، ١٤٧ ، ٢٩٥

ماهر (عالم بجواقع البلدان وطبيعتها) : ٢٧٠

٣٩١

متاو (قوم) : ٣١٦

مقربوليتان (متحف) : ٣٣٠

متون الأهرام : ١٢٨ ، ١١٢ ، ٢٥٠ — ١٣٠ ، ١٤٧

مجات (رسالة) : ٣٣٢

مجدو (بلد) : ٣٩٢

مجر (يحتمل أن يكون جزءاً من لبنان وهو السهل

ن- معات - رع (لقب الملك امنمحات الثالث) :
٢١٨
نياو (فرقة من الجند) : ٣٦٦
نيوبري (أثرى) : ١١٨

(ه)

(*) هازور [حازور] (بلدة قريبة من قادش) :
٣٩١
هرست (حجر) : ١٨٣
هرش (اسم علم) : ٣٨٥
هرموبوليس (انظر الأشمونين) : ٣٨٤ ، ٣٧٨
(*) هرنبى (مكان مجهول) : ٣٩٢
(*) هن (حوثنا) وهو تصغير حصن وتقع على
الطريق بين مصر وفلسطين : ٣٩٤
هكسوس : ١١ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٣٢ ،
٢١٩ ، ٣٣٤
هليوبوليس : ٨٣
هنرى جيس : ٦ ، ٢
هوسر (الشاعر) : ١ ، ٦ ، ٥ ، ١٣١
هيرا طيقى : ٢٧
هيراكليوبوليس (انظر اهناس المدينة) : ١٠ ،
٥٤ ، ١٤٠ ، ١٩٠
هيردوت : ٢٠ ، ١٢٨ ، ١٢٩
هيروغليق : ٢٧

(و)

واج (عيد الحصاد والخمر) : ٣٨٤
وادى الأرز : ٨٨ ، ٩٣ — ٩٧
وادى العريش : ١٢٨
وادى النظرون : ٥٦ ، ٥٥
وازيت (الهة) : ١٤٣ ، ٢٥٢ ، ٢٦٦
واوات (بلاد) : ٥١
وياوتر (علم) : ٧٧ — ٧٩
وين (نبات) : ٥٧
وين - ناخت (علم) : ٢٥٢
وين (إقليم فى أقصى شمال سوريا ومن مدنه دمشق) :
٣٩٢

ميسوت (نبات) : ٥٧
مين - حور (إله) : ٤٢
مينا (ملكة) : ٣٠ ، ٢٩٢
ميو (ققط) : ٣٧٠

(ن)

ناخت (علم) : ٣٨٤
ناقيل الأثرى : ٧٢
نكا (ملك) : ٧٧ — ٧٩
نكاورع (ملك) : ٥٧ ، ٦٠ ، ٦٩
نب - نفر (علم) : ٣٣٥
نجرى (علم) : ١٤٠
نحم اوايت (زوجة نحت) : ٣٨٤
نخس (نهر أو غدير فى فلسطين أو سوريا غير
معروف) : ٣٩٤
نزن (نهر) : ٣٩١
نشمت (قارب خاص بأوزير) : ٣٨٠
نطرون (وادى) : ٣١٤
نفرين (محاربون شيان من كنعان) : ٣٨٨
نمريون (صفة) : ٣٩٤
نفثيس أو (نفثس) : ٨٤ ، ٣٦٣
(*) نفر نياو (اسم إله غير معروف) : ٤٢
نفر حشب (علم) : ٣٦٢
نفر رعو (ورقة) : ٤ ، ٢٨ ، ٢٠١ ، ٣٠٢ ،
٣١٨ — ٣٢٤
نفر كارع تارى (ملك) : ٢٢٠ ، ٢١٩ ، ٢٢٠
نفرؤ (أميرة) : ٣٤ ، ٤٠ ، ٥٧
نفرى (اسم كاتب) : ١٧٣
نقطائب (ملك) : ١٤ ، ٢٠ ، ١٠٦
نكوت (اسم فاكهة) : ٥١
ننسو (اهناس المدينة) : ٥٧ ، ٥٨
ننقى (اسم علم) : ٣٦ ، ٣٩
ن (نبات) : ٣٩٣
نهرين (بلاد) : ١٠١ ، ١٠٣ ، ٣٧١
نوت (إلهة) : ٧٣ ، ١١٨ ، ١٤٤ ، ١٤٨
نون (إله) : ٧٣
نبت (إلهة) : ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٤٥ ، ١٤٦
نير (إله الفلال) : ١٩٩ ، ٢٠٤

ونفريس (انظر وتنفر) : ١٢٣
وتنفر (اسم أوزير بعد الموت) : ١٤٤ ، ٢٥
٣٨٠ ، ٣٧٩ ، ٢٣٦

(ى)

ياء (بلاد) : ٤٤ ، ٣٨
يافا : ١٠٦ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٦ ، ٣٧٨
٣٩٣
ياوت (ماشية أو وظيفة) : ١٣٥
(*) يجدى (مكان مجهول الموقع) : ٣٩٠
(*) يمان (يان) [مكان مجهول الموقع] : ٣٩١
يوب (بلاد واقعة في أقصى شمال سوريا) : ٣٩٠
يوسف (نبي) : ٨٩
يولس (قصة) : ١٦٢
يونكر : ١٣٢

وجس (طير) : ٥٧
وخا (رسالة) : ٣٣٣
ورت (علم) : ١٦٤
(*) وس (بشو) [بلد في فينيقيط تقع في شمال صور] :
٣٩١
وستن (خطاب) : ٣٣٣
وستكار (ورقة) [قصة خوفو والجمرة] : ٢٧٧
وسر (جبل) : ٣٩١
وسرعات (اسم قارب آمون) : ١٦١ ، ١٦٣
١٨٦
وسر - كاف (اسم ملك) : ٨٥ ، ١٨٦
وسر مارع (لقب رمسيس) : ٣٦٩
ولز (كاتب) : ٣
ولسن (أثرى) : ٣٣٠
وناس (ملك) : ٩

اختصارات أسماء بعض الكتب

- A.Z. = "Zeitschrift für Ägyptische Sprache."
J.E.A. = "The Journal of Egyptian Archaeology."
K.P. = "Kahun Papyri." (Griffith.)
L.E.M. = "Late Egyptian Miscellany." (Gardiner)
L.R.L. = "Late Rameside Letters." (Cerny).

رقم الإيداع ١٣٩٣٣ / ٢٠٠٠

الترقيم الدولي I.S.B.N 977-01-6907-2